الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

السيرة النبوية
دراسة في الرواية والسرد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي

إعداد الطالبة: سوميشة خلوي

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد بن سعيد

تتكون لجنة المناقشة من السادة الأساتذة:

أ.د. هواري بلقاسم	جامعة وهران	رئيسا
أ.د. بن سعيد محمد	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
أ.د. سطمبول ناصر	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د. كاملي بلحاج	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د. بناجي ملاح	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د. عبو عبد القادر	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1432 – 1433 هـ / 2011 – 2012 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من قال الله في حقهما:

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾

الإسراء: 23

حبا وابتغاء لمرضاتهما ... أهدي إليهما ثمرة غرسي ...

كلمة شكر و تقدير

الحمد لله على نعمة العقل والتوفيق ...

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ هود: 88

وبعد: عرفانا بالفضل نودّ أن نسجل شكرنا الجزيل، وامتناننا العميق، وتقديرنا الكبير إلى أستاذنا الدكتور "محمد بن سعيد" الذي شجّعنا على كتابة بحثنا هذا، منذ كان مجرد فكرة فتعهده بالعناية والرعاية، ووجهه حيث ينبغي أن يكون، وأرشدنا حين تُهنا عن الصواب، وثبّت عزيمتنا حين أصبح البحث هاجسا مرافقا للحظات حياتنا مما لا يدركه ولا يحسّ به إلا من دخل معترك البحث العلمي، إلى أن خرج بحثنا إلى النور، فلأستاذي الفضل الكبير في إنجازه، جزاه الله خيرا عنا.

كما أتقدم بجميل الشكر وجزيل العرفان لوالدي الحبيبين لتحملهما معي عبء هذه الدراسة، وما رافقها من توترات وهواجس نفسية، ولدعواتهما التي رافقتني ولا زالت ... وكذا أخي محمدا الأمين الذي وجدته سندا لي في بحثي.

وإني لأشكر جميع أفراد أسرتي خصوصا إخوتي، وكل الأصدقاء والزملاء ممن قدموا لي المساعدة والنصيحة والمشورة، كل واحد بقدر ما أسهم به في هذا العمل من داخل الوطن ومن خارجه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأصلي وأسلِّم على آله الأطهار وصحبه الأبرار، أما بعد:

هديٌ واحد من ربّ السماوات والأرض وما بينهما، اكتمل لما ارتضى الله لعباده الإسلام دينا، ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وقد قيَّظ الله ﷻ لسُنَّة نبيه ﷺ رجالا يحفظونها وينقلونها إلى الأجيال المتتالية، من ذلك سيرته ﷺ، والتي نُقلت إلينا كاملة في كليَّاتها وجزئياتها، بل لا توجد سيرة نبوية أشمل من سيرة الرسول ﷺ.

كما أن معرفة أحداث السيرة النبوية وما دار حولها، تعين على فهم كتاب الله، ومعرفة شمائله عليه ﷺ، فالسيرة النبوية تجعل بين يدي المسلم صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة المختلفة، لأن الله جعل الرسول محمدا ﷺ قدوة للإنسانية كلِّها.

وكلما قرأتُ السيرة النبوية ازداد تعلقي وإعجابي بها، وكثرت بذلك محاولاتي لإيجاد موضوع يجمع بين السيرة والأدب، فأكرمني الله بفكرة انبثقت من اللجنة العلمية لقسم اللغة العربية وآدابها، باقتراح موضوع (السيرة النبوية دراسة في الرواية والسرد)، والتي من شأنها أن تعطي رؤية جديدة ومختلفة للسيرة النبوية، وكان إقدامي على هذه الخطوة مصحوبا بشيء من التهيُّب مع الإصرار.

فالحديث عن السيرة النبوية هو حديث عن نص مرويّ، رواه البكائي عن ابن إسحاق، ودوَّنه ابن هشام، حتى عُرفت السيرة باسمه، والرواية في حدِّ ذاتها متجذرة في التراث العربي قبل بزوغ فجر الإسلام، وإلا كيف وصلنا الموروث الشعري الجاهلي؟

وإذا ذكرنا الرواية فهو أمر يستحقُّ البحث والتمحيص والرجوع لأولياها، ورجوع لأصنافها أيضا، لذلك كان علينا قبل الوصول إلى سيرة ابن هشام، أن نؤرخ للرواية منذ عصر ما قبل الإسلام إلى العصر الإسلامي وما بعده، ومن ثمة تناول رواية اللغة والأدب، والرواية الدينية بالتركيز على رواية الحديث النبوي الشريف، وجمع اللغة وتدوينها، ووصلنا إلى منهج ابن هشام في رواية السيرة النبوية، والذي أشار في مستهل السيرة النبوية وأبان عن منهجه في تناول سيرة ابن إسحاق وإعادة كتاباقا وفقا لمنهجه الخاص.

كل هذه الخطوط، دعتنا لطرح التساؤلات التالية:

- ما هي مميزات رواية العرب للغة والأدب؟

- كيف تعامل ابن هشام مع السيرة النبوية رواية شفوية وسندا؟

- ما الطريقة التي اعتمدها لإعادة صياغة السيرة النبوية التي سمعها عن البكائي؟

- ما هي المميزات السردية للسيرة النبوية؟

إذن، هذا الموضوع بالصفة التي اقترحناها لم يحظ باهتمام الدراسات الأكاديمية – حسب علمنا– و لم نعثر على بحث ملم بجميع المحاور التي اقترحناها للدرس في بحثنا، كما لم تكن سيرة ابن هشام في الجانب التطبيقي من الرسالة محط أنظار الباحثين، فبالرغم من اهتمام الدارسين بالسنة النبوية من حيث الرواية، إلا أن السيرة النبوية لم يكن لها نصيب من اجتهاد الباحثين، ومن الربط بين العقيدة والأدب.

من هذا المنطلق تنوَّعت مكتبة هذا البحث تنوُّعا ملحوظا، ما بين المصادر الدينية والمصادر الأدبية والنقدية القديمة والمعاصرة، من القرآن الكريم والأحاديث النبوية

الشريفة الواردة في الكتب الستة وشروحاتها والسيرة النبوية باعتبارها محلَّ الجزء التطبيقي لبحثنا، وكتب الجرح والتعديل، والتراجم والطبقات.

ومن جهة أخرى اعتمدنا على كل ما تعلَّق بالمادة اللُّغوية الأدبية المروية ولم يقتصر اعتمادنا على المصادر التي تؤرخ للرواية والتدوين فحسب، وإنما اعتمدنا في جهة ثانية على دواوين الشعر المحقَّقة بدءا بشعراء ما قبل الإسلام، وقصائد مفردة لم تحفظها الدواوين بل ضمتها مجمعات نفيسة كالأصمعيات للأصمعي والمفضليات للمفضَّل الضبي، ومنتهى الطلب في أشعار العرب لابن المبارك.

كما قمتُ أفتش بطون الكتب ساعية لأجد ما يخدم البحث من مادة نثرية، وشواهد لغوية، مبثوثة في ثنايا المظان القديمة كالحيوان والبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والصناعتين للعسكري والعمدة لابن رشيق وزهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق القيرواني ومجمع الأمثال للميداني ونضرة الإغريض في نُصرة القريض للمظفر العلوي والمزهر في أنواع اللغة وعلومها للسيوطي وخزانة الأدب للبغدادي، وغير ذلك كثير أثبتناه في قائمة المصادر والمراجع.

وفي ما يخص تراجم الرواة والشعراء فقد اعتمدنا على أهم مصادر التراجم والسير قديما وحديثا، مثل طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي والشعر الشعراء لابن قتيبة وطبقات الشعراء لابن المعتز ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان لابن خلكان وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي للذهبي والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي.

وكان لزاما علينا الرجوع لتفاسير القرآن الكريم أثناء ضبط المعاني القرآنية، فكان من مصادرنا جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري والكشَّاف للزمخشري ومفاتيح

الغيب للرازي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وتفسير القرآن العظيم لابن كثير وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي.

كما اعتمدنا على المعاجم العربية القديمة في معرفة المدلولات اللغوية التي تحملها المصطلحات الخاصة بالبحث مثل الصِّحاح للجوهري لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزآبادي والمحكم لابن سيده وتاج العروس للزُبيدي.

ومراجع حديثة تناولت بالدرس ما له علاقة ببحثنا وقد أثبتناها في مكتبة البحث، منها كتب الحديث، باعتبار علماء الحديث نجدهم قد أعرضوا غير مرَّة عن التصنيف في مبادئ علم الحديث في جانبه النظري، بينما نجد التطبيق المباشر لها في تصانيفهم، فكان الاستئناس ببعض هذه الكتب مثل دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للأعظمي والحديث والمحدثون لمحمد أبي زهو ومعجم علوم الحديث لعبد الرحمن الخميسي، وغير ذلك.

كما كان للكتب الأدبية الحديثة نصيب من مكتبة البحث، وكان من أهمها مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها الأدبية لناصر الدين الأسد، وقصائد جاهلية نادرة ليحيى الجبوري والخبر في الأدب العربي لمحمد القاضي، ونشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري، وعلم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال، والوثائق السياسية للعهد النبوي لمحمد حميد الله، إضافة إلى كتب السرديات المعاصرة، منها معجم مصطلحات الرواية والسرد للطيف زيتوني ومقولات السرد الأدبي لتزفيطان تودوروف والسيميائيات السردية لسعيد بن كراد والكلام والخبر لسعيد يقطين وبنية النص السردي لحميد لحميداني ومورفولوجيا القصة لفلاديمير بروب وغيرهم.

أما منهجنا المتَّبع استنادا إلى أساليب الإجراء، فقد سِرنا فيه وفق المنهج التاريخي، وذلك بتتبعنا لمسار الرواية في التراث العربي القديم، وأهم المحطات التي قطعتها الرواية

مرورا بالجمع فالتدوين، إضافة للمنهج الوصفي الذي اعتمدناه حيال المؤلفات المدروسة ولا سيما السيرة النبوية، كما اعتمدنا على عدد من الأدوات الأخرى في نواح مختلفة من البحث كالتحليل والاستنباط، والتي تآزرت فيما بينها وتكاملت في قراءة جوانب الرواية والسيرة النبوية.

ونشير إلى أننا بذلنا كل ما في وسعنا للتعامل مع النصوص الدينية، بضبط الآيات القرآنية، أما تخريج الأحاديث النبوية فاعتمدنا بالدرجة الأولى على الصحيحين، ومن ثم بقية الكتب الستة، وعزونا الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها، بحيث ذكرنا الكتاب والباب ورقم الصفحة ورقم الحديث إن وُجد، واكتفينا بإثبات ألفاظ الحديث الواردة في صحيح البخاري فمسلم وهكذا.

وقد قسَّمنا هذا البحث المتواضع إلى مدخل ومقدمة وخاتمة وأربعة أبواب وملحق، يحتوي كل باب على مجموعة من الفصول.

ففيما يتعلَّق بالمدخل، فقد عنوناه بـــ (الرواية في الأدب العربي)، تعرضنا فيه لمفهوم الرواية لغة واصطلاحا، ثم وقفنا عند الرواية الشفوية عبر التاريخ، لننتقل إلى أهم جزء وهو رواية الأدب شعرا ونثرا، ثم رواية اللغة، ابتداء برواية الشعر الجاهلي، ومن جانب آخر قمنا برصد ما تعلَّق برواية النثر من سجع الكهان والخطابة والأمثال والحكم والقصص، لننتقل بعدها لتقييد أهم رواة اللغة والأدب الذين عُرفوا في التراث العربي وعلى رأس القائمة حماد الراوية وخلف الأحمر وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي والمفضَّل الضبي.

وقسَّمنا الباب الأول إلى ثلاثة فصول، تعرضنا في الفصل الأول منه لرواية الخبر الديني، تناولنا فيه رواية الحديث النبوي الشريف وتحدثنا عن مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي، ولم نهمل الوقوف عند الموقف العدائي للسنة النبوية من قِبل

الخوارج والمعتزلة قديما وبعض من المستشرقين الطاعنين حديثا، بتوصيف منهجهم في دراسة الحديث النبوي، ثم تكلمنا عن الوضع في روايات الحديث النبوي، وما كان من الإسرائيليات، ثم رُواة الحديث النبوي الشريف وطبقاتهم، ولم نغفل الحديث باختصار على رواية القرآن الكريم (القراءات) ورواية الحديث القدسي.

أما الفصل الثاني فتكلمنا فيه عن رواية الأخبار والأنساب والقصص، بدءا بمفهوم الخبر وعلاقته بالتاريخ، وتوسَّعنا في علم الأخبار ونشأته عند العرب في جوانب لها علاقة متينة ببحثنا، وعرجنا على رواية الأنساب والقصص والمغازي.

أما الفصل الثالث من الباب الأول، فقد خصَّصناه للجمع والتدوين في التراث العربي، وهو فصل يكوِّن حلقة لا بد منها في موضوع بحثنا، لأن التدوين نتيجة حتمية لشفوية اللغة، وفيه وقفنا وقفة متأنية مع مجموع مصطلحات (اللغة، اللسان، اللهجة)، ثم أصل اللغة والكلام، لنركز بعدها على اللغة العربية الفصحى وجمعها وتدوينها، ورسم المصحف وجمع الحديث النبوي، غير متناسين دور الخط في التدوين مع إبراز دور الإعجام في ضبط اللُّغة العربية وتدوينها ودور مدرستي الكوفة والبصرة في الرواية الشفوية والتدوين معا.

أما الباب الثاني فقد قسَّمناه بدوره إلى ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول السير والتراجم في التراث العربي، بحيث قسَّمنا الفصل إلى قسمين أوَّلهما أدب السيرة بمفهومها اللغوي والاصطلاحي مع إعطاء نماذج مختلفة لأدب السيرة، لننتقل بعدها للحديث عن أدب الترجمة في التراث العربي، مدعمين البحث بمجموعة من النماذج التي صقلت التجربة العربية، وتعرضنا لمختلف مميزات هذا السير والتراجم، وتحدثنا عن الطبقات في أدب السيرة والترجمة.

بينما كان الفصل الثاني مخصَّصا للسيرة النبوية، تعريفا ووصفا، ومختلف تحقيقاتها وشروحاتها وتهذيباتها وتلخيصاتها، مع تراجم وافية لابن إسحاق صاحب السيرة النبوية والبكائي راوية السيرة، وابن هشام مهذِّبها.

ثم فصل ثالث جعلناه لدراسة منهج رواية السيرة النبوية عند ابن هشام دراسة تطبيقية محضة، وكنا بدأنا الفصل بقراءة شاملة في المنهج العام الذي التزمه ابن هشام في عرضه للسيرة النبوية من خلال كلامه في المقدمة، وهذا تمهيدا لتناول منهجه في رواية الشعر في السيرة النبوية بكثير من التفصيل، لأنها تجمع كمًّا لا يُستهان به من الشعر، وفي كل هذا كان هناك جانب للحديث عن موقف الإسلام من الشعر والشعراء وعن المعركة الشعرية التي دارت بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، ثم تناولنا نقاطا أخرى اعتمدها ابن هشام أساسا في منهجه، مثل الرواية عن غير ابن إسحاق، والرواية بالشرح والرواية بالترتيب والتوزيع والرواية بعدم الجزم والرواية بالتفسير والرواية بالزيادة، والرواية بإشارته إلى التداخل والخلط في الأبيات والقصائد.

وأنهينا الباب بفصل رابع أفردناه لقضية النحل والانتحال في الشعر الجاهلي في السيرة النبوية ووقفنا فيه عند قضية النحل والانتحال بصفة عامة ثم ركزنا على هذه الظاهرة في السيرة النبوية وموقف ابن هشام منها.

في حين خصَّصنا الباب الثالث لمدارسة السند والجرح والتعديل دراسة نظرية وتطبيقية، بحيث ركَّزنا في الفصل الأول على الإسناد في الخبر الديني وألفاظ أداء الحديث والتدليس في الأسانيد، ثم الإسناد في الخبر الأدبي والتاريخي في شقيه: إسناد الرواية وإسناد الكتب، ثم وقفنا عند ألفاظ الأداء.

ثم تناولنا في الفصل الثاني الجرح والتعديل وأسباب ظهور هذا العلم، ومشروعيته من الكتاب والسنة، وعدالة الرواة وضبطهم، وشروط المعدِّل والجارح.

وأنهينا الباب بفصل أخير تناولنا فيه دراسة تطبيقية ركزنا فيها على السند في السيرة النبوية وطريقة جرح الرواة وتعديلهم لرواة السيرة النبوية وألفاظ الجرح والتعديل المستخدمة من قبل رُواة السيرة النبوية.

وأتممنا الدراسة بباب رابع وأخير تعلَّق بالسرديات، فخصَّصنا أول فصل منه للتعريف بالسرد والحكي والقصّ، معطين نظرة عامة عن سرد الرواة للسيرة النبوية، ثم فصل ثان تناولنا فيه سرد السيرة النبوية نثرا بحيث اختبرنا مقولات الخطاب السردي على مختلف الأجناس الأدبية النثرية الموجودة في السيرة النبوية، وختمنا الباب بفصل ثالث تحدَّثنا فيه عن سردية السيرة النبوية المنظومة (شعرا) واستقرأنا بعض الملامح السردية في السيرة النبوية المنظومة.

لكن هذه الخطة المنهجية لم تستقم لنا على ما هي عليه الآن بدون عوائق، إذ واجهتنا – منذ أن شرعنا في البحث – صعاب ومشكلات متعدِّدة ، ولعل من أهمها: طبيعة العمل على النصوص الدينية، والتي ليست من اختصاصنا، لا سيّما الجرح والتعديل.

وعلى هذا، لم ندَّخر جهدا من أجل تذليل ما أمكن من هذه العقبات، ورغم هذه المحاولة فلا ندعي مطلقا أننا ألممنا بجوانب الموضوع ووفَّيناه حقَّه من التحليل والدراسة -نظرا لاتِّساع هذا المجال وتنوُّعه- لكننا حاولنا تقريب صورته قدر الإمكان.

إن الكتابة في السيرة النبوية صعبة مؤرِّقة، ومنشأ الصعوبة فيها مرتبط بعلو قدر صاحب السيرة العطرة عليه الصلاة والسلام، واقتحام ساحة حياته ومعايشة شخصيته العظيمة ﷺ فنسأل الله أن يتجاوز عنا إذا ما زلَّ بحثنا على غير ما أردنا له، ولعل تلك المعاناة تكون لسان اعتذار عن التقصير.

أما الصعوبة الأخرى فكانت ولوجي لعلم الحديث دون أن يكون تخصصي ودون معرفة سابقة لهذا العلم الواسع مما دفعني للقراءة والتزوُّد بالرصيد المعرفي الكافي من أجل القيام بالبحث، فكنتُ كل يوم أكتشف أمورا كانت غائبة عنا كأصول الحديث ومصطلحاته والجرح والتعديل ومناهج المحدِّثين ورواية الحديث وغير ذلك.

وهذا جهد المقل وعمل الضَّعيف وإن كنا نعلم أننا لم نبلغ شيئا من هذا العلم فنسأل الله العون والعافية، فإن أخطانا أو نسينا أو أغفلنا شيئا فنسأل الله العفو والتوفيق والسَّداد .

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى السبيل القويم، أسأل الله أن يرزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا، ويوفقنا لشكر أنعمه.

وهـــران: في أكتوبر 2012م.

الطـــالبة: شميســـة خـــلوي.

مدخل

الرواية في الأدب العربي

تزخر المكتبة العربية بتراث ضخم من المؤلفات في مختلف فروع المعرفة ، خلّفه لنا المسلمون الأوائل منذ قرون ، هذا فضلا عن المخزون التراثي الذي ضاع خلال فترات تاريخية حالكة ، هذا التراث « الغني في الكيفية والغني في الكمية ، ولا تزال آثار هؤلاء الأسلاف في التشريع والعلوم الفلسفية والرياضية والفنية وغيرها معدودة في قمة الإنتاج الفكري العالمي » [1] ، تدرس وتلقن للأجيال ، كمرحلة ثرية من النتاج الفكري للأمة العربية والإسلامية .

والأكيد هاهنا ، هو عدم ظهور هذه المصادر المتنوعة بكمها ونوعها ، في تراثنا العربي دفعة واحدة ، بل « مرت – شأن الثقافة بعامة – بمراحل وأطوار من الإعداد والتمهيد وهي مراحل الرواية والجمع والتدوين » [2] ، بحيث كان العربي في المراحل الأولى من تلقيه تراث أسلافه يروي أولا ويدوّن ثانيا [3] ، على أن نشير أن مرحلة تدوين هذا التراث مرحلة متأخرة عن مرحلة الرواية ، إذ كانت الرواية ثم الجمع فالتدوين ، بحيث تم الانتقال من النص المروي الذي حفظته الذاكرة الفردية للرواة ، إلى جمع هذا الموروث ، ولولا هذه الحافظة القوية التي ميّزت العربي لضاع الكثير من التراث الأدبي الجاهلي ، وبعدها انتقل الفعل الشفاهي إلى فعل الكتابة في آخر المطاف.

على أن هذه الأنواع من المباحث كثيرا ما يصعب الفصل بينها في الحضارة العربية تحديدا بسبب « اتصالها بأضرب متنوعة من المعارف كالحديث النبوي والتاريخ والشعر والخطب وغيرها» [4] ، ومما يدعونا إلى الحرص الشديد أثناء تتبع مساراتها وأهم محطاتها في بطون كتب

---

[1] **عبد السلام محمد هارون ، قطوف أدبية ، دراسات نقدية في التراث العربي ، مكتبة السنة ، الدار السلفية للنشر ، ربيع الخير 1409 هـ / نوفمبر 1988 م العلم ، ص : 02 .**

[2] **عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1976 م ، ص : 13 .**

[3] **ينظر : عبد المجيد جيده ، صناعة الكتابة عند العرب ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م ، ص : 15 .**

[4] **محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي ، – دراسة في السردية العربية – ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـ / 1998 م ، ص : 147-148.**

التراث ، هو ما بين هذه العلوم المختلفة والمتنوعة من « أواصر تشد بعضها إلى بعض حتى اختلط الأصل بالفرع والسابق باللاحق»[1] ، مع أنها ليست سمة غالبة ، إلا أنها تُصعب من الفصل بينها في غالب الأحايين .

ونستهل حديثنا حول الرواية بالوقوف قليلا عند لفظة (**رواية**) لبيان مدلولها في أمهات الكتب التراثية ، لا سيما المعاجم ، وتطور مدلولها لما في ذلك من خدمة لموضوع بحثنا .

الرواية لغة هي كل ما يدور حول الماء ، والرواية اصطلاحا هي الحمـــل : حمل الأمتعة وحمل الشيء عامة مثل الديّة ، ثم حمل راوية الشعر وغيره ، والتفصيل في ما يلي :

الرواية مصدر من الفعل (روى، يروي) ، وقد كان للرواية معنى لغوي ذو مدلول مادي له علاقة بالماء وحمله، يقول ابن منظور: «رَوَيْتُ القومَ أَرْوِيهم إِذا استَقَيْت لهم ... الرَّوَايا مِنَ الإِبلِ: الحَوامِلُ للماء، وَاحِدَتُهَا رَاوِيةٌ فشبَّهها بِهَا، وَبِهِ سُمِّيَتِ المزادةُ رَاوِيَةً ... ورَوَيْت عَلَى أَهلي ولأَهلي رَيّاً »[2] والشاهد الثاني قول الجوهري في مادة (روى): «رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو في الماء والشعر والحديث »[3] ، وقوله : « رَوَيْتُ القوم أَرْويهِمْ ، إذا استقيتَ لهم الماء ، قال أَبو النجم:

تَمْشِي مِنَ الرِّدَّةِ مَشْيَ الحُفَّلِ ✿✿✿ مَشْيَ الرَّوايا بالمَزادِ الأَثْقَلِ »[4] .

---

[1] المرجع السابق ، ص : **148**.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ج **20** ، ص : **1780** .

[3] الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (روى) ، المجلد السادس ، ص : **2364** .

[4] ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، تحقيق : أحمد محمود شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر – ذخائر العرب **3** – ، ج **1** ، ص : **331** .

إذن فالرواية في مدلولها اللغوي الأول وفي أول أمرها كانت محصورة فيما يتصل بالماء من إناء يحمل فيه كالمزادة ومن حيوان يحمل عليه البعير أيضا، ومن إنسان يحمله مستقيا أو متعهدا دابة السقاية[1] .

وبذلك فالرواية في أصلها تعود إلى معنى مغاير للمعنى الذي عُرفت به في ما بعد ، هذا المعنى هو الحيوان الذي يستقي عليه الماء أو الرجل المستقي .

وتطور المدلول اللغوي للرواية إلى مدلول اصطلاحي ، جاء في لسان العرب : « روى الحديث والشعر يرويه رواية وتروّاه » [2] ، بحيث أدلى به ووقع في سمع غيره ، سواء أكان حديثا أو شعرا .

ويُفصِّل الجوهري هذا القول ضمن مادة (روى) : « تقول أنْشِد القصيدة يا هذا ، ولا تقل اروها ، إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها (...) ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته » [3] ، ومن ثمة فالحمل والاستظهار هما عنصرا الرواية الأساسيان[4] .

والرواية بمعناها الاصطلاحي لم تُعرف إلا متأخرا ، مقارنة بمعناها اللغوي . الذي عبّر عن دلالة مادية حسية كما أوضحناه [5]

أما قولنا فلان (راوية للشعر والأدب) فهو مجاز عن النقل أو الحمل الأدبي أي لعلاقة النقل في كل من الماء والأدب ، ومن ثمة « فحامل الشعر ومؤديه وحامل الحديث ومؤديه ، كلاهما راو والرواية بهذا المعنى ليست إلا طريقة الحمل والأداء » [6] .

---

[1] ينظر:ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط 7، دار الجيل، بيروت، لبنان ، ص : **187**.

[2] ابن منظور ، لسان العرب، ج **20** ، ص : **1780** .

[3] الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (روى) . المجلد السادس ، ص : **2364** .

[4] ينظر : الشلقاني ، عبد المجيد ، رواية اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص : **37** .

[5] ينظر : ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، **187** .

[6] عثمان موافي ، منهج النقد الإسلامي والمنهج الأوروبي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص : **26** .

وكل من يحمل شعر الشاعر وينقله ويؤديه فهو راوية ، وقد ورد اللفظ أكثر من مرة في دواوين الشعراء القدامى ، قال النابغة الذبياني :

أَلِكني يا عُيَينَ إِلَيكَ قَولاً ✿✿✿ سَأُهديهِ إِلَيكَ إِلَيكَ عَنّي [1]

وقال عمير بن جعيل ، بعدما هجا قومه بني تغلب ، وندم بعدها :

نَدِمْتُ على شَتْمِ العشيرةِ بعدَما ✿✿✿ مضَى واسْتَتَبّتْ لُلرواةِ مَذاهِبُهْ [2]

فأصبحتُ لا أستطيعُ رَدّاً لما مضى ✿✿✿ كما لا يَرُدّ الدَرّ في الضِرعِ حالبه

فهو يذكر كيف فات أوان رد الشعر الذي نظمه هاجيا قومه ، بعدما انتشر ونُقل من طرف (**الرُواة**) وعمّ الآفاق ، فالرواية هنا هو الوسيط بين الشاعر والمتلقي .

ويفرق اللغويون بين الراوي والراوية بحيث « روى فلان حديثا وشعرا ، يرويه رواية ، فهو راوٍ ، فإذا كثرت روايته قيل هو راوية » [3] ، وفي نفس السياق يقول الفراهيدي : « رجل راوية : كثير الرِّواية .. والجَميعُ : رُواةٌ » [4] ، فالراوية بهذا المعنى لصفة الراوية .

كما يُقال لسادة القوم (الروايا) ، قال أبو شأس :

---

[1] النابغة الذبياني ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م ، 122 .

[2] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ج 2 ، ص 650 .

[3] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، مراجعة : علي محمد البجاوي ، (التحقيق والمراجعة من الأستاذين لهذا الجزء فقط) ، 1967 م ، مطابع سجل العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ج 15 / 313 .

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين – مرتبة على حروف المعجم – ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص : 165 .

وَلَنا رَوايا يَحمِلونَ لَنا ✿✿✿ أَثقالَنا إِذ يُكرَهُ الحَملُ [1]

وصفوة القول ، أن لفظة رواية وراوية كانت في الأصل ذات معنى مادي هو حامل الماء وناقله ، إلى أن حُصرت في نقل الأدب شعره ونثره وحفظه ثم أدائه أداء تاما للغير ، والراوية هو كل من ينقل الشعر والأدب أو الحديث ويؤديه، فماذا عن الرواية عبر الأخبار الشفوية؟

إذا كان الخبر الشفوي في إحدى معانيه يدل على « البحث عن أصول مروية منذ قرون»[2]، فهذا يفضي بنا إلى القول أن دراسة الماضي ومعرفته من خلال الروايات الشفهية يقودنا للبحث عن أقدم الرواة والروايات الموغلة في التاريخ ، من هذا المنطلق ، حاولنا استقصاء الأمر ، فألفينا أن هناك من يعتبر الشاعر الإغريقي هوميروس[3] (homere) كأول مؤرخ شفهي معروف [4] ، ومثله هيرودوت Herodote / herodotus [5] .

---

[1] أبو القاسم ، أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـ / 1998 م ، ج 1 ، مادة (روي) ، ص : 398 .

[2] عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، ج 1 ، منشورات المركز الثقافي العربي ، ص : 98 .

[3] هوميروس أو Homer / Homere / Homeres شاعر إغريقي شهير عاش خلال القرن التاسع عشر للميلاد ، لا نعرف الكثير عن تفاصيل حياته ، معروف أنه كاتب الملحمتين : الإلياذة والأوذيسة ، التي قام فيهما بتخليد الحرب بين اليونان وأهل طروادة والتي دارت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وجمع أحداثها ورواها عبر قصة مشوقة تزينها بعض التفاصيل الأسطورية شعرا ، ينظر :

موريس حنّا شربل ، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، كانون الأول ، 1996 م ، ص : 449 – 450 .

Thierry Boucquey , Encyclopedia Of World Writers, Beginnings To 20th . general editor , 131 - 133 .

[4] ينظر : ديفيد هينج ، دراسة التاريخ من خلال الروايات الشفهية ، نقله إلى العربية : د . ميلاد المقرجي ، جامعة قاريونس ، بنغازي ليبيا ،: ص : 34 .

[5] هيرودوت أو هيرودوتس Herodote / Herodotus كان مؤرخا إغريقيا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (484 ق . م – حوالي 425 ق . م) ، اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها وأناس قابلهم في رحلاته ، فقد كان كثير الأسفار ، أرّخ لحروب فارس والإغريق ، وكان يروي هيرودوت التاريخ كما يروي الراوي

فأعمال هوميروس وهيرودوت جمعت بين « استخدام الرواية الشفهية من الرواة والمشاهدة العينية للأحداث من خلال الرحلات والبحث والتحقيق في البقايا و الآثار » [1] ، لذلك عدّا من أول وأقدم الرواة عبر التاريخ البشري ، وإن كانت رواياتهما لا تعبر إلا عن مشاهدات عينية مباشرة ، مع كثير من الخيال الذي نُسج حول هذه الروايات .

وهذا طبعا ، إذا سلمنا باحتمال مفاده أن هذه الأعمال التي خلفها لنا هوميروس وهيرودوت ، « لم تكتب منذ أن نظمت بل بقيت محفوظة في صدور الرجال ترويها الأجيال المتعاقبة وينشدها الأفراد في المجالس والمحافل قرونا طوالا [2] ، فامتدت حياتها لغاية عصر التدوين حيث انتقلت من الأفواه إلى صفحات المخطوطات والكتب ، هذه الحياة التي تبلغ من الطول ما ، يعجز أي عقل بشري على حفظه [3] .

حكاياته ، لقبه الخطيب الروماني سيسيرو بأبي التاريخ ، وحرص على أن يكون تاريخه مدونة تحفظ مآثر البشرية ، من = أهم مؤلفاته ، تاريخ هيرودوت الذي تُرجم إلى لغات عدة من أقدمها ترجمته للغة الانجليزية ، كما ترجم إلى اللغة العربية ، ترجمة هيرودوت ، ينظر :

Herodotus , translated by the rev. William Beloe , london , printed by A. G. Valpy , M. A. 1830 , vol 1 , 07 - 15 .
Thierry Boucquey , Encyclopedia Of World Writers, Beginnings To 20th . general editor , 125 - 126 .

وتاريخ هيرودوت ، ترجمه إلى اللغة العربية : عبد الإله الملاح ، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1422 هـ / 2001 م ، 20 – 28.

[1] **أمينة عامر ، التاريخ الشفهي ، تاريخ لا يغفله التاريخ ، دورية الكترونية أكاديمية :** Cybrarians Journal **، العدد 5 ، يونيو ، 2005 م ، ينظر رابط البحث :**
http://journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=188:2010-07-22-10-28-24&catid=78:2010-07-22-09-40-39&Itemid=69

[2] **ينظر : ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط4 ، دار المعارف بمصر – القاهرة ، ص : 290 .**

[3] **ينظر : أحمد عتمان ، الشعر الإغريقي – تراثا إنسانيا عالميا – ، من سلسلة عالم المعرفة ، 1990 م ، (77) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والفنون ، ص : 17 .**

وعند ذكرنا لهوميروس شاعر الحضارة الإغريقية لا شك أننا نستحضر في أذهاننا الإلياذة[1] (Iliade) ، التي توصف بأنها ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة ، فلولا هوميروس ، لما وصلنا سجل حياة الحضارة الآرية ولا صورة عيش الفرد أنذاك [2] .

وكذا الأوذيسة[3] (Odesse) التي توصف بأنها ملحمة شعرية وضعها هوميروس في القرن 8 قبل الميلاد ، وتتألف من 24 جزئا ، تبدأ الملحمة من منتصف القصة ، ثم تروي ما حدث من البداية وتنتهي بوصول البطل إلى الجزيرة .

وقد ظلت نتاجات الفكر الأسطوري الإغريقي طوال عصور مديدة من التاريخ البشري غير مكتوبة ولا مدونة بحيث يتلقاها الين عن الابن شفويا وهلم جرى ، ومن ثمة « ينقلها

---

[1] ترجمت الإلياذة إلى اللغة العربية من قبل سليمان البستاني ، ينظر : هوميروس ، إلياذة هوميروس ، تر: سليمان البستاني (سلسلة الروائـــع) ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، تموز ، 1966 م .

Homer' s ilade , translated by : George Chapman , with an introduction by Henry Morley , london , 1884 .

[2] R. C. Jebb , Litt.D , HOMER , an introduction to the iliad and the odyssey , published by James Maclehose and sons , Glasgow , London , 1905 , 01 .

[3] هذا العمل الأدبي تُرجم لأكثر من لغة من أهمها وأقدمها ترجمة ألكسندر بوب للأوذيسة إلى اللغة الانجليزية ، في قرابة (400) صفحة ، ينظر :

Homer , the Odissey of Homer , translated by : Alexander Pope , with notes by the : rev Theodore Alois Buckley , M.A. , F.S.A. with Flaxman' s Designs , and other engravings , second edition , London : Nathaniel Cooke , milford house , strand , 1854 .

Homer , the Odissey of Homer , translated by : Alexander Pope , London .

الترجمة العربية : ينظر : هوميروس ، مغامرات أودسيوس (أوذيسة هوميروس مختصرة) ، تر : أمين سلامة ، ط1 ، دار الفكر العربي ، 1960 .

الجيل عن الجيل التالي بالكلمة المنظومة بالفم »[1] ، ولا نستطيع ضبط تاريخ أي منها ، مما يدخل ضمن (علم الأساطير) أو ما يسمى بالميثولوجيا (mythologie) الذي عرفه جاك جريل (Grell Jaques) بقوله أنها : « مجموعة من القصـــص الخرافية التي دارت في الماضي البعيد ، هذه الأساطير تحاول تفسير أصل العالم ،تحكي قصة الآلهة والأبطال وعلاقاتهم بالأشخاص »[2]

و لعل تعريف هاين (Heyne) للميثولوجيا و دخوله عالم الأساطير بمبدئه – le principe de Heyne – يوضح قدم الروايات الشفهية التي أتت عن طريق الميثولوجيا بقوله : « كل تاريخ قديم لأية أمة يبدأ بالأساطير »[3] .

أولا: الرواية عند العرب في الأدب واللغة:

لقد افتتن العرب منذ القديم بجميل القول وفصيح العبارة ، و لم يكن المجتمع العربي قبل الإسلام آنذاك يدرك جدوى رواية اللغة – على الرغم من وجودها – أو ضرورة تدوينها فقد

---

[1] أمين سلامة ، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية ، والرومانية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، 1995 م ، 04 .

[2] قمنا بترجمة النص الأصلي من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية :

C'est un ensemble de recits fabuleux qui se passent dans un passé lointain . C'est mythes veulent expliquer l'origine du monde , raconte l'histoire des Dieux et des héros , leurs rapports avec les hommes .

Michael Stapleton , Elizabeth Servan , SHREIBER , le Grand livre de mythologie Grecque et Romaine (préface de Jaques GRELL) . Paris : Edition des deux coqs d'or , 1982 , P11

[3] قمنا بترجمة النص الأصلي من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية :

" Tout histoire d'ancien peuple commence par des mythes."
Paul Robert, Le Robert (U) dictionnaire alphabétique et analytique de la langue Française, Paris société du nouveau littré 1966, , P: 563.

كانت اللغة « على لسان العربي فطرة » [1] ، فاستوعبها صدره و لهج بها لسانه ومن ثمة خلّدت ذكره ، عبر الأجيال المتلاحقة .

وقياسا على ذلك ، اعتبرت البيئة العربية في العصر الجاهلي المرتع الطبيعي الأول للرواية قبل أن تتدرج وتتطور مذ كانت خاصة بالشعر وحفظه والأخبار والأنساب والقصص قبل التدوين ، إلى أن اتسع معناها وتحور وأصبحت « علما ذا قواعد وأصول » [2] ، يدرك منها ويقنّن بها.

وعلى أساس ما ذكرناه ، فإن رواية اللغة و تناقلها بين الأفراد والجماعات « أمر قديم في العرب كان في الجاهلية و استمر في الإسلام قبل أن يوجد النحاة و بعد أن وُجدوا بآماد طويلة»[3] ، فقد كان للعرب أياما قبل الإسلام يجتمعون فيها ، كانوا « يتذاكرون أيامهم عن طريق الرواية الشفوية ويتفاخرون بما أحرزه أجدادهم من انتصارات وذلك عن طريق الشعر والنثر » [4] معا ، بالأبيات الشعرية والقصص ، وتمثل هذه الأيام مصدرا خصبا يعول عليه في مجال الأدب والتاريخ معا ، لما اشتملت عليه هذه الأيام من أحداث ووقائع تؤرخ لتلك الفترة ، وينبوعا لا ينضب من جهة ، و مارُوي في أثنائها من نثر وشعر ومأثورات من جهة أخرى .

كما كانت القبائل العربية المتناثرة عبر جزيرة العرب « تتفاخر بنسبها وتحرص على أن تلقنه لأطفالها فتتناقله الأجيال » [5] ، جيلا بعد جيل ، خصوصا إذا علمنا أن العرب بطبيعة

---

[1] بلعيد صالح ، مصادر اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1994** م ، ص : **25** .

[2] المرجع السابق، ص : **17** .

[3] محمد عيد ، الاحتجاج الاستشهاد باللغة في ضوء علم اللغة الحديث ، ط **3** ، عالم الكتب ، القاهرة ، **1988** م ، ص : **07** .

[4] شوقي عطا الله الجمل ، التاريخ عند العرب ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، المجلد **3** ، العدد **11** ، جامعة الكويت، ص : **14** .

[5] المرجع السابق ، ص : **14** .

خلقتهم الذهنية « أثبت الناس حفظا وأتمهم حافظة » [1] ، بدليل حفاظهم على المرويات قرونا طوالا ، ولا تدعي أنها وصلت كلها غير مشوهة ، ولكنها في كل الأحوال حافظت عليها ذاكرة العربي ، إذا ، لقد كان لرواية الأدب – عموما – شأن مميز ومكانة مرموقة ، وقد دفع إليه أمران اثنان [2] ، ولهذين الأمرين تفصيل فيما يلي:

فأما الأمر الأول، فهو رغبة العربي آنذاك في إشباع نزوعه الفني، مع أن الرواية شملت كل الجوانب حتى المتعة واللهو، وهاهو الشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي يبرز كيف يقع الشاعر موقعا مميزا من العربي وكيف يلتمس منه المتعة الفنية فيقول:

لأَعتَرضن بِالسَّهلِ ثُمَ لأَحدُوَن ✿✿✿ قَصائِدَ فيها لِلمَعاذيرِ زاجِرُ

قَصائِدَ تَستَحلي الرواةُ نَشيدَها ✿✿✿ وَيَلهو بِها مِن لاعبِ الحي سامِرُ [3]

أما الأمر الثاني ، فهو القيام بما تفرضه العصبية القبلية بإبراز مآثرها والتحدث عن أيامها والنيل من خصومها ، حسبما كانت تُمليه آنذاك العصبية القبلية ، التي عدت ميزة ثابتة في المجتمع القبلي .

وكانت الرواية الأدبية حاضرة لتجسيد هذه المبادئ الجاهلية ممثلة في الشعر ، فاكتسب بذلك الرواة منزلة مميزة عالية ، فقد كانوا « كالصحف السيارة في الذيوع والانتشار وكانوا يقومون بما تقوم به الإذاعة المسموعة والمرئية في نشرها والوصول إلى المستمع المشاهد » [4] ،

---

[1] **الطاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 8 ، 1419 هـ / 1999 م ، ص : 13 .**

[2] **ينظر : عبد الحميد الشلقاني ، رواية اللغة ، ص : 37 .**

[3] **حُمَيد بن ثور ، الديوان ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، 1384 هـ / 1965 م ، ص : 89 .**

[4] **مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، مكة للطباعة ، 1419 هـ / 1998 م ، ص : 48 .**

كما هو الحال مع بني تغلب ، الذين كانوا يحتفلون بمعلقة شاعرهم عمرو بن كلثوم التغلبي الذي يقول في مطلعها[1] :

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا ✿✿✿ وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

فانتشرت هذه القصيدة بين أبناء قبيلة الشاعر، حتى أصبح يرددها الكبير والصغير ، حيث يقول في آخرها:

إِذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا وَليدٌ ✿✿✿ تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا [2]

حتى قال بعض شعراء بكر بن وائل في هجاء قوم عمرو من شدة تعظيمهم للقصيدة ومبالغتهم في ترديدهم لها :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ ✿✿✿ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم ✿✿✿ يا للرجال لشعرٍ غير مسؤوم [3]

وقد كان الشعر في هذا ، أكثر حضورا من غيره ، كيف لا و قد اعتبر « الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم و منتهى حكمهم به يأخذون و إليه يصيرون » [4] ، و لم تكن حظوة الشعر وتمكنه من نفس العربي وحفظه له أبا عن جد ، إلا بتوافر الرواة الذين عملوا على «تتبعه وصرفهم وجوه العناية لروايته ، وتسييره مع قوة إثبات المحفوظ منه في الصدور» [5]

---

[1] **عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تقديم وترتيب وشرح : عبد القادر محمد مايو ، مراجعة : أحمد عبد الله فرهود ، ط 1 ، دار القلم العربي ، ص : 77 .**

[2] **عمرو بن كلثوم ، الديوان ، ص : 82 .**

[3] **ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 230/1.**

[4] **محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، السفر الأول ، ص : 24 .**

[5] **محمد هاشم عطية ، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، دار الفكر العربي 1417 هـ / 1997 م ، ص : 67 .**

، فكانت رواية الشعر والنثر بالنسبة للعرب بالغة الأثر عليهم إذ اعتبرت بمثابة المدرسة التي تعلموا فيها وتمرسوا على نظم وفنون القول .

1 – رواية الأدب في العصر الجاهلي: – الشعر والنثر –

نتاج أدبي متميز شهده عصر ما قبل الإسلام ، وأسماء كثيرة برزت وبقيت إلى يومنا هذا شاهدة على قريحة العربي في الجاهلية ، فكان البيان المتميز هو ما تفرد به العرب إنتاجا ونوعية ، شعرا ونثرا .

ونحن نترصد هذا الأدب شعره ونثره فإننا نجد غموضا يكتنف دراسة الأدب الخاص بتلك الفترة المبكرة من فترات الإبداع العربي ، وأسئلة كثيرة تدور حوله على شاكلة النحل والانتحال وقدم هذا الأدب ، وطريقة وصوله إلينا وغير هذا مما يصعب الإجابة عنه بشكل قطعي.

فعن كون الأدب الجاهلي لم يصلنا كاملا سالما ، يقول أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » [1] ، ويقول ابن قتيبة عن الكم الهائل مما وصلنا من الشعر وما يمثله لذاكرة العربي وتراثه: « وللعرب (الشعرُ) الذي أقامه الله تعالى لها مُقامَ الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودَعاً ، ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مُقَيِّداً ، ولأخبارها ديواناً لا يَرِثّ على الدهر ، ولا يَبِيد على مَرّ الزمان » [2] .

ويضيف العسكري متفقا مع صاحبيه على كون الشعر عمود التراث العربي ومستودع نتاجاتهم وإبداعاتهم ، بل الحافظ الأمين لتاريخها فيقول : « وكذلك لا نعرف أنسابَ العرب وتواريخَها وأيامَها ووقائعَها إلاّ من جملة أشعارها. فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها،

---

[1] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، ص : 25 .
[2] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1393 هـ / 1973 م ، ص : 17 .

ومُسْتَنْبَط آدابها، ومُسْتَوْدَع علومها » [1] ، و لا يختلف كلام القدامى في معناه ودلالته عن الأقوال التي استشهدنا بها .

ويوضح أبو عمرو بن العلاء كيف بدأ القصيد من أبيات متفرقة مستقلة ، إلى تجميعه على شكل مقطوعة ، إلى تكونه في قالب شعري خاص هو القصيدة التي هي مجمع الأغراض الشعرية المتعارف عليها ، فيقول صاحب الطبقات : « و لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف » [2] .

وقد لزمت الرواية الشفوية الشعر أكثر من غيره لأنه كان ديوان العرب كما أوضحنا ، ورويت بعض الأخبار المصاحبة للشعر والأنساب وبعض القصص أيضا ، لهذا الغرض عُدّ « الشعر عمود الرواية » [3] ، دون أن ينازعه فن أدبي آخر على مر السنون .

فأما النثر فيعرّف بأنه « الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف » [4] ، ويقسمه النقاد إلى ضربين[5] : نثر عادي ونثر فني ، فأما الضرب الأول فما يقال في لغة التخاطب وليس لهذا الضرب قيمة فنية أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم ، وأما الضرب الثاني فهو ما يتبنى فرعين أساسيين هما الخطابة والكتابة الفنية وهي تشمل الرسائل الفنية المحبرة وقد تتسع فتشمل الكتابة المنمقة ، وبين الضربين جال العربي وصال بحسن التعبير ودقة المعنى أحيانا ، وببساطته وعموميته أحيانا أخرى ، كما عرف العرب في العصر الجاهلي أنواعا من النثر وصلتنا عن طريق الرواة أبرزها : القصص والخطابة وسجع الكهان والأمثال والحكم والوصايا .

---

[1] أبو هلال العسكري ، الصناعتان ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 138 .

[2] المصدر السابق ، ص : 26 .

[3] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، ط 3 ، 1 / 316 .

[4] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ط 8 ، دار المعارف ، مصر ، ص : 15 .

[5] ينظر : المرجع السابق ، ص : 15 .

في حين يُعَرَّف الشِّعرْ عند أهل الاختصاص بأنه « كلام مَوْزونٌ مُقفّى دَالٌّ عَلَى معنىً ، ويكون أكثرَ من بيت »[1] ، فالشعر يمتاز عن النثر بالوزن والقافية ، وهما ركيزة النظم وأُسِّه ، بما يحملانه من ايقاع موسيقي ، مما دعا علماء العربية إلى الاهتمام بعلم العروض والقافية ، والتأليف فيه ، ويكون الشعر في قصائد أو مقطوعات شعرية ، ولعل الميزة المحسوسة التي يشعر بها المتلقي للنصوص الأدبية ما بين النثر والنظم ، هي أن الشاعر يلقي إلينا نظمه في أوزان نحس أنه تعب واجتهد للوصول إلى رصفها ، مما يميزها عن النثر سماعا وتلقيا .

وقد تغلبت رواية الشعر على النثر بسبب أن « الشعر يتناقل بين الناس بالرواية ، فإذا كان بيّنا واضحا كان الناس له أروى ، وإلى القلوب أسرع »[2] ، وهكذا نقل ونشر الشعر بصفة أوسع مقارنة بالنثر الذي ضاقت دائرته كمّا ورواية .

كيف لا وقد حدثنا رواة القصائد أن « منهم من كان ينظم القصيدة في حول كامل ، فنحن إذن أمام شاعر يُقبل على صناعته إقبال الصانع على حرفته »[3] ، فيذيع شعره وينتشر ويحفظ في الصدور قبل أن تتناقله الأفواه ، وقبل أن يصبح محط رواية الشعراء .

وقد جاء على لسان العديد من الشعراء ذكرهم الدائم للرواية وأنها كانت طريقة انتشاره في القبائل ، فهي « الوسيلة التي كانوا يعرفونها وقد نفذ شعرهم من خلالها إلى آفاق الجزيرة »[4] ، فهذا المُسَيَّب ين علس يقول مادحا علس القعقاع :

فَلَأُهدِيَنَّ مَعَ الرِياحِ قَصيدَةً ✿✿✿ مِنّي مُغَلغَلَةً إِلى القَعقاعِ[5]

---

[1] ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1997 م ، ص : 211 .

[2] محمد بن مريسي الحارثي ، عمود الشعر العربي – النشأة والمفهوم – ، ص : 53 .

[3] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص : 08 .

[4] المرجع السابق ، ص : 142 .

[5] ابن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1411 هـ / 1991 م ، ص : 237 .

ويقول أبو حية النميري مخضرم الدولة الأموية والعباسية ، احد شعراء بني نمير بن عامر بن صعصعة:

فلأبعثن مَعَ الرياحِ قَصيدَةً ✿✿✿ مِنّي مُغَلغَلَةً إلى القَعقاعِ

تَرِدُ المَنَاهِلَ لا تَزَالُ غَرِيبَةً ✿✿✿ فِي القَومِ بَينَ تَمَثُّعٍ **وَسَمَاعِ** [1]

وفي موضع آخر يطالعنا ابن قتيبة بقصة مفادها أن عميرة بن جعيل أحد من هجا قومه فقال :

كَسَا اللهُ حَيَّيْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ✿✿✿ منَ اللُّؤْمِ أَظْفَاراً بَطِيئا نُصُولُها

فما بِهِمِ أَلاَّ تَكُونَ طَرُوقَةً ✿✿✿ كُرَاماً ، ولكِنْ غَيَّرَتْها فُحُولُها

ثم ندم بعد ذلك فقال في وقت لم ينفعه الندم :

نَدِمْتُ على شَتْمِ العَشِيرةِ بَعْدَ ما ✿✿✿ **مَضَتْ واستَتَبَّتْ للرُّواةِ مَذاهِبُهْ**

فأَصْبَحْتُ لا أَسْتَطِيعُ دَفْعاً لِمَا مَضَى ✿✿✿ كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضَّرْعِ حالِبُهْ [2]

فالقصيدة انتشرت وشاعت بين العرب و لم يبق للشاعر بعدما أطلق لسانه إلا الندم دون قدرته على ردها ، وهذا دليل صريح على مكانة الرواية وتمكنها عند العرب ، بطريقة ملفتة للنظر

وليس علينا أن نتجاهل أن رواة الشعر كانوا ينقلون الشعر على اختلاف في كثير من كلماته ونسبته « ولا يبالون بأمره ، لأنهم لا يريدون لغة الشعر ، والشعر متى جاء من أعرابي

---

[1] **أبو حية النميري ، شعر أبي حية النميري ، جمعه وحققه : يحيى الجبوري ،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1975 م ، ص : 188 ، وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1404 هـ / 1983 م ، ج 7 ، 183 .**

[2] **ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ج 2 ، ص : 650 .**

كان حجة ، لأن لسان العرب لا يطوع بغير الصواب ، ولهذا تختلف الروايات في بعض الأبيات وهي في الأصل غير مختلفة » [1] ، وهذه الميزة نجدها في أغلب ما روي من الشعر العربي خصوصا في فترة ما قبل الإسلام.

كما كان للمرأة نصيب في الشعر العربي[2] ولا سيما الشعر الجاهلي منه ، بحيث نقل لنا الرواة أسماء شواعر جاهليات مثل صفية بنت ثعلبة الشيبانية وهند بنت حذيفة الفزارية والخنساء وغيرهن من الشاعرات[3] ، وأشهرن تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية والمعروفة بالخنساء ، القائلة في رثاء أخيها صخر[4] :

أَعَيَنَيَّ جودا وَلا تَجمُدا ✿✿✿ أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى

أَلا تَبكِيانِ الجَريءَ الجَميلَ ✿✿✿ أَلا تَبكِيانِ الفَتى السَيِّدا

وكثيرة هي أسماء الأعراب الفصحاء ، الذين شافههم العلماء وأخذوا عنهم مروياتهم حيث يستحيل حصرهم ، وسنذكر نماذج منهم غلى سبيل الاستشهاد لا الحصر، ومنهم[5] : أسعد بن

---

[1] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج 1 ، ص : 294 .

[2] هناك مجموعة من المصنفات اعتنى فيها أصحابها بالترجمة للشواعر العربيات والتأريخ لسيرهن وجمع أشعارهن على شاكلة ما قام به المرزباني (– 384 هـ) ، في (أشعار النساء) الذي صنّف فيه الشواعر العربيات وفقا لقبائلهن ، ينظر: أبو عبيد الله المرزباني ، أشعار النساء ، حققه وقدم له : سامي مكي العاني وهلال ناجي ، ط1 ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـ / 1995 م .

[3] يَعُدُّ الكاتب بشير يموت في مؤلفه " شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام " ، (124) شاعرة جاهلية ، ينظر : بشير يموت ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط 1 ، 1353 هـ / 1934 م ، ص : 134 .

[4] الخنساء ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 31 .

[5] ينظر : محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثامن ، ط 1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ / 1980 م ، 77 .

عصمة الرياحي[1].

ونجد أيضا أبو دعامة القيسي[2] ، والأخبار الواردة عنهم تكون سماعا بحيث يذكر العالم الذي شافههم لفــظة (**سمعت**) للدلالة على السماع المباشر من الأعرابي نفسه ، يذكر القالي في أماليه على سبيل المثال « حدثني أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدّثني أبو عبد الله محمد بن الحسين قال حدّثنا المازني قال : سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ : " فحاسوا خلال الديار " فقلت : إنما هو جاسوا : فقال: حاسوا وجاسوا واحد. قال وسمعته يقرأ: "وإذ قتلتم نسمةً فادارأتم فيها" فقلت له : إنما هو نفس، قال: النسمة والنفس واحد » [3] .

ثم إن المدقق في مسرد أسماء الأعراب والقبائل التي ينتمون إليها يجد أن أغلبهم « ينتسب إلى قيس وتميم وأسد وكلها من القبائل الكبيرة التي تضم عددا من البطون والأفخاذ » [4] .

---

[1] **أعرابي نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بالأجرة وأقام بها أيام عمره ، يؤخذ عنه العلم ، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة ، وكان شاعراً ، ومن شعره :**

قال فيها البليغ ما قال ذو العي ✿✿✿ وكل بوصفها منطيق

وكذاك العدو لم يعد أن قال ✿✿✿ جميلا كما يقول الصديق

ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 م ، ج2 / 630 .

[2] **أبو دعامة القيسي أبو الحسن ، أحد الكبراء من الأدباء الرواة النبلاء ، مات – أخلي موضعه – ، ذكره الأمير أبو نصرٍ فقال : وعلي بن بريدٍ أبو دعامة القيسي صاحب أدبٍ وهو بكنيته مشهور ، وله أخبار كثيرة ، روى عن أبي نواسٍ وأبي العتاهية ، روى عنه ابن أبي طاهرٍ وعون بن محمدٍ الكندي وغيرهما ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج4 / 1666 .**

[3] **أبو علي القالي ، الأمالي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1426 هــ / 2002 م ، ج2 / 87 .**

[4] **محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثامن ، ص : 77 .**

أ – رواية الشـــــعر:

- **رواية المعلقات:**

لقد عمدت العرب إلى سبع قصائد تَخيَّرتها من الشعر القديم ، عُدّت من أجود ما قاله العرب ، كُتبت وعُلقت على أستار الكعبة [1] ، وقد اختلف الدارسون في اسمها ، فمنهم من يسميها (**المعلقات**) ومنهم من سماها (**السموط**) ومنهم مـــن سماها (**المذهبات**) ، وغيرهم يسميها (**القصائد السبع / التسع / العشر**) أو (**السبع الطوال**) .

وبقي ذكر قائليها إلى الآن ، وأصحاب هذه المعلقات هم : امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد والحارث بن حلزة ولبيد بن ربيعة وعنترة بن شداد ، وهناك من يضيف ثلاثة شعراء آخرين هم [2] : أعشى ميمون والنابغة الذبياني وعبيد بن الأبرص.

والاتفاق معقود على أن المعلقات كانت ولا زالت موضع اهتمام الأدباء والنقاد في جميع العصور باعتبارها تمثل « صورة من صور الحياة الجاهلية ، تحفظ تراثها الفكري واللغوي والحضاري وتعتبر أساسا في دراسة الأدب الجاهلي لا يمكن تجاوزه » [3] ، فالرجوع إليها ضروري ، خصوصا وأنها أقدم ما رُوي شعرا .

وأول هؤلاء الشعراء امرؤ القيس القائل الذي اشتهر بمعلقته التي استهلهابـــ :

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ ✿✿✿ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

---

[1] ينظر : ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج 6 ، ص : 118 .

[2] ينظر : أحمد أمين الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار النصر للطباعة والنشر .

[3] الزوزني ، شرح المعلقات السبع – التقديم – ، الدار العالية ، 1993 م ، ص : 07 .

فَتوضِحَ فَالمِقراةِ لَم يَعفُ رَسمُها ✿✿✿ لِما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمأَلِ [1]

وزهير بن أبي سلمى في معلقته الشهيرة التي استهلها بقوله :

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ ✿✿✿ بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدارٌ لَها بِالرَقمَتَينِ كَأَنَّها ✿✿✿ مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ [2]

وطرفة بن العبد القائل في معلقته :

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ ✿✿✿ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم ✿✿✿ يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ [3]

وعمرو بن كلثوم الذي بدأ معلقته الشهيرة بقوله :

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا ✿✿✿ وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

مُشَعشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فيها ✿✿✿ إِذا ما الماءُ خالَطَها سَخينا [4]

والحارث بن حلزة في قصيدته :

---

[1] امرؤ القيس ، الديوان ، اعتنى به وشرحه ك عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 21 – 22 ، وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ط 1 ، 1324 هـ / 1906 م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ج 3 ، ص : 38 .

[2] زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م ، ص : 31 .

[3] طرفة بن العبد ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 25 ، وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ص : 77 / 96 .

[4] عمرو بن كلثوم ، الديوان ، ص 77 ، وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ص : 131 / 152 .

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ ✿✿✿ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

آذَنَتنا بِبَينِها ثُمَّ وَلَّت ✿✿✿ لَيتَ شِعري مَتى يَكونُ اللِقاءُ [1]

وكذا لبيد بن ربيعة القائل :

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ✿✿✿ بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

فَمَدافِعُ الرَيّانِ عُرِّيَ رَسمُها ✿✿✿ خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها [2]

وعنترة بن شداد في أشهر قصيدة له :

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي ✿✿✿ وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ ✿✿✿ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ [3]

ولم تكن هذه الروائع الشعرية لتصلنا لولا اهتمام الرواة بها ، مثل حماد الراوية وخلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب [4] .

ورغم هذا الاهتمام الواضح بشعر المعلقات وشعرائها ، فقد اختُلف في عدد القصائد المشكلة للمعلقات بحيث نجد أنفسنا أمام ثلاثة آراء متباينة ، فمن المؤلفين من يعد المعلقات

[1] الحارث بن حلزة ، الديوان ، صنعة مروان العطية ، دار الإمام النووي ، دمشق ، دار الهجرة ، دمشق – بيروت ، ط 1 ، 1415 ه / 1994 م ، ص 66 ، وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ص : 175 / 199 .

[2] لبيد بن ربيعة ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 31 .

وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ص : 96 / 131

[3] عنترة بن شداد ، الديوان ، ط 4 ، معارف ولاية بيروت ، 1893 م ، ص : 81 ، وينظر : محمد بدر الدين الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ص : 153 / 154 .

[4] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، المقدمة .

سبعا[1] ، ومنهم من يجعلها تسعا[2] ، ومنهم من ذهب إلى أنها عشر قصائد[3] ، لكن الذي عليه الرواة والشرّاح من أمر المعلقات عموما أنها سبعة قصائد ، واختُلف أيضًا في عدد أبيات القصيدة الواحدة وترتيبها وفي رواية بعض الألفاظ منها أيضا ، وهو اختلاف مألوف في نصوص الشعر الجاهلي بسبب وصوله إلى عصر التدوين عن طريق الرواية الشفوية وتعدد الرواة واختلاف مصادرهم .

- **رواية أشعار الصعاليك:**

لقد كانت الجزيرة العربية شبيهة بساحة حربية كبيرة كان فيها الاقتتال المستمر بين القبائل العربية سمة ظاهرة فيها، بسبب وبغير سبب، فالقبيلة كانت للعربي دولته المتحركة، لهذا السبب عُرف العربي بالتعصب لقبيلته والذوبان في محيطها يدافع عنها حتى الموت ، في هذا الجو خرقت طائفة من العرب هذا العرف القبلي، وانتشرت جماعات خرج أفرادها عن طاعة رؤساء قبائلهم و لم يخضعوا للأعراف القبلية بل تمرّدوا عليها ، هؤلاء هم الصعاليك.

---

[1] على هذا الأساس نجد ثلاثة مؤلفات :
أولها كتاب أبو بكر محمد بن القاسم الأنبـــاري (– 328 هـــ) – على سبيل المثال لا الحصر – ينظر : أبو بكر محمد الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق وتعليق : محمد عبد السلام هارون (ذخائر العرب) ط5 ، دار المعارف ، مصر .
وثانيها : أبي عبد الله الزوزني (– 486 هـــ) ، ينظر : أبو عبد الله الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، تقديم عبد الرحمن المصطاوي ، ط2 ، دار المعرفـــة ، بيروت ، لبنان ، 1425هـــ / 2004 م .
وثالثها : أبو بكر محمد بن القاسم الأنبـــاري (– 328 هـــ) ، ينظر : أبو بكر محمد الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون (ذخائر العرب) ط5 ، دار المعارف ، مصر .

[2] على هذا الأساس نجد مؤلف أبي جعفر النحاس (– 338 هـــ) ، ينظر : أبو جعفر النحاس ، شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق أحمد خطاب ، (سلسلة كتب التراث) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1393 هـــ / 1973 م ، يقع الكتاب في جزئين .

[3] على هذا الأساس نجد مؤلف أحمد أمين الشنقيطي ، المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار الكتاب العربي ، 1983 م وكذا : محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، نهاية الأرب من شرح معلقات العرب .

إذن ، الصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية كرد فعل لبعض العادات والطقوس الجاهلية ، واعتبرت « جزءا من ظاهرة عامة حينذاك ، من حيث أن معظم أساليب الصعلكة كان يزاولها كثيرون غيرهم للفتك وقطع الطريق » [1] ، بيد أن من نتحدث عنهم جمعوا بين الصعلكة ونظم الشعر ، وبالتالي فالفئة التي نتناولها هي طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتهنون الغزو والسلب والنهب على البدو الحضر ممن يقدمون على اقتحام المهالك ، وكثيرا ما كانوا يوزعون الغنائم على المحتاجين والفقراء ، كان لهم صوت فردي ثائر ، واستمر هذا المسار الشعري على مدار العصر الجاهلي ، واستمرت الصعلكة ردحاً من الزمن امتدت بذلك حتى عصر بني أمية .

ومن أشهر الشعراء الصعاليك[2] : الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن عمير السعدي ، وعروة بن الورد العبسي ، وغيرهم .

أما دواوين الشعراء فقد تركزت عناية الرواة والشراح على المشهورين منهم وأهمل الكثير من النتاج الجاهلي ، فما بالنا لو تحدثنا عن شعر فئة وُسمت بخروجها عن القبيلة وتمردها على أعرافها ، باعتبار شعرهم يعكس في معانيه تمرد الأفراد على القبيلة .

وبالتالي فما وصلنا من شعر الصعاليك[3] هو شعر يمكن أن نطلق عليه تجاوزا (**الشعر خارج دائرة الصعلكة**) ، وهو ما نُقل عنهم من شعر نظموه في فترات عاشوا فيها مع قبائلهم حياة متوافقة مع النظام المتبع أنذاك ، والشعر الذي خلا من مهاجمة القبيلة أوالتعرض لها بما تكره كوصف الغارات أو وصف وحش الصحراء ، إضافة إلى أشعار بعض الصعاليك الذين لم يفارقوا قبائلهم مثلما كلن الحال مع السليك وتأبط شرا .

---

[1] عبد الحليم حنفي ، شعر الصعاليك ، منهجه وخصائصه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 112 / 116 .

[2] شوقي ضيف ، البطولة في الشعر العربي ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1984 م ، ص : 17 .

[3] ينظر : يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، (مكتبة الدراسات الأدبية) ط3 ، دار المعارف ، مصر ، ص : 155 / 158 .

ونتيجة لهذا فإن مصادر شعر الصعاليك تنحصر في ثلاثة منابع[1] ، المصدر الأول من مصادر شعر الصعاليك هو قبائلهم نفسها ، أما المصدر الثاني من شعر الصعاليك فهي تلك القبائل التي استجار بها الخلعاء منهم ، والمصدر الثالث من مصادر شعر الصعاليك هم الصعاليك أنفسهم .

وأما ما وصلنا من أشعارهم فينحصر في دواوين : الشنفرى وتأبط شرا وعروة بن الورد ، يضاف إليها أشعار مبثوثة في بعض الكتب على شاكلة ما ورد بين صفحات (شرح أشعار الهذليين)[2] للسكري وما جمعه أبو زيد القُرشي في جمهرة (أشعار العرب) [3]

ونأتي الآن لسرد مجموعة من الشواهد الشعرية لهؤلاء الشعراء الصعاليك ، يقول الشنفرى في قصيدته المسماة لامية العرب [4] :

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم ✿✿✿ فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ ✿✿✿ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرُحلُ

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى ✿✿✿ وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرئٍ ✿✿✿ سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ

---

[1] ينظر : يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص : **157** .

[2] ينظر مثلا شعر الشاعر الصعلوك صخرِ الغيّ والأعْلِم وعمرو ذي الكلب : أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ، شرح أشعار الهذليين ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، وراجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر ، **1 / 243** و **1 / 310** ، **2 / 564** ، على التوالي .

[3] جمع المصنف أبو زيد القُرشي في قسم المنتقيات ضمن كتابه الجمهرة ، أبياتا لعروة بن الورد ، ينظر : أبوزيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، حققه وعلق عليه وزاد في شرحه : محمد علي الهاشمي ، ط**1** ، **1399** هـ / **1979** م ، ج**2** / **579** – **583** .

[4] الشنفرى ، عمرو بن مالك ، ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط **2** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، **1417** هـ / **1996** م ، ص : **58** .

ويقول تأبط شرا في رائيته [1] :

إِذا المَرءُ لَم يَحتَل وَقَد جَدَّ جَدُّهُ ✿✿✿ أَضاعَ وَقاسى أَمرُهُ وَهوَ مُدبِرُ

وَلاكِن أَخو الحَزمِ الَّذي لَيسَ نازِلاً ✿✿✿ بِهِ الأَمرُ إِلّا وَهوَ لِلأَمرِ مُبصِرُ

وحين نرجع إلى أخبار الصعاليك نجدها حافلة بالحديث عن الفقر ، فالرواة يذكرون أن الصعاليك كانوا من فقراء العرب ، يقول عروة بن الورد في إحدى قصائده ، مبررا ما للمال والثروة من مهابة وما للفقر والعوز من مذلة [2] :

قالَت تُماضِرُ إِذ رَأَت مالي خَوى ✿✿✿ وَجَفا الأَقارِبُ فَالفُؤادُ قَريحُ

ما لي رَأَيتُكِ في النَدِيِّ مُنَكَّساً ✿✿✿ وَصِباً كَأَنَّكَ في النَدِيِّ نَطيحُ

فإن تحدثنا عن رواية شعر الصعاليك ، فإننا نلفيها متعارضة مختلفة بعضها عن بعض « لما يفرض من الروايات من اختلاف الرواة في قوة ذاكرتهم وفي دقتهم في النقل تعرضت لاضطراب وتعارض واضحين في شعر الصعاليك ولذلك نجد معظم شعرهم تختلف فيه الروايات ومما يلطف من الاختلاف أن معظم الخلاف منصب على الألفاظ وأقله ما يصيب المعاني » [3] .

• الأغراض الشعرية المروية في الشعر الجاهلي:

لقد عرف الشعر الجاهلي أغراضا شعرية حسب المواضيع التي تناولها الشعراء في نظمهم ، وصلت إلينا عن طريق الرواية ، فظل العربي أحقابا يقول الشعر فيها بلهجة قومه ، وقد حصر بعض النقاد القدامى الشعر الغنائي في أقسام حدّدوها حسب رؤيتهم الخاصة ، نذكر منهم :

---

[1] تأبط شرا ، ديوان تأبط شرا ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م ، ص : 30 .

[2] عروة بن الورد ، ديوان عروة بن الورد والسموأل ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص : 24 .

[3] عبد الحليم الحفني ، شعر الصعاليك ، منهجه وخصائصه ، ص : 110 .

أبو تمام[1] (- 231 هـ) الذي عدّها عشرة أقسام هي : الحماسة والمراثي والنسيب والهجاء والأضياف والمديح والصفات والسير والملح ومذمة النساء ، بينما قسّمها قدامة بن جعفر[2] إلى ستة أقسام هي : المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف التشبيه .

ونحاول حصر الشعر – إجمالا – في الأغراض التالية : المدح والفخر والهجاء والغزل والرثاء .

○ رواية القصائد في غرض المدح :

لقد مثّل المدح مادة رئيسة في النتاج الفكري الأدبي ، تناولها الأدباء في عصر ما قبل الإسلام ، واستمرت لما بعده ، فعمدوا إلى التنويه بفضائل الممدوح ، وذكر ما يتحلى به من مناقب ، إشادة بذكره ورفعا لشأنه ، وقد عد المديح « من أكثر الفنون الأدبية شيوعا » [3] ، وكثيرا ما يكون ذلك من وراء الرغبة في التكسب بعد اتخاذ البعض من هؤلاء الشعر صناعة ، فمدحوا الملوك ورؤساء القبائل مثل مدح النابغة لملوك الحيرة وغسان ، إضافة إلى الإعجاب بشخصية الممدوح ، ومن الخصال التي كان يركز عليها الشاعر في مدحه الشجاعة والكرم والحلم ورجاحة العقل وغيرها مع تفاوت في المدح بين الحقيقة وتجاوزها .

والناظر للتراث الأدبي العربي الجاهلي ، والشعر خصوصا « لا يجد قصائد مديح مستقلة بل كان المدح جزءا من قصيدة تبدأ بالغزل ثم بالفخر ثم بالمديح ثم بالوصف ثم بالخمرة وما إلى ذلك » [4] .

فهاهو زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان في إحدى قصائده قائلا [1] :

---

[1] ينظر : أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الحماسة ، شرحه وعلقه أحمد حسن بسج ، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـ / 1998 م ، وسمي الكتاب باسم أول باب فيه .

[2] أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص : 91 .

[3] سراج الدين محمد ، المديح في الشعر العربي ، ص : 06 .

[4] المرجع السابق ، ص : 06 .

بَلِ اذكُرَن خَيرَ قَيسٍ كُلِّها حَسَباً ✿✿✿ وَخَيرَها نائِلاً وَخَيرَها خُلُقا

القائِدَ الخَيلَ مَنكوباً دَوابِرُها ✿✿✿ قَد أُحكِمَت حَكَماتِ القِدِّ وَالأَبَقا

○ **روايـة القصائد في غرض الفخر** :

الفخر فن من فنون الشعر الغنائي يرتكز على « تعداد الصفات وتحسين السيئات »[2] وهو مجموع أبيات شعر يتغنى فيها الشاعر بما في نفسه من خصال محمودة انطلاقا من حبه لذاته أو يتغنى فيها بقومه ، وخصوصا أن النفس العربية الأصيلة كانت تسعى لإظهار ما يميزها عن بقية الأفراد أو القبائل .

يقول زهير بن أبي سلمى مفتخرا بالجرأة[3] :

وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ ✿✿✿ يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلقَها ✿✿✿ وَإِن يرقَ أَسبابَ السَماءِ بِسُلَّمِ

ويقول عنترة بن شداد مفتخرا بنفسه[4] :

لا تَضحَكي مِنّي عُبَيلَةُ وَاعجَبي ✿✿✿ مِنّي إِذا اِلتَفَّت عَلَيَّ جُيوشُ

أَلقى صُدورَ الخَيلِ وَهيَ عَوابِسٌ ✿✿✿ وَأَنا ضَحوكٌ نَحوَها وَبَشوشُ

إِنّي أَنا لَيثُ العَرينِ وَمَن لَهُ ✿✿✿ قَلبُ الجَبانِ مُحَيَّرٌ مَدهوشُ

إِنّي لَأَعجَبُ كَيفَ يَنظُرُ صورَتي ✿✿✿ يَومَ القِتالِ مُبارِزٌ وَيَعيشُ

---

[1] زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م ، ص : 37 .

[2] شوقي ضيف ، الفخر والحماسة ، ط5 ، دار المعارف ، مصر ، ص : 05 .

[3] زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، ص : 70 .

[4] عنترة بن شداد ، الديوان ، ص : 46 – 47 .

○ رواية القصائد في غرض الهجاء :

يعتبر الهجاء من الموضوعات التي عالجها الأدباء في مختلف العصور ، والهجاء هو « فـــن من فنون الشعر الغنائي يعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء »[1] ، وهو المسمى أيضا بـــ « فن الشتم والسباب »[2] ، إذ يعدّد الشاعر أضداد الفضائل ومن هذا المعنى أصبح الهجاء نقيض المدح ، و« كلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له »[3] .

ويعمد النقاد إلى تقسيم فن الهجاء ثلاثة أقسام هي « الهجاء الشخصي والهجاء الأخلاقي والهجاء السياسي » [4] ، أما الأول فيكون مثاره على وجه العموم المنازعات الفردية والخلافات التي تنشأ عن تعارض المصالح كما يعتمد على « مهاجمة الأفراد ... وهو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية ، بعيد عن العدل والإنصاف » [5] ، وقد يعتمد فيه الهجاؤون على الصفة الخلقية للفرد المهجو كـــإبراز العيوب الجسمية التي تبدو على المهجو والعاهات الظاهرة.

وثاني أنواع الهجاء هو الهجاء الأخلاقي ، الذي يكون موضوعه « الجرائم الأخلاقية أو الدينية والمفاسد الاجتماعية والعادات القبيحة والعيوب الإنسانية على وجه العموم » [6] ، ويعتبر هذا النوع دعوة للإصلاح بما يحمله من مبادئ خيرة تدعو للفضيلة ، وما إلى ذلك من الرذائل والخلال المنحطة .

---

[1] سراج الدين محمد ، المديح في الشعر العربي ، ص : 06 .
[2] محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون ، ص : 05 .
[3] أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص : 113 .
[4] المرجع السابق ، ص : 05 .
[5] ينظر : السابق ، ص : 23 .
[6] محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون ، ص : 24 .

وآخر أنواع هذا الغرض الأدبي هو الهجاء السياسي الذي يكون القصد من ورائه هو الدفاع عن الوطن ، إذ يقوم على « العصبية للوطن ، فيهاجم كل ما يُؤذيه أو يُهدد كيانه » [1] ، بما في ذلك من غضب وحماسة .

والمتأمل في الشعر الجاهلي لا يكاد يجد « انصرافا ظاهرا إلى الهجاء وإنما ثمة نوع من التهاجي الذي كان يعقب الأيام الجاهلية » [2] ، وهذا الطابع اختلف مع ظهور شعر النقائض في العصور المتوالية .

يقول ذو الإصبع العدواني في هجاء ابن عم له [3] :

وَلي اِبنُ عَمٍّ لَو أنَّ الـــناسَ في كَبَدٍ ✿✿✿ لَظَلَّ مَحتَجِـــــزاً بِالنَبلِ يَرميــــني

أَزرى بَنـــا أَنَّنا شالَـــــت نَعامَتُنا ✿✿✿ فَخالَني دونَهُ بَل خِـــــــلتُهُ دوني

يا عَمرُو إِن لا تَدَع شيمَتي وَمَنقَصَتي ✿✿✿ أُضريكَ حَيثُ تَقولُ الهامَةُ اِسقُوني

ماذا عَلَيّ وإن كنتـــم ذَوِي رَحَمِي ✿✿✿ أن لا أُحبَّكُـــم إن لم تُـــحبـــوني

لا أسألُ الناس عما في ضــــمائرهم ✿✿✿ ما في ضَمِيري لهم من ذاك يكْفِيني

○ رواية القصائد في غرض الغزل :

الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعا لأنه متصل بطبيعة الإنسان وأحاسيسه وتجاربه الذاتية ، والشعراء يمتلكون أحاسيس مرهفة يحسنون ترجمتها نظما ، دون غيرهم ، وقد عُرف بعض الشعراء بعلاقاتهم الغرامية مع بعض النساء ، ونظموا القصائد الغزلية فيهن ، فاشتهر في العصر الجاهلي عنترة بعبلة وامرؤ القيس بعنيزة ، وغيرهما كثير .

---

[1] المرجع السابق ، ص : **137** .

[2] ايليا حاوي ، فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي ، ط**1** ، منشورات دار الشرق الجديد ، حزيران (يونيه) ، **1960** م ، ص : **86** .

[3] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج **2** ، ص : **177 – 178** .

وقد عرف العربي في العصر الجاهلي – وبعده – الغزل بأقسامه الثلاثة [1] : الغزل الصناعي حين يأتي العربي باللفظ العذب والمعنى الرائع دون أن يملأ الحب قلبه ، والغزل العذري الذي يتحدث فيه ناظمه عن حبيبة نفسه وهي واحدة بعينها ، والغزل الماجن الذي يميل فيه الشاعر إلى وصف المرأة حسيا .

في هذا المنحى يقول عنترة بن شداد متغزلا باثا شوقه [2] :

يا طائِراً قَـــد باتَ يَنــــدُبُ إِلفَهُ ✿✿✿ وَيَنــــوحُ وَهـــــوَ مُوَلَّهٌ حَـــــيرانُ
لَو كُنتَ مِثلي ما لَبِـــستَ مُلَوَّناً ✿✿✿ حُـــــسناً وَلا مالَت بِكَ الأَغصانُ
أَينَ الخَلِيُّ القَلبِ مِمَّـــــن قَـــلبُهُ ✿✿✿ مِن حَـــرِّ نيرانِ الجَــــوى مَــلآنُ

○ **رواية القصائد في غرض الرثاء:**

انطلاقا من المقولة : « أبلغ العظات إلى محل الأموات ومصارع البنين والبنات »[3] ، فإن العربي منذ القديم عبر عن لوعة الفراق الأبدي ، بعد أن أخذ منه الموت أخا أو خلاّ أو شخصا عزيزا ، فكان الرثاء ، الذي يعرف على أنه « فن من فنون الشعر الغنائي يعبر فيه الشاعر عن حزنه وتفجعه لفقدان حبيب » [4] .

وقد عرف أدبنا العربي فن الرثاء في كل عصوره ، بدءا من العصر الجاهلي ، إذ كانت النساء والرجال جميعا يندبون موتاهم بحرقة ، كما كانوا يقفون عند قبورهم مؤبنين لهم مثنين

---

[1] ينظر : حسان ابو رحاب ، الغزل عند العرب ، 1366 هـ / 1947 م ، مطبعة مصر ، 158 / 191 .
[2] عنترة بن شداد ، الديوان ، ص : 88 .
[3] إميل ناصيف ، أروع ما قيل في الموت ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص : 28 .
[4] المرجع السابق ، ص : 05 .

على خصالهم التي عرفوا بها في حياتهم[1] ، ومما نقله لنا الرواة من رثاء الشعراء في العصر الجاهلي قول المهلهِل:

أَهاجَ قَذاءَ عَينِيَ الإِذِّكارُ ✿✿✿ هُدُوّاً فَالدُموعُ لَها اِنحِدارُ

وَصارَ اللَيلُ مُشتَمِلاً عَلَينا ✿✿✿ كَأَنَّ اللَيلَ لَيسَ لَهُ نَهارُ

وأبكي وَالنُجومُ مُطَلِّعاتٌ ✿✿✿ كَأَن لَم تَحوِها عَنّي البِحارُ

عَلى مَن لَو نُعيتُ وَكانَ حَيّاً ✿✿✿ لَقادَ الخَيلَ يَحجُبُها الغُبارُ

دَعَوتُكَ يا كُلَيبُ فَلَم تُجِبني ✿✿✿ وَكَيفَ يُجيبُني البَلَدُ القِفارُ [2]

○ رواية القصائد في غرض الوصف :

إن الطبيعة البشرية تنزح إلى مراقبة ما يحيط بها والتعبير عنه بمختلف الطرق ، والشاعر يعبر بطريقته عما يحيط به ، بهذه النزعة الفطرية نشأ الوصف في المجتمع العربي قبل الإسلام .

والوصف بمفهوم القدماء هو « ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات »[3] ، وهو في عرف الأدباء والنقاد « تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا بك إلى الأعماق » [4] ، فالوصف بهذين المفهومين هو من أقدم فنون الشعر .

---

[1] ينظر : شوقي ضيف ، الرثاء ، دار المعارف ، مصر ، ص : 07 .

[2] إميل ناصيف ، ديوان المهلهل ابن ربيعة ، شرح وتقديم : طلال حرب ، الدار العالمية ، ص : 31 – 32 .

[3] أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص : 130 .

[4] عبد العظيم علي قناوي ، الوصف في الشعر العربي ، الجزء 1 (الوصف في العصر الجاهلي) ط1 ، 1368 هـ / 1949 م ، ص : 42 .

وأهم ما شد انتباه الناظم أنذاك هو الطبيعة الميتة [1] ، فوصف الشاعر الجاهلي الطلل والصحراء والليل والمطر والبرق والسحاب والغيث ، فصورها أحسن تصوير شغفا ببيئته وحبا لطبيعته ، كما وُصفت الأطلال والحبيبة ، فرسم الشاعر بالكلمات خلجات نفسه وميوله وتطلعاته.

يقول امرؤ القيس واصفا الليل ، مشبها إياه بأمواج البحر[2] :

وَلَيْلٍ كموجِ البحر أرخى سُدوُلَهُ ✿✿✿ علــيَّ بأنــواع الهمــوم لِيَبْتَــلي

فقلتُ له لمــا تَمَــطّى بصلبه ✿✿✿ وَأردَفَ أعــجازاً ونــاءَ بِكَلْــكَلِ

ألا أيها الليلُ الطويــلُ ألا أنْجَلِ ✿✿✿ بصبح ومــا الإصْبَاحُ مِنــْكَ بِأَمْثَلِ

فيالَكَ من ليل كــأن نُــجُومَهُ ✿✿✿ بكل مُغَارِ الــفَتــْلِ شــدت بِيَذْبُلِ

ب – رواية النثر :

إن مقدار النثر الفني الجاهلي إذا قيس مع الشعر ، على اعتبار ما وصل إلينا – مع فرض صحته – ليس بالشيء الكثير ، فالشعر أسبق من النثر بجميع فنونه ، ورغم ذلك فقد عرف الأدب الجاهلي مجموعة من الفنون النثرية استوعبتها حافظة الرواة وقيدتها الأقلام في ما بعد في المصادر الأدبية ، نوجزها في الأنواع التالية : سجع الكهان والخطابة والقصص والوصايا .

○ سجع الكهان :

لقد عرف في العصر الجاهلي طائفة انتشرت بين العرب تدّعي التنبؤ ومعرفة المغيبات يُسمون بالكهان ، وكان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم ، ومع كل واحد منهم رؤيا من الجن ، وقد كان للعرب اعتقاد كبير بقدراتهم لمعرفة الغيب والتنبأ به، وتفسير الرؤى وغيره .

---

[1] ايليا حاوي ، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، دار الكتاب المصري ، مصر ، 1980 م ، ص : 21 .

[2] امرؤ القيس ، الديوان ، 48 / 49 .

وقد اعتقد العرب أن الكهنة « يمتلكون قدرة خفية خارقة وإلهام الاتصال بالآلهة وبالأرواح والاستئناس بها والأخذ منها والحصول على علم غزير »[1] .

وقد كان الكهان في الجاهلية يتمتعون بنفوذ واسع و لم يكن لهذا النفوذ حدود قبلية « فكثيرا ما يسيطر الكاهن على مجموعة من القبائل بكهانته فتصدر عن رأيه وقد تتخطى شهرته إقليمه فتقصده العرب من أقاليم نائية »[2] ، مما يفسر تعلق العربي بهذا النوع من الأفراد ، والائتمار بأوامره ، والعمل بنصائحه .

وقد تنوعت وسائل الكهان لدى ممارستهم لوظائفهم الكهنوتية[3] ، من ذلك اشتهارهم بنوع من النثر ، يطلق عليه (**سجع الكهان**) ، ويعرف على أنه « قول مسجوع يغلب عليه التكلف من حيث الشكل والتعمية من حيث المعنى »[4] .

ولعل انتشار الكلام المسجوع أيام الجاهلية بين أوساط العرب هو الذي « دفع بعض المشركين من قريش إلى الظن بأن ما يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن إنما هو من كلام الكهان »[5] ، فرد القرآن الكريم ادعاءاتهم ، ونقض دعواهم الباطلة ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : « إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا

[1] **جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، مايو 1968 م ، ج 6 ، 755 .**

[2] **شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص : 06 .**

[3] **ينظر : توفيق فهد ، الكهانة العربية قبل الإسلام ، (الكاهن ، الكاهنة النبي ، الشاعر ، الحازي ، الساحر ، الرائي ، العرّاف ، الرب ، ذو إله ، الحُمس ..) ترجمة : حسن عودة ورندة بعث ، تقديم رضوان السيد ، شركة قدمُس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 107 / 160 . .**

[4] **زكريا عبد الرحمن صيام ، دراسات في أدب العصر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 م ، ص : 185 .**

[5] **الجاحظ ، البيان والتبيين (1 – 2) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الناشر الخانجي ، القاهرة ، مصر ، 1405 هـ / 1985 م ، ج 1 ، ص : 358 .**

بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ » [1] ، وقوله تعالى : « فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ » [2] .

ومن أمثلة سجع الكهان التي احتفظت بها بطون الكتب التراثية القديمة : « والأرض والسَّماء ، والعقابِ الصَّقْعاءُ ، واقعةً ببقعاءُ ، لقد نَفَّر المجدُ بني العُشَراءِ ، للمجْد والسَّناء » [3] ، وهذه النماذج من سجع الكهان نقلها لنا رواة الأدب القديم ، وضمت كتب الأدب والتاريخ طائفة من أقوال هؤلاء الكهان والكاهنات وخطبتهم .

على أن هناك من ذهب إلى التشكيك في صحة روايات سجع الكهان « بسبب أنها لم تكن مدوّنة ولا مكتوبة ومن الصعب أن تحتفظ بها ذاكرة الرُواة نحو قرنين من الزمان أو أكثر ، فلا تبدل فيها ولا تحرف حتى يخرج العصر العباسي فيدونها اللغويون والإخباريون » [4] ، وبين هذا وذاك لم يكن علينا أن نتخطى سجع الكهان ونحن نتحدث عن رواية النثر في الأدب العربي

○ رواية فن الخطابة:

الخطابة في عرف الأدباء هي « إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أم مرسلا ، لاستمالة المخاطبين في رأي أو ترغيبهم في عمل » [5] ، فهي من أهم وسائل التأثير في الغير وطريقة فعالة يعتمدها الفصحاء من أجل تحقيق أهداف مسطرة .

فإذا استأنسنا بخطب العرب لوجدناها تعد – بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف – مثالا ساميا للبلاغة ونموذجا قويما يحتذي به المتعلم في تقويم قلمه المعوج وشحذ لسانه الكليل ، وهي أيضا معين فياض يستقي منه مؤرخ الأدب العربي ما يعن له من آراء ومادة

---

[1] الحاقة : 40 / 42 .
[2] الطور : 29 .
[3] الجاحظ ، البيان والتبيين ، 1 / 290 .
[4] المرجع السابق ، 39 / 40 .
[5] الشيخ علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الاعتصام ، ص : 14 .

غزيرة يستنبط منها الفوائد [1] ، لأنه من غايات الخطابة السامية إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل ، بطريقة مميزة تشد الانتباه.

ووجود الخطابة عند العرب في الجاهلية وانتشارها يعود لعدة أسباب أهمها [2] : شيوع الأمية بين العرب ، الأمر الذي حدا بهم إلى الاعتماد على الكلام المحكي المتمثل في الخطابة ، ثم إلى حاجة القبائل للدفاع عن أفرادها والحفاظ على حقوقها وإعلاء شأنها ، إضافة إلى كثرة المواسم والأسواق كسوق عكاظ حيث يتبارى الخطباء في شتى الأغراض

ومن الخطب المميزة والتي نقلها إلينا الرواة من العصر الجاهلي : خطبة أكثم بن صيفي بمعية إحدى الوفود الداخلة على كسرى بالمدائن ، إذ قام فقال : « إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر . حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة . إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي . من فسدت بطانته كان الغاص بالماء . شر البلاد بلاد لا أمير بها . شر الملوك من خافه البريء . المرء يعجز لا المحالة . أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته . يكفيك من الزاد ما بلغك المحل . حسبك من شر سماعه . الصمت حكم وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شدد نفر ، ومن تراخى تألف » [3] .

[1] ينظر : أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية ، ج 1 – العصر الجاهلي ، عصر صدر الإسلام – ط 1 ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1352 هـ / 1923 م ، 1 / ج ، والشيخ علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، ص : 15 .

[2] ينظر : أنطوان القوال ، فن الخطابة ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، كانون الثاني / يناير 1996 م ، بيروت ، لبنان ، ص : 70 / 71 .

[3] ويضيف الراوي : فتعجب كسرى من أكثم ، ثم قال : ويحك يا أكثم ! ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك في غير موضعه ! قال أكثم : الصدق ينبئ عند لا الوعيد ؛ قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى ؛ قال أكثم : رب قول أنفذ من صول . ينظر : ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 1 / 280 – 281 .

وهذه خطبة لقس بن ساعدة الإيادي « يتخذ لنفسه منبرا لخطابة في أحد أركان عكاظ (...) يخاطب العرب بصوت جهير » [1] ، « اسمعوا وعُوا ، مَن عاش مات ، ومَن مات فات ، وكلّ ما هو آت آت ، إنّ في السماء لخبراً ، وإنّ في الأرْض لَعِبَرا ، سَحَائِبُ تَمُور ، ونُجُوم تَغُور ، لا فلك يَدور ، ويُقْسم قُسٌ قَسَماً ، إن للّه لدينا هو أرضى من دِينكم هذا . ثم قال : مالي أرى الناس يَذْهبون ولا يَرْجِعون ، أَرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركوا فناموا » [2] .

وخطب غيرها ، لم تكن لتصلنا هي الأخرى ، لولا اهتمام جمع من الرواة بنقلها من جيل لآخر . حتى ألفيناها جاهزة في الكتب المحققة ، والكتب الحديثة على حد سواء .

○ رواية الأمثال والحكم :

تعد الأمثال من أهم مكونات تراثنا الأدبي العربي ، ويعرف المثل بأنه « عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلا ومضمونا فتنتشر بينهم ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير متمثلين بهذا المثل أصلا وإن جهل هذا الأصل » [3] ، واستيعابها سهل يسير ، سواء من طرف المرسل المتحدث أو المتلقي السامع في مواقف متباينة ومتنوعة .

وبارتباط الأمثال بتجارب الإنسان ومعارفه وتطلعاته ومزاجه العقلي ، فإن الأمثال قديمة « قدم الإنسان في تجربته مع بيئته أرضا ومناخا وشعبا وتعاملا » [4] ، الأمر الذي ينطبق على تراثنا الأدبي العربي أيضا .

وقد عملت الأمثال على توشيح كلام العرب وتزيينه وجعله أكثر إثارة للسامع ، وأجمل من حيث رصف الكلمات ، فكانت الأمثال بهذا « وَشيُ الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحَلْي المعاني ، والتي تخَيَّرتْها العربُ ، وقَدَّمتها العجم ، ونُطِق بها " في " كل زمان ، وعلى كلِّ

---

[1] **عرفان محمد حمور ، أسواق العرب ، ط 2 ، 1981 م ، دار الشورى ، بيروت ، لبنان ، ص : 123 / 124 .**
[2] **ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 4 / 215 .**
[3] **إميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـ / 1995 م ، 1 / 21 .**
[4] **المرجع السابق ، 1 / 21 .**

لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها ، ولا عَمَّ عُمومَها ، حتى قيل : أسير من مثل ، " وقال الشاعر " :

ما أنتَ إلا مَثَلٌ سائرُ ✿✿✿ يَعْرفه الجاهلُ والخابرُ » [1]

ويعد هذا النمط التعبيري نتاج القريحة العفوية للمجتمع العربي وبالتالي الوثيقة التاريخية الأقرب إلى تجسيد الشخصية الأدبية العربية من سواها من النتاجات الأخرى [2] .

وتعتبر الأمثال مقارنة ببقية الأجناس الأدبية ، المادة الأبعد عن عبث العابثين وألاعيبهم أي أنها تشكل مصدر ثقة [3] لا بأس به ، رغم أننا لا نملك اليقين بصحة كل الأمثال المنسوبة إلى الجاهلية بشكل حازم ومطلق .

ومن الشخصيات التي عرفت بإطلاق لقمان بن عاد من القبيلة اليمانية البائدة وأكثم بن صيفي التميمي ، وقد اشتهر المفضل الضبي بمصنفه (أمثال العرب) .

- **رواية القصص :**

القصص النثري لون أدبي شغف به عرب الجاهلية كثيرا ، ووسيلة ترفيه وترويح عن النفس، نظرا لانحصار وسائل الترفيه آنذاك في أشكال محددة مع تمكن رواية القصص من نفسية العربي، وكذا لأن القصة « ظهرت مع ظهور النص» [4]، والنص كان مرويا قبل أن يكون مكتوبا، فإن «القصة في العربية قديمة قدم هذه اللغة» [5] ، باتخاذها لشكل من أشكال « القصة

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 3 / 03 .

[2] ينظر : أحمد توفيق أبو علي ، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، دار النفائس ، ط 1 ، 1988 م ، ص : 61 .

[3] أحمد توفيق أبو علي ، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، ، ص : 08 .

[4] قاسم المقداد ، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي ، جلجامش ، ط 1 ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ، 1404 هـ / 1984 م ، ص : 47 .

[5] عبد الملك مرتاض ، القصة في الأدب العربي القديم ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1968 م ، ص : 19

أو الأقصوصة البسيطة التي انبنت على الواقع طورا ، وعلى الخيال طورا ثانيا ، وعلى الواقع الممزوج بالخيال طورا ثالثا » [1] ، وتبقى في كل الأحوال قصة بسيطة لم تصل إلى مستوى القصة المكتملة العناصر .

ويمكن حصر ألفاظها في ثلاثة أنواع قصصية [2] ، التاريخية ، والشعبية ، والاجتماعية ، فأما **القصة التاريخية** ، فهي التي تروي « السيرة الذاتية للعرب ، منذ ظهورهم على صفحة التاريخ ، مع ذكر أحداثهم وتحركهم داخل جزيرتهم » [3] ، كالقصص المروية عن عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، ومن هذا النوع من القصص يطالعنا المسعودي والطبري والإصفهاني ، بقصة طسم وجديس ، وعمليق وزرقاء اليمامة ، في سرد أسطوري جمع بين الحقيقة والخيال ، وبين الصدق والمبالغة ، وغير ذلك مما لا يسعنا الوقوف عنده .

في حين تتناول القصة الشعبية[4] الأساطير وقصص الجن والعفاريت ، والغول والسعلاة ، ويدخل فيه أيضا قصص الحيوان ، وما تروى حوله من الحوادث الغريبة ، وتدخل جميعها في باب الميثولوجيا .

وهناك فرق وإن لم يكن واضحا بين الأنواع المذكورة وإن كان الأصل واحد ونقاط التشابه أكثر من أن تحصى ، فالأسطورة مثلا تعرف بأنها « حكاية وهمية تبسط معارف تاريخية وحدسية وفلسفية عامة ، وهي التاريخ في صورة متنكرة » [5] ، وهذا النوع من الحكايا عرفته جل الشعوب ، وتعارفته عليه مختلف المجتمعات .

---

[1] المرجع السابق ، ص : 19 .

[2] نوري حمودي القيسي ، عادل جاسم البياتي ، مصطفى عبد اللطيف ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ، 1399 هـ / 1979 م ، ص : 381 .

[3] المرجع السابق ، ص : 381 .

[4] ينظر : نوري حمودي القيسي ، عادل جاسم البياتي ، مصطفى عبد اللطيف ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، ص : 388 .

[5] الجوزو مصطفى ، من الأساطير العربية والخرافات ، ص : 40 .

لقد جمع العديد من المؤلفين كمّا هائلا من المادة الأسطورية عن فترة الجاهلية ، وقد كانت الأسطورة العربية « بالجملة صدى للمجتمع ، وصورة نفسية ابن الجزيرة ، ووسيلة وهمية لحل مشاكله ، فيما وراء الواقع أي هي هروب من مرارة الحقيقة إلى حلاوة الخيال » [1] ، فهو المتنفس الوحيد لهم في صحراء قاحلة وليال شديدة الحرارة ، من ذلك أسطورة إساف ونائلة ، التي برر بها العربي معتقداته الدينية ، الممثلة في عبادته للصنمين إساف ونائلة .

أما **القصة الاجتماعية** [2] ، فتعنى بحياة الناس في الحب والزواج ، وهموم الإنسان الأخرى ، من فقر أو غنى ، وصحة أو مرض وغير ذلك ، ومن القصص الاجتماعية ، ما تحدث عن الحب كغريزة إنسانية سامية ، وما ولدته من أحاسيس مرهفة ، فاقت الخيال في كثير من الأحيان ، ترجمت في حكايات غرامية عادية أحيانا ، وأسطورية أحيانا أخرى ، كما هو الحال بالنسبة للعصر الجاهلي .

2 – رُواة الأدب واللغة :

أ – الراويـــــة :

من المعلوم كما أشرنا من قبلُ ، أن الرواية في الأدب هي أن ينقل شخص ما لآخر ، أثرا ما نثرا أو نظما مشافهة لا كتابة ، وهذا الشخص يسمى عند المشتغلين بالأدب (**الراوي**) أو (**الراوية**) ، وقد ذكر الأصمعي كلاما وجيها يتعلق بضرورة رواية الشعر للشاعر حتى يتمكن من صنعته ، فيقول في هذا المعنى: « لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أنه يعلم العروض، ليكون ميزاناً له على قوله، والنحو، ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام

---

[1] المرجع السابق ، ص : **60** .

[2] نوري حمودي القيسي ، عادل جاسم البياتي ، مصطفى عبد اللطيف ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، ص : **381** .

الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم » [1] ، فقد جمع الأصمعي بين صفات لا نفصل إحداها على الأخرى لما لكل سمة من فضائل في تكوين شخصية الراوية ، فبهذه الصفات يكون الراوية قادرا على تحمل الروايات وتأديتها دون خطأ .

ومن هذا الاعتبار تعددت نشاطات الرواة فكل من « الإخباريين واللغويين والنسابين يعملون بنشاط كلا في حقله » [2] ، بالرغم من أن اهتمامات الرواة إن كانت متباينة من أوجه عامة ، فهي « متداخلة أحيانا » [3] ، هذا التداخل الذي جعلنا في حيرة حينا وفي تذبذب في الجزم بأمر يخص راوية بعينه حينا آخر ، ويرجع ذلك إلى الصلات الوثيقة بين ما يروى من أخبار وأنساب ولغة وقصص .

من أمثال هؤلاء الرواة نجد الراوية محمد بن السائب (ت 146 هـ/ 763 م) والذي قام بدراسات في الأنساب واللغة والتاريخ وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية وبالإضافة إلى ذلك فإنه رجع إلى شعر النقائض ودرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه[4].

ويبقى أن نذكر فضل الرواة وجهدهم في حمل الشعر الجاهلي إلينا مع تفاوت دقة وتوثيق ما وصلنا ، فالضعف والشك تسرّب لكل الروايات والرواة ، ومن ثمة حاولنا انتقاء مجموعة من الأعلام الذين عرفوا بالرواية في القرون الهجرية الأولى ، ما بين علمهم باللغة وأيام العرب وأخبارها وقصصها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، فكل واحد من الرواة الذين سنعرض لهم إلا وله جانب مما ذكرنا ، وتحت هذا العنوان من المدخل انتقينا من له صلة وثيقة برواية اللغة والأدب ، وأرجأنا الإخباريين والعارفين بالأنساب إلى الفصل الخاص برواية الأخبار.

---

[1] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، 1401 هـ / 1981 م ، ج 1 ، ص : 197 – 198 .

[2] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص : 33 .

[3] المرجع السابق ، ص : 34 .

[4] ينظر : عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص : 40 ، 41 .

وقد وقع اختيارنا على الرواة التالية أسماؤهم : حماد الراوية (— 155 هـــ) ، خلف الأحمر (— 180 هـــ) ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (— 207 هـــ) والمفضل الضبي (القرن الثالث الهجري) ، الأصمعي (— 216 هـــ) .

واتبعنا منهجية عرض موحدة لهؤلاء الأعلام الرواة بحيث ركزنا على دورهم في الرواية وما حُسب لهم وما حُسب عليهم ، مستدلين في هذا على ما كتب عنهم في أُمّات الكتب التراثية العربية .

ب – أشهر الرواة:

- **حماد الراوية – القرن 2 هـــ –** : (95 – 155 هـــ)

هو [1] أبو القاسم حماد بن أبي ليلى سابور – وقيل ميسرة – بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي بني بكر بن وائل المعروف بالراوية .

اتفق ابن خلكان وياقوت الحموي وغيرهما على أن حمادا الراوية كان « من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » [2] ، كما وصفه الذهبي بأنه واسع الرواية ، ووصفه صاحب الأغاني فقال : « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » [3] .

كما يبدو أنه سئل من قبل الوليد بن يزيد عن سبب استحقاقه للقب (**الراوية**) فأجاب بقوله : « إني أروي لكل شاعرٍ تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً لقديمٍ ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال : إن هذا لعلم وأبيك كبير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟

---

[1] ممن ترجم لحماد الراوية : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 2 / 206 ، وياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 3 / 1201 .

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 206 ، وياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 3 / 1201 .

[3] شمس الدين الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تريدي ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـــ / 1991 م ، 9 / 113 .

قال : كثيراً ، ولكني أنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرةٍ ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلين وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهمٍ » [1] ، مما يدل على ذاكرته القوية ، وحسن استعابه لما حمل ، ومقدرته الفائقة على رواية الشعر ، ومن ثمة استحق لقب الراوية عن جدارة وتمكن ، كما رُوي أن حمادًا هو « الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » [2] .

ويُروى أيضا أن الطرماح قال : « أنشدت حماداً الراوية قصيدة لي ستين بيتاً فسكت ساعة ثم قال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها في وقته » [3] ، وهذا يدل على قوة حافظة حماد الراوية وسعة استيعابه لما يسمعه ، وحسن التقاطه للكلام وزنا .

ومع حفظه لأشعار العرب كان حماد كثيرا ما يبدي رأيا في أبيات من الشعر ، أو في شاعر ، من ذلك ما أورده الإصفهاني في كتاب الأغاني من أن حمادا « سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفستق المقشر » [4] .

ورغم ما عرف عنه مما ذكرناه فإن المصادر القديمة لها مآخذ على حماد ، إذ يقال[5] أنه كان « قليل البضاعة من اللغة العربية ، بل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحف في نيف وثلاثين حرفاً .

---

[1] **معجم الأدباء ، ج3 / 1202.**
[2] **ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 3 / 1204.**
[3] **ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 207 .**
[4] **ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، (دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ) 121/6.**
[5] **ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 210 .**

بل وتعدّى الأمر ذلك بحيث كان متهما بأنه يقول الشعر وينسبه لشعراء آخرين ، والشاهد قول المفضل الضبي : « قد سلط على الشعر من حمادٍ الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ في روايةٍ أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجلٍ ، ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالمٍ ناقدٍ وأين ذلك ؟ » [1] ، وهذا – إن صح – أمر شنيع في عف العرب ، لا يليق

وإن صح ما أورده ابن عبد ربه الأندلسي فقد حكم حماد على مصداقيته بدليل قول المؤلف على لسان الراوية حماد : « ما مِن شاعر إلا قد زِدْتُ في شعره أبياتاً فجازت عليه إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإني لم أزد في شعره قطُّ غيرَ بيت فأفسدتُ عليه الشعر . قيل له : وما البيتُ الذي أدخلته في شعر الأعشى ؟ فقال :

وأنكرتْني وما كان الذي نَكِرتْ ✿✿✿ من الحوادث إلا الشَّيبَ والصلعَا » [2] .

وأورد صاحب الأغاني على لسان خلف الأحمر «حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها، وكان فيه حمق» [3] .

ويضاف إلى ما قيل عن حماد ما أورده ياقوت الحموي في معجمه : « كان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون : حماد عجردٍ وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان ، يتنادمون ويتعاشرون معاشرةً جميلةً ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكان يرمون

---

[1] ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، **3 / 1204** .

[2] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، **6 / 157** .

[3] الأصفهاني ، الأغاني ، **92/6**.

بالزندقة جميعاً »[1] ، وكانوا يهجون الناس ، وهاهو حمّادُ بن الزِّبرقان يهجو حماداً الراوية مبرزا عيوبه قائلا [2] :

نِعْمَ الفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ✿✿✿ ويقيمُ وقْتَ صَلاَتِهِ حَمَّادُ

هدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدِّنَانُ فَأَنْفُهُ ✿✿✿ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُنُّها الحدّادُ

وَابْيَضّ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ ✿✿✿ فبيَاضُه يوم الحسابِ سَوَادُ

وكانوا يهجون الناس ، فيسجنهم الخليفة ثم يمدحونهم فيحررون من السجن .

- **خلف الأحمر** أبو محرز بن حيان – القرن 2 هـــ – (...– 180 هـــ / ...– 796 م)

يعد خلف بن حيان [3] الشهير بخلف الأحمر من أعلام رواة الشعر في القرن الثاني الهجري ، بل « يعد أشهر رواة الشعر إطلاقا في عصره كما في عصور تلت » [4] ، حتى قيل « هو معلم الأصمعي » [5].

يكنى خلف الأحمر بأبي محرز ، مولى بلال بن أبي بردة ، توفي في حدود الثمانين ومائة وكان خلف قد أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأخذ اللغة من أبي عمرو و« لم ير أحد قط

---

[1] **ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، 3 / 1196 .**

[2] **الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، 1385 هـــ / 1965 م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، 4 / 445 .**

[3] **ممن ترجم لخلف الأحمر : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، عناية وتحقيق أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420 هـــ 2000 م ، 13 / 219 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 3 / 1254 .**

[4] **رجاء عكاوي ، الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، رحاب عكاوي ، الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـــ / 1998 م ، ص : 24 .**

[5] **صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 13 / 219 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 3 / 1254 .**

أعلم بالشعر والشعراء منه »[1] ، يقول ابن سلام الجمحي : « اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقه لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً ، أو أنشدنا شعراً ، أن لا نسمعه من صاحبه »[2] .

ويضيف ابن المعتز في طبقاته : « (...) وكان عالماً بالنحو والغريب والنسب وأيام الناس ، شاعراً مطبوعاً مفلقاً كثير الشعر جيده، و لم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب أكثر شعراً منه »[3]، ولا يستثنى ابن عبد ربه الأندلسي في حكمه على خلف وعلى قدرته الفائقة على الاستيعاب ثم الرواية ، فقال : «كان خلف أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده »[4] .

وكثيرا ما يستدل برأي خلف في مسائل اللغة المختلفة على شاكلة ما ورد في الحيوان للجاحظ : « ويقال : ألجُّ من الخنفساء ، وأفحشُ من فاسية وهي الخنفساء وأفحش من فالية الأفاعي . والفساء يُوصف بن ضربان من الخَلْق : الخنفساء ، والظَّرِبان . وفي لجاج الخنفساء يقولُ خلفٌ الأحمر :

لنا صاحبٌ مُولعٌ بالخلافِ ✿✿✿ كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصّوابِ

ألجُّ لجاجاً من الخنفساء ✿✿✿ وأزْهى إذا ما مشى منْ غرابِ »[5]

كما استشهد بأقواله في بعض المواضع في تفسير القرآن الكريم مثل ما ورد في تفسير القرطبي[6] : لقوله تعالى : « وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ

[1] جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهر في أنواع اللغة وعلومها ، 2 / 246 .
[2] محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، 1 / 29 .
[3] ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 146 / 147 .
[4] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 6 / 156 .
[5] الجاحظ ، الحيوان ، 3 / 500 .
[6] القرطبي ، تفسير القرطبي ، البقرة : الآية 76 .

بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ »[1].

ولخلف آراء نقدية في الشعر إضافة إلى روايته له، من ذلك إبدائه لموقفه في قوله: « لم أَرَ أجمَعَ مِن بيتٍ لامرئ القيس، وهو قوله :

أفادَ وجَادَ وسَاد وزَادَ ✿✿✿ وقاد وذاد وعادَ وأفضل »[2].

وقد استشهد ابن هشام بروايته في مرات عديدة في السيرة النبوية ، مرة بذكر نسب النعمان : « قال بن هشام : النعمان بن المنذر بن المنذر فيما أخبرني خلف الأحمر »[3] ، ومرات أخرى في أبيات من الشعر ، منها ما قيل في يوم بدر من شعر معاوية بن زهير : « قال بن هشام : فصارت عك في دار اليمن وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم (...) وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر وأبو عبيدة لعباس بن مرداس أحد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تقلبوا ✿✿✿ بغسان حتى طردوا كل مطرد »[4] .

وتحدث خلف الأحمر عن الأغراض الشعرية وأبدى وجهة نظره في المديح فقال: « أغلب المدح أكثره ملقاً كقول زهير :

تـــراه إذا ما جئتـــه متهللاً ✿✿✿ كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله ✿✿✿ ولكنه قد يهلك المـــال نائله

غدوت عليه غدوة فوجدته ✿✿✿ قعوداً لديه بالصريم عـــواذله

[1] البقرة : 76 .

[2] الجاحظ ، الحيوان ، ج 3 ، 52 / 53 .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 1 ، ص : 19 .

[4] المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 08 – 09 .

يفدينه طوراً، وطوراً يلمنه ✿✿✿ وأعيى فما يدرين أين مخاتله »[1] .

وبالموازاة تحدث عن الهجاء فقال : « أشد الهجاء أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عف لفظه وصدق معناه »[2] ، فهو يعتبر المدح الذي يصاحبه التودد والتلطف واللين أكثر مما ينبغي هو الغالب على قصائد المديح ، وأن الصدق في الهجاء هو الذي يكسبه قوة لما يحمله من رسم للواقع من غير تضخيم ولا تهويل .

وقد عيب على خلف الأحمر أنه ينسب للشعراء الأبيات الشعرية مما ليست لهم ، إذ كان « خلف الأحمر يقول القصائد الغر ويدلها في دواوين الشعراء فيقال إن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيِّكُم ✿✿✿ فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ

هي له »[3] ، وقد ورد في نفس المصدر : « وكان وضع على عبد القيس شعرا مصنوعا عبثا منه »[4] ، إلى أن نصل لهذا الخبر في المزهر : « سمعت خلفا الأحمر يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التي فيها :

خَيلٌ صِيامٌ وَخَيلٌ غَيرُ صائِمَةٍ ✿✿✿ تَحتَ العَجاجِ وَأُخرى تَعلُكُ اللُجُما »[5] .

ويقال : « إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرا ، وهو :

إِنّ بِالشِعبِ الَّذي دونَ سَلعٍ ✿✿✿ لَقَتيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ

---

[1] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج 2 ، ص : 141 .
[2] نفسه ، ج 2 ، ص : 171 .
[3] السيوطي ، المزهر في أنواع اللغة وعلومها ، 1 / 139 .
[4] المرجع السابق ، 1 / 139 .
[5] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 6 / 157 .

لخلف الأحمر ، وإنه نحله إياه »[1] .

بل وكان خلف الأحمر « يضرب به المثل في عمل الشعر على ألسنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه »[2] ، مما يظهر اتفاق القدامى على اتهامه بخلط الروايات وانتحالها ، وهذا الأمر شنيع في عرف العرب ، ونتائجه تكون سلبية على الشعر عامة ، لما تختلط نسبة الشعر ولا يعرف له قائل بعينه .

ويروى أن خلف « مطبوع مفلق كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب أكثر شعراً منه »[3] ، إذ يبدو أن خلف الأحمر كانت له ملكة نظم الشعر أكثر من غيره من الرواة ، بحيث كان « خَلَفٌ مع روايته وحِفظه يقول الشعر فيُحسن ، وينَحله الشعراء »[4] .

من ذلك ما أورده الجاحظ في الحيوان من أن خلفا الأحمر قال في الحيات[5] :

يرون الموت دون أن رأوني ✿✿✿ وصلٌ صفاً لنابيه ذباب

- **أبو عبيدة مَعْمَر[6] بن المثنى[7]** – القرن 3 هـ – (110 – 207 هـ)

---

[1] المصدر السابق ، 6 / 157 .

[2] السيوطي ، المزهر في أنواع اللغة وعلومها ، 1 / 139 .

[3] ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، 1 / 139 .

[4] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 6 / 157 .

[5] الجاحظ ، الحيوان ، 4 / 279 ، إلى نهاية القصيدة .

[6] أبو عبيدة : بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ، ينظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص : 343 .

[7] « المثنى : بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة في آخرها ياء مثناة من تحتها » ينظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص : 235 .

هو [1] أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري مولى قريش ، ويذهب ابن خلكان إلى أن ولادته كانت في رجب سنة عشر ومائة (110 هـــ) ويرجحها على بقية التواريخ [2] ، أما وفاته فاختُلف في تحديدها بين الفترة (207 – 213 هـــ) ، ولم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه رجل ، شريفا كان أم وضيعا .

يقول ياقوت الحموي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى : « كان أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها ، وهو أول من صنف غريب الحديث » [3] ، ويورد ابن خلكان قول ابن قتيبة : « كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها » [4] ، ومما يثبت نزوعه للغريب في اللغة تصنيفه لكتابي [5] (غريب القرآن) [6] و(غريب الحديث) ، كما طبع له كتاب الديباج [7] .

وقد استشهد بأقوال أبي عبيدة في الغريب من الألفاظ ، فقال البغدادي على سبيل المثال لا الحصر : « قال أبو عبيدة : يقال : مجد موثل : قديم له أصل » [8] ، وقال القالي في الأمالي : «

أقبل سيل جاء من أمر الله ✿✿✿ يحرد حرد الجنة المغلة

[1] ممن ترجم لأبي عبيدة : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص : 235 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2704 .

[2] لم تحدد سنة وفاته بدقة ولم يرجح تاريخ معين ، إذ قيل توفي بين سنة 207 إلى سنة 213 هـــ .

[3] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2704 .

[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص : 235 .

[5] ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص : 238 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2708 .

[6] طبع بعنوان : مجاز القرآن ،عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

[7] أبو عبيدة معمر بن المثنى ، كتاب الديباج ، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوع ، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1411 ه / 1991 م .

[8] البغدادي ، خزانة الأدب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 4 ، 1418 هـــ / 1997 م ، ج 1 ، ص : 87 .

أي يقـــصد قصدها . وقال أبو عبيدة : معـــنى قوله : (على حرد) أي على غضب وحقد»[1].

كما ورد في مجمع الأمثال استشهاد الميداني بشرح أبي عبيدة للإعصار في المثل القائل : « إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا » ، فأورد : « قال أبو عبيدة : الإعصار ، ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض » [2] ، مما يكون دليلا على الثقة التي أولاها فحول الأدب لعبيدة بن المثنى ، وما يمتلكه من رصيد لغوي يستحق أن يعتمد عليه في الاستشهاد .

كما تكررت عبارة (**أخبرني أبو عبيدة**) أكثر من مرة في سيرة ابن هشام ، بحيث كان مؤلف السيرة يستشهد برأي أبي عبيدة في شرح بعض الكلمات ، من ذلك قوله : « أخبرني أبو عبيدة أن بكة أسم لبطن مكة لأنهم يتباكون فيها أي يزدحمون وأنشدني :

إذا الشريب أخذته أكة ✿✿✿ فخله حتى يبك بكة » [3] .

وكان إضافة إلى هذا ، يصدر أحكاما عامة على الشعراء ، مثلما أجاب حينما سئل عن شعر بشار فقال : « شذرة [4] ونقرة [5] » [6] .

---

[1] أبو علي القالي ، الأمالي ، 1 / 07 .

[2] أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، مجمع الأمثال ، حققه وفضله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ج 1 ، ص : 30 .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 1 ، ص : 114 .

[4] جاء في الصحاح للجوهري تحت الجذر (شذر) : « الشَذْرُ من الذَهَبِ : ما يُلْقَطُ من المعدن من غير إذابةِ الحجارةِ ، والقطعةُ منه شَذْرَةٌ ».

[5] جاء في المحكم ل: تحت الجذر (نقر) : « والنقرة من الذهب والفضة : القطعة المذابة ، وقيل : هو ما سبك مجتمعا منها ، والجمع : نقار » ، علي بن إسماعيل بن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق الدكتور مراد كامل ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، 1392 ه / 1972 م ، ط 1 ، ج 6 ، 226 .

[6] ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ص : 23 .

ويحكم بين الشعراء مثلما نجد ذلك في قول الشاعر ابن المناذر له : « احكم بين القصيدتين واتق الله ولا تقل : ذاك متقادم الزمان ، وهذا محدث متأخر ، ولكن انظر إلى الشعر واحكم لأفصحهما وأجودهما » [1] ، وقول ابن المندر أمارة على أن أبا عبيدة له باع طويل في التحكيم بين الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض .

ليس هذا فحسب ، بل اعتبر أبو عبيدة مرجعا خصبا يستقى منه القصص التاريخي وحوادث العرب وأخبارهم مثلما نجد ذلك جليا في حديث ابن عبد ربه الأندلسي عن يوم مَنْعِج [2] من حروب قيس في الجاهلية بحيث استهل كلامه عن هذا الحدث بقوله :« قال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثنّى : يوم مَنعج ، يقال له يوم الرِّدْهة ، وفيه قُتل شأس بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحة العبسيّ بمنعج على الردْهة وذلك أنّ شأس...» [3] ، والأمر نفسه بالنسبة لابن سلام الجمحي الذي صدّر أبياتا لعُلْفة بن عقيل قائلا : « وحدثني أبو عبيدة قال: كان علفة بن عقيل بن علفة هوى امرأة من قومه » [4] ، موردا لرواية قصة أبيات ابن عقيل ، ومن ثمة فأبو عبيدة كان مصدرا موثوقا لتتبع القصص التاريخي .

وعلى أبي عبيدة مجموعة من المآخذ منها ما قاله ياقوت الحموي : « ... يحكى أنه كان يرى رأى الخوارج الإباضية . وقيل : كان شعوبياً يطعن في الأنساب » [5] ، من ذلك أنه « ألّف في مثالبها كتباً » [6] .

---

[1] المرجع السابق ، ص : 122 .

[2] منعج : واد بين حفر أبي موسى والنباج ، ويدفع في بطن فلج ، وهو من ايام حروب قيس في الجاهلية ، ينظر : ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 6 / 4 .

[3] المرجع السابق ، 6 / 4 .

[4] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الثاني ، ص : 710 – 711 .

[5] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2704 .

[6] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 5 / 235 .

وتذكر المصادر أن رجلا قال لأبي عبيدة مستفسرا : « ... يا أبا عبيدة : قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم فبالله إلا ما عرفتني من أبوك وما أصله ؟ فقال : حدثني أبي أن أباه كان يهودياً » [1] .

أما الغريب في الأمر ، فهو أن أبا عبيدة وبالرغم من علمه الغزير باللغة ، وروايته لأشعار العرب ومعرفته بغريب ألفاظها ، إلا أنه كان « إذا قرأ البيت لم يقم إعرابه وينشده مختلف العروض ... ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره » [2] ، كما كان أبو عبيدة « يخطئ إذا قرا القرآن الكريم نظرا » [3] . ومما ذكر نخلص إلى أن أبا عبيدة تميز في مجال الرواية وكان علما بشهادة الجميع إلا أنه سليط اللسان وكثير الأغلاط اللغوية .

وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي يخاطب الفضل بن الربيع ، يمدح أبا عبيدة ويذم الأصمعي [4] :

عليك أبي عُبَيدة فاصطَنعهُ	✿✿✿	فـــإن العلم عند أبي عُبيدَه
وقـــدمه وآثـــر عـــــليَّ	✿✿✿	ودع عنه القُرَيد بن القُرَيده

ونختم ترجمة أبي عبيدة بذكر رأي أبي نواس حول أعلام الرواة عند العرب في قول جامع ، إذ « قيل له : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص ، قيل له : فما تقول في خلف الأحمر ؟ فقال : جمع علوم الناس وفهمها ، قيل : فما تقول في أبي عبيدة ؟ فقال : ذاك أديم طوي على علم » [5] ، فجمع أبو نواس خصال الثلاثة من الرواة الذين كان لهم الفضل في نقل مرويات العرب غلى الرواة من بعدهم حتى استقرت في بطون الكتب .

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2705 .
[2] السابق ، 6 / 2705 .
[3] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 5 / 235 .
[4] المصدر السابق ، 5 / 238 .
[5] السابق ، 5 / 238 .

- **عبد الملك بن قريب الأصمعي** [1] – القرن 3 هـــ – :

(122 – 216 هـــ / 739 – 831 م)

يذكر ابن خلكان أن الأصمعي كان « صاحب لغة ونحو ، وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب » [2] ، لُقب بالأصمعي نسبة إلى جده أصمع ، كانت ولادته سنة 122 هـــ – وقيل : 123 هـــ – بالبصرة وقيل بمرو ، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد سمع من شفة بن الحجاج والحمادين ومشعر بن كدام وغيرهم وروى عنه عبد الرحمن بن أحيه عبد الله وأبو عبيد الله القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي ، اختلف في تاريخ وفاته ، ما بين العام 214 هـــ / إلى 217 هـــ .

وللأصمعي تصانيف كثيرة[3] منها ما طرق به باب اللغة، ككتاب (الأضداد) و(الألفاظ) و(الاشتقاق)، ومنها ما تحدث فيه عن الحيوانات مثل (الخيل) و(الإبل) و(الشاء)، وغيرها.

ومن الكتب المحققة المنسوبة للأصمعي، والتي تمكنا من الوصول إليها بصعوبة كتاب (**الأصمعيات**)[4] الذي حظي بأكثر من تحقيق ، والأصمعيات مجموعة شعرية انتقاها الأصمعي،

---

[1] ممن ترجم للأصمعي : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 3 ، ص : 170 ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420 هـــ / 2000 م ، ج 19 ، ص : 126 .

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج 3 ، ص : 170 .

[3] أورد ابن خلكان (35) مصنفا للأصمعي ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 3 / 176 .

[4] وصلنا لثلاثة نسخ محققة ، أولاها نسخة عتيقة والثانية محققة حديثا بطريقة علمية دقيقة : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، مجموع أشعار العرب ، وهم مشتمل على ثلاثة أجزاء أولاها الأصمعيات وبعض القصائد اللغوية ، (الجزء الثاني يشتمل على ديواني الأراجيز للعجّاج والزفيان وعلى أبيات مفردات منسوبة إليهما ، والجزء الثالث مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه) ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسيّ ، ليبسيغ ، برلين ، والنسخة الثانية من الأصمعيات من تحقيق وتعليق : محمد نبيل طريفي ، ط2 ، دار صادر ، 1425هـــ / 2005م ، والنسخة الثالثة من تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط3 ، دار المعارف ، مصر .

سيرا على نهج المفضليات ، ضمت مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي ، افتتح الكتاب بايراد أبيات لسُحَيْم بن وَثِيلٍ الرِياحيّ التي يقول فيها [1] :

أَنَا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثَّنايَا ✿✿✿ متَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرِفُونِي

ثم نجد (**فحولة الشعراء**) [2] ، الذي رواه عنه تلميذه أبو حاتم السجستاني ، هذا الكتاب لم يعرض له صاحب الفهرست في ترجمته للأصمعي .

وكتاب (**الخيل**)[3] الذي تناول فيه الحديث عن كل ما يتعلق بالخيل ، استشهد فيه الأصمعي بنحو ستين بيتا ، وتأتي أهمية الكتاب في كونه مصدرا نهل منه من جاء بعده .

وكتاب (**الإبل**)[4] ، الذي يعد من أنفس الكتب التي تتحدث عن الخيل وصفاتها ، تناول فيه الحديث عن كل ما يتعلق بالإبل .

إضافة إلى كتاب (**النبات والشجر**)[5] الذي تناول فيه أسماء النبات والشجر وصفاتها وما يتعلق بها .

---

[1] أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، الأصمعيات ، 17 .

[2] ينظر : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، فحولة الشعراء ، تحقيق : تشارلس تورّي ، قدم لها : صلاح الدين المنجد ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، 1389 هـ / 1971 م .

[3] ينظر : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، الخيل ، تحقيق صالح الضّامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1430 هـ / 2009 م .

[4] ينظر : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، كتاب الإبل ، تحقيق صالح الضّامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م .

[5] ينظر : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، النبات والشجر ، سعى بنشره وجمع رواياته اوغست هَفْنِر ، نشر تباعا في أعداد مجلة المشرق ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1898 م .

له أيضا (**كتاب الشّاء**) [1] الذي يمثل صورة مكتملة لوصف الشاء ، بحيث عرض فيه الأصمعي لنعوت الغنم في حملها ونتاجها وأمراضها وعيوبها وأسماء طوائفها وأولادها .

وتطالعنا المصادر التراثية أن ذاكرة الأصمعي قد استوعبت الكثير من أشعار العرب ، كيف لا وهو الذي عرّف نفسه قائلا : « أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة » [2] ، أو كما صح في باب رواة العقد الفريد أن الأصمعي قال : « ما بلغتُ الحُلُم [3] حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب » [4] ، وهذا الكم الهائل من المحفوظات واستيعاب الأشعار كان المعين الذي لا ينضب والوسيلة التي استطاع بها الأصمعي أن يكون علما يهتدى برواياته ويُرجع لمروياته .

ومن أهم الكتب التي جمعت أخبار الأصمعي (**المنتقى من أخبار الأصمعي**) [5] لمحدث عصره ضياء الدين المقدسي (569 – 643 هـ) ، الذي انتقاه بدوره من كتاب أخبار الأصمعي للإمام الربعي (255 – 329 هـ) .

ويتحدث الأصمعي عن علمه وكيف نال حظه من اللغة بقوله : « وصلت بالمِلَح [6] ونلت بالغريب » [7] ، وجمعه بين النوادر المحببة وغريب اللغة جعله يتميز عن بقية الرواة .

ويشهد إسحق الموصلي بسعة علم الأصمعي فيقول : « لم أر الأصمعي يدعي شيئا فيكون أحد أعلم به منه » [8] ، وقد تحقق له هذا لأنه كان يأخذ من فصحاء الأعراب في البادية

---

[1] ينظر : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، الشّاء ، حققه وقدم له وعلق عليه صبيح التميمي ، ط1 ، دار أسامة بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ، ج 3 ، ص : 171 .

[3] أي بلغ مبلغ الرجال .

[4] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج 6 ، ص : 156 .

[5] ضياء الدين المقدسي ، المنتقى من أخبار الأصمعي ، عني بنشره وتحقيقه مع وضع مقدمته عز الدين التنوخي ، ط1 ، 1354 هـ .

[6] أي : نوادر القول .

[7] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 2 / 78 .

[8] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 3 / 171 .

وكل الوافدين على سوق المربد إذ جعل « يُدوّن ما عندهم من ألفاظ غريبة ونوادر طريفة وشعر لم يسمع من قبل ولم تبتذل روايته ، ويكتب أخبارهم وسير أبطال أسلافهم في الجاهلية والإسلام ، ويبحث في أنسابهم وبطونهم وأفخاذهم ، ويحفظ لهجاتهم » [1] .

فلم يترك جانبا مما يروى فلم يترك جانبا مما يروى إلا وكان له حظ وافر منه مما جعل أشهر المؤلفين يعتمدون على الاستشهاد برواياته أو إيراد حوادث تاريخية ، كان الأصمعي فيها بطلا بحضور ملكته وبديهته وما كان يمتلكه من زاد لغوي وأدبي قلّ عند غيره .

فهاهو الجاحظ وهو يسترسل في الحديث عن الكلاب يقول : « وقد قال عمر رضي اللّه تعالى عنه : إيَّاكمُ وهذِهِ المجازِرَ فإنَّ لها ضرَاوَة كضرَاوَةِ الخمر ، وقال الأصمعيّ : كلب أبقَعُ وكلبةٌ بقعاء ، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء ، وتَيس أبْرَقُ وعَنْزٌ بَرْقاء » [2] .

ويستدل الجاحظ مرة أخرى بموسوعية فكر الأصمعي ومعرفته باللغة العربية في بيان الحروف التي تدخلها اللثغة [3] بقوله : « (...) وقال الأصمعيّ : إذا تتعتع اللسانُ في التاء فهو تمتام ، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء ، وأنشد لرؤبة بن العجّاج :

يا حَمْدَ ذَاتَ المنطِق التّمتامِ ✿✿✿ كأنّ وَسْواسَكِ في اللِّمامِ » [4] .

وأورد ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد جواهر من كلام الأصمعي إذ يوافينا على لسانه : « أوّل العِلَم الصَّمْت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحِفْظ ، والرابع العَمَل،

---

[1] **رحاب عكاوي ، الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، ص : 27 .**

[2] **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، ج 2 ، ص : 81 .**

[3] **ورد في الصحاح : اللثْغَةُ في اللسان ، هو أن يصيِّر الراء غيناً أو لاماً ، والسين ثاءً . وقد لَثِغَ بالكسر يَلْثَغُ لَثَغاً ، فهو ألْثَغُ وامرأةٌ لَثْغاءُ، مادة (لثغ).**

[4] **الجاحظ ، البيان والتبيين ، 1 / 37 .**

والخامس نَشْرُه » [1] ، وكأنه يسرد خطواته في سماعه للمرويات وحفظها مما مر عليه تذكرة لغيره ممن يطلب العلم .

ولم يتوان البغدادي في خزانة الأدب عن الاستشهاد بحافظة الأصمعي ، فقد كان كثيرا ما يستدل على معاني الألفاظ بمعرفة الأصمعي بها ، من ذلك قوله : « قال الأصمعي : والسنق : كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه » [2] .

والميداني بدوره حينما جمع أمثال العرب في مصنفه الشهير ، استعان بما ذكره الميداني في هذا المجال ، فقال على سبيل المثال لا الحصر – في ما أوله همزة – : « (...) إنه لواقع الطائر ، قال الأصمعي : إنما يضرب هذا ، لمن يوصف بالحلم والوقار » [3] .

وقال أيضا : « ... بينهم عطر منشم ، قال الأصمعي : منشم ، بكسر الشين ، اسم امرأة عطارة كانت بمكة، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم فكان يقال أشأم من عطر منشم . يضرب في الشر العظيم» [4].

ويبدو أن الأصمعي له أبيات شعرية مبثوثة في الكتب التراثية مثل قوله [5] :

قد أطرق الحي على سابح ✿✿✿ أسطع مثل الصدع الأجرد

لما أتيت الحي في متنه ✿✿✿ كأن عرجوناً بمثنى يدي

أقبل يختال على شأوه ✿✿✿ يضرب في الأقرب والأبعد

كأنه سكران أو عابس ✿✿✿ أو ابن رب حدث المولد

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 2 / 84 .
[2] البغدادي ، خزانة الأدب ، 1 / 87 .
[3] الميداني ، مجمع الأمثال ، ج 1 ، ص : 28 .
[4] المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 93 .
[5] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 1 / 150 .

والظاهر أن ابن قتيبة كان يرى في شعر الأصمعي ركاكة وقلة تمكن « وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة ، وكذلك أشعار العلماء ، ليس فيها شيءٌ جاء عن إسماحٍ وسهولة ، كشعر الأصمعي ... » [1] .

رغم هذا الحكم نجد الأصمعي ، لا يكتفي بنظم أبيات من الشعر ، بل نجده يعلق على الشعر وأنواعه : « (...) وقال الأصمعيّ : أحسن أنماط الشِّعر المَرائي والبُكاء على الشَبَاب » [2] ، ويقول في باب أوزان الشعر أيضا : « الزحاف[3] في الشعر كالرخصة في الفقه ، لا يقدم عليها إلا فقيه » [4] .

ويقول أيضا في آداب الشاعر : « لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ . وأول ذلك أنه يعلم العروض ؛ ليكون ميزاناً له على قوله ؛ والنحو ؛ ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه ؛ والنسب وأيام الناس ؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم » [5] ، ونجده قد جمع في هذه العبارات المختصرة بين طرق الفصاحة واكتساب الملكة الشعرية ، ونظم الشعر بلسان سليم .

وكثيرا ما كان الأصمعي يورد بيتا من الشعر وينقد قائله ، أو يفاضل بين شاعر وشاعر آخر ، من ذلك قوله : « أوس بن حجر أشعر من زهيرٍ ، ولكن النابغة طأطأ منه »[6]،

---

[1] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 1 / 70 .
[2] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، 3 / 221 .
[3] الزحاف هو : « تغيير يطرأ على ثواني الأسباب ، هو غير لازم بمعنى أن دخوله في بيت في القصيدة لا يستلزم دخوله في بقية أبياتها وهو يصيب الجزء (أي التفعيلة) حشوا كان هذا الجزء أم عروضا = = أم ضربا من البيت » . ينظر : إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ / 1991 م ، ص : 254 .
[4] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج 1 ، ص : 140 .
[5] المصدر السابق ، ج 1 ، ص : 197 – 198 .
[6] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص : 109 .

وقوله أيضا : « كان عدي لا يحسن أن ينعت الخيل » [1] ، وعن الحرث بن حلزة : « قد أقوى الحرث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ، قال :

فمَلَكْنا بذلك الناسِ إِذْ ما ✿✿✿ مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ » [2] .

كما عوتب الأصمعي أكثر من مرة على إيراده بعض الأشعار على شاكلة ما ذكره العسكري : « وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله ، كما أنَّ شعره قطعةٌ من علمه . وما أكثر من وقع من علماء العربية فيه هذه الرذيلة منهم الأصمعي في اختياره قصيدة المرقش :

هل بالدّيارِ أنْ تجيبَ صممْ ✿✿✿ لو أنَّ حيًّا ناطقاً كلّمْ

ولا أعرف على أي وجهٍ صرف اختياره إليها ، وما هي بمستقيمة الوزن ، ولا مونقة الروي ، ولا سلسلة اللفظ، ولا جيّدة السّبك، ولا متلائمة النسج » [3] .

وعلى نفس المقطوعة يقف ابن قتيبة مبرزا عجبه من استحسان الأصمعي لها : « (...) والعجب عندي من الأصمعي ، إذ أدخله في متخيره ، وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئاً يستحسنُ إلا قوله :

النَّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دنَا ✿✿✿ نِيرُ وأَطْرَاف الأَكُفِّ عَنَمْ » [4] .

والملاحظ من تتبع سيرة الأصمعي أنه كان « شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة ، فإذا سئل عن شيء منهما يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ، ولا أعلم المراد منه في الكتاب

---

[1] المصدر السابق ، ص : 206 .

[2] السابق ، 1 / 197 – 198 .

[3] العسكري ، الصناعتان ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م ، ص : 03 .

[4] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 1 / 43 .

والسنة أي شيء هو » [1] ، خوفا من الوقوع في الخطإ وتحمل إثمه ، كما كان « لا يروي رغم قوة حافظته وذكائه إلا القليل من الأحاديث ، وهو إلى ذلك لا يفسرها » [2] .

وللأصمعي أخبار ونوادر مبثوثة في الكتب التراثية ، ومما ذكره الأصمعي : « وقال الأصمعي : حضرت أنا وأبو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع [3] فقال لي : كم كتابك في الخيل ؟ فقلت : جلد واحد ، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلدة ، فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك عضواً عضواً منه وسمه ، فقال : لست بيطاراً ، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب ، فقال لي : قم يا أصمعي وافعل ذلك ، فقمت وأمسكت ناصيته وشرعت أذكر عضواً عضواً وأضع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه ، إلى أن فرغت منه ، فقال : خذه ، فأخذته ، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه » [4] .

لقد كان للأصمعي بصمات خالدة لا يمكن أن يتجاهلها كل باحث أعور في اللغة العربية أو دارس للتراث الأدبي العربي لأنه كان « من أصدق الرواة في اللغة والدب والشعر والأخبار » [5] .

ولعل أبا العتاهية يلخص لنا مكانة الأصمعي لما رثاه بقوله :

أَسِفتُ لِفَقدِ الأَصمَعِيِّ لَقَد مَضى ✿✿✿ حَميداً لَهُ في كُلِّ صالِحَةٍ سَهمُ
تَقَضَّت بَشاشاتُ المَجالِسِ بَعدَهُ ✿✿✿ وَوَدَّعَنا إِذ وَدَّعَ الأُنسُ وَالعِلمُ
وَقَد كانَ نَجمُ العِلمِ فينا حَياتَهُ ✿✿✿ فَلَمّا انقَضَت أَيّامُهُ أَفَلَ النَجمُ [6]

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 3 / 172 .
[2] رجاء عكاوي ، الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، ص : 47 .
[3] ويقال عند هارون الرشيد .
[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 3 / 172 .
[5] رجاء عكاوي ، الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، ص : 49 .
[6] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 19 / 129 .

ولم ينس الشعراء المحدثون فضل الأصمعي ونبوغه ، فنجد منهم الذي يزين أبياته بذكر اسم هذا العلم ، فهذا هو محمود سامي البارودي رائد الشعر الحديث يقول في إحدى قصائده مادحا الأمير شكيب أرسلان معتمدا على اسم الأصمعي وصيته ، كي يرقى مديحه وتسمو صورته الشعرية :

أَحْيَا رَمِيمَ الشِّعْرِ بَعْدَ هُمُودِهِ ✿✿✿ وَأَعَادَ لِلأَيَّامِ عَصْرَ الأَصْمَعِي [1]

- **المفضل الضبي**[2] – القرن 3 هـ – :

هو المفضل بن يعلى أبو عبد الرحمن الضبي « الراوية الأديب النحوي اللغوي ، كان من أكابر علماء الكوفة ، عالماً بالأخبار والشعر والعربية صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار والنوادر والمِلح والغرائب » [3] .

يوصف بأنه كان ثقة ثبتا [4] ، تعرف رواياته بالصحة ولا أدل على هذا من الحادثة التي ساقها ياقوت الحموي في ترجمته للمفضل الضبي ، إذ تغلب على جملة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها [5] ، مما يدل ما للمفضل الضبي من سعة علم وتفوق على معاصريه.

ولعلمه الغزير بأخبار العرب وأقوالهم نجد عبارة : (قال المفضل الضبي) تتصدر الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية والأخبار ، من ذلك قول الميداني شارحا للمثل القائل (لا يملك مولى لمولى نصراً) قال : « قال المفضل : إن أول من قاله النعمان بن المنذر ، وذلك أن العيار بن عبد الله الضبي كان يعادي ضرار بن عمرو ، وهو من أسرته ، فاختصم أبو مرحب

[1] **محمود سامي البارودي باشا ، الديوان ، حققه وضبطه علي الجارم ، محمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، 1998 م ، ص : 335 .**

[2] **ممن ترجم للمفضل الضبي : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2710 – 2712 .**

[3] **المرجع السابق ، 6 / 2710 .**

[4] **ينظر : السابق ، 6 / 2710 .**

[5] **ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2710 .**

اليربوعي وضرار بن عمرو عند النعمان في شيء فنصر العيار ضراراً ، فقال له النعمان : أتفعل هذا بأبي مرحب في ضرار ، وهو معاديك ؟ فقال العيار : آكل لحمي ولا أدعه لآكل ، فعندها قال النعمان : لا يملك مولى لمولى نصراً ، وتقديره لا يملك مولى ترك نصر أو ادخار نصر لمولاه . يعني أنه يثور به الغضب له فلا يملك نفسه في ترك نصرته » [1] .

وقول المظفر العلوي في وصف الشعر وأحكامه : « (...) وقال ابن الأعرابي : قال المفضلُ الضبّيُّ : سألتُ أعرابياً عن البلاغةِ فقال : الإيجازُ في غير عجْزٍ ، والإطْنابُ في غير خَطْلٍ» [2] .

كما كان للمفضل الضبي آراء في ما يخص الشعراء ، ومعروف أنه كان يقدم الشاعر الفرزدق تقدمة شديدة [3] .

وللمفضل من التصانيف : « كتاب الاختيارات ، كتاب معاني الشعر ، كتاب الأمثال ، كتاب الألفاظ ، كتاب العروض ، المفضليات »[4] ، طبع منهم – حسب علمنا وبعد وصولنا إليها – كتاب (**المفضّليات**) ، من أقدم ماوصل إلينا من الاختيارات الشعرية جمعها المفضل الضبي الذي المفضّل إلى الجيِّد من الشعر القديم فاختار منه مجموعة ، هذه المختارات الشعرية حظيت بعناية القدماء ، فشرحوها شروحًا وافيةً مفيدةَ ، وفي مقدمتها شرح الأنباري (ت 305 هــــ - 918م)، وكذا المحدثون من أمثال أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون.

---

[1] الميداني ، مجمع الأمثال ، ج 1 ، ص : 214 .

[2] المظفر العلوي ، نضرة الإغريض في نصرة القريض ، تحقيق : نهى عارف حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1396 هــ / 1976 م ، ص : 18 .

[3] ينظر : ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الثاني ، ص : 299 .

[4] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2712 .

وقد عثرنا على تحقيقين للمفضليات ، أقدمهما التي قام بمقابلة نسخها كارلوس يعقوب لايل[1] ، وثانيها من تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر (ت 1418 هــ) ، وعبد السلام محمد هارون (ت 1408هــ - 1988 م) [2] .

وقد جمع المفضل الضبي قصائد الشعراء المقلين في الجاهلية ، وأوائل الإسلام ، ثم أخذ الرواة، بعد ذلك يتناقلون هذا التراث جيلاً بعد جيل ، من ذلك اختياره لهذه الأبيات لعمرو بن أهتم بن سمى السعدي المنقري يقول فيها :

لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلاَدٌ بأَهْلِهَا ✿✿✿ ولكنَّ أَخلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ

نَمَتْنِي عُرُوقٌ من زُرَارَةَ لِلْعُلَى ✿✿✿ ومنْ فَدَكِيٍّ والأَشَدِّ عُرُوقُ

مكارِمُ يَجْعَلْنَ الفَتَى في أَرومَةٍ ✿✿✿ يَفَاعٍ، وبعضُ الوالِدِينَ دَقِيقُ [3]

وله أيضا تصنيف آخر لا يقل أهمية عن المفضليات ، أسماه (**أمثال العرب**) [4] ، عدّها النقاد والعارفون بالأدب أقدم مجموعة وصلتنا من الأمثال ، وأصبح مصدرا لكل من طرق هذا الباب من النثر بعده ، وتدور فكرة كتاب أمثال العرب حول مجموعة من الأمثال العربية يذكر موردها ومضربها ، ولا غنى لدارس الأدب العربي في عصوره الأولى من الاستئناس بما جاد به المفضل الضبي .

---

[1] ينظر: أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، ديوان المفضليات ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواش وروايات كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان .

[2] ينظر: أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، ديوان المفضليات ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط 6 ، دار المعارف ، مصر .

[3] أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، ديوان المفضليات ، ص : 20 .

[4] أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، أمثال العرب ، قدّم له وعلّق عليه إحسان عباس ، ط2 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1403 هــ / 1983 م .

وهناك رواة آخرون ، لا يسعنا في هذا المبحث ذكرهم ، لأننا اكتفينا في ما سبق بالتمثيل فحسب ، نذكر من بقية الرواة : أبو سعيد بن أوس الأنصاري (119 – 215 هـ / 737 – 830 م) [1] ، الذي يعتبر من أقدم الرواة الذين نقل عنهم الكثير من الروايات، وابن الأعرابي (- 231 هـ) [2] ، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (- 235 هـ)[3] ، وابن الكلبي (- 206 هـ) [4] وغيرهم.

---

[1] من أهم كتبه التي وصلنا إليها : المطر ، عُني بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، **1905** م ، وكتاب الهمز ، عُني بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، **1911** م .

[2] من أهم كتبه : أسماء خيل العرب وفرسانها ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط**2** ، **1430** هـ / **2009** م .

[3] من أهم كتبه : أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، المذكر والمؤنث ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مطبوعات مركز جمعة الماجد – دار الفكر ، الطبعة الأولى ، **1418**هـ – **1997**م ، وكتاب المعمرين من العرب و طرف من أخبارهم و ماقالوه في منتهى أعمارهم ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، **1323**هـ / **1905**م.

[4] من أهم كتبه : نسب الخيل ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط**1** ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، **1423** هـ / **2003** م .

الباب الأول

- الرواية في الحديث النبوي الشريف
- رواية الأخبار والأنساب والقصص والمغازي
- الجمع والتدوين

الفصل الأول

الرواية في الحديث النبوي الشريف

لقد خلق الله الإنسان و لم يتركه هملا بل ألهمه التمييز بين الخبيث والطيب وبعث الرسل إلى مختلف الأمم إلى أن ارتضى ربنا لنا الإسلام دينا « ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ »[1] ، وكان النبراس في هذه الدعوة الربانية هو القرآن الكريم فوصلت هداية الله إلى الخلق أجمعين « إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ » [2] ، وجاءت السنة النبوية لتوضح وتفسر وتعلم المسلم أمور دينه ودنياه ، والرواية في الخبر الديني هي رواية للقرآن الكريم (القراءات) والحديث النبوي الشريف والحديث القدسي ، وليس علينا أن نتتبع الأول والأخير إلا موجزا مختصرا والتركيز يكون على رواية الحديث النبوي الشريف.

أوّلا: رواية القرآن الكريم (قراءاته)

لقد تولى الله ﷻ حفظ القرآن مصداقا لقوله تعالى: « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ »[3]، وهو محفوظ في صدور المسلمين بنصه وتلاوته ، وهذا «النص المكتوب واحد لا تغير فيه وهو يحتمل عدة قراءات (روايات)، فالقراء إذن هم رواة القرآن أنفسهم ، والرواية ها هنا قد تأخذ مصطلحات متفاوتة على شاكلة (الطريق/الوجه/الصورة)، وتعرف القراءات في اصطلاح القراء على أنها «وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية أو التصريفية أو النحوية»[4].

والحديث عن نزول القرآن على سبعة أحرف له أكثر من رواية ، وقد تصدى لبيان هذه الأحرف السبعة العديد من العلماء القدماء منهم والمحدثين ، أما الذين اشتهروا بإقراء القرآن من الصحابة فهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت

---

[1] المائدة : 03 .
[2] الإسراء : 09 .
[3] الحجر : 09 .
[4] السيد رزق الطويل ، في علوم القراءات ، – مدخل ودراسة وتحقيق – ، ط 1 ، الفيصلية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 1405 هـ / 1985 م ، ص 27 .

وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري ، وعنهم أخذ جمع من الصحابة ، وعنهم وعن غيرهم أخذ التابعون في الأمصار والحواضر ، أما أشهر القراء بعد الصحابة فهم القراء السبعة ويليهم العشرة فالأربعة عشر [1] ، فرواية القرآن الكريم تنسب لأحد رواته عن قارئ معلوم كأن يقال رواية حفص عن عاصم أو رواية قالون عن وغير ذلك .

ومن العلماء من جعل القراءات سبعا [2] ، ومنهم من جعلها ثمانيا [3] ، ومنهم من جعلها عشرا[4] ، ومنهم من جعلها اثنتي عشرة قراءة [5] ، ومنهم من ألّف عن أربع عشرة قراءة [6] .

والذي نعتقده في هذا الباب هو ما ذهب إليه شيخ القراء الداني بقوله أن : « القرآن منزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، وحق وصواب ، وأن الله تعالى قد خير القراء في جميعها وصوبهم إذا قرؤوا بشيء منها »[7] ، ومعلوم ما لمكانة الداني بين علماء القراءات القرآنية والتأريخ للقرآن الكريم .

---

[1] ينظر : السيوطي ، مختصر الإتقان في علوم القرآن ، اختصار صلاح الدين أرهقدان ، ط 2 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1407 هـ / 1987 م ، 99 / 100 ، والقراء العشرة هم نافع المدني ، ابن كثير المكي ، أبو عمرو بن العلاء ، عبد الله الشامي ، وحمزة الكوفي ، وأبو الحسن الكسائي ، وأبو جعفر المدني ، ويعقوب البصري ، وخلف العاشر .

[2] منهم : ابن خالويه ، ينظر ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط 3 ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، 1399 هـ / 1979 م ، و ابن خلف الأنصاري ، كتاب الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1403 هـ .

[3] منهم : ابن غلبون المقرئ الحلبي ، دراسة وتحقيق أيمن رشدي سويد ، ط 1 ، 1412 هـ / 1991 م .

[4] منهم : محمد إبراهيم محمد سالم ، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر ، دار البيان العربي ، دار الأزهر .

[5] منهم: أبو علي الحسن المالكي البغدادي، الروضة في الكتابات الإحدى عشرة، تحقيق نبيل بن محمد إسماعيل، 1415هـ

[6] منهم : أحمد بن محمد البنا ، إتحاف فضلاء البشر المسمى : منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، 1407 هـ / 1987 م .

[7] أبو عمرو الداني ، الأحرف السبعة للقرءان ، تحقيق عبد المهيمن طحان ، ط 1 دار المارة للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1418 هـ / 1997 م ، 60 .

إن مسار رواية القرآن العظيم مرَّ عبر مراحل بدءا من تنزله على الحبيب المصطفى ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام ، إلى تلقي الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم من الرسول ﷺ، ثم القرَّاء.

ومن أمثلة الاختلاف في القراءات [1] ، نورد الاختلاف الذي جاء في قراءة سورة المسد ، التي يقول عز وجل فيها :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

ففي قوله تعالى : « تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ » [2] ، خلاف ، إذ قرأ ابن كثير : « يَدَآ أَبِي لَهَبٍ » ، بإسكان الهاء ، والباقون بفتحها ، بينما في قوله تعالى : « وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ » ، قرأها عاصم بنصب التاء والباقون برفعها .

---

[1] سنركز على اختلاف القراءات في الفصل الخاص بالتدوين ، وذلك بإعطاء أمثلة متنوعة عنها .

[2] ينظر على سبيل المثال : أبو عمرو الداني ، التيسير في القراءات السبع ، 225 ، وابن خلف الأنصاري ، كتاب الإقناع في القراءات السبع ، 814 – 815 .

ثانيا : رواية الحديث النبوي الشريف ورواته:

1 – رواية الحديث الشريف :

لقد بدأ نزول الوحي على خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم بخطاب يحث فيه الله نبيه على القراءة ، قال تعالى : « ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ » [1] ، بل وحثه بعد ذلك للاستزادة من العلم ، فقال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ » [2] .

وجعل الله مكانة خاصة لأولي العلم ، كما جاء في قوله تعالى : « يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ » [3] ، وغير هذه الشواهد الصريحة كثيرة في الذكر الحكيم ، وكلها تنم عن سعي الإسلام الحثيث إلى اكتساب العلم وتعليمه .

و لم ينحصر الحث على طلب العلم ، والتعليم على آي القرآن العظيم ، بل نلفي معلم البشرية صلى الله عليه وسلم يجعل من طلب العلم فريضة فيقول صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ» [4] ، ليس هذا فحسب بل حث رسولنا صلى الله عليه وسلم على تبليغه ، وجعل

---

[1] العلق : 1 – 5 .

[2] طه : 114 .

[3] المجادلة : 11 .

[4] الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة ، سنن ابن ماجة ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م ، ج 1 ، ص 214 – 215 (224) ، وفي إسناده حفص بن سليمان ، قال الترمذي : بَزَازٌ كُوفِيٌّ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ . الجامع الكبير ، ج 5 ، ص 29 . وضعفه البيهقي . ينظر : السنن الكبرى ، ج 5 ، ص 403 تعليقا على الحديث رقم (10275) . وقال الذهبي : ثبت في القراءة ، واهي الحديث ، قال البخاري : تركوه . ينظر : الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي ، الكاشف في معرفة من له رواية

لطلاب العلم منزلة مميزة ، وكان صلى الله عليه وسلم في هذا قدوة ، لمن يبغي علما نافعا منزلة العالم أو المتعلم ، فما فائدة العلم إذا بقي سجين الصدور ولا ينتفع به الغير ؟

يقول الرسول ﷺ: «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً ، سَهَّلَ اللّٰهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىٰ الْجَنَّةِ ... »[1]، مما يدل على أهمية طلب العلم ونشره، ومن هذا المنطلق عُدّ نشر العلم الشرعي في أيام رسول الله ﷺ مسؤولية من سمع حديثا أو بلغه بدليل قوله ﷺ :« نَضَّرَ الله أمْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[2] .

لقد عني المسلمون بتحصيل العلوم بمختلف أنواعها من ذلك اهتمامهم بالعلوم الدينية المشتملة على القرآن وتفسيره والحديث النبوي الشريف وروايته ، واستنباط الأحكام الشرعية والفقهية من فتاوى ومسائل شرعية ، وغير ذلك مما له صلة بالدين ، وما يهمنا هو (**علوم الحديث**) أو (**مصطلح الحديث**) .

في الكتب الستة ، وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي ، قابلهما بأصل =مؤلفيهما ، وقدم لهما وعلق عليهما محمد عوامة ، وخرج نصوصهما أحمد محمد نمر الخطيب ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، جدة ، ج1 ، ص 341 . والإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، مسند أبي يعلى الموصلي ، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط 2 ، 1410 هـ / 1989 م ، بيروت ، ولفظه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، بثلاثة أسانيد كلها عن أنس رضي الله عنه ، الأول فيه حفص بن سليمان ، ج 5 ، ص 223 (2837) ، والثاني وفيه مجهول (رجل من أهل الشام) ، ج 5 ، ص 283 (2903) ، أما الثالث ج 7 ، ص 96 (4035).

[1] مسلم ، صحيح مسلم ، ص1447 – 1448 (2699) .

[2] أبو داوود ، كتاب السنن ، ج 4 ص 244 (3652) ، والترمذي وقال : حَدِيثُ زَيْدِ بنِ ثَابتٍ حديثٌ حسنٌ . الترمذي ، الجامع الكبير ، ج 4 ، ص 393 – 394 (2656) ، والإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م ، ج 1 ، ص 302 – 303 (235) ، ولفظه : « نَضَّرَ اللَّهُ امْرءاً سَمِعَ مِنَّا حديثاً فَحَفِظَهُ فَأَدَّاهُ إلى مَنْ هُوَ أحْفَظُ مِنْهُ ، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ ليسَ بفقيهٍ ، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ... » ، وغيرهم .

وقد اتفق علماء الحديث على اشتمال هذا العلم على مبحثين رئيسين: « أحدهما : **علم الحديث روايةً** ، والآخر **علم الحديث درايةً** » [1] ، وكثيرا ما نجد هذين المصطلحين في مصنفات الحديث المتأخرة ، وأقدمُ مَن وقفنا على كلامه في التفريق بين الحديث (روايةً ودرايةً) هو أبو عاصم النبيل (ت 214 هـ) أحد شيوخ البخاري ، إذ ورد في المحدث الفاصل : « سمعتُ أبا عاصم النبيل يقول : الرئاسةُ في الحديث بلا درايةٍ رئاسةٌ نذلةٌ » [2] ،

إنَّ علم الحديث رواية –ما سنركز عليه في بحثنا– هو علم يقوم على نقل أحاديث النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته نقلا محررا، وروايتها بدقة وضبط ، وتحرير ألفاظها بمعرفة وأمانة ، فلا يتعدى بذلك نقل الحديث بدقة ، بينما علم الحديث دراية ، فيقوم على مجموعة من الأسس من أهمها التمحيص والنقد لمعرفة حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها ورجال الرواة والحديث المروي[3] من حيث القبول والرد وفقه النص ، فيتناول بذلك متن الحديث وسنده على حد السواء ، وكما أوردنا فلو نظرنا في كتب المتقدمين ما وجدنا هذا التقسيم ، وإنما جاء من المتأخرين تسهيلا وتيسيرا على طالب العلم .

ومن ثمرة معرفة المقبول من الحديث والمردود منه[4] فوائد عامة ، أن يثبت بالمقبول الحكم الشرعي ، أو يفصل به حكم ورد مجملا في القرآن الكريم ، أو يفسر به أمر مبهم ، وبمعرفة المردود من الحديث أيضا يعرف الموضوع أو الضعيف الذي لا يعمل به فيترك ، ويتنبه إليه المسلمون ، فلا يغترون به ، ولا يحتجون بما جاء فيه ، ولا يعملون به ، فتُحفظ بذلك الشريعة الإسلامية وتُصان ، ولا سيما الأحاديث النبوية الشريفة ، من كل دخيل وموضوع .

---

[1] محمد حمزة ، الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، والمركز الثقافي العربي ، 2005 م ، 83 .

[2] القاضي حسن الرامهرمزي ، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، قدم له محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ص : 353 .

[3] ما كان مضافا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما أضيف للصحابة والتابعين .

[4] ينظر : أحمد عمر هاشم ، قواعد أصول الحديث ، ص 08 .

وخلاصة هذا التقسيم هي أن « علم الرواية يحقق مجرد نقل الحديث ، بدقة وضبط ، بينما يهدف علم الدراية إلى معرفة القواعد التي يحكم بها على السند بالصحة أو الضعف ، كما يهدف إلى فهم متن الحديث فهما عمليا سليما » [1] ، مما يساعد على الاحتكام للأحاديث ورواتها باطمئنان سواء كدارسين أو قراء .

أ– السُنَّة النبوية مصدر الأحاديث الشريفة :

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين فتولاه الله عز وجل بعنايته وحفظه ، فقال عز وجل : « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ » [2] ، وألزمنا باتباعه ﷺ ، فقال ﷻ: « مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ » [3]، من هنا اشتدت عناية المسلمين ولا سيما العلماء منهم، بالسنة النبوية ابتداء من الصدر الأول من الإسلام بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسنة بما لم تُعْنَ به أمة قبلها ، فكان من نتائج هذه العناية الخاصة والمتابعة المركزة أن حفظوا عن الرسول ﷺ كل أقواله وأفعاله وأحواله.

ولما كان محور كلامنا عن الأحاديث النبوية الشريفة وروايتها والموسومة بأنها « المستودع الأحسن للسنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي »[4] ، كان لزاما علينا أن نتناول – ولو بشيء من الإيجاز – مفهوم السنة ، ومكانتها في الإسلام قديما وحديثا وحجيتها في التاريخ الإسلامي.

فأما السنة لغة فقد اكتسبت أكثر من معنى ، منها ما ورد في لسان العرب : « وسَنَّ الشيءَ يَسُنُّه سَنّاً ، فهو مَسْنون وسَنين وسَنَّته : أَحَدَّه وصَقَله ... وَسَنَّ الإِبِلَ إذا أَحسن رِعْيتها

[1] محمد أديب صالح ، لمحات في أصول الحديث ، 72 .

[2] النجم : 03 .

[3] النساء : 80 .

[4] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، المكتب الإسلامي ، 1405 هـ – 1985 م ، ص : ط (المقدمة) .

والقيامَ عليها حتى كأنه صقلها ... وسَنَّ الله سُنَّة أي بَيَّن طريقاً قويماً ... وسَنَنْتُها سَنّاً واسْتَنَنْتُها : سِرْتُها ، وسَنَنْتُ لكم سُنَّةً فاتبعوها» [1] .

وإذا تصفحنا كتب التراث الأدبي العربي، لألفينا كلمة (سنة) قد وردت في أكثر من قصيدة، فها هو زهير بن أبي سلمى يقول :

أَرونا **سُنَّةً** لا عَيبَ فيها *** يُسَوّى بَينَنا فيها السَواءُ [2]

ويقول النابغة الذبياني :

ياعامِ لَم أَعرِفكَ تَنكِرُ **سُنَّةً** *** بَعدَ الَّذينَ تَتابَعوا بِالمَرصَدِ [3]

ووردت كلمة سنة عند بعض الشعراءِ الذين أدركوا الإسلام :

ويقول أبو ذؤيب الهذلي :

فَلا تَجزَعَن مِن **سُنَّةٍ** أَنتَ سِرتَها *** وَأَوَّلُ راضي سُنَّةٍ مِن يَسيرُها [4]

ويقول لبيد بن ربيعة العامري :

مِن مَعشَرٍ **سَنَّت** لَهُم آباؤُهُم *** وَالعِزُّ قَد يَأتي بِغَيرِ تَطَلُّبِ [5]

وفي بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه يقول فيه :

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 24 ، ص 2123 – 2124 .

[2] زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 15 .

[3] النابغة الذبياني ، الديوان اعتنى به وشرحه طمسو حماد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م ، مصر ، ص 45 .

[4] ديوان الهذليين ، القسم الأول : شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤية ، ط 2 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1995 م ، ص 157 .

[5] لبيد بن ربيعة ، الديوان، اعتنى به حمدو طماس ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 26 .

إنَّ الذَوائِبَ مِن فِهرٍ وَإِخوَتَهُم *** قَد بَيَّنوا **سُنَّةً** لِلناسِ تُتَّبَعُ [1]

ويقول أنيف الطائي في بيتين من نفس القصيدة :

عَرَضنا كِتابَ اللَهِ وَالحَقُّ **سُنَّةٌ** *** هِيَ النِصفُ ما يَخفى عَلَينا اِعتِدالُها

فَلَمّا رَأَيناهُم يُريدونَ **سُنَّةً** *** سِوى النِصفِ ما يَخفى عَلَينا اِنفِتالُها [2]

ويقول الشاعر الفرزدق :

فَجاءَ بِـــ**سُنَّةِ** العُمَرَينِ فيها *** شِفاءٌ لِلصُدورِ مِنَ السَقامِ [3]

إذن من خلال ذكر هذه الشواهد يتبين لنا أن كلمة السنة قد « استعملها الشعراء في الجاهلية والإسلام بمعناها اللغوي أي الطريقة المتبعة سواء كانت حسنة أو قبيحة » [4] ، وذاك ما أظهرته الشواهد الشعرية التي أثبتناها لهذا الغرض .

وقد وردت كلمة (السُنَّة) في القرآن الكريم ، في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى : « يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾

---

[1] حسان بن ثابت الأنصاري ، الديوان ، وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ص 248 .

[2] محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1999 م ، المجلد السابع ، ص 73 ، 74 .

[3] الفرزدق ، الديوان (مع الشرح) ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها ايليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط 1 ، 1983 م ، ج 2 ، ص 536 .

[4] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، ص 03 .

»[1] ، والسنن في الآية الكريمة بمعنى « طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضـــاها » [2] ، فمال بذلك المعنى إلى الإيجابية أكثر منها إلى السلبية.

ووردت في قوله جل وعلا : « قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ » [3] ، والمراد من الآية أنه « قد مضت سنتنا في الأولين أهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة» [4] ، ويقول الله تعالى في سورة الفتح أيضا : « سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ » [5] ، فقول الله تعالى « سُنَّةَ ٱللَّهِ » في الآية الكريمة ، معناه كسنة الله ، والسنة «الطريقة والسيرة »[6]، ومن ثم فهذه النصوص القرآنية تفيد بأن كلمة (السنة) قد استخدمت «بمعنى الطريقة والعادة» [7] .

كما استعملت كلمة (السنة) في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، بحيث رُوي أنه ﷺ قال: « لتَتَّبِعن سَنَنَ من كان قبلكم شِبراً شبراً وذِراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبعتموهم . قلنا : يا رسولَ اللَّه اليهود والنصارَى ؟ قال : فَمن ؟ » [8] .

---

[1] النساء : 26 .

[2] الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجماوي ، علي أحمد عبد الباقي ، حسن عباس قطب ، مؤسسة قرطبة ، ط 1 ، 1421 هــ / 2000 م ، ج 3 ، ص 442 .

[3] الأنفال : 38 .

[4] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص 75 .

[5] الفتح : 23 .

[6] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1427 هــ / 2006 م ، ج 19 ، ص 322 .

[7] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، ص 03 .

[8] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 492 (3456) .

والسنة في هذا الحديث الشريف كما ذكر ابن حجر : « بفتح السين للأكثر ، وقال ابن التين قرأناه بضمها ، وقال المهلب بالفتح أولى لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق . قلت : وليس اللفظ الأخير ببعيد من ذلك » [1] .

كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا كأَنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأينَ نحنُ منَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قد غَفر اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر . قال أحدُهم : أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبداً . وقال آخر : أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبداً . فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتُم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأُفطر ، وأصلِّي وأرقُد ، وأتزوجُ النساء ، فمن رغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مني» [2] .

قال ابن حجر العسقلاني في معنى هذا الحديث: « المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره ، والمراد من ترك طريقتي والأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه ، وطريق النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل » [3] .

كما وردت لفظة (السنة) في حديث آخر ، إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا . وَلاَ يَنْقُصُ

---

[1] الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، برواية أبي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبة الحمد ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م ، ج 13 ، ص 313 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 354 (5063) .

[3] ابن حجر العسقلاني ، ج 9 ، ص 07 – 08 .

مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [1] .

وفي الحديث النبوي دليل على أن السنة هي العمل بأمر ما كان ومحاكاته ، وفيه عظم الجزاء حرصا من النبي على نشر الخير وبغض الشر .

في ضوء ما سبق من عرض للأحاديث النبوية التي وردت فيها لفظة سنة يتضح لنا أن كلمة السنة قد استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم « بمعناها اللغوي أي الطريقة» [2].

لكن السنة لم تبق في دائرة هذا المعنى[3]، بل انتقلت من هذا المعنى العام إلى معان اصطلاحية عند أهل الشرع حسب اختلاف الأغراض التي اتجهوا إليها من أبحاثهم .

فهي عند علماء علوم الحديث كل ما أُثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خَلقية أو خُلُقية ، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أم بعدها [4] ، فالسنة بهذا المعنى عند المحدثين هي مرادفة للحديث النبوي عموما.

بينما السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه الذين يهتمون بوضع القواعد التي يتم بموجبها استخلاص الأحكام الشرعية من نصوص الأحكام ، فهي « كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، غير القرآن الكريم ، من قول أو فعل أو تقرير ، مما يصلح أن يكون مصدرا لحكم شرعي » [5] ، ومن هذا يقول الأصولي لما يتحدث عن حكم من الأحكام ويقره : « هذا الحكم ثابت بالسنة لا بغيرها من الأدلة» [6] .

من ذلك قوله ﷺ حول موضوع المواريث: « إِنَّ الله قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ فَلاَ

---

[1] مسلم ، صحيح مسلم ، 1437 – 1438 (1017) .

[2] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، ص 05 .

[3] محمد محمد أبو زهو ، الحديث والمحدثون – أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية – ، ط 2 ، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1404 هـ / 1984 م ، ص 09 .

[4] ينظر : طالب عبد الرحمن ، السنة عبر العصور ، ج 1 ، وهران ، 1403 هـ / 1982 م ، 3 ، 4 .

[5] نفسه : 04 .

[6] شعبان محمد إسماعيل ، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ، 19 .

وَصِيَّةَ لِوَارِث » [1] ، فهو حكم ثابت لا يحتاج لدليل مصاحب ، أوكأدائه صلى الله عليه وسلم للصلوات الخمس [2] – على سبيل المثال – أداء فعليا ، ويقول الرسول ﷺ في هذا الصدد: «صلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرتْ الصلاةُ فليؤذنْ لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم » [3] .

والشاهد أنه قد أثبتت صفة واضحة لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم رواها المحدثون الثقات ، فقد رُوي أن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ : « سَمِعْتُ أَبَا حُمَيْدٍ السَّاعِدِيَّ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ. فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ : أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ . قَالُوا : لِمَ؟ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتَ بِأَكْثَرِنَا لَهُ تَبَعَةً ، وَلاَ أَقْدَمَنَا لَهُ صُحْبَةً. قَالَ: بَلَىٰ. قَالُوا : فَأَعْرِضْ . قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَبَّرَ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ . وَيَقِرَّ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ فِي مَوْضِعِهِ . ثُمَّ يَقْرَأُ . ثُمَّ يُكَبِّرُ ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُعْتَمِداً . لاَ يَصُبُّ رَأْسَهُ وَلاَ يُقْنِعُ. مُعْتَدِلاً . ثُمَّ يَقُولُ : «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ . حَتَّى يَقِرَّ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى مَوْضِعِهِ . ثُمَّ يَهْوِي إِلَى الأَرْضِ وَيُجَافِي بَيْنَ يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ . ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَثْنِي عَظْمٍ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ. ثُمَّ يَقُومُ فَيَصْنَعُ فِي الرَّكْعَةِ الأُخْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ . ثُمَّ إِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ، كَمَا صَنَعَ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلاَةِ . ثُمَّ يُصَلِّي بَقِيَّةَ صَلاَتِهِ هٰكَذَا. حَتَّى إِذَا كَانَتِ السَّجْدَةُ الَّتِي يَنْقَضِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخَّرَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْسَرِ، مُتَوَرِّكاً . قَالُوا: صَدَقْتَ. هٰكَذَا كَانَ يُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ » [4].

---

[1] أبوداوود ، كتاب السنن ، ج 3 ، ص 395 (2862) ، وكتاب الإجارة ، باب في تضمين العارية ، والترمذي ، الجامع الكبير ، ج 3 ، ص 620 – 621 (2120) ، بلفظ : « إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أَعْطَى لكُلِّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ » ، وقال : وهو حديثٌ حسنٌ . ج 3 ، ص 621 – 623 (2121) ، بلفظ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَةَ لِوَارِثٍ وَالْوَلَدُ لِلفِرَاشِ ولِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 4 ، ص 277 – 278 (2712) ، وغيرهم .

[2] وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ط 2 ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1405 هـ / 1984 م ، 495 .

[3] ينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج 2 ، ص 486 – 487 (3856) .

[4] ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 2 ، ص 271 – 272 (1060) .

أو ما أقرَّه [1] بسكوته وعدم إنكاره ، أو بموافقته ، لما صدر من الصحابة من أقوال أو أفعال ، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ : « خرج رجلان في سفر فحضرتهما الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيداً طيباً فصليا ثم وجدا الماء بعد في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة بوضوء و لم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك فقال للذي لم يعد أصبت السنة وأجزتك صلاتك وقال للذي توضأ وأعاد لك الأجر مرتين» [2] ، فإعادة الوضوء من عدمه أقرها رسول الله ﷺ ، و لم يلم أحدهما على فعله .

ونأتي إلى السنة في اصطلاح الفقهاء ، فهي « كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم و لم يكن من باب الفرض ولا الواجب ، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب » [3] ، وكثيرة هي السنن التي تنضوي تحت هذا النوع ، منها « سنن الصلاة والوضوء يترجح جانب فعلها بالحث عليها ، وليس في دليل ترجيح فعلها ما يحرم تركها » [4] ، فالحث هنا غير الفريضة ، وعمل السنن اختياري لا إجباري .

ولا نحصر السنة على ما ذكرناه بل زاد بعض العلماء « أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم» [5] ، والشاهد في هذا ما ورد عن الرسول ﷺ قوله : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ . لَيْلُهَا كَنَهَارِها . لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ . مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً. فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ . عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ . وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ . وإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا . فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كالْجَمَلِ الأَنِفِ . حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ » [6] .

وفي ما يلي نتتبع ما للسنة النبوية من مكانة مميزة في التشريع الإسلامي ، وكيف عدت من الأهمية بما كان بعد القرآن الكريم .

---

[1] طالب عبد الرحمن ، السنة عبر العصور ، 05 .
[2] الدارمي ، سنن الدارمي ، ج 1 ، ص 576 (771) .
[3] طالب عبد الرحمن ، السنة عبر العصور ، 05 ، 06 .
[4] شعبان محمد إسماعيل ، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ، 21 .
[5] محمد أبو شهبة ، في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة ، سلسلة البحوث الإسلامية ، 1415 هـ / 1995 م ، 10 .
[6] ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 1 ، ص 71 – 72 (42) .

ب– مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي :

من الأمور اليقينية أنه لا خلاف عند أهل السنة والجماعة أن القرآن العظيم هو «المصدر الأول في التشريع الإسلامي والسنة هي الأصل الثاني » [1] ، هذه السنة النبوية المطهرة التي جاءت في قوله عز وجل مخاطبا نبيه ﷺ: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ » [2] .

فللسُنة إذن مكانة بالغة في التشريع الإسلامي ، فهي « المصدر الثاني للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره تشريعا ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره أخلاقا » [3] ، وقد اتُّفق على قبول ما جاءت به السنة المشرفة ، ولا أدل على هذا من اهتمامهم المميز بها ، وبذل الجهد الجهيد لحفظها وصيانتها .

وحينما اصطفى الله تعالى محمدا ﷺ ليكون سراجا للعالمين ، لذا فطاعته واجبة ، والعمل بسنته ﷺ لازمة ، وقد اتفق العلماء على حُجَّية السنة حتى اعتبر « من يرد السنة المتواترة – بعد التيقن من صدقها بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم – فقد رد نصا من نصوص الله يجب استتابته منه ، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعه » [4] .

وليس أدل على حجية السُنة المطهرة من منزلتها من القرآن الكريم ، فهي « مبينة له وشارحة ، تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من إيجاز » [5] ، مصداقا لقوله تعالى : « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

[1] محمد محمد أبو شهبة، في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة، سلسلة البحوث الإسلامية، 1415 هـ/ 1995 م، 11
[2] النحل : 44 .
[3] عبد الحليم محمود ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ص 26 ، 27 .
[4] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج 2 ، 33 .
[5] محمد محمد أبو شهبة ، في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة ، ص 15 .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ » [1] ، وقوله تعالى : « وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ » [2] ، وغيرهما من الآيات الدالة على ما ذكرناه ، إذن ، فموقع الحديث من القرآن ، هو « موقع المُبَيِّن من المبيَّن ، وهذا البيان ليس قاصرا على مجرد التفسير ، بل له أوجه عديدة تجعل العمل بالقرآن في أركان أبنيته العظيمة مفتقرا على السنة لا يستغني عنها » [3] ، وهذا هو المعمول به عند العوام والخواص .

ومما يدل على حجية السنة [4]فكانت وظيفة الرسول ﷺ المبين لما أشكل من كتاب الله ، وبعد هذا هل يتفق رفض ما شرحه من الكتاب مع الإيمان بالكتاب نفسه ، أليس هذا إنكارا للكتاب نفسه ؟

نضيف أيضا عصمته ﷺ عن الكذب في الخبر البلاغي ، ومن المعلوم أن يكون بطريقتين اثنتين ، وقبول الأولى يدفع بنا إلى قبول الثانية ، فتبليغ الأحكام كما يكون بالخبر القولي — يكون بالفعل والتقرير والأمر بالمعروف وبالنهي فإن ذلك كله من البلاغ ، فلا ضلال إذن في التمسك بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

جـ – الموقف العدائي للسُّنة النبوية بإنكار الأحاديث والطعن في رُواتها:

إن العداء للسنة ليس جديدا ، بل هو قديم قدم الحقد على هذا الدين القويم ، فمثلما كان هناك من استجابوا لدعوة الرسول ﷺ ، وتلقوا سنته المطهرة بقلوب مخلصة ، حاول المشككون أن يطعنوا في حجية السنة ، ويقللوا من أهميتها ، ومكانتها في حياة المسلم ، ويطعنون في صحابة رسول الله ﷺ، ويشككون في طريقة حفظ أئمة الحديث ورواته ، وهدفهم

---

[1] النحل : 44 .
[2] النحل : 64 .
[3] نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 22 .
[4] ينظر : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، 12 ، 282 ، و: عبد الغني عبد الخالق ، حجية السنة ، الوفاء للطباعة والنشر ، 282 .

في ذلك الكيد للإسلام ، ومحاولة العبث بعقول الضعاف من المسلمين ، أو الذين يجهلون الإسلام من غير المسلمين ، إذ كيف يمكن « الجمع بين دعوى الالتزام بتعاليم الإسلام ، وإنكار حجية السنة النبوية » [1] ، وليس من المنطقي الإيمان بالقرآن الكريم مع تجاهل أو تشكيك في السنة النبوية .

فظهرت نتيجة ذلك بعض المؤلفات التي سلك مؤلفوها طريق الشك والوهم والتضليل «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾»[2]

ويعود هذا الموقف المتطرف إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم ، إذ وجد من لم يفقه مكانة السنة النبوية ، أو بالأحرى لم ينتبه لقيمتها التشريعية [3] ، فقد ورد في المستدرك للحاكم النيسبوري أنه « بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، إذ قال له رجل : يا أبا نجيد ، حدثنا بالقرآن ، فقال له عمران : أنت وأصحابك تحفظون القرآن ، أكنت محدثي عن الصلاة ، وما فيها وحدودها ؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب ، والإبل ، والبقر ، وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدت وغبت أنت . ثم قال : فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا ، فقال الرجل : أحييتني أحياك الله . قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين » [4] ، على أن هذا الاتجاه [5] لم يكن عاما شائعا في كافة البلاد الإسلامية بل إنه على الأغلب وُجد بالعراق ، كما أن تلك الحوادث كانت فردية .

[1] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، 21 .

[2] التوبة : 32 .

[3] المرجع السابق ، ج 1 ، 21 .

[4] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ومذيلة بتتبع أوهام الحاكم التي سكت عنها الذهبي لأبي عبد الرحمن الوادعي ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ، ج 1 ، ص 180 – 181 .

[5] ينظر : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، 21 .

وبنهاية القرن الثاني الهجري ، أُخمدت فتنة الطعن في حجية السنة النبوية واستمر الوضع هكذا بعد ذلك « أحد عشر قرنا على وجه التقريب »[1] ، إلى أن أوجد الاستدمار من يطعن في الدين مرة أخرى ، وممن حملوا لواء التمرد على إجماع المسلمين في الاحتجاج بالسنة المشرفة .

إذن ، نحاول من خلال هذه الأسطر القليلة توضيح آراء هذه الفئة ممن ادعوا حرية الفكر والتعبير ، بالرجوع إلى ما كتبه هؤلاء ، وما أوردوه من حجج ، ثم ما كُتب للرد على حججهم ، بدءا بالفرق الدينية ، كـ**الخوارج** ، و**المعتزلة** ، و**الشيعة** ، وبعد قرون أتى **المستشرقون** ، ليشككوا في الأحاديث النبوية ، من أمثال شاخت وجولدزيهر ومارجليوث ، إلى أن وجد من بني جلدتنا من حذوا حذوهم ، ممن اعتنقوا **العقلانية** دينا ، وعلى رأسهم توفيق صدقي ، وإسماعيل أدهم ، ونظراؤهم في شبه القارة الهندية من أمثال أحمد خان ، و غلام أحمد برويز ومحمد إقبال ، إلى أن التقف لواء إنكار حجية السنة محمود أبو رية ، فمن حق سنة الحبيب المختار صلى الله عليه وسلم ، وسيرة صحابته الأخيار رضي الله عنهم أن نبرز جوانبها المشرقة التي حاول هؤلاء طمسها ، وإلا اعتُبرنا من المقصرين .

- **قديمـــــــا :**

  - **الخوارج والمعتزلة وموقفهم من السُنَّة النبوية**

(من الأحاديث النبوية ورواتها)

ما من أحد تميز بالضلال في الفكر قديما وحديثا ، إلا ويكون في الآخرة من الخاسرين، فلا شيء غير الدين الصحيح قادر على إيصال البشرية إلى بر الأمان والاستقرار .

[1] نفسه ، ص 26 .

من هذا المنطلق ، ظهرت قديما وحديثا فرق تنتسب للإسلام وتنكر حجية السنة إما إنكارا كليا أو جزئيا ، أو تنكر على بعض الرواة روايتهم ، ومن أفكارهم ما بقيت راسخة لحد الآن ، فتاريخ الفرق الإسلامية هو « محاولة تجديدية دائمة ودائبة للفكر العقدي والفلسفي والسياسي الإسلامي » [1] ، منها ما أصاب ومنها ما أخطأ بل تمادى إلى حدود أخرجته عن الصواب ، وسنأخذ بشيء من التفصيل موقف الخوارج والمعتزلة والشيعة من السنة المشرفة والأحاديث النبوية الشريفة ورواتها .

– الخوارج والسُنَّة النبوية :

الخوارج هم إحدى الفرق الإسلامية ، فهم الذين « خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين بعد قبول التحكيم (...) وأجمعت الخوارج على أمرين لا مزيد عليهما ، أحدهما إكفارهم لعلي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بهما ، وكل هؤلاء في زعمهم كفروا ، والثاني قولهم إن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر ويكون في النار خالدا مخلدا » [2] ، وإن كان هناك عقائد أخرى لهذه الفرقة غير ما ذكرنا وتبقى فرعية بعيدة عن مجال درسنا في هذا المبحث .

وقد عُرف عن فرقة الخوارج[3] رد ما روى بعض الصحابة ، وخاصة بعد التحكيم » ، وهذا بسبب رضاهم بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمهم ، فلم يكونوا أهلا لثقتهم ، وهكذا عُدّوا من الذين أنكروا السنة النبوية وطعنوا فيها

[1] عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط 1، دار الرشاد، 1413 هـ/ 1993 م، ص 05 .
[2] عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الفكرية ، ص 215 .
[3] ينظر : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، ص 22 ، و: مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 151 .

– المعتزلة والسُنَّة النبوية :

المعتزلة [1] فرقة إسلامية ظهرت في أواخر العصر الأموي بعد الانقسام في الرأي بين واصل بن عطاء والحسن البصري وانفصال واصل عن حلقة أستاذه ، وقد حاولت هذه الفرقة حل جميع المسائل الشرعية حلا منطقيا مؤمنة بالعقل وسلطانه المجرد في فهم العقيدة الإسلامية ، خصوصا القرآن العظيم ، وفي المسائل التي لم يتطرق لها السلف مثل الصفات الإلهية والجبر والاختيار ، وقد ازدهر الفكر الإعتزالي في العصر العباسي، وأطلق على المعتزلة أسماء مختلفة على شاكلة: القدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية.

ومن أسباب اضمحلالهم ما يعود إلى طبيعة مذهبهم وطريقة تطبيقهم ونشرهم لنحلهم ، ومنها ما يعود إلى تعقب أهل السنة لهم بدحض شبهاتهم وانحرافاتهم ، ولقد التزموا بخمسة مبادئ هي التوحيد والعدل – ولهذا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد – المنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لقد كان المعتزلة مع جمهور الأمة في الأخذ بالأحاديث النبوية، وربما طعنوا في صحة بعض الأحاديث عندما وجدوها تقف في سبيل نظرياتهم لكنه لم يكن مذهبهم رد الأحاديث جملة[2]، هذا التوجه قادهم إلى تجاوزات كثيرة عدوا بسببها من أهل الشبهات، وزعموا أن «كل حديث معارض للعقل مرفوض فخبر الآحاد لا يفيد اليقين بينما حكم العقل يقيني» [3]، مثلما كان موقفهم[4] من حديث رسول الله ﷺ الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنه : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ ، فَلاَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثاً ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» [5] .

---

[1] ينظر : نادر ألبير نصري ، أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية ، ط 2 ، بيروت ، لبنان ، أيلول ، المطبعة الكاثوليكية ، 1966 م ، 68 / 80 .

[2] ينظر : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي ، 25 .

[3] محمد العبده ، طارق عبد الحليم ، المعتزلة بين القديم والحديث ، ط 1 ، دار الأرقم ، برمنجهام ، ص 82 .

[4] نفسه : ص 83 .

[5] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 161 (287) .

إذا فعوض الاعتماد على القرآن أولا ، ثم السنة النبوية ثانيا ، ثم الاجتهاد والعقل ثالثا ، خالف المعتزلة هذا الإجماع و« نصبوا العقل على رأس الأدلة إذ – كما يقولون – يدركون القرآن نفسه وغيره من الأدلة » [1] ، والعقل لا بد من توظيفه وإعماله لكن ليس على حساب الشرع الرباني ، فالمعتزلة « وثقوا بالعقل واتهموا النقل ، وقدموا أحكام العقل على النقل » [2] ، و لم تنقرض أفكارهم بزوال هذا المذهب ، بل ورث فكرهم بعض أدعياء التجديد العصراني جاعلين العقل المصدر الوحيد الذي تعرض عليه النصوص الشرعية ، وما يترتب عليها من مفاسد شرعية جاءت من تضاد العقل مع الشرع ، رغم أنه لا تضاد بينهما منها ، كما سنوضحه.

وقد تناول المعتزلة أصول الشريعة وفروعها بـــ «التعديل والتغيير تبعا للمناهج العقلية التي اصطنعها الغرب حديثا » [3] ، مما يجعل الشريعة عرضة للتحريف والتغيير والتبديل ، ويمكن تلمس هذا في ما تعرف بالمدرسة الإصلاحية وزعمائها ، أو ما يسمون أنفسهم بالعقلانيين .

- **حديثـــــا :**

  - **الاستشراق يطعن في الأحاديث النبوية ورُواتها :**

إنه برغم علمنا أن السنة المشرفة انتقلت إلينا على أسلم الطرق وأوضح المسالك فإن فكرة التشكيك برواة الحديث وبحجية السنة قد شاعت « في أبحاث بعض المستشرقين وحملها عنهم بعض من ينسب إلى أهل العلم وروّجها أشياعهم من أهل الأهواء » [4] ، وقد كتبت هذه الأبحاث من خلال هدف تغريب الفكر الإسلامي وتشويه حقائقه .

---

[1] أبو لبابة حسين ، موقف المعتزلة من السنة النبوية ، 74 .

[2] عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ، ص 391 .

[3] محمد العبده ، طارق عبد الحليم ، المعتزلة بين القديم والحديث ، ص 136 / 140 .

[4] محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام، مكتبة وهبة، مصر، ط 3، شعبان 1402 هـــ / 1982 م، يونيه، ص 06 .

ولقد سجل تاريخ الاستشراق طبقة من المستشرقين هدفهم تشويه الحضارة ، فما كان من الكثيرين إلا السير وراء خطاهم بل سَبَقهم أحيانا ، فأصبح ديدنهم أن « لا حرج على المشتغل بالتاريخ أن يتطاول على الشريعة وعلى دين الله ، بل وعلى أنبياء الله وعلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة الموضوعية العلمية »[1] ، فتأثرت عقولهم بكل فكر ونظرية معادية للإسلام غربية أو شرقية (...) وتجاهلت تماما أن تبعد التفسيرات العقدية الإسلامية [2] .

والمراد من الاستشراق (Orientalism / Orientalisme) في هذا الجزء من البحث هو الدراسة التي تُعنى بــ « علوم الشرق وأحواله وتاريخه ، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ودراسة لغاته ولهجاته ، وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي ، فلكل أمة مشخصاتها ، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها » [3] ، وأما ما يعنينا تحديدا هو سهامهم المسمومة نحو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتشكيك في أحاديثه الشريفة .

على أنه من الصعب تحديد بداية للاستشراق، لكن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، وجاء هذا الترجيح ، لأنه « لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب

---

[1] جمال عبد الهادي، محمد مسعود ، وفاء محمد ، ورفعت جمعة ، أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ : مناهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ؟ وكيف ؟ ، ط 2 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1406 هــ / 1988 م ، ص 21 .

[2] ينظر: جمال عبد الهادي ، محمد مسعود ، وفاء محمد ، ورفعت جمعة ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ : مناهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ؟ وكيف ؟ ، ص 18 .

[3] عبد المتعال الجبري ، أوجه للاستعمار الفكري ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، مصر ، 1416 هــ / 1995 م ، ص 13

العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وخاصة الفلسفة والطب والرياضيات » [1] .

وكانت الأندلس منارة الثقافة الإسلامية حتى بلغ عدد معاهد التعليم في عهد خلافة الحكم بن عبد الرحمن (961 – 976 م) ما لا نظير في بلد أوروبي، فقد كان في قرطبة وحدها 27 مدرسة منها مدرسة للطب، عدا عددا من الكتاتيب وهكذا قل في المدن الأخرى[2]

ومن أوائل هؤلاء المستشرقين [3] نجد : الرهبان الراهب الفرنسي جربرت Jerbert (930 – 1003 م) ، الذي انتخب بابا لكنيسة روما العام (999 م) بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، و بطرس المحترم Pierrele Aénéré (1092 – 1156 م) وجيرار دي كريمون Gerald de grémone (1114 – 1187 م) .

ومما لاشك فيه أن الأمة الإسلامية في الأندلس قد بلغت شأواً عظيماً في مجال الحضارة الإنسانية الراقية ، وساهمت في نقل مختلف مجالات المعرفة لجميع أوروبا ، وكانت اللغة العربة حاضرة في المناهج التعليمية كلها ، مع وجود اهتمام بطلبة العلم والمعلّمين .

وبعد أن طُرد العرب من الأندلس ، حافظ الإسبان أنفسهم على مكانة العلم والعلماء بها ، إذ تطالعنا الأخبار التاريخية أن الإسبان قد « أنشؤوا مدرسة (طُلَيطِلة) مكتبا للترجمة (1130 – 1150 م) ، وأنشئت مدرسة (صلمنكة) في أوائل القرن الثالث عشر ، ثم أخذ صاحب رهبنة وولاية ينشئ مثل تلك المدارس منها مدارس الدومينيكيين ومدرسة أراغون ، مدرسة ميرامار ، وبقيت اللغة العربية لغة الثقافات والمعاملات والعقود حتى عام (1580 م) ، وظلت بعض قرى " بلنسية " ، تتكلم اللغة العربية حتى القرن التاسع عشر » [4] ، وإلى جانب

---

[1] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، ص 17

[2] ينظر : عبد المتعال الجبري ، أوجه للاستعمار الفكري ، ص 178 .

[3] مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، ص 18 .

[4] عبد المتعال الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، ص 179 / 180 .

السبب التاريخي المذكور لا بد أن نستشف بين سطور التاريخ أن تعلم اللغة العربية من طرف الكثير من الأوروبيين كان ناتج عن « الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمداولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح » [1] .

من هنا نتساءل عن دوافع الاستشراق وأهدافه [2]، الواقع أن هنالك مجموعة من الدوافع وراء الاستشراق على رأسها الدافع الديني ممن كان هدفهم الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، فنجدهم وقد قاموا بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة ، لتحقيق أغراضهم .

إلى جانب هذا ، نجد رغبة الرهبان مجسدة بين أهداف المستشرقين وذلك بالتعرف على اللغة العربية ولغات البلاد الشرقية الوثنية والإسلامية رغبة في نشر المسيحية بهذه البلاد بعد أن انكمش سوقها في أوروبا ، وبعد أن قامت الثورات الدينية والاجتماعية في وجه رجال الدين النصراني .

هذا كله يضاف إليه الدافع الاستعماري بمحاولة الغربيين العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيُضعفوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها .

أما الدافع السياسي فيتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي

[1] أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1417 هـ / 1996 م ، ص 24 .

[2] عن دوافع الاستشراق ، ينظر : مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، ص 20 / 24 ، و: عبد المتعال الجبري ، أوجه للاستعمار الفكري ، ص 80 ، و: فاطمة هدى نجا ، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق ، ص 69 .

يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته ، كما يقومون بالاتصال برجال الفكر والصحافة وجميع أصحاب وسائل الإعلام وبعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية .

دافع آخر يآزر الدوافع الأخرى التي من أجلها نشأ الاستشراق ، إنه الدافع التجاري المتمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لتروجي بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتها المحلية .

وطريق الاستشراق والغزو الفكري طريق واحدة فـــ « المستعمر يغزو البلاد ، والمستشرقون يغزون الفكر والتراث الإسلامي » [1] ، وبين الغزوين ، تشتيت أفكار ، وايهام بالباطل ، وتشويه لصفحات تاريخية مشرقة .

ثم يأتي الدافع العلمي أيضا الذي نجده وراء اهتمام الغرب بتراث الشرق ، فمن المستشرقين الكُثر «نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارة الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم كانوا لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي»[2]، وسنشير إلى بعض النماذج العلمية الموضوعية حينما نقف وقفة موضوعية لهؤلاء المستشرقين – القلة – الذين لأنصفهم التاريخ لإنصافهم في بحوثهم .

لقد بادر هؤلاء المستشرقون في مرحلة القرون الوسطى إلى اكتشاف الفكر الإسلامي باحتكاكهم بالمصادر العربية ، فبعدما نقلها الغرب إلى دياره نجده وقد « أقام لها الأكاديميات المختلفة ورصد لها المبالغ الطائلة ، وخصص لها العلماء من عرف منهم قدرة على البحث

[1] عبد المتعال الجبري ، أوجه للاستعمار الفكري ، ص 80 .
[2] مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، ص 25 .

والدراسة ، فانتفع بما فيها من معارف ، وساهمت هذه الأفكار – بشاهدة بعضهم – في تطوير حياتهم وبزوغ نهضتهم »[1] ، بشكل واضح ، بشهادة الغرب والعرب معا .

أما في المرحلة المعاصرة ، فإن الحركة الاستشراقية « تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل فكري بل من أجل تعديل سياسي »[2] ، وهذا حينما يصبح هدف الوصول إلى المبتغى السياسي فوق كل الاعتبارات السياسية والدينية والأخلاقية ، عابرا للدول والحضارات والثقافات .

لقد نهج هؤلاء المستشرقون في السنة النبوية منهجا يتعلق بأمرين أولهما التشكيك في صحة الحديث النبوي بحجة أن الحديث لم يدوّن ، وقد نُقل شفاها ، وثانيها ما تعلق بالسند والرواة ، فاتهموا المسلمين بوضع الأسانيد وتلفيقها .

إن اتجاه المستشرقين نحو دراسة الأحاديث النبوية بدأ جديا « في ما قام به المستشرق الذائع الصيت أغناس غولتسيهر الذي نشر سنة 1890 بعنوان : دراسات إسلامية (باللغة الألمانية) Muhammedanishe Studien »[3] .

لقد عُدَّ جولدزيهر[4] « شيخ المستشرقين في الجيل الماضي ، ولا تزال كتبه وبحوثه مرجعا

---

[1] عبد الرحمن عميرة ، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، دار الجيل ، بيروت ، ص 10 .

[2] أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1417 هـ / 1996 م ، ص 44 .

[3] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ص ي (المقدمة) .

[4] جولد تسيهر إِجْنَس Ignaz Goldziher (1850 – 1921) ، ولد بالمجر من أسرة يهودية مرموقة في مجتمعها ، درس في عدة جامعات إلى أن حصل على الدكتوراه الأولى العام 1870 في شرح التوراة ، ليعين بعدها مدرسا مساعدا في جامعة بودابست 1972 ، ثم رحل إلى الشرق فزار القاهرة ، وسورية ، وفلسطين ، كانت عنايته بالدراسات العربية عامة والإسلامية خاصة مميزة ، بحيث بلغت مؤلفاته 592 بحثا ، منها كتابه عن (الظاهرية : مذهبهم وتاريخهم) ، وكتابه (دراسات إسلامية) وهو ما يتناول فيه الحديث النبوي تاريخه وتطوره ، وكتاب (محاضرات في الإسلام) و(اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين) . ينظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص 197 / 203 .

خاصا وهاما للمستشرقين في هذا العصر » [1] رغم أن هذا المستشرق في كتاباته عن التاريخ الإسلامي لم يستخدم كتب مصطلح الحديث التي كانت معروفة له ككل ، والتي كان لا يزال قسم منها مخطوطا في ذلك الوقت لم يطبع ، كما أنه لم ينظر – على الرغم من كثرة مصادره – إلى بعض الأخبار وترابطها مع أخبار أخرى من نفس النوع [2] ، ومن أهم النتائج الخطيرة التي وصل إليها هي أن السنة مصطلح وثني في أصله وإنما تبناه واقتبسه الإسلام » [3] .

ومن منطلق علمي يمكننا التشديد على ضرورة الجمع بين مختلف الأخبار والروايات للوصول إلى نتيجة قطعية أو شبه نهائية و« الذي يبحث عن الحقيقة ويدعي المنهج العلمي في بحثه لا بد وأن يستعين بالنصوص مجموعة في سبيل تفسير بعضها ببعض حتى لا يقع في مثل هذا الخلط والتناقض » [4] ، مثلما حدث مع المستشرق جولتسيهر

وبعد أكثر من ستين سنة ، تولى المهمة المستشرق شاخت schacht[5] ليجعل من شك جولتسيهر يقينا بـــنشر نتيجة بحوثه في كتابه الشهير The Origins Of

---

[1] سعد المرصفي ، المستشرقون والسنة ، مكتبة المنارة الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، ص 07 .

[2] ينظر : فؤاد سزكين ن تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول ، (الجزء الأول في علوم القرآن والحديث) – نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي ، راجعه عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1411 هـــ / 1991 م ، ص 119 .

[3] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ص 10 .

[4] المرجع السابق ، ص 05 / 06 .

[5] شاخت (جوزيف) Schacht Joseph 1902 – 1969 م « مستشرق ألماني في الفقه الإسلامي ، درس الفيلولوجيا الكلاسيكية ، واللاهوت ، واللغات الشرقية ، عين مدرسا في جامعة فرايبورج بألمانية بعد حصوله على الدكتوراه سنة 1925 م ، ثم انتقل إلى جامعة كنجسبرج ، إلى أن انتدب لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية ، بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة إلى سنة 1939 م ، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل في الإذاعة البريطانية BBC لحساب بريطانية وحلفاءها ، ضد وطنه ألمانية ، وتجنس بالجنسية الانجليزية ، أشرف على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية ، قام بدراسات حول مخطوطات عربية ، وحقق بعض النصوص ، كما ألف في الفقه الإسلامي ، = = من ذلك كتابه (بداية الفقه الإسلامي) سنة 1950 م ، والذي أعيد طبعه تحت عنوان The Origins Of Muhammadan Jurisprudence » عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص 366 / 368 .

Muhammadan Jurisprudence ، وخلاصة ما وصل إليه من نتائج أنه ليس هناك حديث واحد صحيح ، وخاصة الأحاديث الفقهية [1] ، بل بلغ به الحقد والافتراء على الدين الإسلامي ، والبعد الواضح عن المنهج العلمي القويم في البحث على أن اعتبر « ما ينسب إلى الفقه الإسلامي من نصوص ، إنما معظمه من شرائع اليهود والنصارى والديانات الأخرى » [2] .

أما المستشرق مارجلويث [3] ، فقد ذهب إلى القول بأن « مفهوم السنة في العهد القديم كان عرفيا » [4] .

على أن هناك كتابا واحدا بالإنجليزية لألفريد غيـــوم ، وهو المسمى بأحاديث الإسلام (The Tradition Of Islam) ، وهو يعتمد اعتمادا كليا على غولتسيهر وليس فيه أي جديد في الموضوع .

وقبل أن ننهي سطور هذا المبحث من الدراسة عن المستشرقين ، لا نكاد نهنأ إلا بالمرور على من أنصف تراثنا وديننا من المستشرقين ، عملا بقوله تعالى في محكم تنزيله : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ » [5] ، ونترك نياتهم لخالقهم .

---

[1] : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ص ي (المقدمة) .

[2] عبد القهار داود عبد الله العاني ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م ، عمان ، الأردن ، ص 147 .

[3] مرجوليوث ، دافيد صمويل (1858 – 1940 م) عني بالدراسات العربية و السامية ، نشر كتاب معجم الأدباء للحموي و رسائل أبي العلاء و لكنه نشر دراسات عن الإسلام سرت فيها روح غير علمية متعصبة أثارت السخط عند المسلمين و كذا المستشرقين ، و مع ذلك اختاره المجمع العلمي بدمشق عضوا مراسلا العام 1920 .ينظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، طبعة جديدة منقحة و مزيدة ، ط 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، تموز / يوليو ، 1993 م ،: 546 .

[4] محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ي (المقدمة) .

[5] المائدة : 08 .

فالفكر الاستشراقي عليه أكثر مما له ، كما قامت الأكثرية منهم وهاجموا الإسلام عقيدة وشريعة ، فإن فئة قليلة تعاملوا مع ديننا وتراثنا بحكمة ، وتعقل مبدية رأيها بصفة محايدة بعيدة عن التعصب .

فلا يفوتنا هنا أن نشير إلى جهود المستشرقين في نشر الكثير من الأصول العربية ، فـــ « تاريخ الطبري ، وطبقات ابن سعد ، وتفسير البيضاوي ، قد رأت النور أول ما رأت على يد مستشرقين قضوا في تحريرها جانبا كبيرا من حياتهم ثم أخرجوها لنا ولهم أيضا في حالة وافية صحيحة ، فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب » [1] .

وهناك من عمل على تيسير البحث في النصوص الدينية المتنوعة ولا سيما في السنة النبوية على شاكلة « مفتاح كنوز السنة الذي وضعه المستشرق د. فنسنك[2] والذي قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقي» [3] ، وقد وضع هذا الكتاب بهدف علمي محض بحيث يقوم على تيسير البحث في الحديث النبوي الشريف في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي والطبقات مرتبا على حسب الأغراض والمعاني والموضوعات، ويتناول البحث في أربعة عشر كتابا ، وقد وضع بالإنجليزية عام 1927 ، ونقل إلى اللغة العربية[4] عام 1934 [1]، فهو عبارة عن معجم

---

[1] أحمد عبد الرحيم السايح ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1417 هــ / 1996 م / ص 41 .

[2] المرجع السابق ، 42 .

[3] فنسنك (أرجنتان) Arent Jan Wensinck (1882 – 1939 م) ، مستشرق هولندي ، كان أول إنتاجه رسالة حصل بها على الدكتوراه في 1908 م ، وعنوانها محمد واليهود في المدينة ، وضع معجما مفهرسا بحسب الألفاظ ، وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتب الصحاح الستة ، وفي مسند الدارمي ، وفي مسند أحمد بن حنبل ، وفي موطإ الإمام مالك ، كما أصدر متنا للأحاديث النبوية الأولى مرتبة ترتيبا هجائيا ، إلى جانب أبحاث مفردة ، منها العقيدة الإسلامية نشاتها وتطورها التاريخي The Muslim Creed Its Genisis & Historical Development ينظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص 417 / 418 .

[4] ينظر : فنسنك ، مفتاح كنوز السنة ، نقله إلى اللغة العربية : محمد فؤاد عبد الباقي ، إدارة ترجمان السنة ، مطبعة معارف لاهور ، 1398 هــ / 1978 م .

مفهرس عام تفصيلي يسهل البحث عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الشهيرة من صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والموطأ ومسند أحمد وسنن الدارمي ومسندي زيد بن علي وأبي داود الطيالسي وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي، ومن ثم عُد هذا العمل من إيجابيات احتكاك المستشرقين بالتراث العربي والإسلامي.

ولعلنا ونحن نتناول إسهامات المستشرقين في نشر تراثنا ، علينا أن لا نتجاهل دور الألمان خصوصا في ما ذكرنا ، بحيث تم « ظهور النصوص العربية القديمة محققة بعناية الألمان منذ القرن الثامن عشر » [2] ، فالمتمعن في أعلام المستشرقين يجد نسبة لا بأس بها من الألمان .

كما أن الاستشراق عبر مسيرته الطويلة عرف باحثين أوربيين اتسموا بالموضوعية ، فهذا « هادريان ريلاند يصحح في كتابه الموسوم (الديانة المحمدية) العديد من الآراء الأوربية حول الإسلام » [3] ، وهذا زميله برنارد لويس مثلا يفضح لنا عدم موضوعية الأبحاث الاستشراقية ، فيقول في كتابه (العرب في التاريخ) ما يلي : « لا تزال آثار التعصب الديني ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية » [4] ، وذكر هذه النماذج من الأمانة العلمية التي يفرضها المنهج الصحيح المتبع لدينا .

---

[1] ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي ، تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس للفاظ الحديث النبوي ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، (فاتحة الكتاب) .

[2] صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية – ط 1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 1978 م ، 08 .

[3] فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) ، ط 1 ، ياقوت للخدمات المطبعية ، لبنان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 1998 م ، ص 37 .

[4] محمد جلاء إدريس ، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، ص 53 .

والمستشرقون المنصفون منهم [1] فريق أعلن إسلامه وجابه الرأي العام ، وفريق أحب الإسلام ومدحه ولا ندري ماذا أسر في نفسه.

كما أن هناك من خدم الحضارة العربية وقدمها إلى الغرب ، وأدى آراءه مثلما يعتقدها مع وجود أخطاء وهفوات لا تعبر عن خبث نية ، وإنما عن طريقة تفكير واعتقاد مثل الذي ألفيناه مع المستشرق غستاف لوبون Gustave Le Bo (1884 – 1931) والذي كانت آراؤه « بعيدة عن التعصب والتشنج وبعيدة عن الحقد والكراهية ، وبعيدة جدا عن الشتائم والسباب » [2] ، بل مرآة تعكس طريقة تفكيره بحيادية تامة ، ووجهة نظره لما قرأه ووجده في التراث الإسلامي الزاخر ، إذ عُدّت معظم أخطاء وهفوات هذا المستشرق مردها إلى « عدم استيعابه لظاهرة الوحي مع عدم إدراكه لبعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية » [3] ، والبون شاسع بين من يحاول التعبير عن أفكاره وبين من يحاول تشويه تاريخ أمة .

هكذا كان موقف المستشرقين من التراث العربي عامة ومن السنة النبوية المطهرة خاصة ، فهل وجد الحاقدون منهم على الإسلام أنصارا لهم من بني جلدتنا ؟

○ منهج العقلانيين في دراسة الحديث النبوي الشريف :

للعقل مقام مميز في ديننا وشريعتنا الإسلامية ، لكن دائما الغلو في الأمر يحدو بالفكر إلى الانحراف ، ولا نعمم الحكم ، وسنعتمد في ما سنقوله على التوثيق العلمي الصحيح ، هنا نجد فئة من المثقفين انضوا تحت أسماء مختلفة : المدرسة العقلية الإصلاحية الحديثة ، مدرسة الإحياء والتجديد ، المدرسة العصرانية ، العقلانيون ... هي جملة توجهات فكرية تقوم على أسس

---

[1] ينظر : عبد المنعم فؤاد ، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية للإسلام (عرض ونقد) ، مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 1422 هـ / 2001 م ، ص 42 / 47 .

[2] شوقي أبو خليل ، غوستاف لوبون في الميزان ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1410 هـ / 1990 م ، ص 61 .

[3] شوقي أبو خليل ، غوستاف لوبون في الميزان ، ص 61 .

غريبة على منهج الإسلام ، ويقترب الواحد منها ويبتعد بحسب تأثره بتلك الأفكار أو عدم تأثره ، تمد رواقها على مساحة واسعة من عالمنا الإسلامي ويقع تحت تأثيرها قطاع عريض من أبناء المسلمين ، بل وحتى العديد من مشاهير الفكر والأدب [1] .

إن أصحاب المدرسة العقلانية يعملون على نبذ القدماء وطرقهم ويعتقدون أن المسلمين الأوائل قد أقصوا العقل ولم يشككوا في شيء بل سلّموا به ، وعزوا ما أصاب المسلمين والعرب من تخلف وركود وآثاره إلى التمسك بالتقليد المستمر للأسلاف ، لذلك فالمقياس الأول الذي تقاس به الأشياء عندهم من منظور العقلانيين هو العقل مع قصره ومحدوديته حتى وإن كان مخالفا للشرع ، فهذا ليس بالأهمية ، مما يقود حتما إلى متاهات عَقَدِيَّةٍ وسلوكات منحرفة.

فتجديد الدين عند الكثير من الحداثيين – ونحن لا نعمم الحكم – أصحاب النزعة العقلية يخضع لأهوائهم ونظراتهم القاصرة وغالبيتهم يعتبرون التراث متاهة وسبب تخلف وركود ... فعلا قد تكون كذلك لمن استهواه العقل وألغى النقل تماما من حيز تفكيره ، ومن ثمة فلقد أثار أصحاب المدرسة العقلية الحديثة الكثير من الشبهات حول السنة النبوية رواية وتدوينا ، فقاموا بالتشكيك في صحة الحديث بالوضع والاختلاط ، كما سنرى .

ومن هؤلاء العقلانيين الذين اتبعوا أهواءهم المفكر والعالم بالأدب العربي ومنهم الملحد النصراني ومنهم البسيط والزعيم ومنهم المغمور والمشهور ، ومن جملة هؤلاء الذين ذكرنا ، حاولنا أن ننتقي نماذج منهم ، ليتضح ما ذهبنا إليه مستدلين على مقتطفات من أعمالهم ، وكانت نتيجة الاختيار :

---

[1] ينظر : عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ، ط 1 ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، رجب 1424 هـ ، ص 365 .

-أحمـــد أميـــــن (1886 – 1954م)

إن هناك من الأفكار المتطرفة ، ما عاشت ثم اندثرت ، وأخرى وُجدت وبقيت بمن تبنّوها ولو بعد قرون ، فالمعتزلة كما بينّا موقفهم من السنة المشرفة والأحاديث النبوية وأمطنا اللثام عن معتقداتهم عادت بوجه آخر أو باسم آخر « فهناك الكثيرون من المفكرين الذين يمجدون المعتزلة وينهجون نهجهم ، مستشهدين بأقوالهم وآرائهم ، لتبدأ رحلة العقل مع السُنَّة المطهرة والشك في الأحاديث النبوية كما سنفصل لاحقا ..... من هؤلاء **أحمد أمين** .

أحمد أمين الذي يتأسف لهزيمة المعتزلة وظهور المذهب السني فيقول : « وفي رأيي أنه لو سادت تعاليم المعتزلة في هذين الأمرين أعني سلطان العقل وحرية الإرادة بين للمسلمين في عهد المعتزلة إلى اليوم لكان المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي ، وقد أعجزهم التسليم وشلهم الجبر وقعد بهم التواكل » [1] .

وكان للمعتزلة حسب رأيه « الفضل الأكبر في علم الكلام لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام لما كانت تثيره اليهود والنصارى والوثنيون من هبوب حتى لقد كان فيما روي يرسلون أتباعهم الكثيرين إلى البلدان الأخرى لرد هذا الهجوم ردا عقليا » [2] ، ومن ثمة يدعم أحمد أمين آراء المعتزلة بكل وضوح .

وفي التشكيك في صحة الأحاديث النبوية ، يقول أحمد أمين : « (...) ثم إن للمعتزلة أيضا ناحية أخرى جاءتهم من تقديرهم لسلطان العقل وهي أنهم قرروا أصولهم وآمنوا بها إيمانا تاما كان ما يعارضها من آيات يؤولونها كما رأيت من قبل وما يعارضها من أحاديث ينكرونها وكل ذلك في جرأة وصراحة – ولذلك كان موقفهم في الحديث كثيرا ما يكون موقعه

---

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1997 م ، ص :

[2] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط 5 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 50 .

المتشكك في صحته وأحيانا موقف **المنكر له** لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل »[1] .

ويضيف أحمد أمين في ضحى الإسلام قائلا : « فلا عجب بعد أن يطلق عليهم المستشرقون اسم العقليين وقد استخدموا ما وصل إليه العلم والفلسفة في عصرهم في بحوثهم الدينية »[2] ، مؤكدا بهذا ميوله للعقلانيين ومدافعا عن توجهاتهم .

ويُظهر أحمد أمين ، المستشرق جولدزيهر على أنه المنبع الصافي والمنهل العذب له ، وهذا على هامش باب التفسير والحديث وعلم الكلام ، فهو المصدر الذي استقى منه أفكاره ، وكأن علماء الدين القدماء كلهم والمحدثون لم يرووا عطشه المعرفي و لم يجاوزوا الخطأ إلى الصواب فكان أحد أكبر الحاقدين على الإسلام هو قدوته العلمية .

ويؤكد مرة أخرى موقفه من المحدثين فيقول : « ولئن كان للمحدثين محامد من ناحية الجد في الجمع والنقد وعدم الاكتراث بالمتاعب ، والصبر على الفقر ، ونحو ذلك ، فقد كان لهم **والحق يقال** بعض الأثر السيء في المبالغة والاعتماد على المنقول دون المعقول ، خصوصا بعدما مات المعتزلة، فقد كان المعتزلة حاملي لواء العقل، والمحدثون حاملي لواء النقل، وكان عقل المعتزلة يلطف من نقل المحدثين ، فلما نُكِّل بالمعتزلة على يد المتوكل علا منهج المحدثين وكاد العلم يصبح كله رواية»[3]، ويبدو من كلامه أن ذهاب المعتزلة أحدث شرخا في رواية المحدثين، الذين اعتمدوا على النقل أكثر من العقل، وهذا ما يعتبره أحمد أمين خطأ ما كان ليكون لو لا اضطهاد المعتزلة .

ويضيف أحمد أمين مبينا نتيجة ما مهّد له من كلام « وكان نتيجة هذا ، ما نرى من قلة الابتكار وتقديس عبارات المؤلفين وإصابة المسلمين غالبا بالعقم حتى لا نجد كتابا جديدا أو

---

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج 3 ، ص 85 .
[2] المرجع السابق ، ج 3 ، ص 89 .
[3] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج 2 ، ص 48 .

رأيا جديدا بمعنى الكلمة بل تكاد بالعقول كلها تصب في قالب واحد جامد» [1] ، فالجمود إذن في نظر أحمد أمين هو سمة المحدثين ومؤلفاتهم ، وسبب التخلف الذي شهده مسارهم العلمي في مجال تقديم السنة النبوية عامة والأحاديث النبوية خاصة .

بل نجد أحمد أمين يؤاخذ رواة الحديث على أنهم « عُنوا بالسند أكثر من عنايتهم بالمتن، فقد يكون المتن مدلسا تدليسا متقنا مع أن العقل والواقع يأبيانه»[2]، ثم يأتي إلى ذكر أحاديث الإمامين الجليلين البخاري ومسلم، فيقول: « (...) بل قد يعُدُّه بعض المُحَدِّثين صحيحا ، لأنهم لم يجدوا فيه جرحا ، و لم يسلم البخاري ولا مسلم من ذلك ، وربما لو امتُحن بمحك أصول الإسلام لم يتفق معها وإن صح سنده » [3] .

وهكذا يعبر المفكر أحمد أمين عن آرائه مرة بوضوح ، ومرة تحت ستار الإعجاب بالمعتزلة ويحصر ضمن زمرة العقلانيين المعارضين للنقل من خلال آرائه الموضحة أعلاه.

– محمــود أبو ريــة : (1885 – 1970م)

بعد هؤلاء ، نلفي **محمود أبو رية** ، وقد نصَّب نفسه مُدافعًا عن الحديث النبوي على حد تعبيره ، فيَسِم كتابه بـــ (أضواء على السنة النبوية أو دفاع عن الحديث) واصفًا بحثه هذا بأنه « طريف وغريب ، وقد يبعث ، وقد ينبعث له من يتطاول إلى معارضته من بعض الحشوية والجامدين » [4] .

ويستهل أبو رية هجومه على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الكتاب ، حين عرّف بمؤلفه ، فلا نكاد نصل إلى السطر الخامس منه حتى نقرأ موقفه من دراسة حديث

---

[1] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 48 .
[2] السابق ، ج 2 ، ص 48 .
[3] نفسه ، ج 2 ، ص 48 .
[4] محمود أبو رية ، أضواء على السنة النبوية (أو دفاع عن الحديث) ، ط 4 ، دار المعارف بمصر ، ص 26 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « إن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره **لمن يُسَمَّون رجال الحديث** يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم» [1] ، ليس هذا فقط ، بل يصف طريقة علماء الحديث ، فيقول : « طريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل » [2] ، ويُعتقد أن الذين درسوا علم الحديث « قد أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يُعرف قبل النظر في هذا العلم ودرس كتبه ، ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبي صلوات الله عليه » [3] .

ويشكك في نسبة أغلبية الأحاديث النبوية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول بصريح العبارة : « إذا قرأتُ كلمة لأحد أجلاف العرب **أهتز لبلاغتها** ، وتعروني أريحية من جزالتها **أكثر ما يُنسب** إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول لا أجد له هذه الأريحية والاهتزاز » [4] .

ويجعل ما دون القرآن الكريم قابلا للاجتهاد وبدون ضوابط تذكر فيقول : « العمدة في الدين هو القرآن الحكيم وما دل عليه دلالة قطعية يجب الإيمان بها والإذعان له علما وعملا وتركا وما كان غير قطعي الدلالة منه فهو محل اجتهاد للعارفين بأساليب الفقه ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا » [5] ، ومن هذا المنطلق عرف أبو رية السنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم على أنها لم تكن « تُعرف إلا بالسنة العملية » [6] ، وقصد بها تحديدا على حد قوله : « ما أجمع مسلمو الصدر الأول وكان معلوما عندهم بالضرورة ، كل ذلك قطعي لا يسع أحدا جحده أو رفضه بتأويل أو اجتهاد ، ككون الصلاة المعروفة خمسا ، ويكون الفجر

---

[1] مرجع السابق ، ص **17** .
[2] المرجع نفسه ، ص **78** .
[3] محمود أبو رية ، أضواء على السنة النبوية (أو دفاع عن الحديث) ، ص **18** .
[4] المرجع السابق ، ص **19**
[5] السابق ، **406** .
[6] المرجع نفسه ، ص **406 – 407** .

ركعتين ، والمغرب ثلاثا والواقي أربعا أربعا ، وكون كل ركعة تشمل على قيام وقراءة قرآن فيه وركوع وسجودين إلخ ، ما هو معروف (بالعمل) من عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى اليوم » [1] .

وعن أحاديث الآحاد يقول أبو رية : « من صَحَّ عنده شيء منها رواية ودلالة عمل بها، **ولا تُجعل تشريعا عاما** نلزمه الأمة إلزاما تقليدا لمن أخذ به » [2] .

وخلُص في بحثه إلى أن السنة النبوية غير مُلزِمة لأحد من المسلمين في العمل بها جاعلا العقل هو الفيصل في نقد السنة وتمييز صحيحها من غيره ، معمما في جدلك الحكم واتباعا لرايه وجب إسقاط كل السنن ، ما كثر منها وما قل .

والواقع أن أبا رية لما نتمعن في ما قاله ، نجده « ما جاء بفكرة جديدة ، ولا باستدلال جديد ، فقد خلط ما قال كل من إسماعيل أدهم ، وتوفيق صدقي ، ورشيد رضا » [3] ، وهذا ما أخذه عن أستاذه محمد عبده الذي استشهد به في أكثر من موضع ، كما تأثر بـــ « المستشرقين والمبشرين الذين لم يمكنهم أن يتحروا سلطان الهوى والتعصب في هذا البحث ، بل – والحق يقال – أسرف في الحكم على الأحاديث أكثر مما أسرفوا حتى جاء بحثه ضغثا على إبالة » [4] ، وهذا واضح من خلال مجرد تصفح كتابه ، وقراءة أفكاره ومقارنتها بمن سبقوه في إنكار الأحاديث النبوية ، أو لنقل التشكيك في السنة النبوية .

فكأنه نصّب نفسه مُدافعا عن الحديث النـــبوي – كما صرَّح بذلك – وقد عبَّر أبو رية عن أهمية بحثه ، ومكانته في المكتبة العربية قائلا : « هذا البحث الذي لم يُعن به أحد من

---

[1] **محمود أبو رية ، أضواء على السنة النبوية (أو دفاع عن الحديث) ، ص 407 .**

[2] **محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ص 28 .**

[3] **محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين (ويليه : عبد الغني عبد الخالق ، الرد على من ينكر حجية السنة) ، ط 1 ، 1989 م ، ص 40 .**

[4] **محمود أبو رية ، أضواء على السنة النبوية (أو دفاع عن الحديث) ، ص 26 .**

قبل » [1] ، ويُردف مثنيا على نفسه : « هذا الطريق الشاق الذي لم **يُعبَّد من قبل** و لم يضع أحد فيما سبق منارا يُهتدى به ، حتى تسنى لي أن أعثر على تلك المواد الغزيرة التي مكنتني من أن أسوي منها هذا **الكتاب الجامع** الذي يعد الأول في موضوعه» [2] .

إن هذه النظرة الطاعنة في كلام رسول الله ﷺ لم يتبنها أبو رية لنفسه فقط، بل كان هدفه واضحا ، وهو ما ذكره بصراحة على لسانه بقوله: «أن أذيعه في الناس حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدي، يدرسونه على نور العلم ، **ويفهمونه بمنطق العقل**» [3] .

إن هذا الأسلوب الذي اتخذه أبو رية قد وجد من نقده و لم يوافق عليه، اعتمادا على أسس علمية وشرعية، فأما زعمه بأن المحدثين حصروا عنايتهم بالسند دون المتن، فتحت أي عنوان نضع ما ذهبوا إليه من «الحكم على متن الحديث بالشذوذ، والنكارة، والاضطراب، والتعليل، والوضع ، والاختلاق، وما وضعوه من أمارات يستدل بها على الحديث بالوضع؟ » [4] ، ومكتبة الحديث النبوي وعلومه كثيرة لا مجال لحصرها، أو التذكير بفضل العلماء والمحدثين في العناية بها ، **ونحن لا ننكر الوضع مثلما لم ينكره علمائنا المتقدمين أو المتأخرين** .

ولننظر لمدى دقة نظر علماء الحديث ، فحينما توسعوا في نقد رجال السند ، علموا أنه «متى توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ ، والأمانة والتحرج من التزيد والتغيير ، كان احتمال الكذب والاختلاق بعيدا جدا ، إن لم يكن ممتنعا» [5] .

---

[1] المرجع السابق ، ص 26 .
[2] نفسه ، ص 26 .
[3] محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، ص 41 .
[4] المرجع السابق ، ص 41 .
[5] نفسه ، ص 43 .

ولم يسلم الصحابة رضي الله عنهم من تطاول أبي رية ، فقد خصَّص **جزءا من كتابه** للطعن في شخصية الصحابي أبي هريرة ﷺ، هذا الصحابي الذي كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، شديد الحب له .

لقد وصف أبو رية الصحابي أبا هريرة رضي الله عنه بـــ [1] المزّاح المِهذَار والساذج والغافل ، يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة الأحاديث ، والإغراب في القول ليُقبلوا عليه ، وكان في رأيه « مدلسا كذوبا متهما في ما يرويه ، فيه غفلة وغرة ، مرددا لكلام كعب الأحبار اليهودي ، ومجموعة من الإسرائيليات ، وكثير من الخرافات والترهات ، وكان يُستهزأ وبُتهكم به ويُسخر منه » [2] .

ثم ادعى أنه كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر رضي الله عنه وذهاب الدرة، إذ أصبح لا يخشى أحدا بعده، ثم وصفه بأنه كان متشيعا لبني أمية –على حد تعبير أبي رية– واضعا للأحاديث على علي رضي الله عنه، أكسبته رضى الأمويين، فأغدقوا عليه من أفضالهم ، فتحول من فقر إلى ثراء.

وقد ألَّف أبو رية كتابا منفردا – إضافة إلى الكتاب السابق – ، يفوق الثلاثمائة صفحة ، يهاجم فيه الصحابي أبا هريرة ﷺ، بالألفاظ نابية عارية من التأدب مع صحابة رسول الله ﷺ ، والقصد من وراء ذلك الإساءة للسنة النبوية خصوصا ، وللإسلام عموما .

ويكفي أن نذكر من خلاصة بحثه الذي يدعي أنه يرتكز فيه على العقل بعيدا عن التجمد والتقليد ... يقول الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه: « **من هو أبو هريرة هذا حتى ينفرد بهذا الفضل العظيم**، ويكون راوية الإسلام لجميع المسلمين على مر الأحقاب وتطاول السنين ؟ إنه لا يعدو أن يكون في الساقة من الصحابة، وعامتهم الذين لا شأن لهم ولا خطر**!**

---

[1] محمود أبو رية ، أضواء على السنة النبوية ، 194 / 225 .

[2] محمود أبو رية، أبو هريرة شيخ المضيرة، ط 4، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1413 هـــ/1993 م،ص 325.

أو كما يقولون : لا في العير ولا في النفير! فلم يكن من السابقين الأولين ، ولا من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، ولا من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم » [1] .

كل هذه الألفاظ التي استعملها أبو رية لا يختلف اثنان على كونها من بذاءة اللسان والتعدي الصارخ على الغير ، ولما تعرض للنقد، لسمومه في ما كتبه رد على منتقديه قائلا: « إن النقد العلمي الصحيح إنما يقوم على قرع الحجة بالحجة، ودفع الدليل بالدليل ، وأن يكون كذلك **في أسلوب عف** وعبارة مهذبة ، أما ما عدا ذلك، فإنه يعتبر هُراءً وهذيانًا ، يرتد على صاحبه بالمقت، ويرمى به من أجله بالجهل والسفاهة والغباء»[2]، فعلا ! وقع أبو رية فيما وصف به الغير.

وقد طُبع كتابه ذاك عددا من المرات في مصر ، ثم « ما لبث أن طبع مرة أخرى ، لأن اليهود اشتروا نسخته الأولى ، ووزعوها ، وهذا بعض التعويض لصاحبه، وما خفي من تعويض كان أكثر مما ظهر» [3] .

ويعترف بذلك ضمنيا في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه (أبو هريرة شيخ المضيرة) « (..) لم ينقض على ظهوره زمن قليل حتى انتشر بين الأرجاء ونفدت نسخه كلها ، مما دعا إلى طبعه»[4].

من خلال قراءة متأنية للكتاب كاملا ولآراء أبو رية في الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه نجد أنه قد «سيطر على المؤلف هواه ، حتى أصبح لا يرى في أبي هرريرة رضي الله عنه إلا

---

[1] محمود أبو رية ، أبو هريرة شيخ المضيرة ، ص **31** .

[2] الرمجع السابق، ص **31** .

[3] عبد المنعم صالح العلي العربي ، دفاع عن أبي هريرة ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، مكتبة النهضة ، بيروت ، بغداد ، ط **2**، **1393** هـ / **1973** م ، ص **08** .

[4] محمود أبو رية ، أبو هريرة شيخ المضيرة ، ص **15** .

الكذوب الوضّاع ، فتنكب سبيل الحق ، ورمى الصحابة رضي الله عنهم بالكذب ، وتجاهل ما أجمع عليه المؤرخون الثقات ، واعتمد على روايات الضعفاء» [1] .

فمنه هو الصحابي أبو هريرة ﵁ الذي لاقى كل هذا الطعن والنقد اللاذع ؟ وهل وَجد فكر أبو رية من يتصدى له ؟

لا يخلو كتاب ترجمة للصحابة رضوان الله عنهم من ترجمة وافية لأبي هريرة [2] ، ويروى أنه دوسي أزدي يماني ، ولد في سنة إحدى وثلاثين من الفيل صحابي مكثر حافظ ، وفي اسمه اختلاف شديد ، أشهره : عبد الرحمن بن صخر ، أسلم عام خبير سنة سبع من الهجرة ، وكان ﵁ من أصحاب الصفة ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، كان يدور معه حيث ما دار ، وكان غيره يشغله الصفق بالأسواق ، وورد في صحيح البخاري قول أبي هريرة رضي الله عنه : « إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرةَ يُكثرُ الحديثَ على رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، واللَّهُ الموعد، إني كنتُ امرأً مسكيناً ألزَمُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم على مِلْءِ بطني، وكان المهاجرونَ يَشغَلُهُمْ الصفقُ بالأسواق، وكانتِ الأنصارُ يشغلُهُم القيام على أموالهم، فشَهِدتُ من رسولِ اللَّه ﷺ ذاتَ يومٍ وقال: من يَبسُطُ رِداءَهُ حتى أقضيَ مقالتي ثم يَقبِضُهُ فلم يَنس سَمِعَهُ منّي، فبَسَطتُ بُرداً كانت عليَّ، فوالذي بَعثهُ بالحق ما نسيت شيئاً سمعتهُ

---

[1] **محمد عجاج الخطيب ، أبو هريرة راوية الإسلام ، ص 186 .**

[2] **تنظر ترجمة الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه في : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3183) ، صححه وخرج أحاديثه : عادل مرشد ، دار الأعلام ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1423 هـ /2002 م ، ص 862 ، عز الدين أبو الحسن بن الأثير علي بن محمد الجزري ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (6326) ، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، قدم له وقرظه : الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري ، الدكتور عبد الفتاح أبو سنه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 6 ، ص 313 ، طبقات ابن سعد ، تحقيق د . محمد علي عمر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م ، ج 5 ، ص 230 .**

منه» : صحيح البخاري : باب الحُجة عَلَى من قال: إن أحكامَ النبيِّ ﷺ كانت ظاهرة وما كان يَغيبُ بعضهم عن مشاهدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأُمورِ الإِسلام .

روي له عن النبي ﷺ خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً وليس لأحد من الصحابة هذا القدر ولا ما يقاربه ، أخرج له في الصحيحين ، مات أبو هريرة رضي الله عنه بالمدينة المنورة وقيل : بالعقيق ، ودفن بالبقيع ، وفي وفاته أقوال : أحدها سنة سبع وخمسين ، وفيها ماتت عائشة رضي الله عنها ، ثانيها : سنة ثمان ، ثالثها : سنة تسع.

وهو القائل لرسول الله ﷺ : « يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: " كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ " قَالَ: قُلْتُ (1) : أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: " أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " » [1] .

لقد تصدى لأبي رية ومن نهجوا نهجه مجموعة من العلماء ، دفاعا عن سنة الحبيب المصطفى ﷺ ، فألفوا الكتب في إثبات حجية السنة ، ومكانتها في الإسلام ، وعملوا أيضا على إدحاض مزاعم أبي رية في الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه.

فأما الكتب العامة ، فكان أبرزها (دفاع عن السنة) لمحمد أبي شهبة ، و(حجية السنة) لعبد الغني عبد الخالق ، و(منهج الدفاع عن الحديث النبوي) لأحمد عمر هاشم و(السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) لمصطفى السباعي وغيرها من المؤلفات التي انبرى أصحابها من أجل نصرة الحديث النبوي الشريف.

[1] **الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م ، 13 / 314 .**

بينما نجد كلا من محمد عجاج الخطيب ، وعبد المنعم صالح العلي العربي ، وحارث بن سليمان قد ألفوا في الدفاع عن أبي هريرة ﷺ ، ودفع الافتراء عن سيرته ، في مؤلفاقم « أبو هريرة راوية الإسلام » ، و« دفاع عن أبي هريرة ﷺ » ، و« أبو هريرة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ » على التوالي .

يقول عبد المنعم صالح العلي العربي إن كيد اليهود في صناعة الأسانيد المكذوبة ، والأحاديث الموضوعة قد كُشف ، وحفظت بذلك السنة النبوية ، فما بقي لهم هم وأعوانهم وأتباعهم إلا « التشكيك في رواة السنة النبوية ، ولا سيما المكثرين منهم ، وإثارة الشبهات حولهم ، والطعن في أمانتهم ، وصدقهم ، بحجة النقد العلمي ، والبحث الموضوعي ، والرأي الحر » [1] ، وهذا ما تتبعناه فعلا فيما قاله أبو رية ، في أبي هريرة ﷺ ، وما كانت هذه الخطوة إلا حلقة ضمن « حملة عامة على الصحابة رضي الله عنهم ، وعلى الرواة منهم خاصة ، كعمران بن حصين ، والبراء بن عازب ، وجابر بن عبد الله » [2] .

ولم يكن اختيار أبي هريرة رضي الله عنه عبثا ، لأنهم إذا نجحوا في التشكيك بمروياته رضي الله عنه ، وهو المكثر من صحابة رسول الله ﷺ في رواية الحديث « فيفوت المسلمين بذلك جملة كبيرة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو ما يريدون ، فإذا فرغوا من أبي هريرة ﷺ ، تحولوا إلى غيره من صحابة رسول الله ﷺ ، ونقلة سنته إلى الأمة الإسلامية» [3] .

ويفند عبد المنعم صالح العلي العربي ادعاءات أبي رية في أبي هريرة ﷺ بإثبات نسبه أولا ن وأن شرفه ومكانته جاءته من أعمامه وأخواله ، وبيّن بطلان قول ذاك المدعي أنه

---

[1] عبد المنعم صالح العلي العربي ، دفاع عن أبي هريرة ، ص 07 .

[2] حارث بن سليمان ، أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط 1 ، ميزة الآل والأصحاب ، 1428 هـ / 2007 م ، ص 87 .

[3] نفسه ، 08 .

صعلوك متشرد[1] ، وأثبت كيف نال شرف دعوة النبي ﷺ ، إذ لما دعاه نبيه ﷺ إلى بعض الغنائم ، قائلا له : « الا تسألني من هذه الغنائم ؟ » ، فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه : « اسألك أن تعلمني مما علمك الله ، فنزع بردة على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأنه أنظر إلى القمل تدب عليها فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال: اجمعها فصُرها إليك ، قال : فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثني» [2].

وهذا من أهم ما حفظته المصادر القديمة التي يعتد بها ، ويستشهد بها على علم أبو هريرة وسعة حفظه ، واستيعابه لأحاديث الرسول ﷺ.

كما ردّ مفتريات أبي رية منها مما نسبه له من الإسرائيليات وتأثره بها ، ووضع الأحاديث غريبة المعاني كذبا على رسول الله ﷺ ، و لم يكن كذلك بحمد الله ، وقد أثبت هذا الأمر وغيره يكفي الرجوع للكتاب [3] ، ليتبين الخبر اليقين .

كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « حدَّثنا عبدُ العَزيزِ بنُ عبدِ اللّهِ قال : حدَّثني مالكٌ عنِ ابنِ شِهابٍ عنِ الأَعْرَجِ عن أَبي هُرَيرةَ قال : إنَّ الناسَ يقولون : أَكثَرَ أبو هُرَيرةَ . وَلَوْلا آيتانِ في كِتابِ اللّهِ ما حدَّثْتُ حَديثاً . ثمَّ يَتلو : « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ » . (البقرة: 159 – 160) إنَّ إخوانَنا مِنَ المُهاجِرينَ كانَ يَشْغَلُهمُ الصَّفْقُ بالأَسواقِ ، وإِنَّ إخوانَنا مِنَ الأنصارِ كان يَشْغَلُهمُ العَمَلُ في أموالِهمْ وإِنَّ أبا هُرَيرةَ كانَ يَلْزَمُ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه

[1] ينظر : عبد المنعم صالح العلي العربي ، دفاع عن أبي هريرة ، ص 17 / 21 .
[2] شمس الدين الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، 1333 هـــ ، ج 1 ، ص 33 .
[3] عبد المنعم صالح العلي العربي ، دفاع عن أبي هريرة ، : ص 439 .

وسلم بِشِبَعِ بَطنِه، ويَحْضُرُ ما لا يَحْضُرون ، وَيَحْفَظُ ما لا يَحْفَظون »[1] ، و هذا الحديث الشريف يبين لنا كيف أن أبا هريرة لم يكتم العلم عملا بتوجيها القرآن الكريم ، لما للكتمان من آثام ، ولذلك حصلت الكثرة في مروياته .

وروى الإمام مسلم أن أبا هريرة ﷺ قال للرسول ﷺ : « يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ اللّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هٰذَا ـــــ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ـــــ وَأُمَّهُ إِلَىٰ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ . وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ » فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي ، وَلاَ يَرَانِي ، إِلاَّ أَحَبَّنِي[2] ، ويدل هذا الحديث على أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحب العلم والتعلم ، ويحب ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم لا أن يحب أن يجد القبول عند المسلمين لاستقبال علمه والدعوة به .

وأحسن في القول الأستاذ عبد الجليل رشيد حين مدح أبا هريرة رضي الله عنه ، قائلا[3]:

أشدو بذكرك شدو الطير في السحر ✿✿✿ وأقبس الهدي من تاريخك العطر

وأذكر الصفحات الغر أنشرها ✿✿✿ معالما في طريق الوعي والفكر

أبو هريرة فذ في مكارمه ✿✿✿ وفي سجاياه دوما ساطع الغرر

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 58 (118) ، وفي لفظ له : « أن الناسَ كانوا يقولون : أكثرَ أبو هريرةَ ، وإني كنتُ ألزمُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشبَعِ بطني ، حتى لا آكلُ الخميرَ ولا ألبسُ الحَبيرَ ولا يخدُمني فلانٌ ولا فلانة ، وكنتُ ألصِقُ بطني بالحصباءِ منَ الجوع ، وإنْ كنتُ لأستقرىء الرجلَ الآيةَ هيَ معي ، كي يَنقلِبَ بي فيُطعِمَني ، وكان أخيْرَ الناسِ للمساكين جعفرُ بن أبي طالب ، كان ينقلِبُ بنا فيُطعِمُنا ما كان في بيتِهِ ، حتى إن كان ليُخرِجُ إلينا العُكةَ التي ليسَ فيها شيء ، فيَشقّها فنعلقُ ما فيها » ، البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 23 – 24 (3708) .

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 1353 (2491) .

[3] عبد المنعم صالح العلي العربي ، دفاع عن أبي هريرة ، : ص 466 .

– إسماعيل أدهم : (1911 – 1940 م)

إسماعيل أدهم ، اسم آخر في سلسلة لا يمكن تجاوزها ، إنه عضو أكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد الروسي للدراسات الشرقية ، يقول بكل صراحة في كتابه الذي وسمه بـــ (من مصادر التاريخ الإسلامي) : « لم يمر بنا لحظة ونحن نتقدم في البحث إلا ازدادت شكوكنا في مقررات الحديث والسيرة ، وهذا الشك يبلغ أقصاه إذا وسعنا دائرة البحث ، وتوغلنا في دراسة الأحاديث ، وكشفنا عن التضاد والاختلاف والأخطاء التي بالحديث » [1] ، ومن الأحكام التي خرج بها إسماعيل أدهم أن الحديث النبوي لا يمثل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأوائل رضي الله عنهم في شيء ، وأنه يمثل حياة رجـــال القرن الأول الهجري عامة ، بسبب ما اسماه بالتضاد بين الأحاديث النبوية الشريفة .

بل الفرية العظمى في سياق بحثه ذاك قوله : « انتهى بنا الحديث إلى شيء إن لم يكن يقينًا كلُّه فهو قريب من اليقين ، ذلك أن الكثرة المطلقة من الحديث ليست من كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شيء ، وإنما هي **منتحلة** [2] بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنصف جيل على أقل تقدير ، فالحديث يمثل حياة المدنية الإسلامية ، وميول المسلمين وأهواءهم في القرن الأول أكثر مما تمثل حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) » [3] .

ولم يُبق في كتابه ذاك ما يشهد له بحسن ظنه ، إذ نجده يقول فيه بملء فيه: « (...) وإني لا أشك في أن ما بقي من الحديث قليل جدا ، لا يتجاوز أصابع اليد عدًّا ، ولا يمثل شيئا،

---

[1] **إسماعيل أحمد أدهم ، من مصادر التاريخ الإسلامي (فصل من كتاب حياة محمد ونشأة الإسلام) ، ط 1 ، مطبعة " صلاح الدين الكبرى " ، ص 21 .**

[2] **وهذا ما ذهب إليه طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي وذلك أن الشعر الذي يسمى الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والاجتماعية للعصر الجاهلي في شيء ، وإنها يمثل حياة المسلمين والعرب في القرن الأول والثاني بعد الهجرة ، إشارة منه إلى قضية نحل الشعر الجاهلي في أكثريته متأثرا في آرائه بالمستشرق جولدزهر ، وتمت مناقشة النحل والانتحال في فصل منفرد.**

[3] **إسماعيل أحمد أدهم ، من مصادر التاريخ الإسلامي ، ص 22 .**

ولا يدل على شيء، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج التاريخ الصحيح للرسول ، وكل ما تقرؤه في كتب الحديث على أنه كلام النبي (ﷺ)، أو روايات تكلم بها صحابي عن الرسول (ﷺ) ، فإنها ليست منه في شيء، وإنما هو **انتحال الرواة**، واحتلاق بعض الصحابة أو صنعة التابعين ، أو اختراع القصاص والمفسرين والمحدثين » [1] .

فإسماعيل أدهم لم يترك مجالا لصحة المرويات ، وكفاه من هذا قوله في إهداء مذكراته العلمية الانتقادية – على حد تعبيره – : « إلى أحرار الفكر ... إلى الذين حرروا الفكر من قيوده ، وجاهدوا من أجل تحرير العقل الإنساني من تأثير الأساطير الدينية من مزاعم الوطنية ، والذين أخذوا بأيدي الجماعات الإنسانية إلى الحياة الصحيحة ... أُهدي هذا الكتيب لعلهم يجدون فيه **نظرة حرة بعيدة عن تعصب الدين وجموده !** » [2] ، فلا غبار إذن على موقف إسماعيل أدهم من الأحاديث النبوية الشريفة ، بالتشكيك وعدم التوثيق العام للسنة النبوية ، كما أوضحنا بشواهد مما كتبه ونشره على الملأ .

• حُجج منكري السنة النبوية :

– حُجج من ردَّ الأحاديث النبوية وطعن في رواتها –

يمكننا إجمال الحجج التي استندت إليها فرق منكري حجية السنة قديما وحديثا في مجموعة من المسائل المحدودة [3] على أن «بعض هذه الحجج تشكل عاملا مشتركا بينها إلى جانب حجج أخرى ادّعاها البعض منها» [4] ، نفصلها على النحو التالي:

[1] نفسه ، ص 22 .

[2] إسماعيل أحمد أدهم ، من مصادر التاريخ الإسلامي ، الإهداء .

[3] ينظر مجموع هذه الحجج بالتفاصيل في: محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ص 29 / 42 .

[4] نفسه ، ص 30 .

إن هذه الحجج هي كون الدين قطعيا وجوبا ، وفي حالة الأخذ بالسنة لا يبقى كذلك مثل استدلالهم بآيات تدل على قطعية القرآن وتنفي عنه الظن والريب كقوله تعالى : « ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ » [1] ، وقوله أيضا : « وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ » [2].

ثم إن الأحاديث النبوية إما من المتواتر أو من الآحاد وأكثرية الأحاديث آحاد وهي ظنية ، فإذا كان الدين هو مجموع ما في الكتاب والسنة ، فهو إذًا مجموع القطعي والظني ، والقرآن الكريم يشير إلى تغليب اليقين على الظن في أكثر من موضع مثل قوله تعالى : « وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦ » [3] ، وقوله أيضا : « إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ » [4] .

وقد تبنى هذه الحجة جماعة من القدماء وكذا القرآنيون حديثا ، الذين يؤمنون بأن المصدر الأوحد للتشريع هو القرآن الكريم حديثا وبعض المحدَثين من أمثال توفيق صدقي ، والواقع أنها ليست بحجة ، لأن الله سبحانه وتعالى إنما ذم اتباع الظن المقابل ، والمخالف للقطعي ، والحق الصريح .

أما الحجة الثانية ، فهي عدم حاجة القرآن لبيان ، فلا تُؤخذ الشريعة من غير القرآن ، ومن ثم يمكننا الاستغناء عن القرآن عن الأحاديث النبوية والسنة المشرفة عموما ، وإلا كان منافيا لقوله تعالى : « مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ » [5] ، وقوله في نفس السورة : « وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا » [6] ، وقوله عز وجل : « وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ

[1] البقرة : 02 .
[2] فاطر : 31 .
[3] يونس : 36 .
[4] الأنعام : 148 .
[5] الأنعام : 38 .
[6] الأنعام : 114 .

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ »[1] ، وقد كانت هذه الآيات هي ما استدل به منكرو حجية السنة قديما وحديثا .

ويبدو أمر هذه الحجة غريبا ، إذ كيف الاستدلال من القرآن بآيات وتناسي آيات أخرى ؟ فمثلما يقول تعالى في سورة النحل : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ »[2] ، يقول في نفس السورة : « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ »[3] ، فتكليف الله سبحانه وتعالى بتبيين ما أنزل واضح لا شك فيه ، أوَ يعقل أن يفسر كل مسلم ما جاء به القرآن على هواه ؟ فلعل هذا ما وقع فيه منكرو حجية السنة ويصدق فيهم قوله تعالى : « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ »[4] .

ناهيك عن آيات أخرى ترد على تلك الحجة والشاهد في ذلك قوله تعالى : « وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ »[5] ، وكذا قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ »[6] .

---

[1] النحل : 89 .
[2] النحل : 89 .
[3] النحل : 44 .
[4] البقرة : 85 .
[5] الحشر : 07 .
[6] الأحزاب : 36 .

ولنأخذ مثالا [1] – على أنه آخر ما نتناوله في هذا الباب – من أدلة حجية السنة ضد منكريها ، هذا المثال يتعلق ببيت المقد قبلة المسلمين التي كانوا يتجهون إليها في صلاتهم ، قبل أن يُؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحول عنها إلى المسجد الحرام ، لنتساءل : أين الوحي القرآني الذي يحدد القبلة الأولى للرسول ﷺ ؟ يقول ﷻ: « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ » [2] .

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم تؤيد أن السنة « بعضها بوحي جلي عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وبعضها بالإلهام والقذف بالقلب ، وبعضها بالاجتهاد على حسب ما علم النبي صلى الله عليه وسلم من علوم القرآن وقواعد الشريعة وما امتلأ به قلبه من فيوضات الوحي والتعليم الإلهي الذ لا يتوقف على قراءة وكتابة وكسب وبحث » [3] .

فإن تصفحنا كتب القدماء وتناولهم لحجية السنة النبوية ، نرى في طليعتهم الإمام الشافعي في مؤلفه (الرسالة) ، والذي « أتى بالحجة تلو الحجة من كتاب الله يثبت بها حجية سنة رسول الله ﷺ » [4] .

يقول الإمام الشافعي في أحد مواضع كتابه الرسالة بأن الله تعالى قد « فرض طاعة رسوله (ﷺ) ولم يجعل لخلقه عذرا بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله (ﷺ)، وأن قد جعل

[1] ينظر : محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ص 37 .
[2] البقرة : 141 / 143 .
[3] محمد محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ، ص 05 .
[4] محمد أبو زهرة ، الشافعي ، حياته وعضره ، آراؤه الفقهية ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، ص 221

الله بالناس كلهم الحاجة إليه في دينهم وأقام عليهم حجته بما دلهم عليه من سنن رسول الله (ﷺ)»[1] ، فأصبحت حجية السنة بعد ما قام به الإمام الشافعي «بديهية وضرورية دينية، لذا لا نجد من يخصص لهذه المسألة مباحث مطولة»[2].

هذا عن حجية السنة من الناحية الشرعية ، فما مدى حجية السنة الممثلة في الأحاديث النبوية الشريفة عند علماء اللغة والنحاة ؟

إذًا ، يبقى أن نشير إلى مسألة الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة ، فالحديث النبوي كما هو معلوم يُقدم على سائر الكلام البشري ، لأنه صادر عمن لا ينطق عن الهوى ، أفصح العرب صلى الله عليه وسلم ، وهنا نتساءل : هل أقر علماؤنا بالاحتجاج بالحديث النبوي ؟ وما مدى حجيته في الدراسات اللغوية ؟

إن موقف علماء اللغة من الاحتجاج بالحديث النبوي لا يعدو أن يكون واحدا من الآراء الثلاثة التالية[3] : إما جوزوا للاستشهاد أو منعوه ، أو وقفوا وسطا بين المنع والجواز .

فأما صحة الاستشهاد بالحديث النبوي فهو وارد عند القدماء من اللغويين أو المحدثين ، والشاهد أننا « لو ذهبنا نتصفح كتب اللغة قاطبة لرأينا الأحاديث النبوية منثورة فيها بكثرة

---

[1] الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 104 .

[2] حمادي ذويب ، السنة بين الأصول والتاريخ ، ص 76 .

[3] محمد حمزة ، الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، بيروت، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ص 270 .

مستفيضة ، سواء منها المتواتر وغير المتواتر »[1] ، ومن الذين أجازوا الاستدلال بالحديث مطلقا ابن خروف والصهار وابن عصفور وابن مالك وابن هشام وغيرهم كثير .[2]

على أن نشير أنه في ميدان نحو اللغة قد « سكت علماء المرحلة الأولى عن الاستدلال بالحديث لم يشذ منهم أحد ، لأنه وقع في بعض الأحاديث شيء من الأساليب والتراكيب غير الجارية على ما شاع من الاستعمال العربي »[3] .

في حين نجد من العلماء توسط فريق ثالث ، فرأى أن من الممكن الاحتجاج ببعض الحديث دون بعض .

ولعل الرجوع إلى المصدرين الذين اعتمدناهما في بسط هذا الإشكال ، كاف لفهم المسألة فهما دقيقا ، لا تسعه صفحات هذا البحث ، فقط عرجنا عليه لصلته بالموضوع ، ويبقى أننا خرجنا بنتيجة نشاطر فيها رأي محمود فجال في ما يخص الاحتجاج بالأحاديث النبوية « فالقدامى لم يستشهدوا به في مسائل النحو والصرف (...) لعدم تعاطيهم هذا العلم ولعدم ممارستهم إياه (...) وفاقد الشيء لا يعطيه »[4] .

وعلينا أن ننبه أيضا لرأي محمد الخضر حسين الذي يرى[5] أن هناك أحاديث لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج بها في اللغة والقواعد وهي ما تروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ، وما يُروى من الأقوال التي يُتعبد بها ، أو أُمر بالتعبد بها ، وما يروى على أنه كان يخاطب به قوم من العرب بلغتهم ، والأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها .

[1] محمد فجال ، الحديث النبوي في النحو العربي ، أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1471 هـ / 1997 م ، ص 100 .

[2] ينظر : رياض بن حسن الخوّام ، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية (مكاتبة بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البلقيني) ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـ / 1998 م ، ص 05 .

[3] محمد فجال ، الحديث النبوي في النحو العربي ، ص 104 .

[4] رياض بن حسن الخوّام ، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية ، ص 104 .

[5] نفسه ، ص 129 – 130 .

وكذا الأحاديث التي دوّنها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة ، وكذا ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى ، يضاف إليها الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول وإنما تروى في بعض كتب المتأخرين ، وهناك الحديث الذي يصح أن يُختلف في الاستشهاد بألفاظه مما ورد لفظه على وجه واحد ، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه .

ث – الوضع في روايات الحديث النبـــوي:

• مفهوم الوضع وظهوره في الأحاديث النبوية:

إن الإسلام دين يدعو إلى الحق وينبذ الباطل مهما كان نوعه ، ويدعو إلى تغليب اليقين على الظن والتثبت مما يراه المرء ، أو يسمعه ، أو ينقله عن أخيه المسلم ، فقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه » [1] .

فلا مجال في الإسلام إذن لتغليب الظن وتصنيف الناس بغير حق فإنها « شعبة من شعب الظلم » [2] ، يقول جل وجلاله : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ » [3] ، ويقول تعالى : « وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦ » [4] .

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 20 – 21 (10) ، وج 4 ، ص 188 (6484) ، وفي لفظ لمسلم : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » ، مسلم ، صحيح مسلم ، ص 41 (41) .

[2] بكر بن عبد الله أبو زيد ، تصنيف الناس بين الظن واليقين ، ط 1 ، دار العاصمة ، 1414 هـ ، ص 08 .

[3] الحجرات : 06 .

[4] الإسراء : 36 .

وحتى برجوعنا إلى تاريخ العرب في جاهليتها نجدها تعاقب الهجاء بشد لسانه بنِسعة – سير من جلد مفتول – أو يشترون منه لسانه بأن يفعلوا به خيرا ، فينطلق لسانه بشكرهم ، ولعل عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، أصدق مثال على ذلك ، حينما أسرته تيم يوم كلاب الثاني ، فقال في وقت إحاطة الموت به :

أَقولُ وَقَد شَدّوا لِساني بِنِسعَةٍ ✿✿✿ أَمَعشَرَ تَيمٍ أَطلِقوا عَن لِسانِيا

وأدرك الشاعر العربي مدى خطورة الشك وعدم اليقين ، فقال أبو العتاهية :

أَلا إِنَّ اليَقينَ عَلَيهِ نورٌ ✿✿✿ وَإِنَّ الشَكَّ لَيسَ عَلَيهِ نورُ [1]

فماذا إذا كان الكذب يعرض مسير تاريخ أمة إلى التزييف ؟ وماذا إذا ثبت يقينا افتراء كذّاب ؟ فهل نكون قد خرجنا عن تعاليم ديننا في إصابة قوم بجهالة ؟

أن يكون الأمر في مواجهة من ثبت زيفهم، فإنه « من تمام النصح لله ورسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » [2] ، وكيف إذا كان الحديث عن رسول الله ﷺ؟

إن شدة دقَّة أسلافنا في تحري الصواب والبعد عن الزيف جعلهم يبدؤون بأنفسهم ، فلقد كانت جرأة الصحابة رضي الله عنهم في الحق سمة بارزة في التاريخ الإسلامي ، ولو على أقرب الناس إليهم صحبة ومودة ، وهذا ينفي إقبالهم على الكذب والوضع ، وحتى انحيازهم للكذابين أو موافقتهم على افتراءاتهم ، فكيف مع الكذابين ؟ لا سيما مع الكذابين على رسول الله ﷺ، وهم يعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ كذِباً عليَّ ليسَ ككذِبٍ على أحد ، من كذبَ عليَّ متعمداً فليَتبوَّأْ مَقعدَهُ منَ النارِ » [3] ، والكذب على رسول الله ﷺ هو الخلط بين الشرع من ناحية السنة بما ليس فيه ، ومن هاهنا ينبع الخطر .

---

[1] أبو العتاهية ، الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 185 .

[2] بكر بن عبد الله أبو زيد ، تصنيف الناس بين الظن واليقين ، ص 08 .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 397 – 398 (1291) ، ومسلم ، صحيح مسلم ، ص 07 – 08 (4) .

وحِرص الصحابة رضي الله عنهم على شريعة الله تبينه أمثلة مشرفة في التاريخ الإسلامي ، يبدو من خلالها الحرص الشديد على تحري الحق والرجوع إليه ، واخترنا من جملة هذه المواقف ما حدث في قتال أهل الردة ، إذ رُوي أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : « لما توفيَ رسولُ اللَّه ﷺ واستخلِفَ أبو بكر بعدَه وكفرَ من كفرَ من العرب قال عمرُ لأبي بكر: كيفَ تقاتلُ الناسَ وقد قال رسولُ اللَّه ﷺ : أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إلهَ إلا اللَّه ، فمن قال لا إله إلا اللَّه عصمَ مني مالهُ ونفسَه إلا بحقه وحسابُهُ على اللَّه . فقال : واللَّهِ لأقاتلنَّ من فرَقَ بينَ الصلاةِ والزَّكاة ، فإنَّ الزَّكاةَ حق المال ، واللَّهِ لو مَنَعوني عِقالاً كانوا يُؤدّونَه إلى رسولِ اللَّه ﷺ لَقاتلتهم على منعه . فقال عمر : فَواللَّه ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فعرَفتُ أنهُ الحق » [1] .

لقد بقي الحديث النبوي الشريف خاليا من تلفيقات الكتاب ، ودسائس أعداء الله ، دون تحريف أو تلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الراشدين ، كما أنه لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم في بعض ، و لم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ حتى وقعت الفتنة [2] ، فكانت بادرة خطيرة في تاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ ، يقول الإمام مسلم في مقدمة صحيحه روايةً عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : « لم يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ . فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، قَالُوا : **سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ** . فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ » [3] ، من هنا ظهرت الأحاديث الموضوعة على الرسول ﷺ ، وانتشرت بين أوساط المسلمين .

إذن الوضع لم يظهر بشكل واضح وجلي خلال القرنين الأول والثاني ، لوجود الصحابة – رضي الله عنه – الذين هم أمنة للأمة كما أخبر النبي ﷺ.

---

[1] **البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، 360 (7285) ، ومسلم ، صحيح مسلم ، ص 31 (20) .**

[2] **ينظر : محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، ص 187 و : مصطفى السباعي ، مكانة السنة في التشريع الإسلامي، ص 108 .**

[3] **مسلم ، صحيح مسلم ، ص 11 .**

والوضع في اللغة ، يحمل أكثر من معنى ، يقال : « الوَضْعُ : ضدّ الرفع ، وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً » [1] .

بينما يعرف الوضع اصطلاحا على أنه « الحديث المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله ﷺ عمدا أو خطأ ، وخصه بعضهم بالعمد دون الخطإ » [2] ، فكل ما لم يقُله أو يُقرّه الرسول صلى الله عليه وسلم ونُسب كذِباً هو موضوع .

والحديث الموضوع من حيث مادته ونصه ينقسم إلى قسمين اثنين ، فأما « أن يضع الواضع كلاما من عند نفسه ، ثم ينسبه إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابي أو التابعي» [3]، أو يدرج ضمن القسم الثاني من الأحاديث الموضوعة بحيث « يأخذ الواضع كلام بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، أو الحكماء أو الصوفية ، أو ما يُروى في بعض الإسرائيليات ، فينسبه إلى الرسول ﷺ ، ليروج وينال القبول »[4]، فالنية هنا لا تغني من وضع الحديث في زمرة الأحاديث الموضوعة ولا راويها ضمن فئة الوضاعين والكذابين على رسول الله ﷺ .

وعدَّ المحدثون الحديث الموضوع « شر الأحاديث الضعيفة، ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى ، كان إلا مقرونا ببيان وضعه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يُحتمل صدقها في الباطن ، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب»[5] ، فالترغيب هو تحبيب الأمر للنفس مثل الرتغيب في الجنة ونعيمها والترهيب هو التخويف من النار وأهوالها ، فالخوف والرجاء جناحي المؤمن وأسلوب ناجح للدعوة لله .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 51 ، ص 4857 .

[2] عمر بن حسن فلاتة ، الوضع في الحديث ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ / 1981 م ، ج 1 / 109 .

[3] محمد محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط 4 ، مكتبة السنة ، 1408 هـ ، ص 14 .

[4] نفسه ، ص 14 .

[5] ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان الشهرزوري ، علوم الحديث ، تحقيق وشرح نور الدين عتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 98 / 99 .

فما هي البواعث التي أدَّت إلى الوضع ؟

لقد تعدَّدت البواعث والدوافع[1] التي أدت إلى نشأة الوضع وانتشار الأحاديث الموضوعة ونسبتها إلى الرسول ﷺ ، منها الخلافات السياسية والمذهبية ، والزندقة والطعن في الإسلام، والقصص والوعظ ، والتكسّب وطلب المال، والعصبية للجنس والقبيلة أو اللغة والوطن ، والتقرب للحكام والسلاطين بما يوافق أهوائه، والمصالح الشخصية أو قصد الانتقام من شخص أو فئة مُعيّنة، وقصد الشهرة والتميّز على الأقران، ومن ثم كان من أشهر أصناف وضاعي الأحاديث: أرباب الأهواء والبدع، والزنادقة، والشعوبيون، والمتعصبون، لبلدان معينة، أو لأئمة معينين، أو المتعصبون للمذاهب الفقهية، مع جهل وقلة دين ، والقصاص، والزهاد، والمتملقون من الصالحين، والمتباهون بالملوك، والطالبون الزلفى إليهم، وكذا المتطفلون على الحديث، ممن يفاخرون بعلو الإسناد ، وغريب الحديث، وسنحاول اختصار أهم بواعث الوضع في هذا المبحث من الدراسة .

ونستهلها بالخلافات السياسية لدى أصحاب الأهواء والبدع بين المسلمين ، خصوصا في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، وخلافة علي رضي الله عنه ، وكان « أول من تجرأ على ذلك هم الشيعة » [2] ، فكانوا يجعلون لهم ما شاؤوا من أحاديث ويضعونها نُصرة لمذهبهم ، بحيث « اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم » [3] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية يقوي هذا الرأي بنقله لقول الإمام مالك عن الشيعة لما سئل عنهم : « لا تكلمهم ولا ترو عنهم ، فإنهم يكذبون » [4] .

---

[1] ينظر : شعبان محمد إسماعيل ، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ،ج 2 ، 99 / 110 .

[2] المرجع السابق ،ج 2 ، ص 99 .

[3] ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط 1 ، 1406 هـ / 1986 م ، ج 1 ، ص 59 .

[4] علي حسن الحلبي، إبراهيم طه القيسي، حمدي محمد مراد، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج 9 ، ص 200.

وبالمقابل، لم يكن من ينتسبون لأهل السنة والجماعة من المسلمين أحسن حالا من الشيعة ، فقد « ضارعهم الجهلة من أهل السنة ، فقابلوا – مع الأسف – الكذب بكذب مثله أو أقل منه دائرة ، وأضيق نطاقا » [1] ، من ذلك قولهم في فضائل الصحابة الكبار رضي الله عنهم « ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة محمد رسول الله (ﷺ) ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » [2] ، وقولهم : « إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر » [3] .

ثم نأتي للباعث الثاني الذي يختصر في الزندقة ، والمقصود بها « كراهية الإسلام دينا ودولة » [4] ، والذين وضعوا الأحاديث من أجل أن « يُفسدوا به الدين ، ويشوهوا كرامته لدى العقلاء المثقفين ، ولينحدروا بعقيدة العامة ، إلى درجة من السخف تثير سخرية الملحدين » [5] ، من تلك أحاديث الموضوعة انتقينا قولهم كذبا على رسول الله ﷺ : « ينزل في الفرات كل يوم مثاقيل من بركة الجنة » [6] ، أو كقولهم بهتانا وزورا : « رأيت ربي في المنام في أحسن صورة شابا موفرا رجلاه في خضرة له نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب » [7] ، وعلى شاكلة قولهم كذبا وبهتانا : « إن البطي ماؤه رحمة ، وحلاوته مثل حلاوة الجنة » [8] ، ومن شأن هذه الأحاديث الموضوعة أن تُنفّر الناس من الإسلام ، وتُشكك المسلمين بدينهم .

---

[1] شعبان محمد إسماعيل ، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ،ج 2 ، ص 101 .

[2] علي حسن الحلبي ، إبراهيم طه القيسي، حمدي محمد مراد، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج 8، 536 .

[3] المرجع السابق ، ج 2 ، 385 .

[4] السابق ،ج 2 ، ص 104 .

[5] نفسه ، 105 .

[6] نفسه ، ج 12 ، 66 .

[7] نفسه ، ج 5 ، ص 20 .

[8] علي حسن الحلبي ، إبراهيم طه القيسي ، حمدي محمد مراد ، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ، ج 2 ، ص 257 .

وكثيرا ما استُغِلت الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، في تشويه صورة المسلمين ، مثل تلك الأحاديث ، التي عمل أصحابها على تشويه صورة المرأة ، على شاكلة الأحاديث الواردة في عقل المرأة وتفكيرها ، إذ ورد كذبا على رسول الله ﷺ أنه قال : « شاوروهن وخالفوهن »[1] ، وأنه قال : « طاعة المرأة ندامة »[2] ، وأنه قال أيضا : « هلكت الرجال حين أطاعت النساء ، فإن في خلافهن البركة »[3] ، وأنه قال : « سألت الله الاسم الأعظم ، فجاءني به بجبريل مخزونا مختوما : اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون ، الطاهر المطهر ، المقدس المبارك ، الحي القيوم ، قالت عائشة : بأبي وأمي يا رسول الله علمنيه ، فقال : يا عائشة ، نُهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء »[4] .

وغير هذه الأحاديث كثيرة تتعامل مع المرأة على أنها لا تحسن التدبير ، ولا التفكير ، ولا التصرف ، بل إن بعضها ليعطيها الحق في التفكير بيده اليمنى، ثم يسلبه منها بيده اليسرى ، فيرى أنها تشاور ، ولكن تخالف[5]، وأحاديث أخرى منسوبة للرسول ﷺ « تدعو إلى الجهل ، فكأن تعليم المرأة لا جدوى من ورائه، القصور في عقلها ، وضعف في رأيها ومشورتها.

ولما كان موضوعنا يتحدث عن الرواة والرواية ، وبما أننا أفردنا هذا الجزء للأحاديث الموضوعة ، يكون علينا لزاما الكلام عن الرواة المدلسين ، وهذا باب طرقه جملة من علمائنا قديما وحديثا ، وأسهبوا في تفصيلاته .

---

[1] المرجع السابق ، ج 5 ، ص 347 .
[2] نفسه ج 5 ، ص 347 .
[3] نفسه ، ج 11 / 151 .
[4] نفسه ، ج 5 ، ص 199 .
[5] ينظر : نهاد عبد الحليم عبيد ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية للعلوم الشرعية والإنسانية ، المجلد 3 ، العدد 2 ، جمادى الأولى ، 1427 هـ / يونيو 2006 م ، ص 196 .

والمدلسون على خمس مراتب [1] ، منهم من لم يوصف بذلك إلا نادرا كيحيى بن سعيد الأنصاري ، ومنهم من احتمل الأئمة تدليسه ، وأخرجوا له في الصحيح لإمامته ، وقلة تدليسه في جنب ما روى ، كالثوري ، أو كان لا يدلس إلا عن ثقة كابن عيينة ، وأما المرتبة الثالثة ، فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، ومنهم من رد حديثهم مطلقا ، ومنهم من قبلهم ، كأبي الزبير المكي ، وطبقة رابعة ، ضمت من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل ، كبقية بن الوليد ، وطبقة خامسة وأخيرة ، فيها من ضعف بأمر آخر سوى التدليس ، فحديثهم مردود ، ولو صرحوا بالسماع ، إلا أن يوثق من كان ضعفه يسيرا كابن لهيعة .

وللإشارة فقد أفرد علماء الحديث مصنفات عن المدلسين على شاكلة كتاب (أسماء المدلسين)[2] للحافظ جلال الدين السيوطي ، الذي ذكر فيه قرابة السبعين مدلسا من رجال الحديث على أحرف المعجم ، منهم إبراهيم ين يزيد النخعي ، وإسماعيل بن أبي يحيى وغيرهما .

وليس علينا أن نشرح كل شيء عن الوضع ، إذ يكفي ما ذكرناه لتتضح مسألة وضع الأحاديث على الرسول ﷺ كذبا وتلفيقا ، ونشير إلى أن هدا النوع من الأحاديث الموضوعة والضعيفة لا زالت منتشرة حتى الآن بين أفراد المجتمع المسلم ، ولجهل الكثيرين بهذا الأمر وخطورته لاقت هذه الأحاديث قبولا واستحسانا عند أفراد المجتمع المسلم ، فماذا عن الإسرائيليات ، وما مدى خطورتها على رواة الحديث النبوي الشريف ؟

---

[1] ابن حجر العسقلاني ، طبقات المدلسين ، أو تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تحقيق ، عاصم بن عبد الله القريوتي ، مكتبة المنار ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، ص 13 / 14 .

[2] ينظر : جلال الدين السيوطي ، كتاب أسماء المدلسين ، تحقيق محمود محمود نصار ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1412 هـ / 1992 م .

- **الإسرائيليات** :

من المعلوم أن الله عز وجل أرسل الرسل وأنزل الكتب لتوحيده وعبادته ، وأن هناك أصولاً مشتركة اتفقت عليها جميع الشرائع السماوية ، والتي وضحها الله تعالى عن طريق الكتب السماوية السابقة ، كتب قد طواها الزمن و لم يصل إلينا منها غير التوراة والإنجيل ، و لم يسلما مع ذلك من التحريف والتبديل .

أما القرآن فقد كتب الله له الخلود ، وحفظه من الضياع والتحريف والتبديل ، فجاء مصدِّقاً لما سبقه من الكتب ، فيه دعوة لهداية الناس أجمعين ،كان من بين الأقوام الذين وجه إليهم الرسول دعوته ، ليتبعوه ويصدقوه ، أهل الكتاب بصفة عامة ، واليهود الذين بصفة خاصة .

هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ، اندمجوا في المجتمع الإسلامي قديما ، واختلطوا بالمسلمين ، ودخل كثير منهم في الإسلام ، مما كان له أثر في نقل كثير من أخبارهم إلى المسلمين ، وهو ما اصطلح عليه العلماء بـــ (الإسرائيليات) وكانوا سببا في ظهورها ، فما معناها ؟ وما علاقتها بالوضع في الحديث ؟

الإسرائيليات « جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بني إسرائيل (..) وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام أي عبد الله ، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منه فيما بعد ، إلى عهد موسى عليه السلام ، ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام ، وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه والسلام » [1] ، لكن إطلاقها جاء من باب التغليب ، وإلا فإنه يشمل أخبار أهل الكتابين معاً اليهود والنصارى على حد سواء .

[1] محمد محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط4 ، مكتبة السنة ، 1408 هـــ ، ص : 12 .

والإسرائيليات التي نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدها في كتب التفسير وفي كتب الحديث معا ، فأما التفسير ، فنلفيها خصوصا في « بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية ، والكونيات وقصص الأنبياء » [1] .

من ذلك ما ورد في قصة آدم عليه السلام تفسيرا لقوله تعالى : « فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ » [2] ، إذ يروي ابن جرير في تفسيره « أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّزَّاق ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مهرب ، قَالَ : سَمِعْت وَهْب بْن مُنَبِّه يَقُول : لَمَّا أَسْكَنَ اللَّه آدَم وَذُرِّيَّته ، أَوْ زَوْجَته ، الشَّكّ مِنْ أَبِي جَعْفَر ، وَهُوَ فِي أَصْلِ كِتَابه : وَذُرِّيَّته – وَنَهَاهُ عَنْ الشَّجَرَة ، وَكَانَتْ الْمَلَائِكَة لِخُلْدِهِمْ ، وَهِيَ الثَّمَرَة الَّتِي نَهَى اللَّه آدَم عَنْهَا وَزَوْجَته .

فَلَمَّا أَرَادَ إِبْلِيس أَنْ يَسْتَزِلَّهُمَا دَخَلَ فِي جَوْف الْحَيَّة ، وَكَانَتْ لِلْحَيَّةِ أَرْبَع قَوَائِم كَأَنَّهَا بُخْتِيَّة مِنْ أَحَسَن دَابَّة خَلَقَهَا اللَّه . فَلَمَّا دَخَلَتْ الْحَيَّة الْجَنَّة ، خَرَجَ مِنْ جَوْفهَا إِبْلِيس ، فَأَخَذَ مِنْ الشَّجَرَة الَّتِي نَهَى اللَّه عَنْهَا آدَم وَزَوْجَته ، فَجَاءَ بِهَا إِلَى حَوَّاء ، فَقَالَ : اُنْظُرِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَة ، مَا أَطْيَب رِيحهَا ، وَأَطْيَب طَعْمهَا ، وَأَحْسَن لَوْنهَا ! فَأَخَذَتْ حَوَّاء فَأَكَلَتْ مِنْهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهَا إِلَى آدَم ، فَقَالَتْ : اُنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَة ، مَا أَطْيَب رِيحهَا ، وَأَطْيَب طَعْمهَا ، وَأَحْسَن لَوْنهَا !

فَأَكَلَ مِنْهَا آدَم ، فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتهمَا ، فَدَخَلَ آدَم فِي جَوْف الشَّجَرَة ، فَنَادَاهُ رَبّه : يَا آدَم أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا هُنَا يَا رَبّ ، قَالَ : أَلَا تَخْرُج ؟ قَالَ : أَسْتَحْيِي مِنْك يَا رَبّ ، قَالَ : مَلْعُونَة الْأَرْض الَّتِي خُلِقْت مِنْهَا لَعْنَة يَتَحَوَّل ثَمَرهَا شَوْكًا . قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّة وَلَا فِي الْأَرْض شَجَرَة كَانَ أَفْضَل مِنْ الطَّلْع وَالسِّدْر ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا حَوَّاء أَنْتِ الَّتِي غَرَرْت عَبْدِي ،

---

[1] المرجع السابق ، ص **15** .

[2] البقرة : **36** .

فَإِنَّك لَا تَحْمِلِينَ حَمْلًا إِلَّا حَمَلْتِيهِ كَرْهًا ، فَإِذَا أَرَدْت أَنْ تَضَعِي مَا فِي بَطْنك أَشْرَفْت عَلَى الْمَوْت مِرَارًا . وَقَالَ لِلْحَيَّةِ : أَنْتِ الَّتِي دَخَلَ الْمَلْعُون فِي جَوْفك حَتَّى غَرَّ عَبْدِي ، مَلْعُونَة أَنْتِ لَعْنَة تَتَحَوَّل قَوَائِمك فِي بَطْنك ، وَلَا يَكُنْ لَك رِزْق إِلَّا التُّرَاب ، أَنْتِ عَدُوَّة بَنِي آدَم وَهُمْ أَعْدَاؤُك حَيْثُ لَقِيت أَحَدًا مِنْهُمْ أَخَذْت بِعَقِبِهِ ، وَحَيْثُ لَقِيَك شَدَخَ رَأْسك . قَالَ عُمَر : قِيلَ لِوَهْبٍ : وَمَا كَانَتْ الْمَلَائِكَة تَأْكُل ؟ قَالَ : يَفْعَل اللَّه مَا يَشَاء » [1] .

ويعلق محمد أبو شهبة على بعض وقائع القصة، فيقول: « ... وكيف والملائكة لا تأكل ولا تشرب؟ » [2] ، وهو تساؤل منطقي يتبادر إلى الأذهان فور الاطلاع على هذا الحديث الذي نسب إلى رسول الله ﷺ .

وليس علينا ونحن نتحدث عن الإسرائيلية أن نغفل دور الصهيونية التي دخلت الاستشراق – حديثا – من بابه الواسع: « لتحول دون اجتماع المسلمين في وحدة تقاوم اليهودية العالمية ، وتواجه دولة اليهود الباغية إسرائيل» [3] ، وهذا الدور التاريخي إنما يرجع إلى أن اليهود قد « ولجوا أعماق الاستشراق، وساهموا في إرساء دعائمه بهويتهم الأوربية لا اليهودية»[4]، وأمثلة هذا الدور الخطير جلية، فهذا جولدزيهر مثلا يهودي متستر بالجنسية المجرية، ومما لا ريب فيه أن «الهدف الأول من وراء الاستشراق الإسرائيلي هو هدف ديني بحت»[5]، وكأن التاريخ يعيد نفسه !

---

[1] أبو جعفر بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ج 1 ، ص 561 / 562 .

[2] محمد محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص 187 .

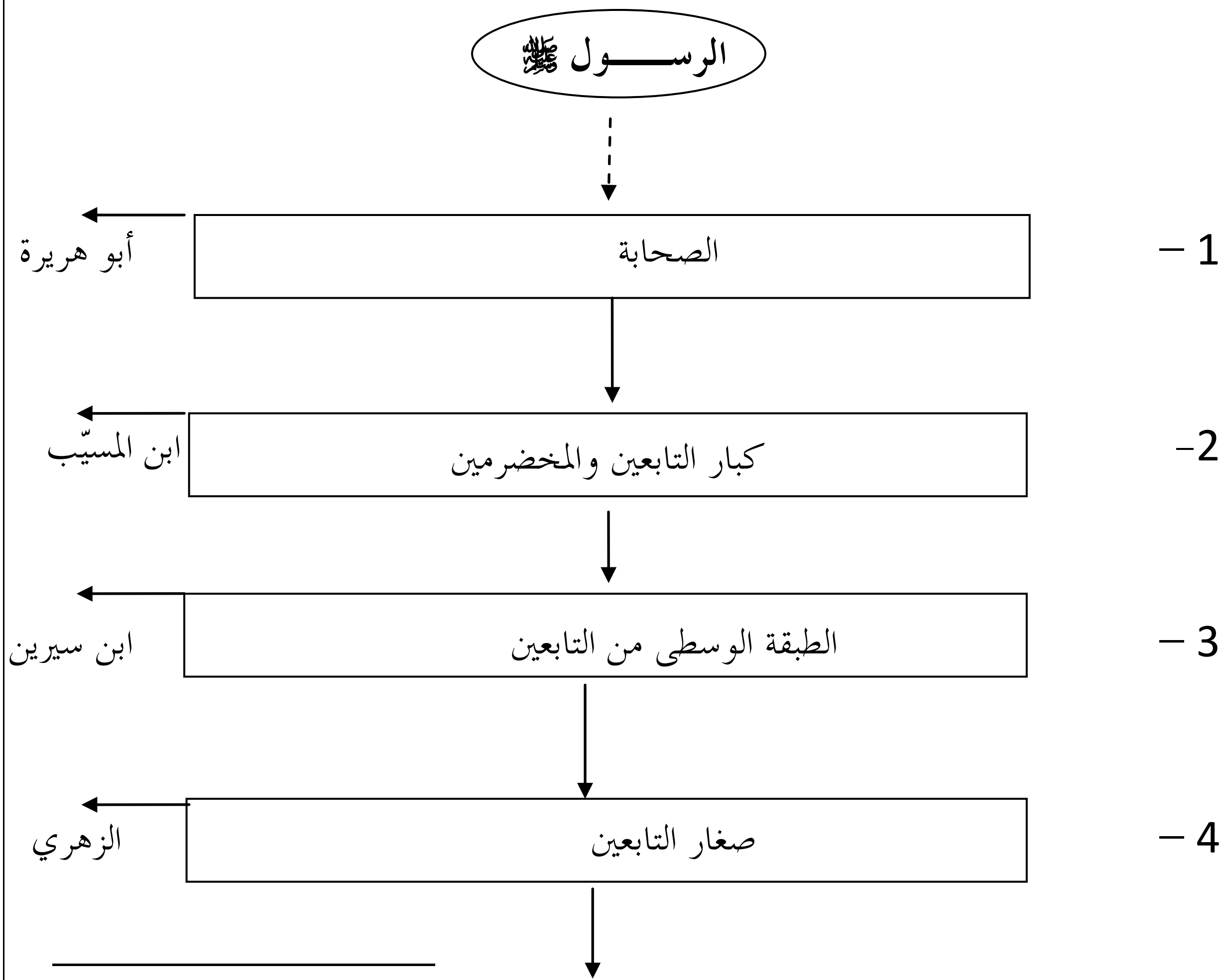
[3] سعد المرصفي ، المستشرقون والسنة ، ص 15 .

[4] محمد جلاء إدريس ، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1416 هـ / 1995 م ، ص 83 .

[5] نفسه ، ص 84 .

2 – رُواة الحديث النبوي الشريف :

لقد وصلنا حديث رسول الله ﷺ عن طريق الرواة ، فكانوا المدد الذي لا ينضب والمعين الصافي الذي به حفظت لنا سنة الرسول ﷺ، جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد قسَّم علماء الحديث الرواة إلى طبقات ، كما فعل الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب) والذهبي في (تذكرة الحفاظ)، ونحاول الإلمام بهذه الطبقات[1] عبر هذا المخطط الذي يبين لنا سير الرواية من الرسول ﷺ إلى غاية آخر طبقة متعارف عليها من قبل علماء الحديث مع ذكر اسم أخدا لرواة الذين سنترجم لهم لاحقا:



[1] طبقات الرواة ، ينظر : طبقات الحفاظ ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ / 1983 م . وأبو عبد الله مصطفى بن العدوي ، شرح علل الحديث ، مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث ، دار ابن رجب ، مصر ، مكتبة مكة ، ص 74 / 76 .

5 – طبقة صغرى من التابعين (ممن لم يلق إلا صحابيا أو اثنين) ← موسى بن عقبة

6 – تابعون لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة ← ابن جريج

7 – كبار أتباع التابعين ← الثوري

8 – الطبقة الوسطى من التابعين ← ابن عيينة

9 – صغار أتباع التابعين ← الشافعي

10 – كبار الآخذين عن تبع الأتباع ← أحمد بن حنبل

11 – الطبقة الوسطى من الآخذين عن تبع الأتباع ← البخاري

12 – صغار الآخذين عن تبع الأتباع ← النَّسائي

ومن أمثلة الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت من قبل رجال هذه الطبقات نورد اختصارا عن كل راوية حديثا واحدا رواه ، ونترجم له في الهامش :

من الطبقة الأولى **أبو هريرةَ** [1] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

ـــــ حدّثنا أبو اليمانِ أخبرَنا شُعيبٌ حدَّثَنا أبو الزِّنادِ أنَّ عبدَ الرحمنِ قال : قال **أبو هريرةَ** رضي اللهُ عنهُ « قَدِمَ طُفَيلُ بنُ عمرو الدَّوسِيُّ وأصحابهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسولَ اللهِ إنَّ دَوساً عَصَتْ وأبَتْ ، فادْعُ اللهَ عليها ، فقيل : هلَكَتْ دَوسٌ . قال : اللهمَّ اهدِ دَوساً وائْتِ بهم » [2] .

ومن الطبقة الثانية **ابنُ المسَيَّب** [3] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

ـــــ حدثنا عَبدانُ أخبرنا عبدُ اللهِ عن يونسَ عَن الزُّهريِّ قال : أخبرني **ابنُ المسَيَّب** عن أبي هريرةَ قال : « بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ جلوس فقال رسولُ الله ﷺ: بينما أنا نائمٌ رأيتُني في الجنةِ فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلتُ لِمن هذا ؟ قال : هذا لِعمر ، فذكرْتُ غيرتَه فوليتُ مدبراً . فبكى عُمرُ وهو في المجلِس ثم قال : أَوعَليكَ يا رسول الله أغار ؟ » [4] .

---

[1] تنظر ترجمة ابن هريرة في نفس الفصل الحالي .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 341 (2937) .

[3] جاء عند ابن سعد : ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مَخْزوم بن يَقَظة . وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي . فولد سعيد بن المسيب : محمدا ، وسعيدا ، وإلياس ، وأم عثمان ، وأم عمرو ، وفاختة ، وأمهم أم حبيب بنت أبي كريم بن عامر بن عبد ذي الشرى بن عتّاب بن أبي صعب بن فهم بن ثعلبة بن سُليم بن غانم بن دوس ، ومريمَ ، وأمها أم ولد . قال الذهبي : الإمام العلم ، أبو محمد القرشي المخزوميّ ، عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وقيل : لأربع مضين منها بالمدينة . رأى عمر ، =وسمع عثمان ، وعليا ، وزيد بن ثابت ، وأبا موسى ، وعائشة ، وأبا هريرة ، وابن عباس ، ومحمد بن مسلمة ، وأم سلمة ، وخلقا سواهم . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 7 ، ص 119 ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، حقق هذا الجزء : مأمون الصاغرجي ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط ، ط 2 ، 1402 هـــ / 1982 م ، مؤسسة الرسالة ، ج 4 ، ص 217 .

[4] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 14 (3679) ، وص 394 برقمي (5226) و(5227) .

ومن الطبقة الثالثة **ابن سِيرينَ** [1] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

ـــــ حدّثنا عليٌّ بن عبدِ الله حدَّثنا سُفيانُ عن أيوبَ عن **ابن سِيرينَ** سمعت أبا هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « سموا باسمي ولا تكتَنوا بكنيتي » [2] .

ومن الطبقة الرابعة **الزُّهريُّ** [3] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري معلَّقًا :

ـــــ قال **الزُّهريُّ** : وحدَّثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس « أن أبا بكرٍ خرج وعمرُ بن الخطاب يُكلِّم الناسَ ، فقال : اجلِسْ يا عمر ، فأبى عمر أن يجلسَ ، فأقبلَ الناسُ إليه وتَركوا

---

[1] قال الذهبي : الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو بكر الأنصاري ، الأَنَسي البصري ، مولى أنس بن مالك ، خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبوه من سبي جرجرايا ، تملكه أنس ، ثم كاتبه على ألوف من المال ، فوفاه ، ، وعجّل له مال الكتابة قبل حلوله . قال : قال أنس بن سيرين : ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر . قال : سمع أباه هريرة ، وعمران بن حصين ، وابن عباس ، وعدي بن حاتم ، وابن عمر ، وعبيدة السلماني ، وشُرَيحا القاضي ، وأنس بن مالك ، وخلقا سواهم . روى عنه : قـــتادة ، وأيوب ، ويونس بن عُبَيد ، وابن عون ، وخالد الحذّاء . قال ابن سعد : = = وكان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها إماما كثير العم ورعا ، وكان به صمم . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 9 ، 192 ، سير أعلام النبلاء ، ج 4 ، ص 606 ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره ج . برجستراسِر G . Bergstrasser ، ط 3 ، 1402 هـــ / 1982 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 151 – 152 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 126 (6188) .

[3] قال ابن سعد : واسمه محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة . وأمه عائشة بنت عبد الله الأكبر بن شهاب ، ويكنى أبا بكر . قال : قال محمد بن عمر : ولد الزهري سنة 58 في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي السنة التي ماتت فيها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الزهري قد قدم في سنة 124 إلى أمواله بثلبة بشغب وبدا ، فأقام فيها ، فمرض هناك ومات ، فأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، ومات لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان سنة 124 ، وهو ابن ست وستين سنة . قال : أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي ، حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : ما أرى أحدا جمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما جمع ابن شهاب . أخبرنا سفيان بن عيينة قال : قال لي أبو بكر الهذلي : ، وكان قد جالس الحسن وابن سيرين : احفظ لي هذا الحديث لحديث حدث به الزهري : قال أبو بكر : لم أر أحفظ من هذا قط ، يعني الزهري . أخبرنا مطرف بن عبد الله : سمعت مالك بن أنس يقول : ما أدركت بالمدينة فقيها محدثا غير واحد ، فقت له : من هو ؟ فقال : ابن شهاب الزهري . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 2 ، ص 333 – 334 ، وج 7 ، ص 429 – 439 .

عمر . فقال أبو بكر : أما بعدُ مَمَن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان منكم يعبد اللَّهَ فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت ، قال اللَّهُ : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ » (آل عمران : 144) . وقال : واللهِ لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكرٍ فتلقّاها منه الناسُ كلهم ، فما أسمعُ بَشراً من الناس إلا يتلوها . فأخبرَني سعيد بن المسيَّب أن عمرَ قال : والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقِرتُ حتى ما تُقلُّني رِجلايَ ، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتُه تلاها ، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات » [1] .

ومن الطبقة الخامسة **موسىٰ بنُ عُقبةَ** [2] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

ــــ حدّثنا عبدُ الأعلىٰ بنُ حمّادٍ قال : حدَّثنا وُهَيبٌ قال : حدَّثنا **موسىٰ بنُ عُقبةَ** عن سالمٍ أبي النَّضرِ عن بُسرِ بنِ سَعيدٍ عن زيدِ بنِ ثابتٍ : « أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم اتَّخذ حُجرَةً ــ قال حَسِبْتُ أنه قال : من حَصيرٍ ــ في رمضانَ فصلَّى فيها لَيالِيَ ، فصلَّى بصلاتهِ ناسٌ من أصحابهِ . فلما عَلمَ بهم جَعلَ يَقعُدُ ، فخرَجَ إليهم فقال : قد عرَفتُ الذي رأيتُ من صَنيعِكم ، فصلّوا أيُّها الناسُ في بُيوتكم ، فإنَّ أفضلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بَيتهِ ، إلاّ المكتوبةَ » [3] .

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 186 (4454) .

[2] قال ابن سعد : مولى الزبير بن العوام بن خويلد ، ويكنى أبا محمد ، وتوفي قبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن ، وكان ثقة قليل الحديث . وقد روي عنه أيضا كما روي عن إخوته . قال ابن حبان : رأى موسى بن عمر وسهل بن سعد ، ويروي عن أم خالد بنت سعيد بن العاص ولها صحبة . روى عنه الثوري وشعبة . مات سنة 135 . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 7 ، ص 519 . ابن حبان ، الثقات ، ج 5 ، ص 405 .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 240 (731) .

ومن الطبقة السادسة **مالكَ بنَ أنَسٍ** [1] ﷺ ، جاء في صحيح البخاري

ـــــ حدّثنا الحُمَيديُّ حدَّثنا سُفيانُ قال : سمعتُ **مالكَ بنَ أنَسٍ** سأَلَ زيدَ بن أسْلمَ ، فقال زيدُ: سمعتُ أبي يقول : « قال عمرُ رضيَ اللهُ عنه : حَملتُ على فرَسٍ في سَبيلِ اللهِ ، فرأيتهُ يُباع ، فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم آشْتَرِيه ؟ فقال : لا تَشْتَرِهِ ولا تَعُدْ في صدَقتك » [2] .

ومن الطبقة السابعة **سُفيانُ الثَّوريُّ** [3] ﷺ ، جاء في صحيح البخاري :

ـــــ حدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى حدَّثَنا إسحاقُ بنُ يوسفَ حدَّثَنا **سُفيانُ الثَّوريُّ** عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيعٍ قال : « سألتُ أنسَ بنَ مالك أخبرْني بشيءٍ عَقلتَهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أينَ

[1] قال ابن سعد : ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح من حمير ، وعداده في بني تيم بن مرة من قريش إلى عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي . قال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار : وكان أبو عامر أبو جد مالك حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي ، كان مولد مالك سنة 93 أو 94 ، وكنيته أبو عبد الله ، من سادات أتباع التابعين ، وجلة الفقهاء الصالحين ممن كثرت عنايته بالسنن وجمعه لها وذبه عن حريمها ، وقمعه من خالفها أو رام مباينتها مؤثرا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرها من المخترعات الداحضة قائلا بها دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة ، مات سنة 179 . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 7 ، ص 570 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 570 ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص 169 ، ابن حبان ، الثقات ، ج 7 ، ص 459 – 460

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجعائلِ والحُملانِ في السَّبيل .

[3] قال ابن حبان : سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثوري ، أبو عبد الله ، وهم إخوة أربعة سفيان والمبارك وحبيب وعمر ، كان مولد سفيان سنة خمس وتسعين ، ومات بالبصرة مختفيا عند عبد الرحمن بن مهدي وفي داره ، مات في شعبان سنة 161 وقبره بالبصرة في مقبرة بني كليب قد زرتُه مرارا . وكان رحمة الله عليه من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين ممن لزم الحديث والفقه وواظب على الورع والعبادة ولم يُبالِ بما فاته من حطام هذه الفانية الزائلة مع سلامة دينه له حتى صار علما يرجع إليه في الأمصار وملجأ يقتدى به في الأقطار . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : ولد سفيان سن 97 في خلافة سليمان بن عبد الملك . وكان ثقة مأمونا ثبتا كثير الحديث حجة . وأجمعوا لنا على أنه توفي بالبصرة وهو مستخف في شعبان سنة 171 في خلافة المهدي . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 8 ، ص 492 ، سير أعلام النبلاء ، ج 7 ، ص 229 ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص 201 .

صلَّى الظُّهرَ يومَ التَّرويةِ ؟ قال : بمِنًى . قلتُ : فأينَ صلَّى العصرَ يومَ النفرِ ؟ قال : بالأبطحِ ، افْعَلْ كما يَفعَلُ أُمرَاؤُكَ »[1] .

ومن الطبقة الثامنة **ابنُ عُيَينةَ**[2] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

ـــــ حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ حدَّثَنا **ابنُ عُيَينةَ** عن أبي يَعفورٍ عن أبي الضُّحىٰ عن مَسروقٍ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : « كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا دَخلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه ، وأحِيا ليلَه ، وأيْقَظَ أهلَه »[3] .

ومن الطبقة التاسعة **يَزيدُ بن هارونَ**[4] رضي الله عنه ، جاء في صحيح البخاري :

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، 534 (1763) .

[2] جاء في مشاهير علماء الأمصار : سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو محمد ، وهم إخوة خمسة سفيان ومحمد وآدم وعمران وإبراهيم بنو عيينة ، حمل عن خمستهم العلم ، عدادهم جميعا في أهل مكة ومولدهم كلهم بالكوفة ، انتقل سفيان إلى مكة ، وكان مولده سنة 107 ليلة النصف من شعبان ، وجالس الزهري وهو ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصف ، مات بمكة يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ثمانين وتسعين ومائة ، وحج نيفا وسبعين حجة ، واسم أبي عمران جده ميمون ، وكان سفيان رحمه الله من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن عني بعلم كتاب الله وكثرة تلاوته له وسهره فيه ، عني بعلم السنن وواظب على جمعها والتفقه فيها إلى أن مات . قال ابن سعد : مولى لبني عبد الله بن رُويبة من بني هلال بن عامر بن صعصعة . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 8 ، ص 59 ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص 179 .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 64 (2024) .

[4] جاء في الثقات : مولى بجيلة ، كنيته أبو خالد ، يروي عن حميد الطويل وعاصم الأحول ويحيى بن سعيد الأنصاري ، كان مولده سنة 118 ، ومات بواسط يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الآخر سنة 206 ، وكان من خيار عباد الله ممن يحفظ حديثه ، وكان يخضب بالحمرة وكان قد كف في آخر عمره . قال ابن سعد : وتوفي وهو ابن سبع أو ثمان وثمانين سنة وأشهر في خلافة المأمون . ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 9 ، ص 316 ، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه وعلق عليه : مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1416 هـ / 1995 م ، ص 208 ، الإمام الحافظ أبو حتم محمد بن حبان بن أحمد ، كتاب الثقات ، طبع بمساعدة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة الهندية ، تحت إدارة السيد شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرها قاضي المحكمة العليا سابقا ، ط 1 1398 هـ / 1978 م ، مطبع مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، الدكن ، الهند ، ج 7 ، ص 632 .

ــــــ حدَّثني يحيى بن موسى حدَّثَنا **يَزِيدُ بن هارونَ** أخبرَنا شُعبة عن قتادةَ عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المدينة يأتيها الدجال فيَجِدُ الملائكةَ يحرسُونها فلا يَقرَبُها الدجال ولا الطاعونُ إن شاءَ اللَّه » [1] .

ومن الطبقة العاشرة **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ** [2] ﷺ ، جاء في صحيح مسلم :

ــــــ وحدّثناه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . جَمِيعاً عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَاللَّفْظُ لأَحْمَدَ قَالاَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ الْمَدِينَةِ ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي . فَانْطَلَقَ بِي إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ أَنَساً غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ . قَالَ : فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ . وَاللّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ صَنَعْتَ هٰذَا هٰكَذَا ؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ : لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هٰذَا هٰكَذَا ؟ [3] .

ومن الطبقة الحادية عشرة **أبو عَوانةَ** [4] ﷺ رضي الله عنه ، جاء في صحيح ابن حبان :

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 327 (7134) .

[2] قال ابن سعد : ويكنى أبا عبد الله ، وهو ثقة ثبت صدوق كثير الحديث ، وقد كان امتحن وضرب بالسياط ، أمر بضربه أبو إسحق أمير المؤمنين على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول ، وقد كان حُبس قبل ذلك فثبت على قوله ولم يُجبهم على شيء ، ثم دُعي ليخرج إلى الخليفة المتوكل على الله ، ثم أعطي مالا فأبى أن يقبل ذلك المال ، وتوفي يوم الجمعة ارتفاع النهار ، ودُفن بعد العصر ، وحضره خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم . ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 9 ، ص 358

[3] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 1264 (2309) .

[4] ورد في طبقات الحفاظ : الحافظ الكبير يعقوب بن إسحق بن يزيد الإسفراييني النيسابوري الأصل . صاحب " المسند الصحيح " المخرج على صحيح مسلم ، وله فيه زيادات عدة . طوف الدنيا وعني بهذا الشأن . وسمع الزعفراني ، والذهلي ، ويونس بن عبد الأعلى . ومنه أبو علي النيسابوري ، وابن عدي ، والطبراني . قال الحاكم : من علماء الحديث وأثباتهم . أخذ كتب الشافعي عن الربيع والمزني : وهو أول من أدخل مذهبه إسفراين ، وهو ثقة جليل . مات سنة 316 . قال ابن العماد : رحل إلى الشام ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، والجزيرة ، والعراق ، وفارس ، وأصبهان . قال : ثقة جليل ، وعلى قبره مشهد بإسفرايين ، وكان مع حفظه فقيها شافعيا إماما . ينظر : الإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، طبقات الحفاظ ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص 329 ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 4 ، ص 80 ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ج 3 ، دار

ـــــ حدّثنا موسى بن إسماعيلَ حدَّثنا **أبو عَوانةَ** حدَّثنا أبو حَصِينٍ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « سموا باسمي ولا تكنُوا بكنيتي ، ومَن رآني في المنام فقد رآني ، فإنَّ الشيطانَ لا يَتمثل صورتي ، ومن كذَب عليَّ مُتعمِّداً فلْيَتبوَّأْ مَقعدَهُ منَ النار » [1]

ومن الطبقة الثانية عشرة **أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ النَّسَائِيُّ**[2] رضي الله عنه، جاء في سنن النسائي :

ـــــ أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ النَّسَائِيُّ بِمِصْرَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ عَنْ سُوَيْدْ بْنِ نَصْرٍ قَال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ : أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الصَّيْدِ فَقَالَ : « إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ فَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ لَمْ يَقْتُلْ فَاذْبَحْ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنْ أَدْرَكْتَهُ قَدْ قَتَلَ وَلَمْ يَأْكُلْ فَكُلْ فَقَدْ أَمْسَكَهُ عَلَيْكَ فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ أَكَلَ مِنْهُ فَلاَ تَطْعَمْ مِنْهُ شَيْئا فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ خَالَطَ كَلْبُكَ كِلاَبا فَقَتَلْنَ فَلَمْ يَأْكُلْنَ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئا فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَيُّهَا قَتَلَ » [3] .

=الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ / 1993 م ، ج 3 ، ص 250 – 251 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 6 ، ص 393 – 394 .

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 127 (6197) .

[2] قال السيوطي : النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن يحيى القاضي الحافظ الإمام شيخ الإسلام . أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقفين والأعلام المشهورين ، جال البلاد واستوطن مصر ، فأقام بزقاق القناديل . قال أبو علي النيسابوري : رأيت من أئمة الحديث أربعة في وطني وفي أسفاري : النسائي بمصر ، وعبدان بالأهواز ، ومحمد بن إسحق ، وإبراهيم بن أبي طالب بنيسابور . وقال الحاكم : كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال . وقال الذهبي : هو أحفظ من مسلم . له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى وهي إحدى الكتب الستة ، وخصائص علي ، ومسند علي ، ومسند مالك . ولد سنة 225 . قال ابن يونس : كان خروجه من مصر سنة 302 ومات بمكة – وقيل بالرملة – في صفر سنة 303 . ينظر : الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط 1 ، 1967 م / 1387 هـ ، ج 1 ، ص 349 – 350 .

[3] النسائي ، السنن الصغرى ، ج 7 ، ص179 – 180 (4263) .

ثالثا : رواية الأحاديث القدسية :

1 – مفهوم الحديث القدسي

بعدما تعرفنا على رواية القرآن الكريم أو بالأحرى قراءاته ، فإنه لا يمكننا تناول الرواية في المصادر الدينية دون الوقوف عند رواية الأحاديث القدسية، والحديث القدسي [1] هو « ما كان لفظه من رسول الله ﷺ ومعناه من الله عز وجل ، وذلك عن طريق الإلهام أو من خلال الرؤيا الصادقة يراها الرسول ﷺ في منامه» [2] .

وقد سمي هـذا النوع من الأحاديث بـ (الأحاديث القدسية) وهـذا « نسبة إلى اسم من أسماء الله تبارك وتعالى (القـدوس) » [3] ، واسم الله القدوس ، مـأخوذ من « قدّس بمعنى نزهه وأبعده عن السوء مع الإجلال والتعظيم » [4] ، يقول تعالى : « هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ »[5]، والتنزيه والتقديس «كلاهما من واجبات الذات العلية، ليس لملك من ملوك الدنيا فيها نقير ولا قطمير»[6] .

[1] ويسمى أيضا الحديث الرباني والحديث الإلهي ، ينظر : زكريا عميرات ، الأحاديث القدسية الصحيحة ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1423 هـ / 2002 م ، ص أ .

[2] المرجع نفسه ، أ .

[3] مصطفى بن العدوي ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع ، دار الكتب ، ص 04 .

[4] حامد أحمد الطاهر ، الجامع لأسماء الله الحسنى ، دار العجز للتراث ، القاهرة ، الجامع الأزهر ، القاهرة ، 233 .

[5] الحشر : 23 .

[6] محمد بكر إسماعيل ، أسماء الله الحسنى ، آثارها وأسرارها ، ط 1 ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1421 هـ / 2000 م ، ص 22 .

وقبل أن يخصص العلماء تصانيف خاصة بالأحاديث القدسية، فإنها كانت مبثوثة في مؤلفات الأحاديث النبوية، ومنها «الكتب الستة الشهيرة وهي صحيحا الإمامين البخاري ومسلم، وجامع الإمام الترمذي، وسنن الإمامين أبي داوود وابن ماجة، ومجتبى النسائي، والجامع الصغير للحافظ عبد الرحمن السيوطي» [1] ، إلى أن تلقفتها أيدي العلماء كما أشرنا، وخصَّصوا لها كتبا منفردة ، تعني بجمعها وترتيبها وشرحها .

2 – وجوه الاختلاف بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

يفترق الحديث القدسي عن القرآن الكريم من عدة وجوه منها [2] :أن القرآن الكريم نزل على جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى في سورة الشعراء: « نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ » [3] ، وفي سورة النحل : « قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ »[4] ، بينما لا يشترط في الحديث القدسي أن يكون جبريل عليه السلام هو الواسطة ، بحيث قد يكون هو نفسه الواسطة أو يكون بالإلهام أو غير ذلك.

ثم إن القرآن متواتر كله بخلاف الحديث القدسي، إضافة إلى أن القرآن الكريم لا يأتيه الخطأ ، بينما نجد الحديث القدسي وقد تطرق إليه الخطأ في رواته، كما أن القرآن يتلى للصلاة، بينما لا يكون ذاك مع الحديث القدسي.

---

[1] عبد الرحمن طالب ، الأحاديث القدسية الربانية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1419 هـ / 1999 م ، ص 03 .

[2] ينظر : مصطفى بن العدوي شلباية ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، ص 04 – 05 .

[3] الشعراء : 193 .

[4] النحل : 102 .

والقرآن مقسَّم إلى سور وآيات وأحزاب ، وليس ذلك في الحديث القدسي ، فضلا على أن ثواب القرآن الكريم وتلاوته ثابت مثل قوله تعالى : « فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ » [1] ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ . وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، لَهُ أَجْرَانِ » [2] ، بخلاف الحديث القدسي .

ومنها أيضا أن القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور ، كما تجوز رواية الحديث القدسي بالمعنى – عند من قال بالرواية بالمعنى – ولا تجوز قراءة القرآن بالمعنى

3 – وجوه الاختلاف بين الحديث القدسي والحديث النبوي :

إن الفروق بين الحديث القدسي والحديث النبوي[3] كثيرة منها، أن الحديث القدسي ينسبه النبي ﷺ صراحة إلى الله ﷻ بخلاف الحديث النبوي ، من ذلك ما نسبه النبي صلى الله عليه وسلم صراحة وبكل وضوح إلى الله عز وجل ، كقوله : « « قال الله » ، أو « أوحى الله إلي » ، أو غير ذلك من الصيغ » [4] ، مثل ما ورد في الحديث القدسي : « عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : قال الله : « قال الله : كذَّبني ابنُ آدمَ وَلْم يكنْ له ذلكَ ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأمَّا تكذيبهُ إيَّايَ فزعمَ أنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كما كان ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إيَّاي فقولهُ لِي ولدٌ ، فَسُبحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صاحِبَةً أَو ولداً » [5] .

---

[1] المزمل : 20 .

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 400 (798) ، والبخاري بلفظ : « مثل الذي يقرأُ القرآنَ وهو حافظٌ له مع السَّفرة الكَرام البَرَرة ، ومثلَ الذي يقرأُ القرآن وهو يتعاهَده وهْوَ عليه شَديدٌ فَلَه أجْران » ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 321 (4937).

[3] مصطفى بن العدوي شلباية ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، ص 05 .

[4] زكريا عميرات ، الأحاديث القدسية الصحيحة ، ص أ .

[5] البخاري ، صحيح البخاري ، ج3 ، ص 192 (4482) .

ثم إن الأحاديث القدسية أغلبها يتعلق بموضوعات الخوف والرجاء وكلام الرب عز وجل مع مخلوقاته ، ولا نجد إلا القلة من الأحاديث القدسية التي تتحدث عن الأحكام ، كالصلاة والصيام وغيرهما .

أما ونحن نقرأ الحديث القدسي ، فنشعر « بكلمات تفيض بالنور والقدسية ، وتحوطها هالات من البهاء الرباني ، والسناء الإلهي المشرق المميز ، بحيث تشعر وأنت أمام الحديث القدسي، بطعم خاص ، وبذوق متميز عن أي كلام » [1] ، وذلك ما يميزه بالموازاة مع ذكرنا سابقا من اختلافات جوهرية .

ونمثل للأحاديث القدسية بمثل ما ورد في الصحيحين: « يقول الله : إذا أرادَ عبدي أن يعملَ سيِّئةً فلا تكتُبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثِلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنةً ، وإذا أرادَ أن يعمل حسنةً فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنةً فإن عملها فاكتبوها له بعشرِ أمثالها إلى سبعِمائةٍ » [2] .

4 – رواية المحدثين للحديث القدسي :

جدير بالذكر أن معاملة المحدثين للأحاديث القدسية ، هي نفسها معاملتهم للأحاديث النبوية، إذ ونحن نتصفح كتب الحديث ، ألفينا الأحاديث القدسية في ثناياها ، وقد رويت مثل رواية الأحاديث النبوية .

---

[1] زكريا عميرات ، الأحاديث القدسية الصحيحة ، ص ب .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 403 – 404 (7501) ، ومسلم بلفظ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ . فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا . فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا » . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ : « قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ : رَبِّ ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ : ارْقُبُوهُ . فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً . إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ »...» ، مسلم ، صحيح مسلم ، ص 79 (129) .

والشاهد في ذلك ما يروي البخاري في باب التواضع بالموازاة مع روايته للأحاديث النبوية: «حدَّثني محمد بن عثمان بن كرامة حدَّثنا خالد بن مَخْلد حدَّثنا سليمان بن بلال حدثني شَريك بن عبد اللَّه بن أبي نَمرٍ عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **إن اللَّهَ قال:** من عادَى لي وَليّاً فقد آذَنْته بالحرب. وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأَعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه . وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته» [1].

إلى جانب ذلك ، فقد خصّص الإمام البخاري بابا أسماه : باب ذِكر النبيِّ ﷺ ، وروايتِهِ عن ربه ، مما رواه فيه : « حدَّثنا آدمُ حدثنا شعبة حدثنا محمَّد بن زيادٍ قال : سمعت أبا هريرةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم **يرويه عن ربِّكم** قال : لكلِّ عملٍ كفَّارةٌ ، والصومُ لي وأنا أجزِي به ، ولخُلوف فم الصائم أطيبُ عند اللَّهِ من ريح المِسك » [2] .

ويروي الإمام مسلم في باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى : « حدّثنا عُبَيْدُ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ : حَدَّثَني عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِيَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابتٍ الْبُنَانيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبي لَيْلَىٰ عَنْ صُهَيْب عَنِ النَّبيِّ قَالَ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ **يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى :** تُريدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ . فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» [3] .

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 192 (6502) .
[2] المرجع السابق ، ص 414 (7536) .
[3] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 110 (182) .

وفي موضع آخر يروي الإمام مسلم أيضا : « حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ . قَالاَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ : **يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ** : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي . وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي . إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ . وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً . وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً . وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [1] .

ويروي أبو داوود أيضا الأحاديث القدسية مثل ذلك : « حدثنا مُوسَى بنُ إِسْمَاعِيلَ أخبرنا حَمَّادٌ ح وَأخبرنا هَنَّادٌ يَعْنِي ابنَ السَّرِيِّ عن أبي الأَحْوَصِ المَعْنَى عنْ عَطَاء بنِ السَّائِبِ قالَ مُوسَى عن سَلْمَانَ الأغَرِّ وَقالَ هَنَّادٌ عن الأغَرِّ أبي مُسْلِمٍ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ هَنَّادٌ ، قال قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم **قالَ الله تَعالَى** : « الْكِبْرِياء رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذفْتُهُ فِي النَّارِ» » [2] .

وقد جاء في سنن الترمذي أيضا ، في كتاب التفسير على وجه التحديد : « حدثنا محمَّدُ بنُ بَشَّارٍ حدثنا مُعَاذُ بنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَن قَتَادَةَ عَن أَبِي قِلاَبَةَ عَن خَالِدِ بنِ اللّجْلاَجِ عَن ابنِ عَبَّاسٍ ، عن النبيِّ قَالَ « **أَتَانِي رَبِّي** فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ **فَقَالَ** : يَا مُحمَّدُ ، قُلْتُ : لَبّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : رَبِّ لا أَدْرِي . فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقُلْتُ : لَبّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ في الدَّرَجَاتِ والكَفَّارَاتِ ، وفي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلى الْجماعَاتِ ، وإِسْبَاغِ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ ، وانْتِظَارِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاة ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » » [3] .

---

[1] المصدر السابق ، ص 1439 (2675) .

[2] أبو داوود ، كتاب السنن ، ج 4 ، ص 417 (4087) .

[3] الترمذي ، الجامع الكبير ، ج 5 ، ص 283 – 284 (3234) .

ومن ثمة لاحظنا كيف اهتم المحدثون بجعل حيز لا بأس به في متونهم لرصد الأحاديث القدسية إلى جانب الأحاديث النبوية ، على حد سواء.

الفصل الثاني

رواية الأخبار والأنساب والقصص والمغازي

لقد قطعت الأخبار رحلة طويلة منذ كانت كلمات تتناقل من أفواه قائليها إلى أفواه الرواة ، حتى استقرت في بطون الكتب.

ونحن نتحدث عن رواية الخبر ، فإننا نستعرض نشأة الدراسات التاريخية عند العرب ، وفي هذا المجال نجد أن بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين[1] — الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث ، والاتجاه القَبَلي أو اتجاه الأيام ، باعتبار أخبار الأيام كانت موجودة في العصر الجاهلي ابتداء .

وبما أن النسب « يستتبع رواية أخبار العرب، وما فيه شاهد على التاريخ من أشعارها»[2] ، فيلحق هو الآخر بالاتجاه الثاني بالضرورة ، إضافة إلى أن الأيام والأنساب المصدرين الأساسيين لاستنباط المادة التاريخية في شمال الجزيرة العربية[3] ، باتفاق الباحثين في هذا المجال التاريخي الأدبي .

على أننا نشير ، أن الأنساب كانت « ذات أهمية تقل كثيرا عن أهمية الأيام كشكل من أشكال التعبير التاريخي ، غير أنها أكثر دلالة على وجود الإحساس التاريخي» [4] لدى العرب قبل الإسلام وبعده.

ولعلنا لا نجانب الصَّواب لو قلنا أن التاريخ هو أساس كل التفرعات التي توصل إليها الباحثون في إطار رواية الأخبار سواء كانت رواية أخبار العرب المتعلقة بالنسب أو بأيام العرب أو ما تعلق منها بالمغازي بعد بزوغ فجر الإسلام .

إذن سنحاول في العناوين الموالية تناول مفهوم التاريخ ورواية الأنساب ثم رواتها ، وبعدها نفرد عنوانا لرواية الأخبار وقصص الأيام ورواتها والمغازي ورواتها، مع المرور بعناوين فرعية تخدم المقاصد الكبرى في هذا الفصل .

---

[1] ينظر : عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص : 19 .

[2] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، 1 / 311 .

[3] ينظر : شاكر مصطفى ، المؤرخون والتاريخ عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ص : 13 .

[4] فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ط 2 ، 1403 ه / 1983 م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص : 33 .

أولا : مفهوم الخبــــر

إن للتاريخ أهمية قصوى لكل البشرية ، وهو من أهم العلوم دراسة في العصر الحاضر[1] إذ كيف نتمكن في جهل من ماضيها أن نستمر في حاضرنا ، ونتجنب هفوات أجدادنا ونشد على الثوابت؟ وكيف يمكن دون الاطمئنان إلى الماضي أن نستجمع إرثنا ، والأخبار جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ ، مهما كانت وجهته أو جنسيته والأمة التي تعيش بدون تاريخ ، تعيش حتما بدون ذاكرة ، فما هو التاريخ الذي يفرض وجوده في كل عصر ومصر ، وما علاقته بدراستنا؟

يعرِّف الدارسون التأريخ على أنه « علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في (مجتمع) خلال توالي الأزمنة في (الماضي) » [2] ، ومما يميز التاريخ أنه إرث تشترك فيه كل البشرية التي خطت سطوره منذ بدء الخليقة حتى الآن ، وبالتالي ، فـــ « كافة الأمم تشترك في النزعة التاريخية التي تكاد لعمقها وثباتها واستمراريتها وأثرها التلقائي الفعال ندعوها بـــ (الغريزة التاريخية) »[3]، إذ لا وجود لجماعة بشرية « دون أن يكون لديها تراث من المعرفة التاريخية »[4]، بتنوع هذه المعرفة واختلاف الشعوب ، على مرِّ الحقب الزمنية .

على أن ندرك أن هذه الجماعة البشرية في طورها البدائي ونشأتها الأولية « اتشحت معرفتها التاريخية بالأساطير والخرافة ، وكلما ارتقت إلى مدارج الحضارة ازدادت المعرفة

---

[1] عن أهمية التاريخ وقيمته يراجع : جوزيف هورس ، قيمة التاريخ ، ترجمة : نسيم نصر ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، 1986م ، ص : 17 .

[2] عبد الرحمن بدوي ، النقد التأريخي ، ط 4 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، (يشمل لانجلو أوسينوس : المدخل إلى الدراسات التأريخية ، بول ماس : نقد النص ، إمانويل كنت ، التأريخ العام) ، ترجمها عن الفرنسية والألمانية : عبد الرحمن بدوي ، ص أ .

[3] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام) ، 1 / 06 .

[4] قاسم عبده قاسم ، فكرة التاريخ عند المسلمين (قراءة في التراث التاريخي العربي) ، ط 1 ، 2001 م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 62 .

التاريخية لديها نضجا واكتمالا » [1] ، وما الأساطير والخرافات إلا من الأخبار التي تحيلنا إلى ما ذكرناه .

إذن، فعلم التاريخ في أزمنته الغابرة يرجع إلى الوقت الذي ترك فيه الإنسان البدائي آثاره المادية منقوشة على صخور الكهوف والمغارات ، رغم أنه كان في تلك الفترة يعيش على شكل جماعات صغيرة جدا محدودة ، ولم يكن مدركا للتاريخ ، حتى غدا على مر الزمان جزء منه ، ومن من أقدم ما وصل إلينا من التواريخ « ما كتبه المصريون والبابليون والأشوريون والعبرانيون » [2] ، كيف لا وقد كانت كل حضارة من الحضارات المذكورة شاهدا في على مر الزمان على تعمير الأرض بشكل متميز عن الآخر.

وقد كانت للأمم في العصور القديمة طرق مختلفة في التأريخ[3] ، قد ارتكز معظمها عـــلى الخوارق وقصص الأبطال، ومبدأ العناية الإلهية والقضاء على الوثنية وعلى القيم الأخلاقية أيضا ، وخاصة التوراة ، والذي لا يخلو من الأساطير ، ونماذج ذلك مبثوثة بين ثنايا الكتب التاريخية ، والكثير من الباحثين يعتبرون هوميروس بحق « والد التاريخ أو (أبو التاريخ) خاصة أنه كان أول من أهمل الروايات الوهمية المرتبطة بالآلهة والأبطال ، وانصرف إلى البحث وتسجيل وقائع الزمن الذي عاش فيه » [4]، وبطريقته الخاصة في التدوين التي ميزت مسيرة هذا الشاعر الإغريقي الذي عاش قبل الميلاد.

أما في القرون الوسطى[5] التي عُرفت فيها حضارة أوروبا بالانحطاط ، فقد « سيطر على هذه المرحلة عند الأوربيين نوع من الأسرار والغموض ، إذ انحصر تدوين التاريخ بالكهنة ، وسيطر علم اللاهوت على الروح البشرية وطبع آراء المؤرخين بتعاليمه ، فرجال الدين كانت

---

[1] المرجع السابق ، **62 – 63** .

[2] **يسري عبد الغني عبد الله معجم المؤرخين المسلمين ، ط 1 ، 1411 هـــ / 1991 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 21 .**

[3] **ينظر: فاطمة قدورة الشامي ، علم التاريخ (تطور مناهج الفكر والبحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص : 21 .**

[4] **قاسم عبده قاسم ، فكرة التاريخ عند المسلمين (قراءة في التراث التاريخي العربي) ص : 07 – 08 .**

[5] **ينظر : المرجع نفسه ، 08 .**

لهم الآثار السلبية الكبرى في تكييف التاريخ وتوظيفه لأغراضهم وأطماعهم الشخصية ، فكانت صفحات تاريخية مشوهة ، غامضة لا تعبر بصدق عن تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الغرب .

فماذا عن فكرة التاريخ عند العرب والمسلمين على وجه الخصوص ؟

ثانيا : علم التاريخ عند العرب والمسلمين :

لقد أولى العرب علم التاريخ اهتماما مميزا نظرا لميلهم بمعرفة مصائر الأمم الماضية وحـــوادث الأزمان السابقة [1] ، وهذا ما نجده مجسدا في عدد الكتب التي خطها العرب في هذا المجال المعرفي المهم ، فرغم أن العرب لم يخترعوا علم التاريخ ، إلا أنهم برزوا فيه و لم يكتفوا بما نقلوه عمن سبقوهم ، بل نلفيهم وقد « رووا أخباره وجمعوا ما استطاعوا من الروايات وألّفـــوا فيه ، و لم يتركوا جانبا من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه » [2] ، مما جعلنا أمام أخبار يستحيل أن تعد وتحصى من طرف المنقبين عن التاريخ .

ولقد كانا التعبيران الفنيان اللذان استعملا عادة للتعبير عن فكرة التاريخ باللغة العربية همـــا [3] (**علم الأخبار**) ، (**علم التاريخ**) ، وكانت كلمة الأخبار وهي صيغة الجمع لكلمة خبر وهي الأكثر شيوعا ، ومن متطلبات هذا الفصل الوقوف عند علم الأخبار دون أن يفصل عن التاريخ للعلاقة بين المصطلحين ببعض لأن بحثنا ينحو منحى تاريخيا ، وستكون البداية بكلمة (تاريخ) .

لقد تنوعت آراء الباحثين في تحديد معاني كلمة (**تاريخ**) وأصلها ، فحسن عثمان يذهب إلى أن الألفاظ : « التاريخ والتأريخ والتوريخ تعني الإعلام بالوقت ، وقد يدل تاريخ الشيء على وقته الذي ينتهي إليه زمنه ، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة » [4] .

بينما يذهب شاكر مصطفى إلى أن كلمة (تاريخ) تحمل في اللغة العربية خمسة معان على أقل تقدير [5] ، أوّلها معنى سير الزمن والأحداث من التاريخ الإسلامي أو تاريخ إيطاليا = The History Of … ثم تاريخ الرجال The Biographie وكذا بمعنى عملية التدوين

---

[1] ينظر : قاسم يزبك ، التاريخ ومنهج البحث التاريخي ، 09 .

[2] المرجع السابق ، 09 .

[3] فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين، 19 .

[4] حسين عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ط 8 ، دار المعارف ، مصر ، 2000 م ، 12 .

[5] ينظر : شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 50 – 51 .

التاريخ أو التأريخ والمعرفة به The History ، وأخيرا قد تأتي لفظة التاريخ بمعنى تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة The Date .

هذا عن كلمة (تاريخ) فماذا عن المصطلح المجاور الآخر (**الأخبار**) ؟

من الشائع عند المؤرخين أن الخبر هو «فرع من فروع المعرفة في القديم ما في ذلك شك»[1] ، فإن حاولنا مقارنة (**خبر**) بمصطلح (**تاريخ**) ، فإننا نجد كلمة (أخبار) تطابق التاريخ من حيث أنه قصة أو حكاية ولا تتضمن أي تحديد في الزمن ، كما أن معناها لم ينحصر في سلسلة الحوادث المترابطة عضويا ، فمعنى (خبر) محدود جدا ، ثم ما فتئ أن أصبح لهذا التعبير معنى إضافيا وهو المعلومات المتصلة بأعمال الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأقواله ، ثم أصبح في الواقع كالمرادف للحديث ، شأن بعض الكلمات الأخرى كالآثار [2] ، وهذا التطور جاء تدريجيا ، و لم يأت طفـــرة واحدة ، و لم يقض في نفس الوقت على المعاني السابقة .

ومن ثمة ، فإن (**الخبر**) أضحى ملتقى لمعان مختلفة ومتنوعة ، متقاربة في أغلبها ومترابطة « حتى إنه تضخم وصار من الكلمات التي تستعمل في مجالات متعددة تضم إلى النص القرآني والحديث النبوي والتاريخ والجغرافيا والأمثال والحكم وغيرها » [3] ، فعاد بذلك جامعا بكل ما يصح أن يطلق عليه (خبرا) مهما كانت صفته ، واتجاهه في مجال العلوم الإنسانية .

كما أن للخبر « وشائج تشده إلى التاريخ والأنساب والآداب » [4] ، وكثيرا ما نرى في كتب التراجم والسير أن المؤلف جمع بين علم المترجم له بالأشعار والآداب والأنساب وتاريخ أيام العرب ، من ذلك وصف الراوية معمر بن المثنى بأنه « كان من أعلم الناس باللغة وانساب العرب وأخبارها » [5] ، وقولهم في المفضل الضبي أيضا : « الشريف النسابة ... الراوية الأديب النحوي اللغوي ، كان من أكابر علماء الكوفة ، عـــالما بالأخبار والشعر

[1] **محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـ / 1998 م ، 84 .**

[2] **ينظر :فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، 20 .**

[3] **محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) ، 88 .**

[4] **المرجع السابق ، 84 .**

[5] **ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2704 .**

والعربية » [1] ، ومثله حماد الراوية الذي قي عنه « أنه كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » [2] ، وغير ذلك كثير مما نجده في كتب الأدب العامة والخاصة معا .

يقول الجاحظ في هذا الصدد : « كثرة السماع للأخبار العجيبة ، والمعاني الغريبة ، مشحذة للأذهان ومادة للقلوب ، وسبب للتفكير ، وعلة للتنقير عن الأمور . وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا ، وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما ، وأكثرهم علما أرجحهم عملا » [3] ، فالجاحظ هنا قد أدرك ما للسماع من فوائد جليلة تعمل على تنمية القدرات لدى السامع وتنعكس إيجابا على تحصيله وكذا على تلقينه العلم لغيره .

ومن المعلوم لدى المؤرخين أن « علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام ، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام » [4] ، وبرجوعنا لهذا التراث السخي فإننا نلفي مادة تاريخية واسعة الامتداد يمكننا أن نقسمها إلى نوعين[5] بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وما يحكى عليه من أخبار الأمم الأولين ، وأما النوع الآخر فروايات جماعية بدوية المنشإ تروي النزاع القبلي وتحمل اسم الأيام وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل .

إذن ، فالواضح أن هذه الأشكال التاريخية موغلة في القدم ، لكن بالرغم من ذلك ، فـــ « صلتها بالتاريخ بالمعنى المعروف غامضة عنه ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية » [6] ، بحيث لا تخلو قصة وردت إلينا من العصر الجاهلي من ملابسات وأمور يحيط بها الشك ويلازمها نوع من الغموض أو التعجب .

---

[1] المصدر السابق ، 6 / 2710 .
[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 206 .
[3] الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1384 هـــ – 1964 م ، 3 / 239 .
[4] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة التاريخ عند العرب ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1983 م ، 13 .
[5] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 54 .
[6] المرجع السابق ، 1 / 54 .

وبالإضافة إلى قصص الأيام وتراث الأنساب الذين كان مهدهما أواسط الجزيرة قبل الإسلام ، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار « تغلغل بعض أشكال الكتابة والتفكير التاريخي ونفوذهما من الأقطار المجاورة للجزيرة » [1] ، باعتبارها لم تكن معزولة عن حدودها الطبيعية تلك ، حتى وإن قل هذا الرافد مقارنة بما ذكرناه أعلاه .

وأخيرا نقول أن كل هذه الأشكال التاريخية حفظ منها ما حفظ بفضل استمرار روايتها فـــ « التاريخ المحفوظ بدأ بالفعل كرواية مخزونة في الصدور ، بل إنه كذاكرة جماعية للشعوب ، تعبر عن الحضارات المتعاقبة وعن أعلامها وسيرهم وإنجازاتهم ومآثرهم ، بل إنه إلى يومنا هذا لا يزال يحفظ » [2] ، والعرب لم يشذوا عن هذه القاعدة العامة ، فمن المحقق تاريخيا أن العرب في جاهليتهم وأوائل إسلامهم لم يقوموا بتدوين التاريخ وإنما كانوا يحفظونه في ذاكرتهم ويستوعبونه سماعا ، فكان تاريخ العرب الأول وهو عبارة عن وقائع وأيام وغزوات محفوظا في الذاكرة يرددونه على ألسنتهم [3] ، ويتناقلونه أبا عن جد ، بطريقة سلسلة ، تعكس قدرتهم على الحفظ وتداول الأخبار فيما بينهم

ثالثا : رواية الأنساب

1 – مفهوم علم الأنساب

الأنساب لغة بمعنى « نسب القرابات وهو واحد الأنساب » [4] ، ويقال : « نسبت فلانا إلى أبيه ، أنسُبه وأنسِبه نسبًا ، إذا رفعت نسبه إلى جده الأكبر » [5] ، فالنسب من هذا التعريف هو الرابط الشرعي الأبوي الذي يربط بين الأب وولده أوابنته وصولا للجد أو لنقل لآخر جد معروف لسلسلة نسب معينة .

ومن منظور أوضح فالأنساب هي « سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية ، للتعارف والتمايز . إنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها ، هي

---

[1] فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، 35 .

[2] عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، 1 / 98 .

[3] ينظر : يسري عبد الغني ، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، 11 .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 48 ، ص 4405 .

[5] المرجع السابق ، ج 48 ، ص 4405 .

في الواقع ؛ التاريخ الأنثروبولوجي التقليدي والهيكل العظمي للفكرة التاريخية » [1] ، ولا غنى لرواية علم الأخبار عن رواية علم الأنساب .

ولعلم الأنساب أهمية تذكر في بطون الكتب[2] فهو علم جليل نافع ، إذ به يكون التعارف ، ومن فائدة العلم بالأنساب أيضا أنه به يُعلم كل منسوب إلى شعب أو قبيلة أو عمارة أو بطن مشهور فخذ مشهور ، مما يساعد على رسم سلاسل أنساب تتميز بها الجماعات البشرية ، وحتى لا يعزى أحد لغير آباءه وأجداده .

وقيل قديما : « لو لم يكن من معرفة علم الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء ، وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أكرم الرأي وأفضل الثواب » [3] ، مما جعلها من أهم ما يدرس في علم الأخبار ، ومن العلوم المطلوبة لدراسة تاريخنا .

وقد اهتم العرب سواء في الجاهلية أو في الإسلام بأنسابهم فـــ « حفظوها ورَوَوها في جاهليتهم ، ودونوها في إسلامهم » [4] ، بحيث اعتبرت رواية النسب ظاهرة عامة في العرب ، بل تعدت رواية ما تعلق بأنساب القبائل وكانوا ينسبون حتى في الحيوانات كالخيل والإبل والكلاب ، فنسبوها وذهبوا بأنسابها إلى أسلاف بعيدة [5] ، مما يدل على علو شأن النسابة بين العرب ، والعارفين بالنسب عموما ، ويعطينا انطباعا بأهمية الأنساب عند العربي .

ففي الجاهلية ، كانت الأنساب طريقة تجمع العرب وتضم بعضهم البعض ، بل كانت أنسابهم درءا يدفعون به كثيرا من الأخطار عنهم ، يوم لم يكن لهم دولة تجمعهم وتحميهم [6] ،

---

[1] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / ص 55 .

[2] ينظر : أبو جعفر البلنسي الأندلسي ، تذكرة الألباب بأصول الأنساب ، تحقيق : محمد موسى الموسوي الحرشان ، تقديم السيد هارون أحمد العطاس ، المواهب للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 62 و :محمد بن إبراهيم الحقيل ، كثرة الأنساب ومجمع الآداب ، ط 1 ، ص 17 .

[3] شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق الدكتور مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، 2000 م ، ص 335 .

[4] السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف رسول ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تحقيق ك . و . سترستين ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992 م / 1412 هـــ (المقدمة) ، ص 03 .

[5] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، 1 / 311 وعبد الحميد الشلقاني ، الأعراب الرواة ، ص 36 .

[6] ينظر : المصدر نفسه ، (المقدمة) ، ص 03 .

إلى أن أصبحت الأنساب ميزة الشرف والتفاخر بالأجداد ، فنجد في تراجم القدماء ، سرد النسب كافتتاحية ثابتة لترجمة أي علم من الأعلام ، بل صنفت الكتب المستقلة لهذا الغرض ، ويعد كتاب (أنساب الأشراف) [1] لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري (- 269 هـ / 892 م) الذي يعتبر من أهم المصنفات الضخام التي تناولت الأنساب ويقع المؤلف في (13) جزءا .

ويليه كتاب الأنساب [2] للحافظ الإمام ابن سعد عبد الكريم ابن محمد السمعاني (562 هـ / 1166 م) ، ويقع هو الآخر في (12) مجلدا .

كما نجد أن أبا العباس القلقشندي (706 هـ / 821 م) لم يحد عن هذا المسار وكتب عن الأنساب في مؤلفه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) [3] ، وغيره من المؤرخين المتأخرين.

ولذلك نرى العرب قديما يحرصون كل الحرص على المحافظة على أنسابهم ، وعلى أن تستفيض بطريق التواتر والنقل الشفوي منذ أيام الجاهلية ولا يتأتى حفظ الأنساب على هذه الصورة الدقيقة ، إلا عن طريق الرواية [4] ، وننقل لابن سلام الجمحي قوله : « إذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة ، وكاثر بسعد ، وحارب بعمرو ، وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكاثر بهوازن ،وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان ، وكاثر بشيبان ، وحارب بشيبان » [5] ، مما يبين حرص العرب على الدقة في تحديد النسب ، كما هو الحال مع بقية المرويات .

---

[1] **ينظر : البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ، ورياض زركلي ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ / 1996 م .**

[2] **ينظر : ابن سعد عبد الكريم ابن محمد السمعاني ، الأنساب ، حقق نصوصه وعلق عليها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط2 ، القاهرة ، مصر ، 1400 هـ / 1980 م .**

[3] **ينظر : أبو العباس أحمد القلقسندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العـــرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1400 هـ / 1980 م .**

[4] **ينظر : عبد الحميد الشلقاني ، الأعراب الرواة ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، ط 2 ، 1982 م ، ص 34 - 35 .**

[5] **ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .**

فإن تصفحنا بعض الكتب التراثية ، فإننا نجد فخر الكثير من الشعراء بأنسابهم ، وتباهيهم بأسرهم ، من ذلك قول المثقب العبدي :

أَنا بَيتي مِن مَعَدٍّ في الذُرى *** وَلِيَ الهامَةُ وَالفَرعُ الأَشَم

لا تَراني راتِعاً في مَجلِسٍ *** في لُحومِ الناسِ كَالسَبعِ الضَرِم

إِنَّ شَرَّ الناسِ مَن يَكشِرُ لي *** حينَ يَلقاني وَإِن غِبتُ شَتَم [1]

وفي موضع آخر من نفس المصنف ، يقول يزيد بن الحذاق الشني :

أَعدَدتُ سَبحَةَ بَعدَ ما قَرِحَت *** وَلَبِستُ شِكَّةَ حازِمٍ جَلدِ

يَأَبى لَنا أَنّا ذَوو أَنَفٍ *** وَأُصولُنا مِن مَحتِدِ المَجدِ

إِن تَغزُ بِالخَرقاءِ أُسرَتُنا *** تَلقَ الكَتائِبَ دونَنا تَردي [2]

وقال عوف بن الأحوص أيضا :

وَما إِن خِلتُكُم من آلِ نَصرٍ *** مُلوكاً وَالمُلوكُ لهم غَلاءُ

وَلكن نِلتُ مَجدَ أَبٍ وَخالٍ *** وَكانَ إِليهما يَنمي العَلاءُ [3]

ونحن نتصفح سيرة عنترة بن شداد ، تستوقفنا أبيات لهذا الشاعر ، تبين إدراكه التام لأهمية الأنساب في حياة العرب ، إلا أنه لم يحظ بشرف النسب العالي الذي يميزه ، ولا حول ولا قوة له في اصطفاء نسبه ، فنجده قد اعتبر شرف نسبه في قوته وبأسه في الحروب ، فيقول :

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ *** وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ

وَمَن يكُن عَبدَ قَومٍ لا يُخالِفُهُم *** إِذا جَفوهُ وَيَستَرضي إِذا عَتَبوا

قَد كُنتُ فيما مَضى أَرعى جِمالَهُمُ *** وَاليَومَ أَحمي حِماهُم كُلَّما نُكِبوا

لِلَّهِ دَرُّ بَني عَبسٍ لَقَد نَسَلوا *** مِنَ الأَكارِمِ ما قَد تَنسُلُ العَرَبُ

لَئِن يَعيبوا سَوادي فَهوَ لي نَسَبٌ *** يَومَ النِزالِ إِذا ما فاتَني النَسَبُ [4]

---

[1] المفضل الضبي ، المفضليات ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط 6 ، دار المعارف ، مصر ، ص 294 .

[2] المرجع السابق ، 296 .

[3] ابن المبارك ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، ص 385 – 386 .

[4] عنترة بن شداد ، الديوان ، ص 11 .

فلا عجب إذن ، إذا سمعنا النعمان بـــن المنذر متحدثا أمام كسرى أنوشروان ومفتخـــرا « ... أما أنسابها وأحسابها ، فليست امة إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها ، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيًا ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فأبا ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه » [1] ، مما يؤكد هذا الحرص غير المتناهي على تناقل الأنساب وتوارثها .

من جهة أخرى ، فالأنساب « شكل من أشكال التعبير التاريخي » [2] ، نظرا لما تحمله من أخبار تاريخية تدلنا على أصول الأشخاص ومكانتهم في مجتمعاتهم منذ بدء الخليقة إلى الآن

والأنساب أنواع كثيرة ، منها [3] الذين نسبوا إلى قبائلهم كالبكري والتغلبي ، والذين نسبوا إلى بلادهم كالأندلسي والمغربي ، والذين نسبوا إلى مدنهم وأماكن ولادتهم كالبصري والكوفي ، والذين نسبوا إلى نحلتهم أو مذهبهم أو طريقتهم ، كالحنفي أو الحنبلي ، والذين نسبوا إلى مهنتهم أو حرفتهم ، كالطغرائي والكتْبي ، والذين نسبوا إلى إلى مؤدبيهم وأساتذتهم أو لمن لازموهم أو خدموهم ، كالأفضلي والجعدي ، والذين نسبوا إلى علوم وآداب شغفوا بها ، كالتاريخي والمسندي

كما أن أغلبية المنسوبين ، نجدهم قد نسبوا إلى آبائهم ، إلا أننا نجد ظاهرة النسب إلى الأمهات والجدات أيضا ، وذلك في العصور العربية والإسلامية ، والذين حصرهم أحد الباحثين ، بدءا من العصر الجاهلي ، وانتهاء بالربع الأول من القرن العشرين ، بـــ « خمسمائة وثمانية وثلاثين علما » [4] ، وهو رقم لا يستهان به ، ويمكن أن يكون ظاهرة منفردة تشد الباحثين .

ومما تنقله لنا روايات النسب ، ما انتهى إليه الشرف من قبيلة قريش ، إلى أن بزغ نور الإسلام ، فذكرت « عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم (هاشم) ، و(أمية) ، و(نوفل) ،

---

[1] **ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ص : 1 / 277 .**

[2] **شاكر مصطفى ، المؤرخون والتاريخ عند العرب ، 1 / 12 .**

[3] **ينظر : فؤاد صالح السيد ، معجم الذين نسبوا لأمهاتهم ، ط 1 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1996 م ، ص 08 .**

[4] **فؤاد صالح السيد ، معجم الذين نسبوا لأمهاتهم ، ص 13 .**

و(عبد الدار) ، و(أسد) ، و(تيم) ، و(مخزوم) ، و(عدي) ، و (جمح) ، و (سهم) » [1] ، الذين توارثوا النسب أبا عن جد ، كما يذكر عن قريش إن « نسبها أصح الأنساب » [2] .

وقد جرت عادات العرب على أن « الأب الواحد قد يكون أبا لعدة بطون ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد ، فيتفرع عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليها منهو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد أو لم يولد له و لم يشتهر ولده ، فينسب إلى القبيلة الأولى » [3] .

وحينما أشرق نور الإسلام على بني البشر ألقى هذا الدين القويم المظاهر السلبية التي كانت شائعة في العصر الجاهلي ، من ذلك التفاخر في الأنساب والتعصب لها ، فليس من التفاضل التفاوت في الأصل والفصل ، وإنما بالتقوى مصداقا لقوله تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ » [4] ، فالله يخبرنا في سياق الآية المباركة أننا جميعا ننتسب لآدم وحواء عليهما السلام ، فنحن في هذا سواء ، وإنما التفاضل بيننا بالأمور الدينية وطاعة رب البرية ، وتتعاضد هذه الآية مع قوله تعالى أيضا في سورة المؤمنون وبصورة أوضح وأدق : « فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ » [5] ، ففي الآية الكريمة يخبرنا ربنا عز وجل أنه إذا قام الناس من القبور لا تنفع الأنساب يومئذ .

---

[1] محمود شكري الألوسي البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرحه وصححه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص **19** .

[2] محمد بن حبيب البغدادي ، المنمق في أخبار قريش ، حققه وعلق عليه : خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، ط **1** ، **1405** هـ / **1985** م ، بيروت ، لبنان ، ص **19** .

[3] سلطان طريخم المذهن السرحاني ، جامع أنساب العرب ، ص **06** .

[4] الحجرات : **13** .

[5] المؤمنون : **101** .

وثبت عن الرسول ﷺ، أنه قال : « إِنَّ اللهَ قدْ أَذْهَبَ عَنْكُم عُبِّيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بالآبَاء ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُمْ بَنِي آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَاب ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ » [1] ، فالرسول ﷺحينما صنف الناس رجلان ، ذكر المؤمن التقي و لم يذكر أنه حسيب النسب وحينما ذكر الفاجر الشقي، لم يشفع له رفيع حسبه ونسبه.

ويؤكد ﷺ على نفس المعنى في قوله : « إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا » [2] ، ويقول علي بن أبي طالب أيضا في معنى جميل يعاضد رأي الدين في النسب :

كُن اِبنَ مَن شِئتَ واِكتَسِب أَدَباً *** يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَبِ
فَلَيسَ يُغني الحَسيبُ نِسبَتَهُ *** بِلا لِسانٍ لَهُ وَلا أَدَبِ
إِنَّ الفَتى مَن يَقولُ ها أَنا ذا *** لَيسَ الفَتى مَن يَقولُ كانَ أَبي [3]

وقد جعل الرسول ﷺ في تعلم الأنساب حكمة ، نلخصها فيما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه ﷺ قال : « اعْرِفُوا أنسابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّهُ لا قُرْبَ للرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وإِنْ كانتْ قريبةً ، ولا بُعْدَ لَهَا إِذَا وُصِلَتْ وإِنْ كانتْ بعيدةً » [4] ، والأمر بالنظر إليه منطقيا ، صحيح ، فكيف تتواصل الأسر ، ويتعارف الأفراد دون معرفة بعضهم أنساب بعض .

وفي هذا المعنى يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لَعَمرُكَ ما الإِنسانُ إِلّا بِدينِهِ *** فَلا تَترُكِ التَقوى اِتِّكالاً عَلى النَسَبِ

---

[1] أبو داوود ، سنن أبي داوود ، كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب ، ج 5 ، ص 404 (5075) .
[2] الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، 28 / 548 .
[3] علي بن أبي طالب ، الديوان ، (ديوان الإمام علي) ، منقح ومصحح على الرواية الصحيحة ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، مطبعة الكرم ، 1382 هـ / 1963 م ، ص 19.
[4] البيهقي ، السنن الكبرى للبيهقي ، ط 1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ، الهند ، 1355 ه ، باب وجوه العلم بالشهادة ، كتاب الشهادات ، ج 10 ، ص 157 .

فَقَد رَفَعَ الإِسلامُ سَلمانَ فارِسٍ *** وَقَد وَضَعَ الشِركُ الشَريفَ أَبا لَهَب [1]

وبرجوعنا للتاريخ الإسلامي ، تطالعنا الأحداث بموقف الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري من سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنهما وهما في لحظة غضب ، حين قال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء .. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غضب وقال لأبي ذر : « يا أبا ذَرّ ، أعَيَّرتَهُ بأمِّهِ؟ إنَّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِلِيَّة . إخوانُكمْ خوَلُكمْ ، جَعَلَهمُ اللّهُ تحتَ أيدِيكُمْ . فَمَنْ كانَ أخوهُ تحتَ يدِه فلْيُطْعِمْهُ مما يأكُلُ ، وَلْيُلبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ ، ولا تُكلِّفوهمُ ما يَغْلِبُهم ، فإنْ كلَّفتموهُم فأعِينوهُم » [2] .

فقوله عليه الصلاة والسلام يؤكد أمرين ، أولهما أن الاعتداد بالأنساب أمر عرفه العرب في الجاهلية وانتشر بينهم ، والأمر الثاني هو ذم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الخصلة السيئة .

ولا بأس بأن ندرج رأي رائد علم الاجتماع ابن خلدون ، في علم الأنساب ، والذي أورده في مقدمته ، فقال : « إن الأنساب القريبة التي يمكن التوصل لمعرفتها ، لا يضر الاشتغال بها لدعوى الحاجة إليها في الأمور الشرعية من التعقيب والولاية والعاقلة وفرض الإيمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسب الخلافة (..) وأما الأنساب البعيدة العسرة المدرك ، التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات ، لبعد الزمان ، وطول الأحقاب أو لا يوقف عليها رأسا لدروس الأجيال ، فهذا ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة ، كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم ، مثل مالك وغيره ، لأنه شغل الإنسان بما لا يعنيه » [3] ، فابن خلدون إذن يركز على فوائد معرفة الأنساب وفضلها وأنها من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والأمور الدينية الهامة في شريعتنا الإسلامية .

وكان من نتائج نظرة الإسلام المتزنة إلى علم الأنساب ، أنها أدت إلى « تغليب الجيل الأول من المسلمين علوم الحديث على علوم النسب والنسابة » [4] ، ولكن رغم هذا التغليب ،

---

[1] علي بن أبي طالب ، الديوان ، (ديوان الإمام علي) ، ص 13 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 26 (30) .

[3] ابن خلدون ، المقدمة ، 2 / 5 – 6 .

[4] وليد نويهض ، أسس الوعي التاريخي عند المسلمين ، دار ابن حزم ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، بيروت ، لبنان ، ص 20 .

فإنه لم يقض على علم النسب بل « استمر في خط مستقل ، وصولا إلى إخضاعه واضمحلاله ، في سياق تطور علم الحديث » [1] ، لما له من فائدة في علم الرجال ، ومعرفتهم في إطار ما يسمى بـــ (الجرح والتعديل) .

كما أنه « لم يضعف اهتمام العرب بها كثيرا رغم استقرارهم الحضري لأنها ركبت السياسة ، أو أن السياسة ركبتها ، فأخذ النسب شكل النزاع القائم ، وكان قناعا للأطماع ، وتنازع النفوذ ، والتنافس في الرزق والمنصب » [2] ، بدليل وجود مصنفات في هذا الباب من التاريخ ، ووجود جمع من النسابة اشتهروا عبر التاريخ بروايتهم للأنساب وحفظهم لها ، وهنا نقف عند أشهرهم في العنوان الموالي :

2 – رواة الأنساب – النسابون – :

لقد وصلتنا سلسلة الأنساب ، من الآباء والأجداد ، من العصر الجاهلي والإسلامي ، بفضل ذاكرة النسابين ، الذين تناقلوها شفاها جيلا بعد جيل ، والنسّاب في اللغة هو « العالم بالنسب ، وجمعه النسابون ، وهو النسابة » [3] .

وقد عرف رواة الأنساب أمكنتهم الرائدة في مجتمعاتهم التي تحرص على التفاخر، وسجل لهم التاريخ أسماءهم واشتهروا بين ذويهم وفي قبائلهم التي ينتمون إليها ، وتواصل ذكرهم كلما ذكر الأنساب ، وقد كان العرب منذ القديم يرجعون إليهم في معرفة أصولهم الأولى ، إذ كان رواة النسب « يحفظون أسماء القبائل ، وبطونها وأفخاذها ، وفضائلها حفظا دقيقا » [4] ، نظرا لاعتزاز الفرد العربي في فترة ما قبل الإسلام اعتزازًا كبيرًا بانتسابه إلى قبيلته ، وعدّه حياته ومصلحته مرتبطة بشكل مباشر بالقبيلة ومصالحها ، مما يجعل معرفة نسبه أمر محتوم وضروري ، ومما يجعل أيضا ضرورة وجود من يفي بغرض الحفظ والنقل أكثر من حاجة ملحة فـــ« كثير من الأنساب كانت تضيع ، إذا لم يُقيّض لها من يحفظها » [5] ، مما أفرز لنا سلاسل من الأنساب بدءا من العصر الجاهلي .

---

[1] وليد نويهض ، أسس الوعي التاريخي عند المسلمين ، ص **20** .
[2] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ص **56** .
[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ج **48** ، ص **4405** .
[4] المرجع السابق ، ص **35** .
[5] شاكر مصطفى ، المؤرخون والتأريخ عند العرب ، **1 / 13** .

وبين النسابين اتفاق كثير ، واختلاف مشهود أيضا ، ألفيناه بين صفحات الكتب التي لها صلة بالأنساب ، مثل اتفاق النسابين كلهم على أن « الأب الأول للخليقة ، هو آدم عليه السـلام » [1] . فلا أحد ينكر هذا ، سواء من القدامى والمحدثين .

ومثل هذا الاختلاف نسب الشاعر الجاهلي امرؤ القيس ، إذ لم يتفق النسابون كلهم في هذا النسب ، فبعضهم يقول إن اسمه امرؤ القيس لا حندج ، وبعضهم يقول إن اسمه قيس فقط ، وقال آخرون إن اسم أبيه عمر ، ولا حجر ، وقال بعضهم إن اسم أمه تملك لا فاطمة ، وقال بعضهم إن كان له بناته ، فلم يكن له أولاد ذكور ولا إناث ، وقال بعضهم إنه كانت له بنت يقال لها هند ، وقيل إنها كانت أخته ، لا بنته [2] ، مما يجعل الباحث في سيرة هذا الشاعر يرتاب في نسبه ، ويبدأ في ترجيح رواية على أخرى .

ويعد الجاحظ في البيان والتبيين أربعة من فطاحلة النسابين فيقول : « ... وأربعةٌ من قريش كانوا رواةَ النّاس للأشعار، وعلماءَهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمَةُ بن نوفِل بن وُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم ابن عامر بن عبد اللّه بن عوف، وحويطب بن عبد العُزَّى، وعَقِيل بن أبي طالب » [3] ، وهم من الطبقة الأولى من النسابين .

وأثبت مصطفى صادق الرافعي ، طبقات لرواة النسب ، أجملها في أربع [4] ، فأما الطبقة الأولى فهي نفسها التي أشار إليها الجاحظ ، فاشتهر منها أربعة نفر ، هم : مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأما الطبقة الثانية ، فهي التي أخذت عن هؤلاء ، نشأت منتصف القرن الأول ، وكانوا مبدأ الرواية ، في الإسلام ، وهم : قتادة بن دعامة السدوسي (- 117) ،

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، المسمى : ديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي التيجان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1421 هـ / 2001 م ، لبنان ، ص 06 .

[2] ينظر : عبد المتعال الصعيدي ، زعامة الشعر الجاهلي ، بين امرئ القيس وعدي بن زيد ، ط 1 ، 1353 هـ / 1934 م ، ص : 33.

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 7 ، 1418 هـ / 1998 م ، ج 2 ، ص 323 – 324 .

[4] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، 1 / 211 – 214 .

والشعبي نديم عبد الملك بن مروان ، وقتيبة بن مسلم ، والنضر بن شبيل الحميري ، وخالد بن سلمة المخزومي ، أما الطبقة الثالثة ، مصدر الرواية العامة في صدر الإسلام ، فضمت رواة اعتبروا العلم بالنسب من علوم العرب ، على رأسهم محمد بن السائب الكلبي ، هشام بن الكلبي ، وشبيل بن عرعرة الضبي ، وأبو اليقظان النسابة .

وقد سجلت لنا الكتب التراثية ، أن من العرب من كان متخصصا بفحص الأنساب ، ورواياتها ، ثم تدوينها ، وقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ، أن « أبا بكر رحمه الله أنسب هذه الأمة ، ثم معمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب » [1] ، ومن أعلام النسابين في القرن الأول [2] ، عبيد بن شرية الجرهمي ، ودغفل بن حنظلة ، وأبو الشطاح اللخمي .

وتشير المصادر أيضا أنه « قريب من منزلة دغفل عند علماء النسب ، زيد بن الكيس النمري ، فكانا يقرنان إذا ذكروا شوامخ النسابين ، وينقل أبـــو عبيدة عن مسكين بن عامر ، قوله:

فحكم دغفلا وارحل إليه *** ولا تدع المطيّ من الكلال

أو ابن الكيس النمري زيدا *** ولَو أَمسى بمنخرق الشمال » [3]

وهذا جدول يضم مختلف أسماء النسابين وتاريخ ولادهم ووفاهم ومواطنهم:

- **جدول أسماء أعلام رواة النسب – النسابين – :**

النسابة	تاريخ الوفاة	الموطن	الاهتمام
أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة	– 13 هــ – ... م	مكة	الأنساب ثم الأحاديث النبوية
دغفل بن حنظلة	– 60 هــ– ... م	البصرة	الأنساب
مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف	/	/	الأنساب

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، 1 / 318 .

[2] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، 1 / 311 .

[3] عبد الحميد الشلقاني ، الأعراب الرواة ، ص 38 – 39 .

أبو الجهم بن حذيفة	في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه	/	الأنساب
حويطب بن عبد العزى	في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه – 54 هـ – ... م	/	الأنساب
عقيل بن أبي طالب	– 50 هـ – ... م	/	الأنساب
قتادة بن دعامة السدوسي	– 117 هـ – ... م	البصرة	الأنساب
أبو عمرو الشعبي نديم عبد الملك بن مروان	– 103 هـ – ... م إلى : – 107 هـ – ... م	الكوفة	الأنساب
قتيبة بن مسلم	– 96 هـ – ... م إلى : – 97 هـ – ... م	/	الأنساب

وهذا سرد لأهم النسابين الذين انتقيناهم ، للتعريف بهم كأعلام في هذا النوع من التأريخ ، فكانت شخصيتان مميزتان هما : أبو بكر الصديق ودغفل بن حنظلة السدوسي ، في سيرة وافية لهما :

○ أبو بكر الصديق [1] رضي الله عنه:

اسمه على الصحيح عبد الله بن عثمان ، بن عامر بن عمرو ، بن كعب بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن غالب بن لؤي القرشي القيسي ، ولد بعد عام الفيل بسنتين وثلاثة أشهر ، وتوفي في يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد لقب بالعتيق ، وأشهر من ذلك الصديق .

وقد أثنى عليه الله عز وجل، في كتاب يتلى على مر الزمان ، فقال تعالى في محكم تنزيله : « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ

[1] ينظر ترجمته في : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، باعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، ج 3 ، ص 382 – 383 ، والذهبي ، كتاب تذكرة الحفاظ ، ص 02 – 06 ، وصلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 17 / 163 – 169 .

يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ »[1] ، وسيدنا أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه هو المقصود بثاني اثنين[2] ، صديق الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام وصاحبه لما لجآ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع طلابهم الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيرا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ففي نفس السياق رُوي في الصحيح ، أن أبا بكر الصديق قال : « نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللّهُ ثَالِثُهُمَا »[3] .

هذا فضلا عما نزل في حقه بقوله تعالى : « وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ »[4] ، نزل إكراما لذكره وفضله ، إذ أجمع المفسرون على أن المراد منه أبو بكر[5]

ثم إن لقب الصديق استحقه بعدما صدّق النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالغ في ذلك ، كما في صبيحة الإسراء ، وقد قيل له : إن صاحبك يزعم أنه أسري به ، فقال : إن كان قال : فقد صدق .

وسماه النبي صلى الله عليه وسلم " الصديق " ، لما روى البخاري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم صعِدَ أُحُداً وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ، فرَجَفَ بهم ، فقال : اثبُتْ أُحُدُ ، فإن عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدان »[6] .

---

[1] التوبة : **40** .
[2] ينظر تفسير الآية : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج **7** ، **205 – 206** .
[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج **3** ، ص **07** (**3653**) .
[4] الليل : **17 – 19** .
[5] ينظر : محمد رضا ، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، **09** .
[6] البخاري ، صحيح البخاري ، ج**3** ، ص **13** (**3675**) .

حتى سجل التاريخ لبي بكر الصديق رضي الله عنه هذا الموقف ، وفيه يقول الشاعر أبو محجن الثقفي [1] :

وسميت صديقاً وكل مهاجرٍ *** سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهدٌ *** وكنت جليساً بالعريش المشهر

وبالغار إذ سميت بالغار صاحباً *** وكنت رفيقاً للنبي المطهر

وقد قال العلماء أنه « لا يعرف إلا أربعة ، متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا آل أبي بكر الصديق ، وهم عبد الله بن الزبير ، أمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ، فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون » [2] ، وهذه شهادة للصحابي أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعلو شأنه وعظيم منزلته .

وكثيرا ما كان أبو بكر يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون الدنيا والدين ، فكان سببا في أن يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية ، ويعلمنا ديننا من ذلك ما رواه البخاري ، قال : حدَّثنا يحيى بن سليمانَ حدثني ابن وهبٍ أخبرَني عمرٌو عن يزيدَ عن أبي الخير « سمع عبدَ اللَّه بن عمرو أنَّ أبا بكر الصديق رضيَ اللَّه عنه قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ اللَّه علمني دُعاءً أَدعو به في صلاتي قال : قل : اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ولا يَغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ فاغفِرْ لي من عندَك مغفرةً إنكَ أنتَ الغفور الرَّحيم » [3] .

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بليغا صاحب أسلوب مميز وحديث راق ، فقد روى الترمذي عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال : « إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ فكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيةُ الرَّجْمِ فَرجَمَ رسول الله وَرَجمْنَا بَعْدَهُ وإني خَائِفٌ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ فَيَقُولَ قَائِلٌ لاَ نَجدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا الله . أَلاَ وإنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إذَا أَحْصَنَ وقَامَتْ البَيِّنَةُ ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوْ اعْتِرَافٌ » [4] .

---

[1] صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 17 / 164 .

[2] محمد رضا ، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1403 هـ / 1983 م ، ص 07 .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 381 (7387 ، 7388) .

[4] الترمذي ، الجامع الكبير ، ج 3 ، ص 101 – 102 .

وفضائل هذا الصحابي كثيرة ، وثابتة في السنة ، فالمتصفح لصحيح البخاري ، يجد أن هذا الإمام الجليل ، قد أفرد بابا لفضل أبي بكر الصديق ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن الأحاديث التي أوردها ، والتي تدل على عظم شان هذا الصحابي ، قوله ﷺ : « إِنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خَليلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أَبا بكر ، ولكنْ أُخُوَّةُ الإِسلامِ ومَوَدَّتُهُ . لا يَبقينَّ في المسجدِ بابٌ إِلاّ سُدَّ ، إِلاّ بابُ أَبي بكرٍ » [1] .

ناهيك عن مزايا أبي بكر الصديق المذكورة ، فقد عُدَّ من علماء الأنساب ، وأخبار العرب وهذا سبب إدراجنا له ها هنا رضي الله عنه ، حتى « قيل إنه أنسب قريش لقريش ، وأعلمهم لما كان فيهم من خير أو شر » [2] ، وكان مما أهله لذلك « إدراكاته الفاحصة لتتبع سلسلة الأنساب ، بين البطون والعشائر العربية » [3] ، وقد ورد في الوافي بالوفيات للصفدي أنه « عن محمد بن سيرين قال : كان يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم جماعةٌ من قريش : عبد الله بن الزِّبعري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص . فقال حسّان : يا رسول الله ايذي لي في الرَّدِّ عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فكيف وهو منّي ، يعني أبا سفيان . فقال : والله لأسلنَّه منك كما تسلُّ الشَّعرة من العجين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا حسان فائت أبا بكرٍ فإنه أعلم بأنساب القوم منك . فأتاه فقال له : كفَّ عن فلانة واذكر فلانة فقال حسّان : من الوافر

هجوت محمداً فأجبت عنه *** وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي *** لعرض محمّدٍ منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفءٍ *** فشرُّكما لخيركما الفداء

قلت: قال علماء الأدب هذا أنصف بيت قالته العرب » [4] ، وهذا من أقوى الأدلة على أن أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رواد النسابين وأكثرهم شهرة وثقة عند العرب .

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 07 – 08 (3654) .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج 1 ، ص 250 .

[3] محمد عبد الفتاح شرف الدين ، أبو بكر الصديق وبنوه ، سجل في العزة والعزم والشرف الرفيع ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ص 13 .

[4] محمد عبد الفتاح شرف الدين ، أبو بكر الصديق وبنوه ، سجل في العزة والعزم والشرف الرفيع ، ص 13 .

ولعلنا نختم السيرة العطرة لثاني اثنين إذ هما في الغار ، بقول حسان بن ثابت — رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم – :

إِذا تَذَكَّرتَ شَجواً مِن أَخي ثِقَةٍ *** فَاِذكُر أَخاكَ أَبا بَكرٍ بِما فَعَلا
خَيرَ البَرِيَّةِ أَتقاها وَأَعدَلَها *** إِلّا النَبِيَّ وَأَوفاها بِما حَمَلا
وَالثانِيَ الصادِقَ المَحمودَ مَشهَدُهُ *** وَأَوَّلَ الناسِ مِنهُم صَدَّقَ الرُسُلا
وَثانِيَ اِثنَينِ في الغارِ المُنيفِ وَقَد *** طافَ العَدُوُّ بِهِ إِذ صَعَّدَ الجَبَلا
وَكانَ حِبَّ رَسولِ اللَهِ قَد عَلِموا *** مِنَ البَرِيَّةِ لَم يَعدِل بِهِ رَجُلا [1]

وقال أبو الهيثم بن التيهان :

وإني لأرجو أن يقوم بأمرنا *** ويحفظه الصديق والمرء من عدي
أولاك خيار الحي فهو بن مالكٍ *** وأنصار هذا الدين من كل معتدي [2]

○ دَغْفَل بن حنظلة السَّدوسي :

هو دغفل بن حنظلة السدوسي الذُّهَلِي الشيباني النسابة [3] ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمع منه شيئا ، قتله الأزارقة ، قيل إنه غرق بدجيل في وقعة دولاب ، روى عنه الحسن ، وابن سيرين ، وسعيد بن أبي الحسن ، وعبد الله بن بريدة .

وقد اتفق على أنه كان « أوسع أهل زمانه رواية في أنساب العرب خاصة » [4] ، ولما سئل بم أدرك هذا العلم الواسع بالنسب وحفظه لسلاسل الأنساب ، أجاب : « بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وكنت إذا لاقيت عالما أخذت منه ، وأعطيته » [5] ، فلب المسألة هو الأخذ والعطاء والاحتكاك بأفراد مجتمعه جمعا وحفظا للأنساب .

ولعل الحادثة التي سنوردها ، تميزه ، وتجعله من أشهر النسابين ، فقد قيل إنه جرى بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، حديث حول النسب ، إذ يروى عن « عِكْرمة عن

---

[1] صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 17 / 164 .
[2] المرجع السابق ، ج 14 ، ص 14 .
[3] ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 86 ، وصلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 14 ، ص 14 ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 7 / 62 .
[4] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، 1 / 311 .
[5] صلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 14 ، ص 14 .

ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب ، قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرض نفسَه على القبائل خَرَج مرَّة وأنا معه وأبو بكر ، حتى رُفِعنا إلى مجلس من مجالسِ العرب ، فتقدَّم أبو بكر فسلّم– قال عليّ : وكان أبو بكر مُقَدَّماً في كل خير وكان رجلاً نسَّابة – فقال : ممَّن القوم ؟ قالوا : من رَبيعة ، قال : وأيّ ربيعة أنتم ؟ أمن هامَتِها ؟ قالوا: من هامتها العُظمى ؛ قال : وأي هامَتِها العُظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر ؛ قال أبو بكر : فمِنْكم عَوْف بن محلِّم الذي يقال فيه : لا حُرَّ بوادِي عَوْف ؟ قالوا : لا ؛ قال : فمنكم جَسّاس بن مرة الحامي الذِّمار والمانعُ الجار ؟ قالوا : لا ؛ قال : فمنكم أخوالُ المُلوك من كِنْدة ؛ قالوا : لا ؛ قال : فمنكم أصْهار المُلوك من لَخْم ؟ قالوا : لا ؛ قال أبو بكر فلستم ذُهلاً الأكبر ، أنتم ذهل الأصْغر . فقام إليه غلام من شَيْبان حين بَقَل وَجْهه ، يُقال له دَغفل ، فقال :

إنّ على سائلنا أن نسأله *** والعِبْ! لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَه

يا هذا ، إنّك قد سألتَنا فأخْبرناك ولم نكْتُمْكَ شيئاً ، فممَّن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قُريش ؟ قال: بَخٍ بَخٍ أهل الشَرَف والرياسة ؛ فمن أيّ قُريش أنت ؟ قال: من ولدَ تَيْم بنِ مُرَّة ؛ قال : أمكنتَ واللّه الرامي من سَوَاء الثُّغرة ، أفمنكم قُصيٌّ ابن كلاب الذي جمع القبائل فسمي مجمعاً ؟ قال : لا ، قال : أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال : لا ؛ أفمنكم شَيْبة الحَمْدِ وعبدُ المطلب مُطعم طَيْر السماء الذي وَجْهه كالقَمر في الليلة الظَّلماء ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أهل الإفاضة بالنَّاس أنت ؟ قال : لا ؛ قال: فمن أهل السقاية أنت ؛ قال : لا . فاجتذب أبو بكر زِمام الناقة ورَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الغلام :

صادف دَرُّ السيل دراً يدفعه *** يَهيضُه حيناً وحِيناً يَصْدَعه

قال : فتبسَّم النبي عليه الصلاة والسلام . قال عليّ : فقلتُ له : وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابيّ على بائقة ؛ قال : أجل ، ما من طامَّة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء مُوَكَّل بالمَنْطق ، والحديث ذو شجون » [1] ، هذه القصة إذن تبرز بشكل جلي مدى معرفة دغفل السدوسي بالأنساب وأن اختيارنا له ضمن أعلام النسابين جاء في محله .

---

[1] **ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، حققه وفصله وضبط غرائبه و ، 3 / 280 – 281 .**

وقد جاء في المثل أيضا تأكيدا على تفوق دغفل السدوسي في رواية النسب « أنسب من دغفل »[1] ، مما يميزه في جملة من عرفوا بحفظ الأنساب وروايتها .

رابعا : رواية قصص وأخبار الأيام

إن الحديث عن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله تعالى ، وأصلها إرادة انتقام بعض ا لبشر من بعض إحداهما تطلب الانتقام ، والأخرى تدافع[2] ، فلم يختلف حال الشعوب كثيرا عن هذه القاعدة و لم يشذوا عنها .

و لم يكن العرب بدورهم بمنأى عن الحروب ، فكان مما يميز حياتهم في الجاهلية أنهم « دائما قاتلون مقتولون ، لا يفرغون من دم إلا إلى دم ، ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضعه له كبيرهم وصغيرهم ، هو قانون الأخذ بالثأر »[3] ، سواء بين الأفراد أو بين القبائل ، وهذه الميزة جسّدتها الحياة الجاهلية في كل تفاصيلها .

وليس أدل من وجود قصائد تدعى بالموثبات ، والتي « قيلت لإيغار الصدور بالحقد وإلهاب حمية القوم ، وإثارة النفوس للمطالبة بالثأر ، واستفزاز الرجال لدفع الإهانة التي تلحق بهم وبقبائلهم »[4] . علما أن الشعر كان يؤثر في النفوس تأثيرا سحريا ، كما مرّ معنا ، فكيف إن كان هدفه إثارة الحمية القبلية .

يقول عنترة بن شداد ، واصفا رغبته في الثأر وملاقاة العدو :

يا قَيسُ إِنَّ صُدورَنا وَقَدَت بِها *** نارٌ بِأَضلُعِنا تَشُبُّ وَقودَها
فَاِنهَض لِأَخذِ الثَأرِ غَيرَ مُقَسِّرٍ *** حَتّى تُبيدَ مِنَ العِداةِ عَديدَها[5]

ويقول زهير بن أبي سلمى في نفس المعنى :

إِذا فَزِعوا طاروا إِلى مُستَغيثِهِم *** طِوالَ الرِماحِ لا ضِعافٌ وَلا عُزلُ

---

[1] الميداني ، مجمع الأمثال ، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ملتقى أهل الأثر ، 1374 هـ / 1955 م ، 2 / 346 .

[2] السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، 2 / 56 .

[3] شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص 62 .

[4] نوري حمودي القيسي ، الأشعار الموثبات في الجاهلية ، الأقلام ، مجلة فكرية عامة ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، الجزء الرابع ، السنة الأولى ، رجب 1483 هـ / كانون الأول 1964 م ، ص : 112 .

[5] عنترة بن شداد ، الديوان ، ص 34 .

بِخَيلٍ عَلَيها جِنَّةٌ عَبقَرِيَّةٌ *** جَديرونَ يَوماً أَن يَنالوا فَيَستَعلوا [1]

ومن مظاهر الحروب أيضا ، ما يسمى بالغزو ، إذ كان هو الآخر طابعا يميز الحياة القبلية في العصر الجاهلي ، وضرورة يفرضها العيش في الصحراء ، وها هو الشعر الجاهلي دريد بن الصمة ، يلخص لنا هذه العلاقات المبنية على الغزو ، قائلا :

يُغارُ عَلَينا واتِرينَ فَيُشتَفى *** بِنا إِن أُصِبنا أَو نُغيرُ عَلى وِترِ

بِذاكَ قَسَمنا الدَهرَ شَطرَينِ قِسمَةً *** فَما يَنقَضي إِلّا وَنَحنُ عَلى شَطرِ [2]

و لم يكن اللجوء إلى القوة في العصر الجاهلي منحصرا في الغزو ، بل تعدى ذلك إلى الحروب ، وتحديدا ما يسمى بـــ (**أيام العرب**) التي اشتهرت آنذاك ولا زال ذكرها لحد اليوم حينما نتحدث عن عصر ما قبل الإسلام .

و(**اليوم**) في اللغة العربية له عدة معان من أهمها وأشهرها ما هو « معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، والجمع أيام » [3] ، وهي ما تتوالى علينا في الأسبوع الواحد لتتكرر مكونة أشهرا وسنوات وقورن على مر الدهر .

أما المراد بـــ (أيام العرب) اصطلاحا ، فهي « الوقائع التي جرت بين القبائل البدوية في شمالي جزيرة العرب ، في الطور الثاني ، أي في الطبقة الثالثة من تاريخ العرب قبل الإسلام » [4] ، فهي إذن مجموع الوقائع والغارات التي دارت بين العرب لأسباب متفاوتة الأهمية ، تناقلها الرواة لتضمها بطون الكتب وتحكي لنا عن فترة من فترات تاريخ العرب في عصر ما قبل الإسلام .

حتى أننا نجد حاجي خليفة ، صاحب كشف الظنون ، يسمي أخبار (أيام العرب) بـــ (العِلْم) في تعريفه ، حين يقول : « إنه علم يبحث عن الوقائع فيه عن الوقائع العظيمة ، والأهوال الشديدة بين قبائل العرب ويطلق عليه الأيام » [5] ، ويضيف « والعلم المذكور ينبغي

---

[1] **زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، ص 48 .**

[2] **دريد بن الصمة ، الديوان ، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، مصر (ذخائر العرب : 59) ، 97 .**

[3] **ابن منظور ، لسان العرب ، ج 55 ، ص 4975 .**

[4] **جورجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ط 2 ، مطبعة الهلال ، مصر ، 1922 م ، ج 1 ، ص 221 .**

[5] **حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1 / 204**

أن يجعل فرعا من فروع التواريخ »[1] ، إدراكا منه لأهمية أخبار الأيام لمعرفة تاريخ تلك الحقبة من الزمان .

كما وتسمى هذه الأيام والحروب غالبا بأسماء البقاع والآبار التي نشبت بجانبها ، مثل يوم عين أباغ ، وقد تسمى بأسماء ما أحدث اشتعالها على شاكلة حرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء[2] ، وبطون كتب التاريخ مليئة بتفاصيل هذه الأيام وأخبارها .

وهناك أكثر من تقسيم لأيام العرب في الجاهلية ، وقد فضلنا أن نقدم التقسيم الذي ارتآه الدكتور عبد الرحمن عفيف ، في كتابه (الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي) ، فكانت كالتالي[3] : الأيام القحطانية والعدنانية ، الأيام التي كانت بين بكر وتميم ، أيام قيس وكنانة ، أيام قيس وتميم ، حرب البسوس أو أيام ربيعة فيما بينها ، حرب داحس والغبراء ، حروب الفِجار ، أيام الأوس والخزرج ، أيام الغساسنة والمناذرة ، يوم ذي قار ، أيام تميم والقبائل الأخرى ، أيام بين بطون القبيلة الواحدة ، أيام غطفان وعامر ، أيام غطفان والقبائل الأخرى ، أيام أخرى .

ولنمثل لأيام العرب بحرب البسوس ، التي وقعت « بين بكر وتغلب وائل ، وقد مكثت أربعين سنة »[4] ، وهذه الحرب التي وقعت فيها أيام طبعتها ، وأصبحت من مميزاتها ، وهي[5] يوم النهى ويوم الذناب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، ويوم القصيبات ، ويوم تحلاق اللمم ، وقد كانت الغلبة في الأيام الثلاثة الأولى وفي اليوم الخامس أيضا لتغلب ، وحالف النصر بكرا في يوم تحلاق اللمم ، بينما تكافآ في يوم عنيزة .

---

[1] المصدر السابق ، 1 / 204 .

[2] ينظر : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ط 22 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 65 .

[3] ينظر : عفيف عبد الرحمن ، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، ط 1 ، 1404 ه / 1984 م ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 112 ، 113 .

[4] محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، أيام العرب في الجاهلية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ص 143 .

[5] نفسه ، ص 31 .

ومما لا شك فيه أن أخبار أيام العرب في الجاهلية قديمة جدا وربما تكون أقدم مما تدعى إليه [1] ، لذلك عُدت « مصدرا خصبا من مصادر التاريخ ، وينبوعا من ينابيع الأدب ، ونوعا طريفا من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع ، والأحداث ، وما روي في أثنائها من نثر وشعر » [2] ، وكل ذلك كان في إطار ما أطلق عليه اسم (**قصص الأيام**) .

لكن حديثنا عن الأيام وأهميتها بالنسبة لدارس الحقبة التاريخية لما قبل الإسلام ، لا يخلو من الحذر ، فلا يمكن الاعتماد عليها كلية ذلك أن « روايات الأيام قد وصلت إلينا بسبل يسهل التشكيك بها فقد توارثها العرب أجيالا بطريقة المشافهة وهي طريقة تحتمل التحريف والوضع ، فضلا على أننا لا يمكن أن نتجاهل الميزة الرئيسة لعصر ما قبل الإسلام وهي العصبية القبلية ، بحيث لو كان الراوية يمت بصلة إلى القبيلة المشاركة في اليوم فإنه ، يعظم انتصارها ويهون من قيمة القبيلة المناوئة [3] ، مما يفرض على الباحث التمحيص قبل التعميم أو إصدار الأحكام التي ينبني عليها التاريخ ، هذا عن الأيام ومفهومها ، فماذا عن القصص ؟ أو من منطلق آخر ما ماهية قصص الأيام ؟

والقصة كما ورد في لسان العرب : « قص علي خبره ، يقصه قصا ، وقصصا أورده والقصص : الخبر المقصوص بالفتح » [4] ، ومن ثمة ، يمكننا تعريف قصص الأيام ، بأنها « مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية ، وهي ملك مشترك للقبيلة ، وبقيت كذلك ، حتى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، حين جمعت هذه الروايات وصُنفت » [5] في فصول ضمن كتب بعينها أو في كتب مستقلة .

---

[1] **ينظر : فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص 31 .**

[2] **محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، أيام العرب في الجاهلية ، ط (المقدمة) .**

[3] **منذر الجبوري ، أيام العرب في الجاهلية ، قيمتها التاريخية وأثرها عند الجاهليين والإسلامية ونماذج منها ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، بغداد ، العراق ، 1973 م ، ص : 41 .**

[4] **ابن منظور ، لسان العرب ، ج 41 ، ص 3651 .**

[5] **عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة التاريخ عند العرب ، 16 / 17 .**

وقد عدها العارفون بتاريخ العرب مرآة صافية لأحوال العرب[1] ، من عادات وأسلوب حياتهم ، وشؤونهم في الحرب والسلم ، وفي الاجتماع والفرقة ، وفي الفداء والأسر ، وفيالنجعة ، والاستقرار ، كما أنها أيضا مرآة صادقة ، يظهر فيها العربي فضائله وشيمه ، كالدفاع عن الحريم ، والوفاء بالعهد ، والانتصار للعشيرة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير ذلك كثير مما ثبت في قصص أيام العرب ، منذ عصر قبل الإسلام

وقد أصبحت هذه القصص المرتكز ، وحجر الأساس ، فيما بعد ، للقصاص في العصر الإسلامي ، إذ كان القاص « يستعين بالقصص المتوارثة ، والأساطير القديمة » [2] ، من أجل إثبات مقدرته على القص بين المجتمعين حوله من محبي القصص والشغوفين بتتبع روايات القصاص .

ولقد نشأت قصص الأيام في فترة الجاهلية وتحديدا في مجالس القبيلة ، فكان القصاص يستخدمون مخزونهم المحفوظ ، فلم تقتصر بذلك الرواية على الشعر فحسب فحفظها أبناء القبيلة وتوارثوها حفظا أبا عن جد .

○ أخبار الأيام وعلاقتها بالكتب المقدسة :

تعد أخبار أيام العرب قديمة جدا ، و يؤكد على قدمها « محاكاتها لأقدم الأقسام التاريخية في التوراة ، من هنا فقد انتشرت باعتبارها قصصا مستقلة ، قبل أن تدخل في القصة التأريخية ، وقد تبرز أهمية أخبار الأيام عند العرب نثرا وشعرا ، بالرجوع إلى الأمثلة الموجودة في التوراة من أدب الأيام » [3] ، والأحبار بدورهم اقتبسوا « القصص الوثنية وضموها في أسفارهم أو لحقوا قصص العقد القديم بالقصص الوثنية » [4] .

---

[1] ينظر : محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، أيام العرب في الجاهلية ، ط (المقدمة) .

[2] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1991 م ، ص 30 .

[3] شاكر مصطفى ، المؤرخون والتأريخ عند العرب ، 1/ 12 .

[4] أحمد معاذ علوان حقي ، بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا (دراسة تحليلية) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و الإنسانية ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، المجلد 3 ، العدد : 1 ، محرم 1427 هـ / 2006 م ، 24 .

فإذا ما تصفحنا الكتاب المقدس[1] ، وتحديدا العهد القديم ، نجده مجموعة من التصانيف قيدت تحت أسماء متنوعة هي[3] : كتب الشريعة وكتب التاريخ وكتب الحكمة وكتب الأنبياء.

وتحت مصنف كتب التاريخ نجد : سفر يشوع وسفر القضاة وسفر راعوت وسفر صموئيل الأول وسفر صاموئيل الثاني و سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني وسفر الأخبار الملوك الأول وسفر الأخبار الثاني وسفر عزرا وسفر نحميا وطوبيا ويهوديت وسفر أستير وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني .

ومما يدل على ما ذهبنا إليه ما غلب من طابع تأريخي على معظم تلك الكتابات ، بل تدل محتويات الأسفار التأريخية ، وطريقة عرضها على أن اليهود كانوا على اهتمام بشيء أعمق من مجرد تسجيل الأحداث ، إذ الشيء الأهم في نظرهم من ذلك ، هو تفسير الأحداث من حيث اتجاهات ما ورد ذكرهم فيها [2] .

خامسا : رواية القصص

من المعلوم أن الفترة الجاهلية لم تترك أدبا مكتوبا فهي فترة ثقافية شفوية ، وكان كثيرا ما يعتمد فيها الرواة على الأسلوب القصصي شبه التاريخي[3] ، فيتلقف السامع مرويات فيها أحداث تاريخية ، لكن طريقة نقلها للسامع تكون بطريقة قصصية بغرض التشويق ولفت انتباه المتجمعين حول الراوية القاص .

---

[1] الكتاب المقدس -the bible- : (يعتقد النصارى أن كتابهم المقدس هو مجموعة الأسفار الإلهية التي كتبت بإلهام الروح القدس خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى آخر القرن الأول بعده ، و يقسمونه إلى قسمين : العهد القديم و يطلقون عليه مجازا التوراة و العهد الجديد و يطلقون عليه مجازا الإنجيل ، وأساس التقسيم عندهم بعثة المسيح عليه السلام ، فما كان من الأسفار قبلها فهو العهد القديم ، و ما كان بعدها فهو العهد الجديد) ينظر : عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، الكتب المقدسة في ميزان التوثيق – القرآن الكريم ، التوراة ، الأناجيل – ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، مصر ، 1423 هـ / 2002 م ، 57 .

3 ينظر : الكتاب المقدس ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، توزيع المكتبة الشرقية بيروت ، لبنان ، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1994 م ،الرهبانية اليسوعية ، بولس باسيم

[2] ينظر : آليان . ج . ويدجري The Interepretations Of History ، التاريخ من كنفشيوس إلى تونبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، ج 1 ، ط 2 ، ص 139 .

[3] ينظر : عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1983 م ، 18 .

و قد تنوعت الروايات الشفوية للعرب في الجاهلية « من قصص عن آلهتهم ، وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم ، وتدور جل تلك الروايات حول غزواتهم ومعاركهم (الأيام) ، وحول أنسابهم ، وهي تتصل بالتعظيم الاجتماعي ، وبالآراء والمثل الاجتماعية » [1] ، فكانت بذلك القصص مرآة عاكسة لحياة العرب قبل الإسلام في جميع نواحيها حتى أنها حوت ما « نقله الرواة من أحوال العامة والملوك وطرف القضاة والولاة » [2] ، وغير هذا كثير مما نطالعه في ثنايا هذه القصص .

لهذا السبب ارتأينا أن نَفصل بين القصص الخاص بأيام العرب في الجاهلية — والذي تناولناه مسبقا، والقصص الخاص بالأمور الاجتماعية الأخرى ، و ها نحن نصل لهذا الشق من القصص ، وهو ذاك القصص الشعبي الذي « مادته القصص التاريخي والأدبي والحكايات الشعبية المحبوكة والنوادر المسلية » [3] ، تجانست في ما بينها مكونة جنسا أدبيا اتسع ليشملها جميعها .

إنها روايات متميزة ،لم « تنزل إلى درجة القصص المخترعة ولم ترتفع إلى مكان الحقائق ، بل كانت مزاجا بين الحقيقة و الخيال ، لكنها تُروى كأنما هي الحق الثابت والتاريخ الصحيح » [4] ، وهي أيضا بالنسبة للباحثين الذين ينشدون التاريخ الصحيح ، الأمر يحتاج لتنقيب وتمحيص ، ففي هذه الروايات الكثير مما لا يعتمد عليه في معرفة التاريخ الصحيح .

هنا كثيرا ما اختُلف في قدرة العقل العربي على توليد القصص مرجعين ذلك إلى مدى اكتساب العربي في الجاهلية لخيال واسع يسمح له بالتعبير عن مدركاته بالخروج عن الواقع ، هذا الخيال الذي يـُعدُّ « ملكة من ملكات العقل ، بها تمثل الأشياء غائبة كأنها ماثلة لشعورنا

---

[1] المرجع السابق ، ص 16 .

[2] محمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، قصص العرب ، ط4 ، دار إحياء الكتب العربية ، ص : 04 .

[3] محمد بن لطفي الصباغ ، تاريخ القصاص و أثرهم في الحديث النبوي و رأي العلماء فيهم ، المكتب الإسلامي ، 38 .

[4] فتحي عثمان ، علم التاريخ الإسلامي ، مطبعة دار الجهاد ، 43 .

ومشاعرنا »[1] ، فهذه القدرة العقلية على التجريب واستكشاف كل ما هو جديد وإن لم يكن موجودا في الواقع أو غير مألوف ، تساعد على التشكيل والبناء والتعبير على المشاعر والأحاسيس .

أما الرأي الأول فيلخصه بطرس البستاني في قوله عن العرب في فترة الجاهلية : « جاء نفسهم قصيرا كإقامتهم وخيالهم متقطعا صافيا واضحا كسمائهم داني التصور محدود الألوان كطبيعتهم »[2] ، و يستنتج موسى سليمان من ذلك أن العربي نشأ « قليل الأساطير و من ثم قليل القصص لاتصال الأولى بالثانية »[3] ، فربط بذلك بين قلة خيال العربي من وجهة نظره وبن قلة ما وصلنا من نتاجهم القصصي الأسطوري ، و في رأي مخالف يقول طه حسين عن خيال العربي في عصر ما قبل الإسلام : « جدّ و عمل و أثمر وكانت نتيجة جده وعمله وإثماره هذه الأقاصيص والأساطير »[4] ، فاستدل بذلك على النتاج الأدبي للعرب وما خلفوه من مأثورات ، معتبرا خصبة الخيال .

وبين هذا وذاك ومهما كان خيال العربي منحسرا محدودا أو متدفقا واسعا يبقى أن القصة « سلاح فعال ، إذا أحسن الإنسان استعماله استطاع أن يحقق كثيرا من الخير و الإصلاح لأن النفس ترتاح لسماع القصة و تستمتع و تتأثر بالمغزى الذي تحويه »[5] ، ولا يقتصر الأمر على فترة بعينها ، بل تأثير القصة ممتد كلما كانت محل إلقاء أوقراءة .

ومن الأخبار التي نقلها لنا الرواة عن العرب في الجاهلية قصة أدبية تلخصت في ما كان من احتكام العرب في عكاظ ، إذ حكي عن نابغة بني ذبيان ، أنه كانت تضرب له قبة من أدم

---

[1] **بديع إميل يعقوب و عاصي ميشال ، المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، المجلد الاول (أ – ز) ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، أيلول ، سبتمبر 1987 م ، مادة (خيال) .**

[2] **بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، دار نظير عبود ، بيروت ، توزيع دار الجيل ، 1989 م ، 42 .**

[3] **موسى سليمان ، الأدب القصصي عند العرب (دراسة نقدية للقصص القديم) ، ط5 ، دار الكتاب اللبناني ،مكتبة المدرسة ، 1983 م ، 18 .**

[4] **طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ط 11 ، دار المعارف ، مصر ،**

[5] **محمد بن لطفي الصباغ ، تاريخ القصاص و أثرهم في الحديث النبوي و رأي العلماء فيهم ، 12 .**

بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينك أما بالعين عوار ... حتى انتهت إلى قولها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به *** كأنه علمٌ في رأسه نار

وإن صخراً لمولانا وسيدنا *** وإن صخراً إذا نشتو لنحار

فقال: لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس ! أنت والله أشعر من كل ذات مثانة . قالت: والله ومن كل ذي خصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى *** وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ *** فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت " الجفنات " فقللت العدد ولو قلت " الجفان " لكان أكثر. وقلت " يلمعن في الضحى " ولو قلت " يبرقن بالدجى ". لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت: " يقطرن من نجدة دماً " فدللت على قلت القتل ولو قلت " يجرين " لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً » [1] .

فهذا الخبر وإن كان قصة فإنه يعطينا نظرة عن الأوضاع الأدبية التي عاشها العربي في فترة ما قبل الإسلام ، من زوايا كثيرة منها معرفتنا للنقد الأدبي وأسسه في تلك الفترة ، وأن له أماكن
معينة مثل جلسات التحكيم في سوق عكاظ الذي كان شعراء العربية يعرضون فيه قصائدهم مثلما مر علينا ، والقصة أيضا تصوير لسبل النقد عند العرب في ذلك العصر .

[1] محمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، قصص العرب ، 1 / 16 .

○ القُصّـــاص

لقد عرفنا أنه كان للعرب في عصر ما قبل الإسلام قصص يلهون به ويسمرون عليه، فكانت مرآة صافية لطبيعة عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، أخبار ملوكهم وشعوبهم وعاداتهم ومعاركهم. وهلم جرى .

ولا يمكننا الحديث عن القصص دون الحديث عن القُصّاص ، بحيث كان القاص يقوم مقاماً مهماً إلى جوار الشاعر الجاهلي في الصحراء المترامية التي كان الناس فيها بحاجة إلى ما يسد فراغهم ، ويُعرّف القاص بأنه الذي « يأْتي بالقِصّة من فَصِّها » [1] و القصاص هم الذين « يقصون على الناس ما يرق قلوبهم » [2] ، فالقاص في عرف المجتمع هو الذي يجمع حوله الناس ليمتعهم بسرد قصة أو أكثر ، محاولا إثارة انتباههم وكسب تعاطفهم مع أشخاص القصة المروية .

واشتهر في الفترة الجاهلية عدد من القصاص ، مثلما كان ذلك أيضا في عهد الرسول ﷺ وبعده بظهور القصص الديني ، وظهور رواة المغازي والسير ،كان لهم الأثر الواضح على مجتمعه القبلي أو الحضري .

يشير ابن قتيبة لأثرهم الجلي على السامعين فيقول : « إن القصاص يميلون وجوه العامة إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث ، وشأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول أو كـــان رقيقا يحزن القلوب ويستفز العيـــون » [3] ، فجلب الانتباه مرهون بعجائبية القصة مما يدفع القاص إلى سلوك طريق الكذب وتضخيم الأحداث وإبعادها عن المنطق بإكسابها خيالا زائدا .

أما الوجه الأخطر في المسألة فهو أثرهم السلبي بعد الإسلام بـــ « وضعهم الحديث أو نشرهم الموضوع و إذاعته ببيان مشرق و مقدرة على الكلام بالغة » [4] ، فكانوا بذلك

---

[1] **ابن منظور ، لسان العرب ، ص 3650 .**
[2] **الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج 2 ، ص 83 .**
[3] **جلال الدين السيوطي ، مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، تحقيق : محمد بن لطفي الصباغ ، مراجعة و تصحيح : يوسف بن مفلح الغويري ، ط 1 ، وقف الأنصار ، طيبة الطيبة ، 1420 هـــ / 1999 م ، 08 .**
[4] **محمد بن لطفي الصباغ ، تاريخ القصاص و أثرهم في الحديث النبوي و رأي العلماء فيه ،45.**

يشوهون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بإدخالهم لكثير « من الخرافات والأباطيل مما يحيل العقل وقوعه ومما يتعارض مع أصول الشريعة المطهرة » [1] .

منهم وكيع بن سلمة الإيادي ، والنضر بن الحارث الذي كان على اطلاع واسع بالثقافة الفارسية ، والكتب القديمة ، واستخدم قصصه في محاربة دعوة محمد ﷺ ، ومنهم أيضا خالد بن سنان العبسي ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، ويلاحظ على هؤلاء القصاص اطلاعهم على الكتب السماوية القديمة .

○ دور الشعر في رواية الأنساب والأخبار وأيام العرب وقصصهم

عرفنا عبر سطور الفصول السابقة أن الشعر كان في العصر الجاهلي وسيلة الإعلام الوحيدة والفريدة عند القبائل ، ينشر أمجادها التليدة ، ويشيد بحسب ونسب أشرافها ويسجل للأجيال مفاخرها ويدعم قصصها ويروج لأيامها ، فكان بذلك لا يغادر تفاصيل الحياة عند العربي أنذاك ، بما في ذلك ما يروى هنا و هناك ، في أطراف القبيلة .

ويلخص ابن فارس دور الشعر في ما ذكرنا بقوله : « والشِّعر ديوانُ العرب ، وبه حُفِظت الأنساب ، وعُرِفت المآثر، ومنه تُعلِّمت اللغة » [2] ، وما الأنساب والمآثر إلا جزء من رواية الأخبار، لنا مثال على ذلك قول عوف بن الأحوص معرفا بنسبه ، مفتخرا به نظما :

وَما إِن خِلتُكُم من آلِ نَصرٍ *** مُلوكاً وَالمُلوكُ لهم غَلاءُ
وَلكن نِلتُ مَجدَ أَبٍ وَخالٍ *** وَكانَ إِليهما يَنمي العَلاءُ [3]

وبالنسبة للقصص ، فلم يختلف الأمر فيها ، فالشعر كان له نصيب في القصص على حد سواء مع الأخبار ، فقد كان للشعر دورا أساسيا في الرواية الشفهية بحيث كان « يتخلل القصة أو يرد في نهايتها حسب دور الشاعر إن شارك في الحوادث أو لم يشارك و هذا الشعر لا يسير القصة و لكنه يعطيها حيوية و تـــأثيرا » [4] ، إلى أن أصبح بمرور الزمن « الوثيقة التي

---

[1] نفسه ، 45 .

[2] ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص 212 .

[3] أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، ديوان المفضليات ، مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواش وروايات لعدة لغويين وعلماء الفقير إلى عفو ربه كارلوس يعقوب لايل ، بمطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1920 م ، طبع على نفقة كلية ألفرد ، ص 346 .

[4] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة التاريخ عند العرب ، 16 .

تعزز صـــحة القصة »[1] ، فعاد محط أنظار الدارسين للقصص ومناط اهتمامهم وأحد السبل التي تمكن من التأثير في السامعين ، و لعل ورود الأشعار في قصص الأيام « لها موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرخين ، مثل أبي عبيدة و ابن قتيبة و المدائني و الأغاني و ابن عبد ربه »[2] ، وهذا ما نجده جليا في مؤلفات الأعلام المذكورة .

و لم يقتصر دور الشعر في معرفة الأخبار على الجلساء في العصر الجاهلي بل تعدى ذلك إلى عصر الإسلام ، إذ كان « هذا نفسه شأن الصحابة جميعا ، فقد كانوا كثيرا ما يتناشدون الأشعار و يقصون بعض الأخبار عن جاهليتهم »[3] ، ومما يؤكد صحة هذا القول ، ما ورد في سنن الترمذي عن جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ ، قَالَ: « «جَالَسْتُ النبيِّ أَكْثَرَ مِنْ مَائَةِ مَرَّةٍ ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ وَيَتَذَاكَرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ فَرُبَّمَا يَتَبَسَّمُ مَعَهُمْ »[4] ، ومعنى ذلك أن رواية الشعر الجاهلي « كانت مستمرة في صدر الإسلام »[5] ، و لم تنقطع حتى وإن غير الإسلام بعض العادات البدوية الجاهلية وانشغال المسلمون بتوطيد أركان الدين الجديد .

من جهة أخرى فـــ« أخبار الأيام ليست منفصلة عن شعر الأيام »[6] ، و هذا يعني أن الباحث عن أخبار أيام العرب عليه السعي وراء مصادر شعر الأيام أولا ، و من ثمة عليه الاستئناس بـــ « الدواوين التي دونها علماء الطبقة الأولى من الرواة »[7] ، أو ما يسمى بدواوين الشعراء المفردة ، مثل ذلك الأشعار التي وثقت أحداثا من أيام العرب ، يطالعنا بها الشاعر قبيصة بن النصراني الجرمي بقوله :

لم أر خيلاً مثلها يوم أدركت *** بني شمجى خلف اللهيم على ظهر
أبر بأيمانٍ وأجرأ مقدماً *** وأنقض منا للذي كان من وتر

---

[1] المرجع السابق ، **16** .
[2] السابق ، **17** .
[3] شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، **144** .
[4] سنن الترمذي ، ج **4** ، ص **532** .
[5] شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، **144** .
[6] عفيف عبد الرحمن ، الشعر و أيام العرب في العصر الجاهلي ، **167** .
[7] المرجع السابق ، **167** .

فأصبحت قد حلت يميني وأدركت *** بنو ثعلٍ تبلى وراجعني شعري [1] .

فالشاعر ها هنا وثق من حيث لا يدري أحداثا جرت مع قبيلته ، لتصبح في ما بعد عضدا لدارس التاريخ العربي عموما أو المجتمع العربي خصوصا .

خامسا: رواية المغازي و السيرة النبوية

1 – المغازي والسير

قبل بعثة الرسول ﷺ لم يكن العرب يتداولون إلا أخبار الجاهلية كالأنساب والقصص و غيرها كما مر معنا ، قد توارثوها بالرواية معتمدين على الذاكرة والحفظ ثم يؤدونها وهكذا صارت من جيل إلى جيل .

وبعدما انتزع الإسلام العرب من الإطار القبلي ومن الجو الوثني « استخف بالأنساب وبقصص الأيام وبمُثل الجاهلية وبدّلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسلة التاريخ الوجداني للبشرية ، أي أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضي كله من خلال سلسلة الأنبياء المتمادية منذ بدء الخلق » [2] ، في قصص قرآني راق لم يعرفه العربي مسبقا ، يقول الحق تعالى : «نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ » [3] .

ولا يختلف اثنان أنه ليس هناك شخصية تاريخية حظيت باهتمام الدارسين في القديم والحديث كما لقيت شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم ، كيف لا وقد قال ربه فيه: « لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا

---

[1] أبو الحجاج الأعلم النحوي الشنتمري ، شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري (تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني و التحلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة ، تحقيق وتعليق : علي المفضل حمودان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 1413 هـ / 1992 م ، المجلد الأول / 241 .

[2] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 59 .

[3] يوسف : 03 .

﴿٢١﴾ » [1] ، وقد جبلت النفوس على الاهتداء بالمثل الأعلى ، فكانت أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم هي المبتغى .

فبزوغ فجر الدعوة الإسلامية كان عليه أن يقوم بتقويم نظام الفرد والمجتمع الجاهلي فظهرت بذلك أمور جديدة من معارف وعلوم ومصطلحات لم تكن مألوفة لدى العرب أو غيرهم ، من ذلك ظهور مصطلح (**المغازي والسير**) ، بحيث « سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول ﷺ باسم (المغازي) » [2] .

يقول ابن منظور : « المَغْزَى والمَغْزاةُ والمغازي مواضِعُ الغَزْوِ، وقد تكون الغَزْوَ نَفْسه؛ ومنه الحديث: كان إذا اسْتَقْبَلَ مَغْزىً، وتكون المَغازِي مَناقِبَهُم وغَزَواتِهِم. وغَزَوْتُ العَدُوَّ غَزْواً » [3] ، هذا من الناحية اللغوية .

أما اصطلاحا ، فقد أصبحت (المغازي) تختصر في سرد غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وحروبه [4] ، وبالتالي فكتب المغازي هي نوع من التأليف التاريخي الذي يحكي غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواها التاريخ ، وهي التآليف التي طورت في ما بعد الذي وسميت بالسيرة ، لشمولية (السيرة) عن (المغازي) ، وقد كانت السيرة والمغازي جزء من الحديث يرويه الصحابة كما يروون الأحاديث .

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى رواية مغازي الرسول ﷺ وسيرته ، فكتابتها في ما بعد ، هي أن الوقوف على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله كان ضروريا للاهتداء بهديها والاستناد إليها في التشريع وفي السلوك السوي في الحياة ، وكثيرة هي المواقف التي سجلت في سيرة الرسول ﷺ ، وكانت مما نستعين به في حياتنا ، إضافة إلى أن غزواته ﷺ وغزوات أصحابه كانت لونا من

---

[1] **الأحزاب : 21 .**

[2] **عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب ، ص20.**

[3] **ابن منظور ، لسان العرب ، (غزا)**

[4] **ينظر : عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب ، ص20.**

المعرفة يُبصّر الناس بحياة نبيهم لما ترتب على المغازي من فتح ديوان العطاء ، ومن معرفة أدوار الرجال في حركة الغزوات [1] .

ونرجئ الحديث عن السيرة النبوية إلى الفصل الخاص بها ، ونكتفي بهذه التوطئة ، ونذيلها برواة المغازي عبر التاريخ الإسلامي .

2 – رُواة المـــغازي

إن الرواية مهما كان نوعها فإنها لا تتم إلا بعد مرور الخبر مراحل تبدأ باستقباله من مصدره الأصلي فحفظه ثم أدائه ليستقبله متلق آخر ، ولم تشذ المغازي و لا السير عن هذا المسار العام ، فلقد كان « المؤرخون الأُوَل من المسلمين يعتمدون على الروايات الشفهية شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث ، فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق » [2] ، حتى كونت ووصلتنا كاملة التعبير كثيرة الفائدة .

وبذلك كانت رواية المغازي شفهية في بداية التاريخ الإسلامي ، وقد اشتهر عدد من الرُواة ، عنوا برواية المغازي والسير ، كان لهم الفضل في إبقاء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم خالدة على مرّ الأزمان ، سيرة أعظم إنسان عرفه الوجود وأفضل الأنبياء ، وهم على أربع طبقات[3] :

فأوَّل من ألَّف في المغازي هو أَبَان بن عُثمان بن عفَّان ابن الخليفة الراشد عُثمان بن عَفَّان ﷺ وعُروة بن الزُّبير بن العوَّام ومحمد بن شهاب الزُّهري، وهم من الطبقة الأولى.

وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري من الطبقة الثانية .

ثم مُوسى بن عُقْبة ومحمد بن إسحاق بن يَسَار المُطَّلبي والواقديُّ ، محمد بن عمر بن واقد من الطبقة الثالثة.

---

[1] ينظر : عبد العليم عبد الرحمن خضر ، التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1415 ه / 1995 م ، 79 .

[2] المرجع السابق ،83 .

[3] هذا التقسيم ثبتنا عليه لأن مختلف المصادر التاريخية تشير إليها بما في ذلك التي ترجمت للرواة.

ثم ابن هشام المعافري صاحب السيرة المتداولة بين أيدي الناس، وكذا محمدُ بن سعد تلميذ الواقديِّ وكاتبُهُ.

وما ذكرناه هو أشهر الرواة، بحيث هناك غيرهم ممن اهتموا برواية المغازي، والملاحظ أن هؤلاء الأعلام منهم من كتب المغازي ابتداءا ومنهم من دوَّن السيرة متلقيا إياها من كتاب المغازي، ولأننا فصلنا بين المغازي والسير ، فسنركز في هذا المبحث على ترجمة كُتَّاب المغازي ونرجئ الحديث عن كتاب السيرة النبوية إلى الفصل الخاص بالسيرة النبوية ، ونحاول التعرف على هذه الأسماء من خلال الجدول التالي:

جدول أسماء أعلام رواة المغازي :

الراوية	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	الموطن
الطبقة الأولى			
أبان بن عثمان بن عفان	95 هــ/ 713 م	105 هــ / 733 م	المدينة
عروة بن الزبير	/	94 هــ / 712 م	المدينة
الزهري	/	124 هــ / 741 م	المدينة
الطبقة الثانية			
وعاصِمُ بن عُمر بن قَتَادة بن النُّعمان الأنصاريُّ	/	119 هــ	المدينة
وعبد الله بن أبي بكر الأنصاري	/	135 هــ	المدينة
الطبقة الثالثة			
موسى بن عقبة	/	– 141 هــ / 758 م	المدينة
ابن إسحاق	/	– 151 هــ / 761 م	المدينة
محمد بن عمر الواقدي	130 هــ / 748 م	– 207 هــ / 823 م	المدينة

الطبقة الرابعة			
ابن هشام	/	213 هـ / 828 م	البصرة
ابن سعد	/	– 230 هـ / 844 م	المدينة

○ أبان بن عثمان – رضي الله عنهما –[1]:
(95 هـ – 105 هـ / 713 م – 433 م)

هو ابن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، عُدَّ من كبار رواة الحديث ، وغلب عليه رواية المغازي والسير ، حتى « أصبح من أساتذة هذا الفن الحائزين على ثقة العلماء »[2] .

ومن الأخبار التي تؤكد هذا التفوق ، قول ابن سعد في طبقاته وهو يترجم للمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة : « كان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها عن أبان بن عثمان »[3] ، وأخيرا فهو يمثل « مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي »[4] .

○ ابن شِهَاب الزُّهْري[5]
(58 – 124 هـ / 678 – 742 م)

مولده فيما قاله خليفة بن ابن صالح : فى سنة خمسين ، و فيما قاله خليفة بن خياط : سنة إحدى و خمسين ، روى عن أنس بن مالك ، و سهل بن سعد ، وأبى الطفيل ، و السائب بن يزيد، و عبد الله بن ثعلبة بن صعير، و محمود بن الربيع، و عبد الرحمن بن أزهر، و رأى ابن

---

[1] ممن ترجم له : ابن سعد ، ينظر : محمد بن سعد الزهري ، كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 1421 ه / 2001 م ، 7 / 150 .

[2] عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (أول المؤلفين في السيرة النبوية) ، 20 .

[3] ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، 7 / 208 .

[4] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب ،

[5] ينظر : للحافظ ابن حجر ، تهذيب التهذيب 445/9 ، ابن أبي حاتم ، الجرح و التعديل 71/8 ،

عمر، و روى عن أبان بن عثمان ، و لم يسمع منه، و غيرهم ، و روى عنه : عراك بن مالك ، و أخوه عبد الله بن مسلم ، و بكير بن الأشج ، و منصور بن المعتمر، وعمرو بن شعيب ، و يحيى بن سعيد الأنصارى ، و صالح بن كيسان، و سليمان بن يزيد ، وعقيل ، و الأوزاعى ، و الزبيدى ، و غيرهم.

○ موسى بن عقبة – رضي الله عنهما –[1]

(/ – 141 هـــ – / – 758 م)

قال ابن سعد : مولى الزبير بن العوام بن خويلد ، ويكنى أبا محمد ، وتوفي قبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن ، وكان ثقة قليل الحديث . وقد روي عنه أيضا كما روي عن إخوته . قال ابن حبان : رأى موسى بن عمر وسهل بن سعد ، ويروي عن أم خالد بنت سعيد بن العاص ولها صحبة . روى عنه الثوري وشعبة ، عالم بالمغازي والسيرة النبويّة ، من ثقات رجال الحديث ، قال الإمام ابن حنبل: عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة. له (كتاب المغازي) ، مات سنة 135 هـــ .

وبقية الرواة ترجمنا لهم عند الحديث عن رواة السيرة النبوية ، فصلا منا بين المغازي والسير .

المغازي	صاحب المغازي	التوثيق
المغازي النبوية	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (-124 هـــ)	**الطبعة** : 1 **دار الطبع** : دار الفكر **حققه** : سهيل زكار **سنة الطبع** : 1401 هـــ – 1981
المغازي	موسى بن عقبة	**جمع ودراسة وتخريج** : محمد ياقشيش أبي مالك

[1] ينظر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج 7 ، ص 519 . ابن حبان ، الثقات ، ج 5 ، ص 405 ، الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد 102/4

لموسى بن عقبة	(141 هـــ)	بلد الطبع : المملكة المغربية – جامعة ابن زهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (أكادير) .
سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي) أو (المبتدأ والمبعث والمغازي)	ابن اسحاق (- 151 هـــ)	**صدر أكثر من تحقيق :** **تحقيق:** محمد حميد الله **الطبعة** : 1 **دار الطبع** : معهد الدراسات والأبحاث والتعريب **بلد الطبع** : المغرب **سنة الطبع** : 1396 - 1976
المغازي	محمد بن عمر الواقدي (– 207 هـــ)	**الطبعة** : **3** **تحقيق:** مارسدن جونس **الناشر:** دار الأعلمي – بيروت سنة الطبع : **1989/1409**
كتاب المغازي ابن أبي شيبة	ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد (– 235 هـــ)	**الطبعة** : 1 **دار الطبع** : دار إشبيليا للنشر والتوزيع **درسه وحققه وخرج آثاره** : عبد العزيز بن إبراهيم العمري **سنة الطبع** : 1420 ه / 1999 م **بلد الطبع** : المملكة العربية السعودية (الرياض)
كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء	أبو الربيع سليمان بن سالم (الكلاعي) (- 334)	**دار الطبع** : مطبعة جول كربونل ، الجزائر ، بول قطنير ، باريس ، خزانة الكتب العربية **سنة الطبع** : 1931
عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير	أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري (– 734 هـــ)	**حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه** : محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو **الطبعة** : 1

		دار الطبع : مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ودار ابن كثير ، دمشق ، سورية ، بيروت ، لبنان .

الفصل الثالث

الجمع والتدوين

إن اللغة بين ثنائية (الشفاهية والتدوين) ظلت منذ زمن طويل بين المقبول والمرفوض أو بين المشجع والمثبط ، فملَكة الحفظ هي التي تعطي لصاحبها أنذاك القيمة في المجتمع ، وليس الأخذ من الأثر المدون ، مما يجعلنا نميل إلى الأصل الشفاهي للغات العالم قبل أن تساهم الكتابة في انتشارها وإثبات وجودها تدوينا ، والدليل على هذا الأصل الشفاهي للغة هو أنه ليس « ثمة طريقة إلى الآن لإحصاء عدد اللغات التي اختفت أو تحولت إلى لغات أخرى قبل أن تعرف الكتابة » [1] ، فالباحث في اللغات عبر العالم ، يجد المئات منها والمستخدمة إلى اليوم لم تكتب أبدا ، ولم يتوصل إلى أصلها الكتابي ، و ربما يرجع هذا إلى أن « تقاليد السماع في الكلام بحكم قدمها وحداثة تقاليد الكتابة جعلت الكلام المسموع يبدو أكبر أهمية من الكلام المنظور» [2] ، فهو أسهل تداخلا في الحياة من الكتابة وأوغل في سلوك الفرد والمجتمع ، ولا سيما في المجتمع العربي الذي كان يقدس ملكة الحفظ .

لهذا فالحديث عن التدوين هو حديث عن ما بعد الشفاهية ، وحديث عن الكتابة ، وانتقال من الكلام عن اللغة العربية قبل التدوين إلى التدوين وما بعده ، بكل المراحل التي قطعتها اللغة العربية ، منذ بدايتها ، إلى أن ازدادت ثروتها اللغوية مع الوقت ، ثم دخولها لطور جديد بعد نزول القرآن الكريم بلسانها ، ومن ثمة دخول ألفاظ ومعان جديدة ، وما حصل بعدها من اختلاط للأجناس التي تتحدث باللغة العربية ، وغيرة علمائنا الأفذاذ على سلامة لغتنا واستنكارهم للّحن الذي فشا في أوصال لغتنا ، وما كان من أبي الأسود الدؤلي من وضع رسم إعراب القرآن عن طريق النقط، والشكل ، ووضع قواعد النحو ، وهو حديث عن تراث اللغوي والأدبي في نفس الوقت ، لأن الالتزام العلمي الواعي الموضوعي بالتراث بات ضرورة وخطوة أساسية لفهم حاضرنا ومستقبلنا .

رغم قدسية تقاليد السماع والشفاهية ، فإن للتدوين أهميته البالغة ، فلابد للعلم من قيد يحفظه ويجعل حظوظه في البقاء أطول ، وأسلم ، فـــ « المادة المدونة هي الأساس الذي به يلتقط المرء صنوف المعرفة يثقف بها نفسه ويروض بها عقله ثم تختمر فيه لكي تجعل منه بعد

[1] والترج أونج ، الشفاهية والكتابية ، ترجمة : الدكتور حين البنا عز الدين مراجعة : الدكتور محمد عصفور ، عالم المعرفة ، يناير ، العدد ، 182 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 43 .

[2] تمام حسان ، اللغة العربية ، معناها ومبناها ، 46 .

ذلك منبعا معطاء سواء في مجال التصنيف أو في فن التأليف » [1] ، مهما كان الأمر فالراوية أسبق من التدوين ، والتدوين نتيجة حتمية لشفاهية اللغة .

ومقصودنا من تدوين (القرآن ، السنة ، اللغة ، الشعر ، ...) هو تقييد ما تفرّق من العلم وجمعه في صحيفة أو في صحف ، ونفرق هنا بين (**التدوين والتصنيف والتأليف والكتابة**) ، أما التأليف والتصنيف فمرحلة متقدمة من التدوين ، وأما الكتابة فهي كل ما يخط ويكتب ، على إطلاق العموم .

أولا: ماهية اللغة – اللسان – اللهجة :

لا بد ونحن نتحدث عن اللغة العربية – رواية وجمعا وتدوينا – أن نقف وقفة متأنية لتفحص معنى ثلاثة ألفاظ تشترك فيما بينها في الكثير من الجزئيات وتتقاطع ، إنها مصطلحات (**اللغة**) ، (**اللسان**) ، (**اللهجة**) .

فكل هذه المصطلحات أطلقت على سلوك إنساني وظاهرة من أهم الظواهر الاجتماعية التي يتميز بها البشر عن غيرهم ، وفيما يلي ، سنقف عند المعنى اللغوي لكل واحدة منها ، إذ وجدنا تعريفات كثيرة تداولتها الدوائر العلمية قديمها وحديثها ، ومن أشهرها وغاية ما أوجدته وحملته المعاجم اللغوية العربية من ماهنيها .

يفيدنا الجوهري بالأصل اللغوي لكلمة (**لغة**) فيقول : « واللُغَةُ أصلها لُغَيٌ ولُغَوٌ ، والهاء عوض ، وجمعها لُغًى ، ولُغاتٌ أيضاً ، والنسبة إليها لُغَويٌّ ولا تقل لَغَويٌّ » [2] .

ويقول ابن منظور في مادة (لغا) : « اللَّغْو واللَّغا : السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع ... يقول يَلْغُو ، ولَغِيَ يَلغَى ، لُغةٌ ، ولَغا يَلْغُو

---

[1] مصطفى الشكعة ، منهج التأليف عند العلماء العرب ، ص 37 .

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1404 هـ / 1984 م ، ج 6 ، ص 2484 .

لَغْواً : تكلم » [1] ، فاللغة من هذا التعريف هي ما لم يكن جادا من الكلام ، ولا تنتج عنه إفادة للسامع ، وهو أيضا الكلام على تعميم الكلام .

ويقول الزمخشري : « لغوت بكذا : لفظت به وتكلّمت ... ومنه : اللغة ، وتقول : لغة العرب أفصح اللّغات ، وبلاغتها أتمّ البلاغات » [2] ، واللغة من هذا المنطلق هي التلفظ بالكلام، سواء كان مفيدا أو غير ذلك .

بينما يضيف الأزهري سمة أخرى لماهية اللغة فيقول : « لغا يلغو لغواً ، وهو اختلاط الكلام ولغا يلغا لغة » [3] ، والإضافة هنا هي كون اللغة تعني في أحد معانيها اختلاط اللفظ أثناء الكلام .

يقول عز من قائل عن حال أصحاب الجنان يوم القيامة : « فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ » [4] ، أي : « أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو » [5] فاللاغية هي الكلمة واللغو هو الكلام ، ويقول أيضا في نفس السياق : « ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ » [6] ، وقد فسر ابن كثير الآية الكريمة بقوله : « أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا » [7] ، وجاء

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 45 ، 4049 – 4050 .

[2] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العمية ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، ج 2 ، ص 173 .

[3] الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة : لغا .

[4] الغاشية : 10 – 11 .

[5] ابن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ج 14 ، ص 331 .

[6] مريم : 62 .

[7] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص 270 .

في الحديث الشريف أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « إِذا قلتَ لصاحبِكَ يومَ الجُمعةِ: أَنصتْ ـــ والإمامُ يخطُبُ ـــ فقد لَغَوْتَ » [1] .

إذن فقد اتفق جهابذة المعاجم والمفسرين أن اللغة أو ما اشتقت منه كالفعل (لغا) تعني الكلام عموما .

أما عن (**اللسان**) فقد جاءِ في لسان العرب أنه : « جارحة الكلام ، وقد يُكْنَى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ ... قال : وقد يُذَكَّر على معنى الكلام : قال الحطيئة :

نَدِمْتُ على لسانٍ فاتَ مِنِّي *** فلَيْتَ بأَنه في جَوْفِ عَكْمِ » [2] .

فـــ (اللسان) بهذا المعنى هو آلة الكلام، ويسحب أيضا على ما ينطق به للسان من كلام.

وجاء في التهذيب : «... واللسان يذكَّر ويؤنث، فمن أنثه جمعه ألسناً ، ومن ذكّره جمعه ألسنة ، وإذا أردت باللسان اللغة أنّثت ، يقال : فلان يتكلم بلسان قومه» [3]، ومن ثمة فإن اللسان هو الكلمة والكلام، سواء كان في صيغة المذكر أو المؤنث ، ويـــقصد به لغة القوم أيضا.

كما وردت لفظة (اللسان) في التراث الشعري بمعنى لغة القوم ، وطريقة الحديث إليهم ، يقول عبيد بن الأبرص :

---

[1] البخاري ، ج **1** ، ص **295** (**934**) ، وأبو داوود ، كتاب السنن ، ج **2** ، ص **110** برقم (**1105**) ، والنسائي ، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، ج **3** ، ص **188** وص **103 – 104** برقمي (**1401**) و(**1577**) ، بإسنادين صحيحين ، والدارمي ، سنن الدارمي ، ج **2** ، ص **969 – 970** برقمي (**1589**) و(**1590**) بإسنادين صحيحين ، وفي لفظ للترمذي وغيره : « مَن قالَ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطبُ أَنْصِتْ فقد لَغَا » ، وقال حديثُ أبي هريرةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . الترمذي ، الجامع الكبير ، ج **1** ، ص **518** ، وغيرهم .

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ج **45** ، ص **4029 – 4030** .

[3] الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة : لسن .

ما الحاكِمونَ بِلا سَمعٍ وَلا بَصَرٍ *** وَلا لِسانٍ فَصيحٍ يُعجِبُ الناسا [1]

وفي القرآن الكريم ورد اللسان أكثر من مرة وفي مواضع متعددة [2] ، يقول تعالى: « وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ » [3] ، ففي الآية يصف الله تعالى كيف أن اختلاف ألسنة الناس في اختلاف الأحرف التي ينطقون بها ، هي آية من آياته التي نتدبر فيها ، وكيف نزل القرآن بلغة عربية مبينة .

ويقول عز وجل : « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ » [4] ، والمعنى هنا هو أن الله تعالى أرسل كل رسول بلغة قومه ، مثلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة قومه قريش ، فنزل القرآن بلغة عربية فصيحة ، يقول سبحانه وتعالى في سورة الشعراء واصفا القرآن الكريم « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ » [5] .

---

[1] عبيد بن الأبرص ، الديوان ، شرح أشرف أحمد عودة ، دار الكتاب العربي ، ط 1 ، 1414 هـ / 1994 م ، ص 67 .

[2] من ذلك ما أوردناه في متن البحث ، وآيات أخر ، مثل : « فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ » مريم : 97 ، جاء في سورة الدخان قول الله تعالى : « فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ » الدخان : 58 ، وفي سورة القصص يقول عز من قائل : « وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ » القصص : 34 .

[3] الروم : 22 .

[4] إبراهيم : 04 .

[5] الشعراء : 192 – 195 .

وبمراجعة تفاسير القرآن العظيم [1] ، نجد أن اللسان في هذه الآيات وفي غيرها لا يخرج عموما عن معنى الكلام واللغة ، إذن فاللسان لا يختلف كثيرا عن اللغة ، إلا أن الأصوب أن تستخدم كلمة (لسان) دون (لغة) لأن هذا هو التعبير الذي أجازه القرآن واصطفاه كما مر بنا في الشواهد القرآنية السابقة ، ويبقى لفظ (اللغة) يطلق على لغات القبائل كأن يقال : لغة قريش أو لغة تميم أو لغة أسد ونحو هذا .

يبقى أن نتناول ولو بشيء من الاختصار ماهية (**اللهجة**) لغويا ، يقول ابن منظور في مادة (لهج) : « اللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ : طَرَفُ اللِّسان . واللَّهْجةُ واللَّهَجةُ : جَرْسُ الكلامِ (...) واللَّهْجةُ : اللسان ، وقد يُحَرَّكُ » [2] .

وجاء في تاج العروس من جواهر القاموس ، فاللَّهْجَةِ واللَّهَجةِ : «... يقال فُلانٌ فَصيحُ اللَّهْجةِ واللَّهَجَةِ : وهي لُغَتُه الّتي جُبِلَ عليها واعتادَها ونَشأَ عليها » [3] .

ومن ثمة فاللهجة في عرف القدماء هي اللغة أيضا ، وطريقة الكلام ، لكن المحدثين لهم رأي آخر ، أو لنقل أن المعنى الدلالي للفظ قد تطور ، وأصبحت اللهجة تعني طريقة معينة في الكلام تميز مجتمعا ما .

بمعنى أن اللغة هي البيئة الأوسع والأشمل التي تضم عدة لهجات ، باعتبار أن اللغة هي طريقة التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في بيئة معينة يتم اتصال أفرادها بها ، واللهجة أسلوب أداء الكلمة بطريقة ما ، في مجتمع ما ، وهو المعنى الذي تداوله الاستعمال الحديث ، فمن المعلوم أن العرب القدامى لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو المعروف في الدرس اللغوي الحديث .

---

[1] **تراجع مختلف التفاسير في هذا الباب .**

[2] **ابن منظور ، لسان العرب ، ج 45 ، ص 4084 .**

[3] **السيد مرتضى الحسني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،1385 هـ / 1965 م ، مطبعة حكومة الكويت ، ج 6 ، ص 193 .**

ثانيا: أصل اللغة والكلام :

إن القول في نشأة اللغة العربية يجرنا للحديث عن أصل اللغات ونشأتها بداية، ولو بشيء من الاختصار ، لأنه سيكون بمثابة الأساس الذي نرتكز عليه في هذه الجزئية من البحث

وبالتالي فالسؤال الملح هنا ، إذا كانت اللغة ظاهرة ميزت الإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل ، واعتُبرت أرقى وسائل التعبير الإنساني ، فكيف بدأت ثم تطورت ؟ أو ما هي الظروف الأولية لنشأتها ؟

واللغة كأي ظاهرة شهدها المجتمع وعرفها ، وتداولها أفراده ، نجدها « في حركة دائمة ، ويؤدي ذلك على التغير في مختلف مظاهرها أصواتا وصيغا ومفردات وتراكــيب » [1] ، فأصل اللغة لم يكن يوما إلا وثيق الاتصال بتطور البشرية ، لأن أحوال الإنسان في تغير مستمر ودائم ، والعلوم تتطور والأفكار كذلك والحضارة تتسع ، والكل يسارع للّحاق بالجديد ، فاللغة أيضا كان لها نصيب من هذا التطور والتغير .

والتطور في اللغة يعود إلى طبيعتها الاجتماعية ، فاللغة باعتبارها وسيلة تعبير بشرية قد اهتدى الإنسان إلى استخدامها في حياته اليومية بعد أن أتى عليه حين من الدهر كان يستخدم وسائل بدائية للإفصاح عما في نفسه ، فمرة يستخدم الإشارة للتعبير ومرة يعبر بملامح وجهه عما يريد [2] .

فالإنسان لم يفكر في كلامه ، ولم يعد له مسبقا ، ولم تكن له خلفية مسبقة ومكتسبات قبلية مشابهة ، بحيث « انطلق في مزاولة هذه الحاجة كما انطلق في المشي والحركة والبحث عن الطعام » [3] ، بطريقة اندفاعية فطرية استجابة لغرائزه .

---

[1] محمد عيد ، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ، ص 29 .

[2] ينظر : زكريا صيام ، عمر الساريسي ، معاذ السرطاوي ، اللغة العربية (مهارات أساسية في اللغة والأدب) ، ط 1 ، 1992 م ، ص 07 .

[3] إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1983 م ، ص 13.

ففي البداية حاول الإنسان محاكاة أصوات الحيوانات ، فقلّد الحيوانات في عوائها والطيور في تغريدها والإبل في رُغائها ، ومن هنا يتضح لنا أن أصل اللغة « وثيق الاتصال بأصل الإنسان ذاته وبتطور جسمه وعقله [1] .

ومنذ القدم، وبمرور الأزمان والأجيال، اتخذت الشعوب لغاتها رمزا من رموزها وأحد مقوماتها، فالمتصفح لتاريخ الأمم، يجد ذلك الإعجاب لأفراد المجتمع بلغتهم وافتخارهم بها، فكان[2] أن زعم الصينيون أن لغتهم باقية على الدهر، وادعى الأرمن أن لغتهم هي صاحبة الشرف، وأن اللغات الأخرى فروع عليها، بينما زعم العبرانيون أن اللغة العبرانية هي الأولى، وقال الأراميون بأن لغتهم هي لغة الأسفار المقدسة، كما امتاز التراث الإغريقي بنظرته المميزة للغة.

وللغة وظائف نختصر أبرزها في[3]: الوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية والوظيفة الثقافية، فأما الوظيفة الاجتماعية فهي كون اللغة أداة للاتصال بين أفراد المجتمع الواحد ، وبين مختلف المجتمعات البشرية، وهي الرباط القومي الذي يشد الأفراد على أممهم ، وللغة وظيفة عقلية متمثلة في كونها أداة تفكير ، بها تدرك الأشياء وتتخيل وتستنبط وتحدد وتحلل وتركب ، وبها أيضا يستعين المرء على تكوين المدرك العقلي من الأمور غير المحسوسة .

كما أن للغة وظيفة نفسية ، بحيث يمكننا التعبير عن عواطفنا وانفعالاتنا وأفكارنا بوساطة اللغة ، فهي أداة إشباع للحاجات النفسية البشرية وأداة للتذوق الجمالي واللغوي والأدبي ، وأخيرا للغة وظيفة ثقافية ، فهي أداة تربية وتعليم ووسيلة انتقال التراث العقلي وقراءته والتعرف على الحضارات السابقة والمعارف المختلفة .

---

[1] أنيس فريحة ، نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1981 م ، ص 15 ، وفرحان صالح ، المادة التاريخية والوعي القومي عند العرب (الجذور) ، ص 24 .

[2] ينظر : إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، ص 12 ، 13 .

[3] ينظر : زكريا صيام ، عمر الساريسي ، معاذ السرطاوي ، اللغة العربية (مهارات أساسية في اللغة والأدب) ، ص 13 ، 14 .

ثالثا: اللغة العربية الفصحى :

إن اللغة هي أساس الحياة في كل المجتمعات البشرية ، مثلما تعرف كل أمة بلغتها ، فإن الأمة الإسلامية تعرف باللغة العربية الفصحى ، واللغة العربية هي إحدى اللغات السامية [1] ، وتعرف الفصحى بأسماء عديدة منها « العدنانية الشمالية ، مقابلة لها القحطانية الجنوبية ، كما أنها تعرف بلغة قريش وهي تسمية إسلامية » [2] .

ويرى إسرائيل ولفنسون أن اللغة العربية الباقية هي مزيج من لهجات مختلفة « بعضها من شمال الجزيرة وهو الأغلب وبعضها من جنوب البلاد ، اختلطت كلها بعضها ببعض حتى صارت لغة واحدة » [3] .

وللغة العربية منزلة رفيعة ولعل أبلغ شهادة في علو مكانة لغة الضاد وتميزها عن باقي اللغات وعلى كل المستويات ، أنها لسان القرآن الكريم ، فاللغة العربية كانت ولا زالت « أداته وآيته التي قهرت المخالفين والجاحدين وأقامت عليهم الحجة وألزمتهم الجادة وأبلستهم فانقطعوا عن اللجاجة » [4] ، يقول الله تعالى : « إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ » [5] ، كما ورد في سورة الشعراء قوله تعالى : « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ » [6] ، وأيضا :

---

[1] نسبة إلى سام بن نوح .

[2] أنيس فريحة ، نظريات في اللغة ، ص 64 .

[3] إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1914 م) ، ط 1 ، 1348 هـ / 1929 م ، ص 166 .

[4] السيد رزق الطويل ، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة ، ص 16 .

[5] يوسف : 02 .

[6] الشعراء : 192 – 195 .

« وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ﴿١١٣﴾ » [1] .

إن مجموع هذه الشواهد القرآنية تشير مجتمعة على أن القرآن الكريم جاء باللغة العربية ، وقد خصها الله بالاختيار ، لتبقى خالدة خلود كتاب الله .

وبما أن حياة أمة ما إنما هي حياة لغتها ، فإن التاريخ الثقافي الإسلامي يعطينا نظرة شاملة عن اللغة التي تعد صورة من صور الحضارة الإسلامية ، ويؤكد لنا انتشار اللسان العربي في نحو ثلاثة أرباع سكان العالم واستطاع أن يبقي وجوده حتى العصر الحاضر ولا يزال حيث ماتت وتلاشت أو ذبلت وانكمشت الألسنة التي عاشت معه منذ تلك الأحقاب البعيدة سواء في دوحة اللغات السامية أم في غيرها [2] .

ولا يختلف اثنان على أن اللغة العربية هي أغنى اللغات السامية بما تتميز به من سعة المفردات ، بدليل هذه المعاجم التي يزخر بها التراث اللغوي العربي ، والتي تُعدّ من أضخم معاجم اللغة ، فهي كما قال خليل مطران :

لُغَةُ الضَّادِ لا تَضَنُّ عَلَيْكُمْ *** إِنْ جَدَدْتُمْ بِكُلِّ مَا تَبْتَغُونَا

كُلَّ يَوْمٍ يُصِيبُ فِي مَنْجَمٍ مِنْ *** هَا الأَدِيبُ الأَرِيبُ كَنْزاً دَفِينَا

وهنا نتساءل ، كم عدد كلمات اللغة العربية ؟ وهل يمكن حصر تراكيبها ؟

ذهب علماء المسلمين أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، وإن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهلها ، قال بعض الفقهاء : « كلام العرب لا يحيط به إلا

---

[1] طه : **113** .

[2] **ينظر: السيد رزق الطويل ، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة (دعوة للحق) السنة السادسة ، العدد : 60 ، ربيع الأول 1407 هـ / نوفمبر 1986 م .**

نبي » [1] ، ويقول أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقله ولو جاءكم وارا لجاءكم علم وشعر كثير » [2] .

فمتى ظهرت هذه اللغة العربية ؟ (نشأة اللغة العربية)

ليس في مقدور أي باحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى التي عرفتها اللغة العربية ، لقد ولدت في « زمن قديم لا يعرف أوله من آخره » [3] ، إذن ، فالتاريخ لم يساير تطور اللغة العربية إلا وهي في وفرة الشباب والنماء ، وبالتالي لم يستطع المؤرخون أن يخرجوا برأي نهائي قاطع لعدم وجود دليل علمي يستندون إليه لمعرفة الأصل اللغوي الذي انبثقت منه اللغة العربية .

فماذا عن الجانب التدويني للغة عبر الأزمان ؟ وماذا عن التدوين في لغتنا العربية ؟

إن مرحلة التدوين في اللغة العربية مرتبطة بالجمع ، فقد ذكر العلماء والرواة أن جمع اللغة العربية وتدوينها مر بعدة مراحل ، نتناولها بشيء من التفصيل في السطور الموالية : تدوين المصاحف (جمع القرآن) ، وتدوين السنة النبوية ، وتدوين الأدب من الشعر والنثر .

رابعا: جمع اللغة العربية والأدب وتدوينهما :

إن قريشا كان لها النفوذ الديني والسياسي والاقتصادي والتجاري مما أدى إلى تغلب اللهجة القرشية على نظيراتها في الجزيرة العربية ، مما أتاح لهذا اللسان أن يصبح وعاء للأدب شعره ونثره ، رواية وكتابة وتأليفا ، فما هي أهم المصادر التي جُمعت عنها اللغة والأدب وضُبطت قواعدها على ضوئها ؟ وكيف جُمعت اللغة العربية ودُوّنت؟

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1997 م ، ص 24 .

[2] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، المقدمة .

[3] محمد بهجة الأثري ، نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة وطريقة تدوين تاريخ الأدب العربي ، ط 1 ، 1991 م ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ص 22 .

1 - جمع اللغة وتدوينها :

إذا أردنا أن ندرس لهجة لم توضع لها قواعد دقيقة من قبل ، فإنه يتوجب علينا عموما في البدء أن « نجمع مادة لغوية من تلك اللهجة لنستنبط أحكامها وقواعدها بناء على ما نلاحظه من مظاهر لغوية »[1] ، تتميز بها عن بقية الألسن ، إلا أن اللغة العربية خالفت هذا المسار ، فقدكانت اللغة العربية (لهجة قريش) شفوية كسائر اللغات واللهجات التي في طور التطور ، ولكن قواعدها ضمنية على الفطرة مما يؤكد أن لها سوابق لغوية وقواعد مضبوطة .

وكما هو معروف فالرواية الشفوية ظهرت مع ظهور الشعر العربي[2] وتطورت بعدما بدأ اللغويون يرتادون البادية لمشافهة الأعراب حيث يأخذون اللغة عن أفواه أولئك الذين استوطنوا البادية ، بخلاف الذين اختلطوا بسكان الحضر ، فقاموا بجمع الشواهد اللغوية من أفواه العرب ، وجمعت تلك الظواهر اللغوية من « لهجات البادية في القرنين الأول والثاني »[3] ، باعتبار حركة التجميع أو الجمع « لم تتأخر إلى عصر التدوين في أيام العباسيين وإنما بدأ التجميع منذ الخلفاء الراشدين »[4] ، وهناك لغات من بقايا لغات أخرى مع شيء كثير من الإضافات والضوابط مثل اللغة الفرنسية سليلة اللغة اللاتينية سليلة اللغة الرومانية .

أما الذين أُخذ عنهم اللسان العربي وأشكل عليهم في جمع اللغة من بين قبائل العرب هم[5] : قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين .

ثم إن جمع ألفاظ اللغة العربية وتدوينها وترتيبها مرّ بـــ « مراحل تاريخية ثلاث ، متصلة اتصالا وثيقا »[6] ، فلغتنا العربية لم تعرف « التصنيف إلا عندما بدأ العرب بوضع

---

[1] أنيس فريحة ، نظريات في اللغة ، ص **79** .

[2] ينظر : بلعيد صالح ، مصادر اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص **49** .

[3] محمود حجازي ، اللغة العربية عبر القرون ، ص **34** .

[4] فاروق خورشيد ، الرواية العربية (عصر التجميع) ، ص **78** .

[5] ينظر : شوقي حماده ، معجم عجائب اللغة (نوادر ودقائق ومدهشات علمية ويتضمن بعض الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط **1** ، **2000** م ، ص **07** .

[6] عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص **36 / 37** .

نتاجهم الفكري والعلمي في أواخر القرن السابع الميلادي» [1]، والتصنيف المقصود هنا هو تقسيم المعارف الإنسانية ، المتمثلة في الكتب ، وترتيبها وفق مواضيعها، نواة للضبط الببلويوغرافي العربي.

ثم إن جمع ألفاظ اللغة العربية وتدوينها وترتيبها مرّ بمراحل تاريخية ثلاث ، متصلة ببعضها كما سنرى ، بحيث لا يمكن الفصل بينها إلا تقريبا .

أما **المرحلة الأولى**[2] فبدأت منذ أواخر القرن الأول الهجري ، واستمرت قرابة مائة عام ، أي حتى أواخر القرن الثاني للهجرة ، بحيث جمع العرب أثناءها الكلمات من غير أن يتبعوا طريقة محددة ، فجاءت « المدونات الأولى عشوائية لا مادة خاصة لها ، وإنما يحفل أصحابها بما يسمعون في البادية من كلمات في الغالب» [3] ، بحيث رأوا في ذلك أن الكلمة تنطق بها جملة قبائل خير من الكلمة تنطق بها قبيلة واحدة ، فكانت بذلك حركة جمع اللغة في بداية عهدها عفوية غير منظمة ولا شاملة ، لأن الغاية كانت تتجه أولا إلى الجمع والتدوين دون غيره خوفا على العربية من الغريب الدخيل.

فالعالِم آنذاك كان يرحل إلى البادية بغية جمع اللغة ، فـــ « يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في السيف وأخرى في الزرع والنبات وغيرها فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع» [4] .

وربطا بحركة التأليف بالمحيط العام الذي ساد أنذاك ، فلا بد أن نشير إلى أن اتصال العرب بالأمم الأخرى والتي كانت لها تجارب حضارية أدت إلى امتزاج الحضارت واختلاطها ، ونتج عنه بواكير حضارة راقية أتت ثمارها في العنصر العباسي والأندلسي لاحقا ، إذ منذ « أواخر القرن الثاني شهد العالم العربي حركة تأليف وترجمة نشيطتين ، وأقبل الناس على العلم

---

[1] ديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص 07 .

[2] ينظر : ، وديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص 09 ، و عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص 36 / 38 .

[3] حسين نصار ، المعجم العربي ، 10 .

[4] عبد الحميد الشلقاني ، رواية اللغة ، ص 102 / 103 .

وانكبوا على الدراسة والتأليف في ميادينه المتعددة » [1] ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، وحينما نتصفح التاريخ المشرق للحضارة الإسلامية فإن « مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق ، كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي أربعين ألف مجلد بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثني عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية الضياع » [2] ، مما يدل على اهتمام العرب بمسألة التعلم والتعليم والتدوين .

على أن نشير إلى أن استعمالات كلمة (**كتـــاب**) قديما ، لا تنطبق على ما عهدناه في أيامنا ، فـــ« الكتب التي ألفت في القرن الأول الهجري ليست كتبا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة » [3] ، فالكتاب هو كل ما يكتب عليه ، وقد كان عبارة عن ورقة أو مجموعة من الأوراق ، ثم تطورت الكتابة وتطور التأليف وتطور معه حجمه .

كما لم يصل إلينا شيء منها فكلها ضاعت لبعد عهدها ولانشغال الناس عنها في القرون التالية واهتمامهم بالكتب الكبيرة إثر تطور حركة التأليف واتسعت لتشمل الشعر والخطب واللغة والأمثال والقصص والتاريخ والفلسفة والنقد وغيرها من العلوم والمعارف التي ازدانت بها المكتبة العربية .

أما **المرحلة الثانية** فاتسمت بـــ « جمع الكلمات بموضوع واحد في موضع واحد » [4] ، بحيث ضمت مؤلفات موضوعا بعينه وقام مصنفه بجمع كل ما يدرج تحت حقله الدلالي ، مثل ذلك « الألفاظ المتعلقة بالمطر أو بالدواب أو بالغيم ، أو ما إلى ذلك مما شكل فيما بعد ما يسمى معاجم المعاني » [5] ، من هذه المعاجم نذكر [6] : ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه

---

[1] **عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص 26 .**

[2] **زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربة) ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 8 ، 1413 هــ / 1993 م ، ص 386 .**

[3] **عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص 24 .**

[4] **عبد الحميد الشلقاني ، رواية اللغة ، ص 103 .**

[5] **ديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص**

[6] **ينظر : نفسه ، ص 15 / 26 .**

للأصمعي (122 – 216 هـــ / 740 – 831 م) وغريب اللغة للأنباري (513 – 577 هـــ / 1119 – 1181 م) ، وما جاء على فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ بمعنى واحد للجواليقي (466 -540 / 1073 – 1145 م) والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي (– 337 هـــ / 949 م) ، وفقه اللغة للثعالبي (– 430 هـــ) .

فالثعالبي مثلا ، في مصنفه نجده قد غاص في معاني اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأوصافها ودقائق الأشياء ومعالمها ، في الأسماء والأوصاف ، وقد انتقينا عينة لترشد على ما يشبهها ، يقول مفصلا مبينا : « **الصِّيَاحُ** صَوْتُ كلِّ شَيْءٍ إذا اشْتَدَّ . **الصُّرَاخُ** والصَّرْخَةُ الصَّيْحَةُ الشَّديدَةً عِنْدَ الفَزَعَةِ أو المُصِيبَةِ ، وَقَريب مِنْهُمَا الزَّعْقَةُ و**الصَّلْقَةُ** الصَّخَبُ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ عِنْدَ الخُصُومَةِ والمُناظَرَةِ . **العَجُّ** رَفْعُ الصَّوْتِ بالتَّلْبيَةِ ، وَكَذَلِكَ **الإهْلالُ** ، **التَّهليلُ** رَفْعُ الصَّوْتِ بلا إلَه إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم . **الاسْتِهْلالُ** صِيَاحُ المَوْلُودِ عِنْدَ الوِلادَة . **الزَّجَلُ** رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ الطَّرَبِ . **النَّقْعُ** الصُّرَاخُ المُرْتَفعُ . **الهَيْعَةُ** الصَّوْتُ عِنْدَ الفَزَعِ ، وفي الحديث: (خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِك بِعِنَانِ فَرَسِهِ كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إلَيْها) . **الوَاعِيَةُ** الصُّرَاخُ عَلَى المَيِّت . **النَّعيرُ** صُياحُ الغَالِبِ بِالمَغْلُوب . **النَّعِيقُ** صوْتُ الرَّاعِي بالغَنَمِ . **الهَدِيدُ والهَدَّةُ** صَوْت شَدِيد تَسْمَعُهُ مِن سُقُوطِ رُكْنٍ أو حائطٍ أو نَاحِيَةِ جَبَل . **الفَدِيدُ** صَوْتُ الفَدَّادِ، وَهُوَ الأكّارُ بالثَّوْرِ أو الحِمَارِ، وفي الحديث: (إنَّ الجَفَاءَ والقَسْوَةَ في الفَدَّادِينَ) . **الصَّدِيدُ** مِنَ الأصْواتِ الشَّدِيدُ كالضَّجِيج ، وفي القـــرآن: « إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ » أيْ يَضِجُّون . **الجَرَاهِيَةُ** صَوْتُ النَّاسِ في كَلامِهِمْ وَعَلاَنِيَتِهِمْ دُونَ سِرِّهِمْ ، وَكَـــذَلِكَ **الهَيْضَلَةُ** (عَـــنْ أبي زَيْدٍ) » [1].

فالعنوان الرئيس الجماع لهذا المصنف هو (فقه اللغة) ، وقد حاول الثعالبي أن يجمع شوارد اللغة وأن يأتي على الموضوعات المختلفة ، مثل المثال المذكور ، إذ أتى على تَفْصِيلِ الأصْواتِ الشّدِيدَةِ ، مثلما فعل مع موضوعات الألبسة والأسلحة والأطعمة والأشربة وغيرها .

[1] **أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، تحقيق : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، ط 2 ، 1420 هـــ / 2000 م ، 238 – 239 .**

ويُشار إلى أن معاجم المعاني تطورت من « رسائل بسيطة على كتب فيها سرد لمواد لغوية بشكل يفتقر إلى التنظيم والترتيب إلى كتب ممنهجة ومنظمة سهّلت للباحث الوصول إلى هدفه » [1] ، وحُوّلت بذلك معرفة معاني الألفاظ والكلمات ذات المواضيع الواحدة ، يسيرة المنال للدارسين .

والملاحظ أيضا كضميمة لما قلناه ، أن معاجم المعاني أسبق [2] إلى الظهور من المعاجم المجنسة إلا أن اللافت هنا تعثرها المنهجي ، أو تعثر أكثرها ، وقد عرفت « قدرا أكبر من التنظيم بحيث جمعت كل رسالة منها مجموعة من الألفاظ التي يربطها رابط لفظي معين » [3] .

إذن في بداية النشاط العلمي ، وتحديدا في القرن الثاني الهجري ، قام العلماء القدامى بوضع هدف عام هو « دراسة النصوص المروية عموما ، فالعالم الواحد يتحدث في معاني النصوص ونقد عباراتها أحيانا كما يتحدث عن إعرابها والاحتجاج بها وبمن قالوها أحيانا أخرى ، ويؤلف من الكتب ما يمكن نسبته – بفهمنا – إلى ما يطلق عليه الأدب ، وما يمكن نسبته أحيانا أخرى إلى اللغة » [4] .

لنأتي لـــ**ثالث** وآخر مرحلة من جمع ألفاظ لغتنا العربية ، والمتمثلة في جمع كل الكلمات العربية على طريقة اللفظ ومعناه ، بترتيب معين ، وهذه هي مرحلة (**المعاجم المجنسة**) أو (**معاجم الألفاظ**) ، ومن هذه المعاجم التي تصنف تحت هذا النوع نلفي [5] : كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 170 هـــ / 718 – 786 م) وجمهرة اللغة لابن دريد (223 – 321 هـــ / 838 – 933 م) والصحاح للجوهري (393 هـــ / 1003 م) ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي (251 هـــ - 313 هـــ / 865 – 925 م) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (729 – 817 هـــ / 1329 - 1415 م) ولسان

---

[1] **ديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص 33 .**

[2] **ينظر : نفسه ، ص 27 .**

[3] **عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، 39 .**

[4] **محمد عيد ، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ، ص 112 .**

[5] **ديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص 37 / 72 .**

العرب لابن منظور (630 – 711 هـ / 1232 – 1311 م) وأساس البلاغة للزمخشري (467 – 538 هـ / 1074 – 1143 م) .

وخلاصة ما ذكرناه عن هذه المرحلة ، ومقارنة بينها وبين ما سبقها من المراحل الثلاثة التي خطتها مسيرة التدوين ، فإن وضع المعجمات العامة الشاملة المنظمة لم تبدأ إلا في المرحلة الثالثة ، حيث « اعتمد مؤلفوها على كتب المرحلتين الأولى والثانية ، فجمعوها ، وأضافوا إليها بجهودهم المتلاحقة قدرا أكبر من السعة والشمول والتقصي والتنظيم وأخرجوا بذلك المعجمات اللغوية العامة » [1] ، والتي غدت أهم مرجع للباحثين عن الأصول اللغوية للمفردات ، وتتبع دلالاتها المختلفة عبر تطور دلالاتها عبر قرون .

والملاحظ أيضا على هذه المرحلة أنها « أطول هذه المراحل الثلاث جميعا ، وأكثرها عطاء ، ففيها خطت حركة تأليف المعجمات خطوتها الأخيرة في طريق نموها الطبيعي » [2] ، وقد قام علم المعاجم عند العرب على مجهودات فردية كبيرة [3] إذ لم تعرف العرب قبل عصر النهضة المجامع اللغوية ولا عرفت التأليف الجماعي أيضا .

ويجمع الباحثون على أن كتاب العين هو « أول معجم لغوي مرتب موسع عرفته العرب والتزم فيه بترتيب مواده حسب الحروف الحلقية وذكر مقلوباتها » [4] ، والذي يعد من أندر المعاجم في العالم ، وهذا نموذج من معجم العين للفراهيدي ، يقـــول في مـــادة (**قلب**) :

« القَلبُ مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط ، قال :

ما سمي القَلْبُ إلا من تَقَلُّبه *** والرأي بصرف والإنسان أطوار

وجئتك بهذا الأمر قَلْباً أي محضاً لا يشوبه شيء ، وفي الحديث : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقـــرأ : « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ » [1] فيشبع رفع النون إشباعاً وكان قرشياً قَلْباً ،

---

[1] **عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ، 39 / 40 .**

[2] **المرجع السابق ، 40 .**

[3] **ينظر : ديزيريه سقال ، نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني – معاجم الألفاظ) ، ص 83 .**

[4] **المرجع السابق ، ص 15 .**

أي محضاً . وقُلُوبُ الشجر : ما رخص فكان رخصاً من عروقه التي تقوده ، ومن أجواه ، الواحد قلب . وقَلْبُ النخلة : شحمتها ، وقلْبُ النخلة : شطبة بيضاء تخرج في وسطها كأنها قُلْبُ فضة رخص سمي قَلْباً لبياضه . والقُلْبُ من الأسورة : ما كان قلداً واحداً ، وتقول : سوار قُلْبٌ ، وفي يدها قُلبٌ . والقٌلبُ : الحية البيضاء شبهت بالقَلبِ . ولكل شيء قَلْبٌ ، وقَلْبُ القرآن « يسٓ ﴿١﴾ » [2] . والقَلْبُ: تحويلك عن وجهه ، وكلام مَقلُوبٌ ، وقَلَبْتهُ فانقَلَبَ ، وقَلَّبْتُه فَتَقلَّبَ . وقَلَبْتُ فلاناً عن وجهه أي صرفته . والمُنْقَلَبُ : مصيرك إلى الآخرة . والقَليبُ : البئر قبل أن تطوى ، ويجمع على قلب ، ويقال : هي العادية . والقِلَّوْبُ : الذئبُ ، يمانية ، وكذلك القَلوبُ ، ويقال : قِلاّبٌ ، قال :

أَيا جَحْمتا بَكِّي على أُمِّ واهب *** أَكيلَةِ قِلّيبٍ بإِحدى المذانب

والأَقْلَبُ : من في شفتيه انقِلابٌ ، وشفة قلباء . وما به قَلَبَةٌ أي لا داء ولا غائلة . ويقـــال : قَلَبَ عينه وحملاقه عند الوعيد والغضب ، قال : قالَبُ حملاقيه قد كاد يجن ، والقالَبُ دخيل ، ويقال : قالِبٌ ، والقُلَّبُ الحـــول : الذي يَقْلِبُ الأمور ، والحُولُ : صاحب حيل » [3] .

فنرى في هذا النص كيف عدّد ابن منظور معاني (قلب) ، بدءا من معنى قلب ومقلوب والأقلب والقالب والمنقلب والقليب ، فأتى بذلك على كل المعاني المحتملة والمشتقة من الجذر (قلب) .

ونضيف على ما سبق أن موارد المعاجم تتفاوت بين [4] : القرآن الكريم والسنة النبوية وأشعار العرب وكلام فصحاء العرب في البوادي وأخبارهم وأقوال أئمة اللغة العربية المتقدمين بالرواية عنهم مشافهة أو النقل من مؤلفاتهم .

---

[1] الفاتحة : **05** .

[2] يس : **01** .

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، ج **4** ، ص **421** .

[4] ينظر : أحمد بن عبد الله الباتلي ، المعاجم اللغوية وطريقة ترتيبها ، الرياض ، دار الراية للنشر والتوزيع ، ص **14** .

والمعاجم اللغوية التي ذكرنا خصوصا في المرحلة الثالثة ، لا يختلف اثنان في أنها قد حفظت لنا كما هائلا جدا من مفردات اللغة العربية وحفظتها من الضياع وكان من أهم أسباب تأليفها وفوائدها إضافة إلى الرغبة في تقويم اللسان ، والحد من ظاهرة اللحن[1] ، الذي تفشى في الحواضر ، الإسلامية بسبب دخول الأعاجم في الإسلام – كما نجد : [2] العناية بفهم القرآن الكريم وتفسير الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين إضافة إلى معرفة المراد بألفاظ بعض الفقهاء في المتون وفهم مفردات القصائد الشعرية الغريبة والقطع النثرية الغامضة وضبط الكلمات شكلا وغير هذا من الفوائد الجمة .

يبقى أن نشير على أنه من الصعب جدا « التفريق بين دارسي اللغة في عصورها الأولى من حيث التخصص الحاسم لمن يبحث في النص لغويا ومن يبحث عنه فنيا » [3] ، نظرا لتداخل معالم التصانيف الأولى ، بحيث لا يمكن تصنيفها في مجال خالص بعينه .

ولقد حاول اللغويون الذين قاموا بعملية جمع اللغة أن يرجعوا للغة الشعر والنثر ولغات القبائل فاعتبروا « الجميع اللغة الفصحى وأخضعوا ذلك كله لمسلك دراسي واحد » [4] ، تمخضت عنه معاجم بدأت خطواتها مع المرحلة الأولى وانتهت بالصيغة المعروفة بها الآن في المرحلة الرابعة ، ونلخص ما ذكرناه في المخطط التالي :

---

[1] ينظر : نفسه ، ص 13 / 14 .

[2] نتناول اللحن بالتفصيل في العناوين المتوالية من نفس الفصل .

[3] محمد عيد ، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ، ص 112 .

[4] عدنان الخطيب ، المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 2 ، 1414 هـ / 1994 م ، ص 59 .

مراحل جمع اللغة وتدوينها

المرحلة الأولى : جمع الكلمات حيثما اتفق

ثم :

تدوينها

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المعلقة بموضوع واحد في موضع واحد

معاجم المعاني / المعاجم المبوبة

مثل : (**كتاب المطر**) و(**كتاب في اللبن**) **لأبي زيد**

المرحلة الثالثة : وضع معجم شامل يضم كل الكلمات العربية على نمط خاص

أو ما يسمى بـــ : معاجم الألفاظ / المجنسة

مثل : **معجم (العين) للفراهيدي**

2 – جمع الأدب وتدوينـــه :

لقد كان عصر ما قبل الإسلام زاخرا بالأعمال الأدبية وحافلا بها كمّا وجودة ، ولم تكن النتاجات الأدبية لتُدون في هذا العصر نظرا « لاعتمادها الأول على الذاكرة والرواية الشفوية » [1] ، ولضعف الكتابة العربية لخلوها من الإعجام والضبط ، فكان التراث الشعري العربي يُنقل عبر الرواية من جيل إلى جيل ، حيث كان لكل شاعر راوية أو أكثر يحفظ شعره ويرويه وينشره بين الناس .

ولما جاء الإسلام ، واتسعت الفتوحات الإسلامية ، واختلطت العرب بأجناس أخرى ، عمد جمع من العلماء إلى جمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب ، وبدأت تتبلور العلوم العربية شيئا فشيئا ، ولما حل « القرن الثاني ونشطت حركة الجمع والتدوين لكل ما أنتجته القريحة العربية وبخاصة في الشعر ، انبرى كثير من العلماء ينشرون الشعر العربي الأصيل جاهليه وإسلاميّه » [2] ، وكان الذين قاموا بهذه العمل ، هم علماء اللغة الرواة للشعر العربي الذي جُمع ، فكان لبنة لمصنفات أخرى ، تلت هذه المرحلة ، وقد تطورت في هذا القرن حركة التدوين والجمع والتدوين والتأليف أيضا . وأصبح للرواية الشفوية معنى آخر.

والذي يرجح هو أن المادة اللغوية التي وصلت الرواة والنحاة عن طريق التدوين أو المشافهة كان معظمها من الشعر لا من النثر ، ومن أهم أسباب العناية بتدوين الشعر الجاهلي تلك « الرغبة في معرفة معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم » [3] .

ومن المجموعات الشعرية نجد : (**المفضليات**) للمفضل الضبي و(**الأصمعيات**) للأصمعي و(**ديوان الحماسة**) لأبي تمام و(**جمهرة أشعار العرب**) للقرشي ، وتـــسمى أيضا

---

[1] عبد الحميد الشلقاني ، رواية اللغة ، ص 142 .

[2] محمود أحمد الترحيني ، دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ، ص 92 .

[3] فاروق خورشيد ، الرواية العربية (عصر التجميع) ، طبعة مزيدة ومنقحة ، ط 3 ، دار الشروق ، 1402 هـــ / 1982 م ، ص 32 .

(**المختارات الشعرية**) ، فالمفضليات[1] مثلا ، تُعدّ أقدم مجموعة شعرية صُنفت في القرن الثاني الهجري .

ومن كتب الثقافة الأدبية العامة [2] نجد كتاب (**الحيوان**) للجاحظ (163 – 255 هـ / 780 – 869 م) وكتاب (**الكامل**) للمبرد (210 – 286 هـ / 826 – 899 م) وكتاب (**عيون الأخبار**) لابن قتيبة (276 – 213 هـ / 828 – 889 م) وإضافة إلى كتب الأمالي على شاكلة (**الأمالي**) لأبي علي القالي (288 – 356 هـ / 901 – 967 م) وكتاب (**العقد الفريد**) لابن عبد ربه الأندلسي (328 – 246 هـ / 860 – 940 م) ، وكتب الطبقات وكتب التراجم .

إذن وكخلاصة لما سبق : فإنه بعد مرحلة السماع التي كانت حجر الأساس في تكوّن المعارف الأدبية وانتقالها ، أتت مرحلة التدوين التي لم تستمر كمرحلة طويلا لكنها أنتجت كثيرا ، لم تلبث أقلام العلماء أن عكفت على التأليف والعطاء في علوم العربية المختلفة وفنونها.

3 – أسباب جمع اللغة والأدب وتدوينهما :

بذكر تدوين اللغة والأدب ، لا بد من ذكر أسباب عكوف علماء العربية على جمع اللغة ومن ثمة تدوينها ، ونستهل هذه الأسباب بأخطر عامل وأهمه ، وهو : اللحن كان من أسباب جمع اللغة العربية ، فما هو اللحن ؟ لغة واصطلاحا ، وما مدى خطورته على اللغة العربية ؟

أ – اللحـــن :

○ **اللحن لغة واصطلاحا** :

لقد وردت لفظة (**اللحن**) في لسان العرب بمعان ستة ، الخطأ في الإعراب واللغة والغناء والفطنة والتعريض والايماء والمعنى ، وما يدل على اللحن المراد في درسنا هو الغلط والخطأ ، يقول ابن منظور : «... أَلْحَنَ في كلامه أَي أَخطأَ» ، ويقول الزمخشري في أساس

---

[1] سبق الحديث عن المفضليات والأصمعيات في ترجمة الأصمعي والمفضل الضبي ، حينما تناولنا تراجم أشهر الرواة.

[2] محمود أحمد الترحيني ، دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ، ص 123 .

البلاغة : « لحن في كلامه إذا مال به عن الإعراب إلى الخطإ أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز » ، وورد في الصحاح « اللَحْنُ : الخطأ في الإعراب . يقال : فلان لَحَّانٌ ولَحَّانَةٌ ، أي كثير الخطإ . والتَلْحينُ : التخطئة » .

أما اصطلاحا ، فاللحن في اللغة العربية هو « خروج عن حد الصواب في إحدى الدلالات الثلاث : اللغوية واللفظية والنحوية » ، وبشيء من التوضيح فـ (**اللغوي**) ما كان خاصا بمدلول الكلمة ، و(**اللفظي**) ما كان خاصا بنطقها ، و(**النحوي**) ما كان خاصا بموقع الكلمة من الكلام .

ولعلنا نربط مفهوم (اللحن) بمفهومي (**التصحيف**) و(**التحريف**) ، فأما (**التصحيف**) فهو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، وهو الناتج عن تغيير النقط في الحروف المتشابهة ، رسما على شاكلة (**الباء والتاء والثاء**) ، وأما (**التحريف**) فهو تغيير في الشكل بسبب تشابه شكل الحروف على شاكلة حرفي (**الدال والراء**) .

○ **اللحن في المجتمع الإسلامي الجديد** :

كانت اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام لغة الفطرة والسليقة ، تعارف الناس عليها ونشؤوا في مجتمعات لا تتحدث إلا العربية فتطورت في أحضانهم ولم تعرف العرب اللحن إلا بعد الإسلام .

لكن رغم اهتمام العرب بلغتهم العربية منذ العصر الجاهلي إلا أنه من الخطأ أن نفهم أن الجاهليين كانوا بعيدين عن الخطأ واللحن في اللغة ، لكنها لم تكن ظاهرة واضحة تستحق الدرس أو أن يلتفت إليها ، ولما جاء الإسلام أخذ لحن العوام في النطق بكلمات العربية يتكاثر منذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، خصوصا بعد الفتح الإسلامي الذي مَنّ الله به على الأمة الإسلامية ، بدءا من عهد الخلفاء الراشدين ، إذ شهدت هذه الفترة و ما تلاها اختلاطَ العرب بسواهم من الأمم الأعجمية .

وبداية ظهوره مسألة لم تحسمها الجهود التي بذلها الباحثون ، إلا أن الإجماع منعقد على ظهوره بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأمم نتيجة الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في بقاع العالم ، حيث وفدت كثير من الأقوام فاعتنقوه على علاقم وبذلوا جهودا كبيرة في تعلم اللغة العربية لأنها لغة الدين الجديد ، وتفاوتت درجات تعلمهم لهذه اللغة ، وبدأ اللحن يتفشى في المجتمع الإسلامي الجديد ، وخاف المسلمون على لغتهم فجمعوا تراثهم ودونوه واستنبطوا للغة العربية قواعد وضوابط تقيهم من الضياع وتساعد الملحنين على التعلم الصحيح .

و لكثرة اهتمام العرب بالفصاحة وكرههم للّحن نجد حماد بن سلمة يقول : « من لحن في حديثي فقد كذب علي » [1] ، مما يؤكد حرص العربي الذي تعوّد الفصاحة وألِف الصواب في نطقه العربية ، على عدم اللحن والخطأ في الكلام .

وهذا لأن اللسان العربي قد نشأ بعيدا عما يخالطه من الألسنة ، يلقن اللغة أبا عن جد ، فلم تعرف ألسنتهم اللحن و لم يعرفه العرب في البادية ، ولكنه وقع في الحواضر منذ صدر الإسلام لدى الموالي والعبيد والإماء ، إذ لما راجت اللغة العربية وتعلمها غير العرب تأثرت أعضاء نطقهم في مخارج الحروف ونبرات الصوت ، فكان اللحن .

و مما يحكى عن اللحن في اللغة العربية أنه « دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي : إنه قد لحن يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد للفراء : أتلحن ؟ فقال الفراء : يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا تحفظت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد قوله » [2] .

وقد أفرد الجاحظ بابا للحانين البلغاء وذكر منهم : خالد بن عبد اللّه القَسْريّ ، وخالد بن صفوان الأهتميُّ ، وعيسى بن المُدَوَّر .

---

[1] ياقوت الحموي معجم الأدباء ، 3 / 1200 .

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 6 / 177 .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان « يضرب أولاده على اللحن ، ولا يضربهم على الخطإ ، و وجد له في كتاب عامل له لحناً ، فأحضره وضربه درة واحدة » [1]

إذن ، لما بدأت بوادر اللحن بالظهور ، تصدى له الغيورون على اللغة العربية ، متخذا صورا عدة منها : استنكار صور اللحن من العرب الفصحاء والدعوة إلى تعلم العربية لغير المسلمين والطلب من العرب الفصحاء تناشد الأشعار للحفاظ على فصاحتهم وسلامة سليقتهم.

واللحن في اللغة العربية ينقسم إلى قسمين، إذ هناك ما أفسدته العامة وهناك أيضا ما وضعته العامة في غير موضعه، فمما أفسدته العامة قولهم «لما طُحن من البُرّ وغيره غليظا (دشيش)» [2]، والصواب «(جشيش) وهو طحن كالهرس والمجشّ رحا يجش بها البُرّ وغيره» [3].

أما مما وضعته العامة في غير من موضعه قولهم للثوب (وشاح) لأن الوشاح « نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما ، ويعطف أحدهما على الآخر » [4] .

والحرص على سلامة اللغة وتنقيتها مما شاع على ألسنة الناطقين بها من كل ما يختلف عن جادة الكلام الصحيح كان مما شغل به علماء اللغة العربية منذ عصر مبكر ، فألف بعض من العلماء كتبا تحصي أخطاء العامة وهي المعروفة بـــ (لحن العوام) ، وأخرى بـــ (لحن الخواص) ، إن هذين النوعين من المصنفات اللغوية استمرت عبر القرون دون انقطاع ، ومما يستوقفنا من المؤلفات التي تناولت الموضوع ، قديما: ما تلحن به العامة لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (- 189 هـــ) وإصلاح المنطق لابن السكيت (- 244هـــ) والفصيح لثعلب (- 291 هـــ) ولحن العوام لأبي بكر الزبيدي (- 379هـــ) ، ولحن الخاصة لأبي هلال العسكري (- 395هـــ) وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (- 501هـــ) ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري (- 516هـــ والتكملة فيما يلحن فيه العامة

---

[1] **ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 1 / 23 .**

[2] **أبو بكر محمد الزبيدي ، لحن العوام ، تحقيق وتعليق وتقديم : رمضان عبدا لتواب ، ط 1 ، 1964 م ، 20 ، 21**

[3] **المصدر السابق ، 21 .**

[4] **المصدر السابق ، ...**

للجواليقي (– 539هـ) والمدخل الى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي (– 577هـ) وتقويم اللسان (–ابن الجزري – 597هـ) والنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا (– 940هـ) وعقد الخلاص في نقد كلام الخواص (ابن الحنبلي (– 971هـ) ، وغيرهم من الكتب الهامة التي عالجت هذه الظاهرة .

وكما هو مثبت في ما أوردناه ، فكتاب (ما تلحن به العامة) لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي هو أقدم ما وصلنا عن اللحن في المجتمع الإسلامي الجديد ، وقد وضعه مؤلفه لهارون الرشيد كما وضّح في مستهله ، وقد حاول فيه الكسائي أن يعالج لحن العامة في عصره ، سرد فيها الكلمات التي تلحن فيها العامة وعدّها وصحّحها ، وحرص على ذكر الكلمة في استعمالها الأصلي الفصيح ، مستشهدا بالقرآن الكريم والشعر العربي ، وأحيانا كان يكتفي الكسائي بذكر الصواب فحسب ، يقول مثلا في « تقول : شكرتُ لك ، ونصحتُ لك، ولا يقال : شكرتك ونصحتك ، وقد نصح فلان لفلان ، وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى قال الله تعالى « ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ »[1] « وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ »[2] ، « وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ »[3] »[4] .

وكما تخطئ العامة ، تخطئ الخاصة من أهل العلم وتلحن ، وقد أفردت الفصول في بعض الكتب المذكورة لهذا الغرض مثل : غلط أهل القرآن وأهل الحديث وأهل الفقه ، بل أفردت المؤلفات لتبيان هذه الأغلاط على انفراد مثل ذلك كتاب (تصحيفات المحدثين) للعسكري .

[1] لقمان : 14 .

[2] البقرة : 152 .

[3] هود : 34 .

[4] أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، ما تلحن به العامة ، حقق لها وقدم لها وصنع فهارسها الدكتور رمضان عبد التواب ، ط 1 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، دار الرفاعي بالرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1403 هـ / 1882 م ، 102 ، 103 .

إن هاجس إصلاح الألسنة وعصمتها من الانحراف كان دافعا لايجاد حلول لهذا الإشكال الذي هدّد فصاحة اللغة ، فعكف المهتمون بجمع اللغة العربية والمعارف الكـــلامية والشعر العربي ، والتدوين واستنباط القواعد من القرآن الكريم والشعر العربي ، بعد نشأة (النحو) الذي يعد مرحلة متطور لحركة النقد اللغوي ، وظهور إعجام اللغة العربية ، مما سنقف عنده تفصيلا في ما يلي من مباحث :

ولعلنا الآن نتساءل : ما هي أهم مصادر جمع اللغة العربية ؟

4 – أهم مصادر جمع اللغة العربية:

لقد تعددت مصادر جمع اللغة العربية وكان أهمها :

1 – الشعر الجاهلي أو العربي قبل الإسلام .

2 – القرآن الكريم .

3 – الحديث النبوي .

4 – الشعر العربي في صدر الإسلام وما بعده .

فأما القرآن الكريم ، فلا أحد يمكن أن ينكر فضله في جمع اللغة العربية وقد نزل بها وكُتب بها ، ولقد كان القرآن العظيم ولا يزال منطلق العقل العربي إلى دراسة نصوص اللغة العربية عبر تجلياتها المختلفة ، شعرا ونثرا ، سواء في قواعدها النحوية أوالصرفية أوالصوتية أوالبلاغية ، فغدا القرآن العظيم بهذا « المدونة الصحيحة التي يرجع إليها في جمع اللغة » [1] ، لأنه نزل بلسان عربي مبين لا تضاهيه ألسنة البشر ، ونزل منزها عن كل خطأ إلى أبد الآبدين ، بعدما أحدثه من ثورة في حياة العرب ، لا سيما بفصاحته وبلاغته وذلك بحكم أنه يمثل قمة البيان في اللغة من ناحية ، ونظرا لما حواه من ثروة لغوية دسمة من ناحية أخرى ، وقد كان

[1] بلعيد صالح ، مصادر اللغة ، ص 35 .

للقرآن الكريم دور في نشأة النحو العربي ولولا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم العربية وآدابها » [1]

ثم نأتي لثاني مصدر من مصادر اللغة العربية بعد القرآن الكريم ، فغني عن التذكير أن الأدب الجاهلي روي شفهيا زمنا طويلا إلى أن دُوّن ، وقد عُد الشعر القديم دون منازع « النواة الأولى أو المصدر الأساس للغة العربية (...) لأنه الوثيقة الرسمية التي حملت اللسان العربي الصحيح » [2] ، وقد أرجع الباحثون عمر الجاهلية الأولى إلى 150 سنة قبل الإسلام وهو رأي ضعيف لأن عمر الشعر الجاهلي يبدو أكثر من ذلك بكثير .

أما المصدر الثالث فهو الحديث النبوي الشريف الذي أضاف إلى رصيد العربية « ثروة هائلة من المصطلحات فنجم عن ذلك اتساعها في الأغراض واتقاء في المعاني والأخيلة والأساليب» [3] .

خامسا: تدوين كتب الأخبار والأنساب:

إنه مثلما عني بتدوين اللغة والأدب ، فقد عني أيضا بتدوين الروايات الخاصة بالأخبار والأنساب فـــ « الروايات المبعثرة والأخبار والحديث والأنساب صارت تجمع من قبل الإخباريين أو المحدثين بصورة شفوية إلا أن التاريخ لم يظهر بصورة ثابتة إلا حين بدأ استعمال الكتابة لحفظ الأخبار والروايات» [4] ، إذن ينسحب الأمر الذي ذكرناه في ما سبق كذلك على الأنساب والمعارف التاريخية معا ، فعلاقة الأنساب بالأخبار – التي كانت نواة لعلم التاريخ فيما بعد – ظاهرة بينة ، بل إن « الاهتمام بالنسب كان قائما عندما بدأ التاريخ الإسلامي يظهر إلى

[1] عبد العال سالم ، القرآن الكريم في الدراسات النحوية ، جامعة الكويت ، مؤسسة علي جراح الصباح ، ط 2 ، 1978 م ، ص 45 .

[2] بلعيد صالح ، مصادر اللغة ، ص 35 .

[3] المرجع السابق ، 39 .

[4] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص 57 .

الوجود » [1] ، فبعدما انتشر التدوين ، لم تعد الرواية تكفي في نقل الحقيقة التاريخية ، لاستحالة الإحاطة بها كلها ، نظرا لضعف وانحصار طاقة الذاكرة الإنسانية .

أما الأنساب فغالب الظن أن كثيرا ممن اشتهروا بتتبع الأنساب قد دونوا كتبا فيها ، وقد ذكر الجاحظ قرابة أربعة عشرة رجلا منهم كتبوا كتبا في الأنساب[2] ، في قوله : « ... أكثرُ من كتب النَّسب التي تضاف إلى ابن الكلبيِّ ، والشّرقيِّ بن القطاميِّ ، وأبي اليقظان ، وأبي عُبيدة النحويِّ ، بل إلى دَغْفَلِ ابن حنظلة ، وابن لسان الحُمَّرَة ، بل إلى صُحارٍ العبديِّ ، وإلى أبي السَّطّاح اللّخميّ ، بل إلى النَّخّار العذريِّ ، وصُبح الطائيِّ ، بل إلى مثْجور بن غيلان الضّبّيّ ، وإلى سَطيح الذئبيّ ، بل ابن شريَّة الجُرْهميِّ ، وإلى زيد بن الكيِّس النَّمَريّ ؛ وإلى كلِّ نسَّابَةٍ راويَةٍ ، وكلِّ متفنن علاّمــة » [3] ، ولقد كان كتـــاب (نسب مَعْدّ واليمن الكبير) لابن السائب الكلبي ، من أهم ما دُون عن الأنساب والذي عُدّ عمود النسب وسفره العظيم [4] ، فقد كان للأنساب رواة علماء .

ومـــن أقدم كتب الأنساب والأخبار التـــاريخية: (**جمهرة نسب قريش وأخبارها**)[5] للزبير بن بكار (172 – 256 هـــ) أحد أساطين الرواية في القرن الثالث للهجرة ، وأحد الحفاظ المتقنين للأخبار ، وكذا (**أنساب الأشراف**) للبـــلاذري (– 257 هــ) و(**جمهرة أنساب العرب**) لابـــن حزم و(**تاريخ الرسل والأمم والملوك**) للطبري و(**الكامل**) لابن الأثير ، وغيرهم .

---

[1] فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1403 هـــ / 1983 م ، ص 139 .

[2] ينظر : محمود أحمد المراغي ، دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ، ص 17 .

[3] الجاحظ ، الحيوان ، ج 3 ، ص 209 – 210 .

[4] ينظر : ابن السائب الكلبي ، نسب مَعْدّ واليمن الكبير ، تحقيق : ناجي حسن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط1 ، 1407 هـــ / 1988 م ، بيروت ، لبنان ، كاملا إضافة إلى مقدمة المحقق : 07 – المقدمة – .

[5] الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1381 هــ .

فمثلا (**أنساب الأشراف**) للبلاذري الذي بحث فيه تاريخ أشراف العرب في الجاهلية والإسلام حتى عصره ، فتناول فيه كاتبه أنساب العرب وأخبارهم مع شرح مستفيض ، فهو كتاب أنساب وكتاب أخبار .

وكنموذج لما ورد في هذا الكتاب قول البلاذري في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان الحسن بن علي رضي الله عنهما : « سألت خالي بن أبي هالة – وكان وصافا – عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رِجل الشعر ، إن انفرقت عقيصته فرقا ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون صلت الجبين ، أهدب الأشفار ، أزج الحواجب سابغهن ، في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية سهل الخدين ، ضليع الفم مفلج الأسنان أحم الشفتين رقيقهما ... » [1] .

كما خصصت الكتب لأنساب أعلام بعينهم ، مثلما فعل محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبري في كتابه (الجوهرة في نسب الإمام علي وآله) على سبيل المثال لا الحصر ، والذي يبدأه بقوله : « ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القريب القرابة وهو أول من آمن بالنبي عليه السلام من الصبيان » [2] .

أما المعارف التاريخية ، فلعل أقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم ، فقد كتب عوانة بن الحكم الأخباري الكوفي كتابا عنوانه (كتاب التاريخ) تناول فيه في أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري » [3]

---

[1] أحمد بن يحيى البلاذري ، كتاب جمل من أنساب الأشراف ، ج 3 ، الشمائل المحمدية وأخبار الإمام علي بن أبي طالب ، حققه وقدم له : سهيل زكّار ورياض زركلي ، بإشراف : مكتبة البحوث والدراسات ، ط 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ / 1996 م ، ص 509 / 511 .

[2] محمد الأنصاري التلمساني (المعروف بالبري) ، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، تحقيق : محمد التونجي ، دار الجيل بيروت ، ط2 ، 1414 هـ / 1993 م ، ص 07 .

[3] شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، 1 / 51 .

سادسا: جمع وتدوين القـــرآن الكـــريم :

معلوم أن القرآن الكريم قد نزل منجما على النبي ﷺ في حوالي ثلاث وعشرين سنة ، كما كان القرآن الكريم محفوظا في صدور الرجال يحفظه حفظة من المسلمين ، منذ العهد النبوي ، و« لم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبا في العصر النبوي » [1] ، ومن أشهر كتاب الوحي في ذلك العهد [2] أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم .

ورد في صحيح ابن حبان « أخبرنا الحسنُ بنُ سفيان ، قال : حدثنا كثير بنُ يحيى صاحبُ البصري ، قال: حدثنا هَمَّام ، عن زيدِ بنِ أسلم ، عن عطاءِ بنِ يَسَار عن أبي سعيد الخُدْرِي ، قال : قال رسولُ اللَّهِ : لَا تَكْتُبُوا عَنِّي إِلَّا الْقُرآنَ ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً فَلْيَمْحُهُ»[3].

وقد دون القرآن الكريم وكُتب على[4] العُسُب وجريد النخل واللّخاف وصفائح الحجارة والرِّقاع والأديم – الجلود – والأكتاف وعظام الأكتاف والأقتاب – وهي ما يوضع على ظهور الإبل – .

ولم يكن هذا الأمر ليثني عن الدخول في مرحلة جمع القرآن الكريم وتدوينه من الصدور والسطور معا ، نظرا لإمكانية تعرض المحفوظ لفناء الحافظ ، والمسطور لتشتته ضياعه ،

---

[1] محمد سالم محسن ، تاريخ القرآن الكريم ، دعوة الحق ، السنة الثانية ، جمادى الآخرة 1402 هـ (15) ، ص 129 .

[2] محمد سالم محسن ، تاريخ القرآن الكريم ، ص 129 .

[3] الأمير علاء الدين بن علي بن بلبان الفارسي ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ط 1 ، 1408 هـ / 1988 م ، ج 1 ، ص 265 (64) ، والدارمي ، سنن الدارمي ، ص 412 (464) ، ورواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه : « لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي . وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ . وَحَدِّثُوا عَنِّي ، وَلاَ حَرَجَ . وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ــ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ ــ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ، مسلم ، صحيح مسلم ، ص 1600 (3004) .

[4] إبراهيم الأبياري ، تأريخ القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 102 و : صلاح الدين المنجد ، دراسات في تاريخ الخط العربي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان (منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي) ط 1 ، 1972 م ، 128 – 129

وبالفعل لمّا بدأ حفاظ القرآن الكريم يتناقصون بالموت والاستشهاد وخصوصا حينما « استحرّ القتل يوم اليمامة بقراء القرآن » [1] ، أنار الله بصيرة الخليفة أبي بكر الصديق ، وقام بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، بتكليف زيد بن ثابت بجمع تلك الصحائف المكتوبة من قبل كتاب الوحي ، ومطابقتها بالمحفوظ من القرآن في الصدور ، ثم جمعها في غلاف واحد ، وقد تم ذلك بحضور الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم وكان هو **الجمع الأول** ، وهذا ما أوردته الكتب التي تناولت هذا الجانب من جمع القرآن الكريم [2] .

وعن هذا الجمع ، ورد في صحيح البخاري ما نصه : « حدّثنا موسىٰ بن إسماعيل عن إبراهيمَ بن سعدٍ حدَّثَنا ابنُ شهاب عن عُبيد بن السَّبَّاق أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مَقتلَ أهلِ اليَمامة ، فإذا عُمرُ بن الْخطابِ عندهُ ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إنَّ عمر أتاني فقال : إنَّ القتال قد يسْتَحَرّ يومَ اليمامة بقُرَّاءِ القرآن ، وإنِّي أخْشى إن استَحَرَّ القَتلُ بالقرَّاءِ بالمَواطن فيَذهب كثيرٌ من القرآن ، وإنِّي أَرى أن تأمُرَ بجمع القرآن . قلت لِعُمرَ : كيف نفعَلُ شيئاً لم يفعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عُمر : هذا والله خيرٌ . فلم يَزلْ عُمرُ يُراجِعُني حتى شرحَ الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عُمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجلٌ شابٌ عاقِل لا نَتهمُك ، وقد كنتَ تكتُبُ الوحيَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَبَّعِ القرآن فاجمعْه . فواللّهِ لو كلفُوني نقْل جَبَل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مِمَّا أمرني به مِن جمع القرآن . قلت : كيف تَفعَلونَ شيئاَ لم يَفعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو واللّهِ خيرٌ . فلم يَزَلْ أبو بكر يُراجعني حتى شَرَحَ الله صَدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما. فتَتَبَّعت القرآنَ أَجمعُه منَ العُسُبِ واللِّخاف وصُدور الرِّجال ، حتى وجدْت آخِرَ سُورة التَّوبة مع أبي خُزَيمة الأنصاريِّ لم أَجدْها معَ أَحَدٍ غيره « لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ » [3] ، حتَّى

---

[1] **إبراهيم الأبياري ، تأريخ القرآن الكريم ، ص 102 .**

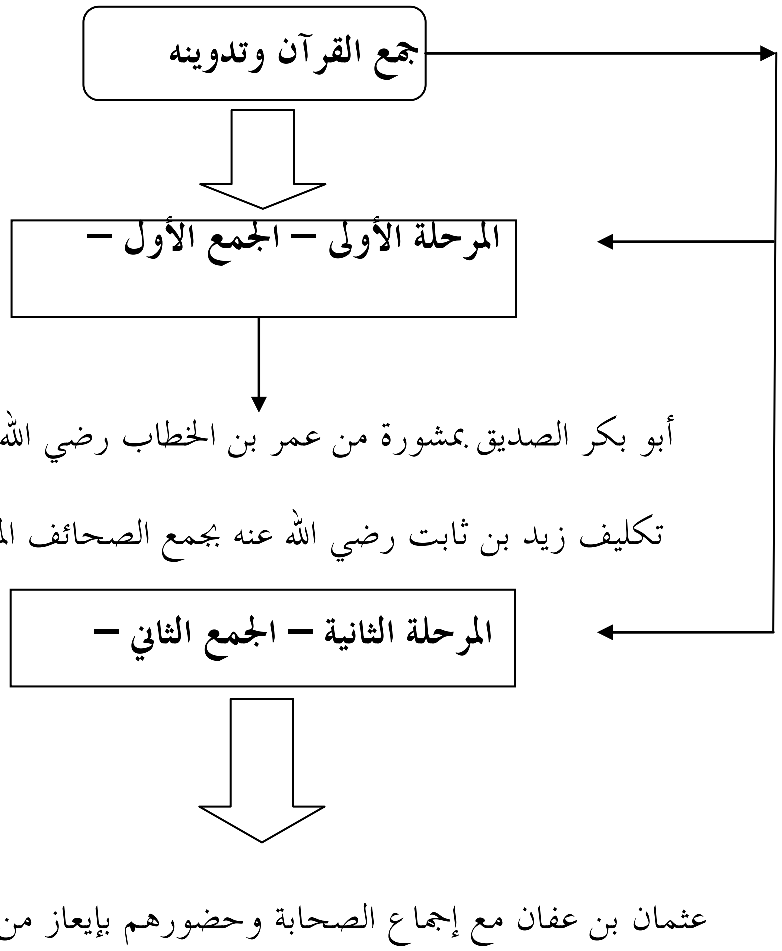
[2] **ينظر : من الكتب القديمة : أبو بكر السجستاني ، كتاب المصاحف ، دراسة وتحقيق ونقد : محب الدين عبد السبحان واعظ ، ط 1 ، 1423 هـ / 2006 م ، ص 153 / 169 ، ومنا لكتب الحديثة : محمد نبيل غنايم ، بحوث في علوم القرآن ، ص 24 / 25 .**

[3] **التوبة : 128 .**

خاتمة بَراءةَ ، فكانت الصُحفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عُمَر حياتَه ، ثم عند حَفْصَة بنْتِ عُمر رضي الله عنه » [1] .

بعد الجمع الأول ، أصبح القرآن الكريم مجموعا في نسخة واحدة ، هي نسخة أبي بكر رضي الله عنه ، ليأتي الجمع الثاني[2] على يد عثمان بن عفان وبحضور الصحابة وإجماعهم رضي الله عنهم وكان عبارة عن نسخ مصحف أبي بكر في عدة مصاحف لتوزيعها على العواصم الإسلامية منعا للخطإ ورفعا للاختلاف ، ونسبة المصحف في قولنا (**المصحف العثماني**) ترجع أصلا لهذا الإنجاز العظيم الذي قام به سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته ، فتوحدت بذلك المصاحف في ترتيبها وطريقة رسمها لحد إلى أيامنا هذه .

وفي ما يلي خطاطة مبسطة ، تبين مراحي جمع القرآن وتدوينه :



---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 337 – 338 (4986) .

[2] ينظر : أبو بكر السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص 175 / 215 .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم جميعا

نسخ مصحف أبي بكر رضي الله عنه في عدة مصاحف

روايات عن عدد المصاحف التي نسخها الخليفة عثمان بن عفان [1]

القول الأول : نُسخ إلى :

المدينة البصرة الكوفة الشام

القول الثاني : نُسخ إلى :

المدينة البصرة الكوفة الشام اليمن البحرين مكة

القول الثالث : نُسخ إلى :

المدينة البصرة الكوفة الشام اليمن البحرين مكة مصحف الإمام

---

[1] لخص هذه الآراء جميعا من مصادرها أحمد بن أحمد بن معمر شرشال في الدراسة التي استهل بها تحقيقه لكتاب : مختصر التبيين لهجاء التنزيل أبو داوود سليمان بن نجاح ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، المدينة المنورة ، 1424 هـ ، المملكة العربية السعودية ، ص 139 / 141 .

• رسم المــصحف :

ما هو رسم المصحف ؟ وهل يختلف الرسم الإملائي على الرسم العثماني ؟ و ما علاقة ذلك بتطور اللغة العربية كتابة ؟

رعاية واهتمام حظي بهما القرآن الكريم ، لم يحظ بها كتاب قبله ، إذ تتابعت جهود علماء المسلمين للعناية برسم المصحف ونقطه وشكله وكتابته ، فأما الرسم لغة فهو الأثر ، ورد في لسان العرب : « الرَّسْمُ : الأَثَرُ ، وقيل : بَقِيَّةُ الأَثَر ، وقيل : هو ما ليس له شخص من الآثار ، وقيل : هو ما لَصِقَ بالأَرض منها . ورَسْمُ الدار : ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض ، والجمع أَرْسُمٌ ورُسومٌ . ورَسَمَ الغيث الدار : عَفّاها وأَبقى فيها أثراً لاصقاً بالأرض ؛ قال الحُطَيْئَةُ :

أَمِنْ رَسْم دارٍ مُرْبِعٌ ومُصِيفُ *** لعَينيك من ماءِ الشُّؤُون وكِيفُ ؟ » [1] .

لقد كانت هذه المعاني معروفة في العصر الجاهلي و استمر استعمالها بعد مجيء الإسلام إلى أن أصبح معناها مرتبطا بالرسم المصحفي ، والرسم هنا بمعنى « أثر الكتابة في اللفظ وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها » [2] .

ونشير هنا إلى أن استخدام مصطلحي : (**الرسم المصحفي**) و(**الرسم العثماني**) قد ظهرا في « وقت متأخر نسبيا في المؤلفات التي اهتمت بموضوع خط المصحف ، وقد صار مصطلح الرسم في مجال الدراسات القرآنية يدل على الجانب الذي يهتم بكيفية كتابة الكلمات في المصحف » [3] ، لذلك نجده يهتم بالكلمات من حيث عدد حروفها ومن حيث نوعها ،

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 19 ، ص 1646 .

[2] عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، رسم المصحف وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم : دوافعها ودفعها ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، ص 09 .

[3] غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية ، ط1 ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 155 / 156 .

وليس من من حيث أشكال الحروف وصورها ، ودونت الكتب[1] لذلك واستفذت الهمم العالية لبيانه ، فقد قيض الله لكتابه العزيز أئمة من علماء المسلمين للعناية بعلم رسمه ، وعلى رأسهم كتاب (**المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط**)[2]، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (- 444 هـ) .

وبهذا أصبح الأصل أن تكتب كل كلمة بحسب منطوق حروفها المكونة لها ، من دون زيادة فيها أو نقصان أو إبدال أو غير ذلك « وهو ما يعرف بالرسم العثماني وأكثر الكلمات القرآنية متفقة مع هذه القواعد »[3] ، مع الإشارة إلى أنه قد خرجت عن هذه القواعد بعض الألفاظ و حصرت في ستة مظاهر لخصها الزرقاني[4] في الحذف والزيادة والبدل والهمزة والوصل والفصل ، من ذلك حذف ألف جمع المذكر السالم والمؤنث السالم في مثل قوله عز وجل في سورة الأحزاب – نورد الرسم الإملائي و بعده الرسم العثماني ليتضح ما نقوله :

---

[1] من أشهر من ألف في الرسم العثماني قديما ، والذين أصبحوا بما ألفوه عمدة للمتأخرين – والتي حصلنا عليها – نجد : عمرو عثمان بن سعيد الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي ، الطراز في شرح ضبط الخراز ، دراسة وتحقيق : أحمد بن أحمد شرشال ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، 1420 هـ ، إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، مرسوم خط المصحف ، دراسة وتحقيق : محمد بن عمر الجنايني ، إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1430 هـ / 2009 م ، ومن المحدثين نجد : غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، رسم المصحف وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم : دوافعها ودفعها ، شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، عبد الكريم إبراهيم عوض صالح المتحف في رسم المصحف ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، ط 1 ، 1427 هـ / 2006 م .

[2] أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط ، تحقيق : محمد الصادق فتحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

[3] شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، دار السلام ، ط2 ، 2001 م ، 37 .

[4] الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 300 .

الآية بالرسم الإملائي	الآية بالرسم العثماني
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً	إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥

وهنا نتوقف قليلا عند قضية خلاف بين العلماء حول الرسم القرآني فهي من المسائل التي شغلت بال العلماء ، ونالت قسطاً وافيا من أبحاثهم ، وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة مذاهب[1] :

فمنهم من يرى أن الرسم القرآني توقيفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم ولا يجوز تغييره ، حيث أمرهم صلى الله عليه وسلم بكتابته وأقرهم عليه ، وهو مذهب جمهور الأمة سلفا وخلفا ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك .

[1] ينظر على سيل المثال : شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، بدءا من ص : 63 .

ويذهب مؤيدو المذهب الثاني إلى أن رسم المصحف ليس توقيفيا بل اصطلاحيا ، وأنه لا مانع من تغيير هذا الرسم حسب ما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة ، وممن أقروا بذلك نجد أبو بكر الباقلاني وابن خلدون وكثير من العلماء المعاصرين .

فيما يذهب أنصار المذهب الثالث إلى جواز كتابته بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر ، تحقيقا للمصلحة العامة ، وممن تبنوا هذا الرأي نلفي عز الدين بن عبد السلام والزركشي .

و في عصرنا ، أصدرت المجامع الفقهية قرارات حول قضية رسم المصحف العثماني ممثلة بذلك إجماع علماء الأمة أو الأكثرية منهم ، ومن هذه المجامع[1] ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، و في ما يلي قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة [2] :

وبعد اطلاع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي على ذلك كله، قرر بالإجماع : تأييد ماجاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ماهو عليه؛ ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أى تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتباعا لما كان عليه الصحابة، وأئمة السلف –رضوان الله عليهم أجمعين– أما الحاجة إلى تعليم القرآن، وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين؛ إذ لا يستغني تعليم القرآن في جميع الأحوال عن معلم، فهو يتولى تعليم الناشئين، قراءة الكلمات التي يختلف رسمها في المصحف العثمانى، عن رسمها في قواعد الإملاء الدارجة، ولا سيما إذا لوحظ أن تلك الكلمات عددها قليل، وتكرار ورودها في القرآن كثير، ككلمة (الصلوة) و (السموات) ونحوهما، فمتى تعلم الناشيء الكلمة بالرسم العثماني، سهل عليه قراءتها كلما تكررت في المصحف، كما يجري مثل ذلك تماما في رسم كلمة (هذا) و (ذلك) في قواعد الإملاء الدارجة أيضا .

[1] **ينظر : شعبان محمد إسماعيل ، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ،**

[2] **ينظر : رابطة العالم الإسلامي ، المجمع الفقهي الإسلامي ، الدورات من الأولى إلى السابعة عشرة القرارات من الأول إلى الثاني بعد المائة (1398 هـ – 1424 م / 1977 م – 2004 م) قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة رقم : 02 ، الدورة السابعة 11 / 16 ربيع الآخر 1404 هـ ، تحت عنوان : حكم تغيير رسم المصحف العثماني ، ص 137 / 139 .**

سابعا: جمع الحديث النبوي وتدوينه:

يطالعنا التاريخ أنه قد تضافرت ذاكرة الحفاظ وأقلام المدونين ، وكانا جنبا إلى جنب في خدمة الحديث النبوي الشريف ، فبعد رواية الأحاديث والسنة النبوية عموما ، جاء تدوين الحـــديث ، والذي مرّ بـــ « مراحل منتظمة حققت حفظه وصانته من العبث » [1] ، وكان ذلك على يد جماعة من علماء المسلمين الذين اجتهدوا في حفظ الحديث وضبطه ونقله وتدوينه .

واعتبرت حركة تدوين الحديث الشريف أهم حركة استقطبت اهتمام العلماء بعد تدوين القرآن الكريم وقد امتازت بقدر كبير من الدقة والأمانة والنزاهة العلميتين والهدف الذي اجتمع عليه علماء تدوين الأحاديث هو جمع الأحاديث الصحيحة وتدوينها بعد التأكد من نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونورد بعض الأحاديث النبوية التي تبين لنا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في ما يخص تدوين السنة من عدمه :

حدّثنا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ . حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يَسَارَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ : « لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي . وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ . وَحَدِّثُوا عَنِّي ، وَلاَ حَرَجَ . وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ـــــــ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ ـــــــ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » [2] .

حدثنا مُسَدَّدٌ وَ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي شَيْبَةَ قالاَ أخبرنا يَحْيَى عن عُبَيْدِاللّه بنِ الأَخْنَسِ عن الْوَلِيدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ أَبي مُغِيثٍ عن يُوسُفَ بنِ مَاهَكَ عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو ، قالَ : « كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءِ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقالُوا : أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ في الْغَضَبِ وَالرِّضَى ،

---

[1] محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط 2 ، رمضان 1408 هـــ / أبريل 1988 م ، ص 302 .

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، ، ص 1600 (3004) .

فَأَمْسَكْتُ عن الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَوْمَأَ بأصْبَعِهِ إِلَي فِيهِ فقالَ : اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إلاَّ حَقٌّ » [1]

إذن لقد حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهي عن الكتابة وما ورد من إباحة لها ، ونرجع آرائهم إلى أربعة أقوال نلخصها في ما يلي [2] : صحة ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الكتابة ، وأن هذا النهي عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة كان خوفا من الالتباس ، وربما يكون نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا ينشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم ، وكذا حفاظا على ملكة الحفظ عند المسلمين بعدم الاتكال على المكتوب ، وبالتالي فإن التدوين بمعناه الواسع – بما في ذلك الجمع – قد بدأ في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد بدأ تدوين الحديث الشريف في السنوات الأولى من أيام الإسلام في نطاق محدود جدا حين بدأ بعض الصحابة يكتبون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الصحابة كانوا « يحجمون عن الكتابة ، ولا يقدمون عليها في عهد الخلافة الراشدة حرصا منهم على سلامة القرآن » [3] .

واستمر الوضع على ذلك[4] : البعض يكتب الحديث والبعض لا يكتب معتمدا على ذاكرته وقوة حفظه إلى أن كان عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز – رضي الله تعالى – عنه فرأى جمع الأحاديث والسنن وتدوينها تدوينا عاما ، ثم شاع التدوين ف الطبقة التي تلت طبقة الزهري وأبي بكر بن حزم » [5] .

---

[1] أبو داوود ، كتاب السنن ، ج 4 ، ص 239 (3641) .
[2] ينظر : محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، ص 307 / 308 ، و تدوين السنة ، 67 / 68 .
[3] محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، ص 309 .
[4] ينظر : محمد محمد أبو شهبة ، في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة ، 1415 هــ / 1995 م ، 28 .
[5] المرجع السابق ، 38 .

أما أهم خطوة في تاريخ السنة النبوية فتمثلت في إفراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بالاهتمام والتدوين ، بحيث كان « القرن الثالث الهجري هو العصر الذهبي في تاريخ السنة وجمعها ففيه ظهر كبار أئمة الحديث ونقاده » [1] .

ولقد اتفق علماء الأمة على أن الصحيحين ، للبخاري ومسلم هما أوثق ما دُوّن من السنة النبوية ، واتفقوا أيضا على « أصحية الكتابين وأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل » [2] ، باعتبار علماء الحديث قد جزموا بصحة أحاديث البخاري ومسلم فتلقتهما الأمة بالقبول ، فالجامع الصحيح للإمام البخاري لم يأت من فراغ و لم يكن وليد اللحظة ، وإنما هو « حلقة من سلسلة ممتدة من لدن العهد الأول لتدوين الحديث إلى عصر هذا الإمام » [3] ، فجاءت هذه الحلقة مكملة ومتممة لهذه الحلقات .

ثامنا: الفرق بين الكتابة والتدوين والإنشاء والتصنيف والتأليف :

إن هناك معان مشتركة بين الألفاظ التالية : الكتابة ، التدوين ، الإنشاء ، والتأليف ولعل الكشف على غير معانيها المعجمية والاصطلاحية من شأنه أن يوضح لنا المسار المنهجي للدراسة من هذا الجانب .

أما الكتابة، فيقول ابن منظور في مادة (كتب): «(..) ورجلٌ كاتِبٌ، وَالْجَمْعُ كُتَّابٌ وكَتَبة، وحِرْفَتُه الكِتابَةُ. والكُتَّابُ: الكَتَبة (..)الكِتابةُ أَن يُكاتِبَ الرجلُ عبدَه عَلَى مالٍ يُؤَدِّيه إِليه مُنَجَّماً، فإِذا أَدَّاه صَارَ حُرّاً. قَالَ: وَسُمِّيَتْ كِتَابَةً، بِمَصْدَرِ كَتَبَ، لأَنه يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ لِمَوْلَاهُ ثَمَنه، ويَكْتُبُ مَوْلَاهُ لَهُ عَلَيْهِ العِتْقَ (..) وكَتَبَ السِّقاءَ والمَزادة والقِرْبة، يَكْتُبه كَتْباً: خَرَزَه بِسَيْرين، فَهِيَ كَتِيبٌ. وَقِيلَ: هُوَ أَن يَشُدَّ فمَه حَتَّى لَا يَقْطُرَ مِنْهُ شَيْءٌ. وأَكْتَبْتُ القِرْبة: شَدَدْتُها بالوِكاءِ، وَكَذَلِكَ كَتَبْتُها كَتْباً، فَهِيَ مُكْتَبٌ وكَتِيبٌ (..) والكَتْبُ: الْجَمْعُ، تَقُولُ مِنْهُ:

---

[1] محمد محمد أبو شهبة ، في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة ، ص 36 .

[2] خليل إبراهيم ملا خاطر ، مكانة الصحيحين ، ط 1 ، 1402 هـ ، ص 499 .

[3] أبو بكر كافي ، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح) ، إشراف حمزة عبد الله ، دار ابن حزم ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م ، ص 21 .

كَتَبْتُ البَغْلة إِذا جَمَعْتَ بَيْنَ شُفْرَيْها بحَلْقَةٍ أَو سَيْرٍ. والكُتْبَةُ: مَا شُدَّ بِهِ حياءُ الْبَغْلَةِ، أَو النَّاقَةِ، لِئَلَّا يُنْزَى عَلَيْهَا. وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ...» [1].

أما المعنى الاصطلاحي فهو الذي « يجمع هذه الدلالات المتنوعة ، فالشد والجمع أمر ضروري لأن الكتابة لا تقوم إلا بالصياغة المحكمة ، والصياغة في حد ذاتها جمع بن الكلمات وربط لها بعضها ببعض ، أما معنى الحرية فيتمثل في رغبة الإنسان القائمة في نفسه لتحرير ما بداخله من أفكار ومشاعر وأحاسيس ، وأما المعنى الثالث الذي يتمثل في الإلزام فالكلمة المكتوبة ، وتعتبر شاهدا على ما قطعه على نفسه » [2] .

أما التدوين فهو « أول درجات الكتابة ، فهو وسيلة المعرفة والتثقيف » [3] ، وسنفصل فيه في هذا الفصل بتوسع .

والإنشاء من نشأ ومن معانيه أن « (..) وكلُّ مَنِ ابْتَدأَ شَيْئًا فَهُوَ أَنْشَأَه (..) وأَنْشَأَ يَحْكِي حَدِيثًا: جَعَل. وأَنْشَأَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَقُولُ كَذَا: ابتَدأَ وأَقْبَلَ. وَفُلَانٌ يُنْشِئُ الأَحاديث أَي يضعُها. قَالَ اللَّيْثُ: أَنْشَأَ فُلَانٌ حَدِيثًا أَي ابْتَدأَ حَدِيثًا ورَفَعَه » [4] .

أما اصطلاحا فمرحلة الإنشاء في الكتابة هي التي « تشمل دور التعبير الفطري الذي يغلب عليه الإيجاز والبساطة والجزالة ، وتتمثل فيها صورة الكتابة العربية في مرحلتها التأسيسية » [5] .

لتأتي آخر مرحلة من الكتابة وهي التأليف ويعرّف بأنه « التصنيف ن وقد قيل : " من صنّف كتابا فقد استهدف " » [1] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كتب) ، ج **43** ، ص **3817 – 3819** .

[2] محمد صالح الشنطي ، فن التحرير العربي ، ضوابطه وأنماطه ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، **1422** ه / **2001** م ، المملكة العربية السعودية ، **19** .

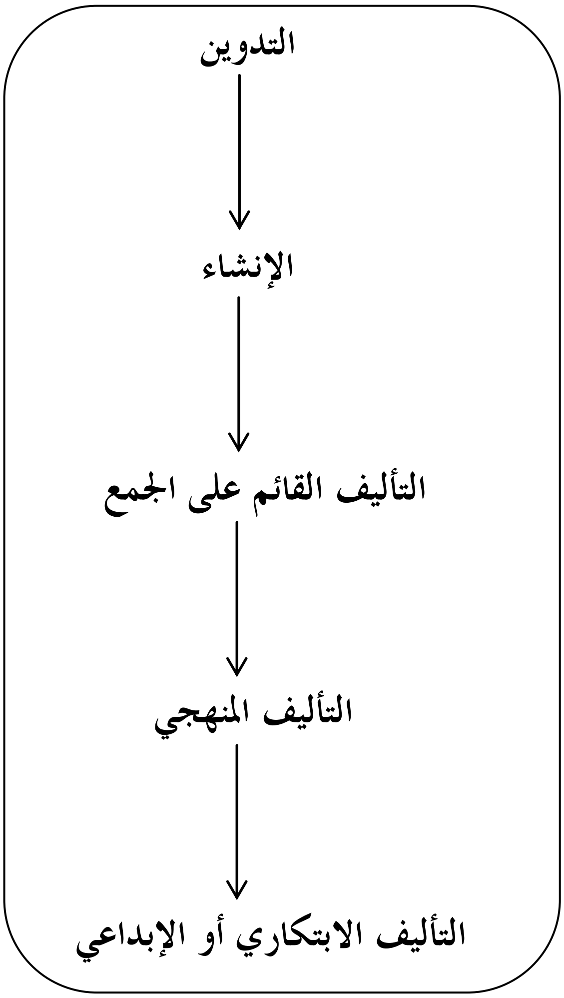
[3] محمد صالح الشنطي ، فن التحرير العربي ، ضوابطه وأنماطه ، **20** .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نشأ) ، ج **49** ، **4418 – 4419** .

[5] محمد الشنطي ، فن التحرير العربي ، ضوابطه وأنماطه ، **20** .

وقد « بدأ ظهور التأليف اعتبارا من المائة الثانية بعد الهجرة ، كما ازدهر التصنيف الأدبي الذي يقوم على المختارات المدونة ثم تطور فيما بعد ليصبح تأليفا منظما مبوبا على يد الجاحظ وأضرابه » [2] .

وفي الأخير يمكننا أن نخرج بنتيجة تجمع بين المصطلحات السابقة تحت مسمى الكتابة ، لأن الكتابة معنى شامل لمراحل ، بحيث نقر أن الكتابة قد مرت بمراحل وأطوار هي [3] :



[1] أحمد مطلوب ، معجم النقد العربي القديم ، ج 1 ، (أ – ذ) جدار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1 ، بغداد ، 1989 م ، 288 .

[2] محمد الشنطي ، فن التحرير العربي ، ضوابطه وأنماطه ، 19 .

[3] المرجع السابق ، 21 .

تاسعا: دور الخط في التـــدوين (الخط في الحضارة العربية)

ببزوغ الإسلام و انتشاره ربح العالم حضارة من أهم وأخصب الحضارات على وجه البسيطة وكان لانتشار الحضارة الإسلامية في بقاع مختلفة وواسعة من العالم الأثر المباشر في العناية بمستلزمات هذه الحضارة والاهتمام بها ، وكان « من أول هذه المستلزمات الكتابة التي اعتمدت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب الفقه والشريعة الإسلامية من قبل الخطاطين في كتابة المصحف الشريف ونسخ كتب الأدب والشعر » [1] ، فالخط هو من الصناعات المدنية ،

والقرآن الكريم غني بالكثير من الآيات التي تشير إلى القراءة و الكتابة والعلم ، وليس أدل على ذلك من أن أول آية نزلت على الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام كانت : « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ » [2] ، ويقول تعالى أيضا : « نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ » [3] ، وغيرها من الآيات القرآنية التي تشير إلى القراءة والكتابة ، و التي سبقت الإشارة إليها .

ومن تحصيل حاصل أن يكون الخط عماد الكتابة[4] ، إذ لما فتح العرب الأمصار المختلفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة ، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه ، وتداولوه ، فترقت الإجادة فيه واستحكم ، وبلغ رقيه ذلك في الكوفة والبصرة ، فكان المجال الخصب الذي ساعد في بروز خطاطين مميزين بارزين ، أما عن سبب اهتمام الخطاطين بالكتابة واعتنائهم

---

[1] صلاح حسين العبيدي ، الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية ، مجلة : آفاق الثقافة والتراث ، السنة الحادية عشرة ، العدد الثالث و الأربعون ، شعبان 1424 هـ / أكتوبر (تشرين الأول) 2003 م ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ص 85 .

[2] العلق : 05 .

[3] القلم : 01 .

[4] صلاح حسين العبيدي ، الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية ، ص 85 .

بالخط فقد كان « قبل كل شيء دافع ديني » [1] ، واعتبر لحد الآن من العناصر المهمة في التراث العربي والإسلامي .

والخط العربي هو المكتوب المعبر عن الكلمات وهو « وسيلة شكلية مرسومة لتأليف منظومة كلامية مقروءة على أساس لغوي أبجدي أي عند الجمع ما بين عدة وحدات أبجدية ذات رموز صوتية (ألسنية) معينة » [2] ، ينتج عنها تسلسل للكلمات بشكل جمالي معين ، يعمم مفهوم الخط إلى قولهم أنه

وقد فتحت الكتابة أمام الخطاطين والنساخين آفاقا رحبة في هذا المجال ، حيث « صار الناسخ والخطاط العربي يعطي ضروبا من فنون الكتابة والنقوش والخط ، وما يتبع ذلك من اللون و جمال الحرف أو الاهتمام برشاقته أو سمكه » [3] .

لقد عني المسلمون بالكتابة وعاد الخط العربي من المظاهر الحضارية ، وقد عرف الحرف العربي الانتشارفي فجر الإسلام بسرعة كبيرة بين الأمصار ، وتعدد ممتهنو صناعة الحرف العربي ، « وساعد على ذلك الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية ، وكان مرتبطا بتوسع استعمال العربية التي هي لغة القرآن الكريم والثقافة التي تخاطبت بها عدة شعوب غير عربية دخلت الإسلام ، وتعلمتها لتلقي تعاليم الإسلام والاندماج مع العرب الأصليين والتعامل مع إدارة الدولة التي عرّبت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك »[4] ، فهذا التطور إذن جاء متلازما مع ما شهدته الأمة الإسلامية من نهضة شاملة في مختلف جوانب الحياة .

---

[1] نفسه ، ص 88 .

[2] شاكر حسن آل سعيد ، الخط العربي جماليا وحضاريا ، مجلة المورد (مجلة تراثية فصلية) : عدد خاص بالخط العربي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجمهورية العراقية ، المجلد الخامس عشر – العدد الرابع ، 1407 هـ / 1906 م ، 51 .

[3] صلاح حسين العبيدي ، الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية ، ص 85 .

[4] وحيد قدورة ، تقديم : عبد الجليل التميمي ، بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام ، تطور المحيط الثقافي ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، السلسلة الثانية (18) ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، الرياض ، تونس ، 1414 هـ / 1993 م ، ص 130 .

و المؤكد هو إجماع الكتاب والمؤلفين في مشارق الأرض ومغاربها على أن الخط العربي بجميع أنواعه وفنياته « فن إبداعي لم ينل عند أمة من الأمم أو في حضارة من الحضارات ما ناله عند العرب والمسلمين من العناية والتفنن فيه » [1] ، وذلك عبر كل فترات التاريخ العربي والإسلامي ، بعدّه الرسم الذي دُونت به الآيات القرآنية ، فتعدى بذلك مجال الاستعمال الأساسي للخط إلى الجماليات .

وبما أن الخط ملكة إبداعية فلقد تنوعت أشكال الخط العربي [2]بحسب اجتهادات وابتكارات كبار الخطاطين المسلمين [3] ، مثل المحرّر وابن مقلة وابن البوّاب والمستعصميّ وحمد الله الأماسيّ الذي رسخوا الخط بأنواعه وأشكاله وجعلوا له جمالية مستقلة تعمقوا بأسرارها وفلسفتها فكانت له قواعد منشورة ورسائل وكلها طبعا ترتكز على الحروف العربية والتي يكون فيها « ترتيب الحروف على ضربين[4] : مفرد ومزدوج ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب ، وحروف اللغة العربية هي :

أ	ب	ت	ث	ج
ح	خ	د	ذ	ر
ز	س	ش	ص	ض
ظ	ط	ع	غ	ف
ق	ك	ل	م	ن
هـ	و	ي		

[1] عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، 1995 م ، هـ (المقدمة) .

[2] بنظر : خالد محمد المصري الخطاط ، مرجع الطلاب في الخط العربي ، مراجعة : عبد المجيد خيالي ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 04 و : عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، هـ (المقدمة) .

[3] في عصرنا الحديث ظهر جيـــل من الخطاطين الملتزمين الذين تعلموا الخط على يد كبار الخطاطين الملتزمين الذين تعلموا الخط على يد كبار الخطاطين الراحلين من أمثال حامد في استنبول ، وشحات في مصر ، وهاشم في العراق وبدوي في دمشق ، ينظر : عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، أ– أ (المدخل) .

[4] ينظر : المرجع السابق ، 04 .

والخطوط العربية منذ أن أبدعها الخطاط إلى يومنا الحاضر بقي منها أقلام ستة هي الكوفي ، الثلث ، النسخ ، الديواني ، الفارسي ، الرقعة [1] ، وهذه نظرة على الخطوط التي عرفها العرب واشتهرت :

○ **خط الثلث**[2] :

يسمى (أم الخطوط) ، وهو من أصعب الخطوط ، و لا يعتبر الخطاط ماهرا إلا إذا أتقنه ، وخط الثلث نوعان : عادي ، وتدون به أسماء الكتب وأوائل سور القرآن الكريم ، و نوع ثاني يدعى بالجَليّ ، و يستعمل في كتابة اللوحات القرآنية في المنازل واللافتات والإعلانات .

○ **خط النسخ** [3] :

أول من وضع قواعد هذا الخط هو ابن مقلة و قد ازدهر في عهد الأتابكة ، ولهذا الخط أهمية خاصة لأنه يُدرس في معظم المدارس التعليمية ، كما تكتب به المصاحف بـــعد أن توقف الخط الكوفي والكتب خصوصا تلك التي تطبع على الكمبيوتر .

○ **الخط الفارسي أو خط التعليق** [4] :

هو خط خاص بالفرس والعجم ، استخلصه حسن الفارسي في القرن الرابع الهجري من أقلام النسخ والرقاع والثلث ، و لقد كُتبت به اللغات الفارسية والهندية والتركية إضافة إلى العربية ، وبه يكتبون رسائلهم وكتبهم.

---

[1] ينظر : أحمد رضا ، رسالة الخط ، نشرت في مجلة العرفان ، مطبعة العرفان ، صيدا ، 1332 هـــ / 1914 م ، و: عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ز (المدخل) .

[2] ينظر : خالد محمد المصري الخطاط ، مرجع الطلاب في الخط العربي ، 47 و : عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ص (المقدمة) .

[3] ينظر : المرجع السابق ، ق (المقدمة) .

[4] ينظر : المرجع نفسه ، ق (المقدمة) .

○ **خط الديواني**[1] :

هو نفسه الخط السلطاني وضع قواعده إبراهيم منيف وكان حضرا على ديوان السلطان ثم انتشر وتنوع ، كان يستعمل في كتابة التعيينات والأوسمة والنياشين ولهذا سمي بالديواني نسبة إلى الدواوين الحكومية ، وكان أول أمره سرا من أسرار القصور في الدولة العثمانية .

ونشير أخيرا إلى أن المسلمون قد اهتموا بأدوات الكتابة والخط [2] ، بدءا من مواد الكتابة البدائية كالحجارة والعسب والجلود ، والخط ممثلة في الدواة والقلم والمداد والحبر .

● **دور الإعجام في ضبط اللغة وتدوينها** :

إن اللغة العربية الفصحى من اللغات السامية التي لم تولد كاملة ، بحيث مرت كغيرها من اللغات الأخرى بأطوار متعددة ، ولقد نظر الأقدمون إلى ضبط اللغة العربية كضرورة ملحة في ظل تفشي ظاهرة اللحن الذي كان ممقوتا من العرب ، بل وكانت تراه « منقصة تزوي بصاحبها لا في مطلع الإسلام فحسب ، ولكن في ما تلاه كذلك إلى أمد بعيد ، وكانوا لا يسكتون عن لحنة تعرض ، بل لا يقرون على شك منها ، لا في قول يقال ، ولا في نص مروي » [3] .

وليس هذا فقط ، بل كان ضبط اللغة ضروريا لما يحتاج إليه أيضا العلماء مـــن « حفظ الحديث وتفسير القرآن الكريم بما دوّنوه من لسان قريش وغيرهم » [4] ، فكان لزاما إدخال إصلاحات على الخط العربي من شكل[1] ونقط على الحروف[2] .

---

[1] **ينظر : خالد محمد المصري الخطاط ، مرجع الطلاب في الخط العربي ، 118 ، و عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ق (المقدمة) .**

[2] **ينظر : نضال عبد العالي أمين ، أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، 131 – 136 و: عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ن (المقدمة) .**

[3] **علي النجدي ناصف ، تاريخ النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .**

[4] **حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط وأماكن انتشار العلم والمكتبات ، الترجمة وآثارها في الحضارة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ص 18 .**

ومن جهة أخرى ، ليس من السهل الوثوق بأناس كانوا هم الجسر الأمين لنقل تراث لغوي عبر الأجيال المتلاحقة لذلك فإنه « ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عادتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّنا يحصنون به تخيل حروف سوى حروفهم وعن النطق بها ممن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم أو ممن سمعها وجفا ذهنه عن تخيلها ولسانه عن النطق بها » [3] ، من هؤلاء العلماء الأفذاذ نجد أبا الأسود الدؤلي ، فمن هو هذا عالم الفذ و ما كان دوره في النحو العربي ، و اللغة العربية عموما ؟

أبو الأسود الدؤلي : هو [4] أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الديلي ، كان من سادات التابعين وأعيانهم ، صحب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وشهد معه وقعة صفين ، وهو بصري ، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً .

ونشير ونحن نتحدث عن أبي الأسود الدؤلي أنه يُنسب إليه ديوان فيه شعر ثابت النسبة له ، بحيث كان معزوا لأبي الأسود الدؤلي أبياتا من الشعر وذلك في المصادر والمراجع و لم ينسب لغيره إضافة لما كان تتمة لمقطعات رواها السكري وأثبتها في الديوان غير شاك فيها ولا متردد ، ومن هذا الشعر قوله[5] :

ولا تقعد على كسل التمني *** تحيل على المقادر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجـــري *** بأرزاق الرجال من السماء

---

[1] الشكل : حركات الإعراب من ضم وفتح وكسر وسكون .

[2] النقط : هي نقط التي تميز بين الحروف المتشابهة في الصورة كالياء والتاء أوا لجيم والحاء والخاء .

[3] أبو نصر الفارابي ، كتاب الحروف ، حققه وقد له وعلق عليه : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 145 .

[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص 535 – 538 ، إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في اللغويين العرب ، ط1 ، بيروت ، 1418 هـــ / 1997 م ، 1 / 316 ، وغيرهم كثير من الكتب التي أرخت لحياة الدؤلي .

[5] أبو الأسود الدؤلي ، الديوان ، صنفه أبو سعيد الحسن السُكّري ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، دار مكتبة الهلال ، 1418 هـــ / 1998 م ، 325 .

مقدرة بقدر أو بِبَسْـــطٍ *** وعجز المرء أسباب البلاء

ومن الشعر المشكوك فيه قوله أيضا [1] :

خذي العفو مني تستديمي مـــودتي *** ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ

فإني وجدت الحب في الصدر والأذى *** إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

توفي أبو الأسود الدؤلي بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف ، وعمره خمس وثمانون سنة ، وقيل إنه مات قبل الطاعون بعلة الفالج ، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وتولى عمر الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ، رضي الله عنه .

يقول ابن سلام الجمحي: « كان أول من أسس العربية ، وفتح بابها وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها : أبو الأسود الدؤلي » [2] .

ويعد أبو الأسود الدؤلي بإجماع أهل اللغة أن أول من وضع النحو ، إذ « قيل إن علياً ، رضي الله عنه ، وضع له : الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم رفعه إليه وقال له : تمم على هذا » [3] ، ولا يخفى على أحد من أن النحو هو أصل علوم العربية و أقدمها نشأة .

ولا نجاوز الحقيقة إذا قلنا أنه [4] قد وردت روايات كثيرة تعزو وضع النحو إلى أبي الأسود بلا خلاف بينها ، إلا في سبب وضعه والمضي فيه : أكان إحساسا بضرورته ، أم كان إشارة من عمر أم من الإمام علي أم من زياد .

وكتفصيل لأهم هذه الأخبار نورد ما ضمنه الحموي في معجم الأدباء : بحيث يروى أن أبا الأسود الدؤلي قال : « دخلت على أمير المؤمنين عليٍ بن أبي طالب عليه السلام، فرأيته

[1] أبو الأسود الدؤلي ، الديوان ،: 381 .
[2] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 12 .
[3] عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص 57 .
[4] ينظر : علي النجدي ناصف ، تاريخ النحو ، ص 08 .

مطرقاً مفكراً فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية . فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد أيامٍ فألقى إلى صحيفةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم : الكلام كله اسم وفعل وحرف ، والاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسمٍ ولا فعلٍ . ثم قال لي: تتبعته وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ . قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب ، فكان منها إن وأن وليت ولعل وكأن ولم أذكر لكن . فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت: لم أحسبها منها . فقال: بل هي منها فزدها فيها . قال: أبو القاسم : قوله عليه السلام: الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ ، فالظاهر رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك ، والمضمر نحو ، أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك. وأما الشيء الذي ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ فالمبهم ، نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك» [1] .

فإن كان الخبر صحيحا ، فلعلي ابن أبي طالب فضل الهداية إلى هذا العلم ، ولأبي الأسود فضل القيام بوضعه .

إذن فالنـــحو والعرب ثنائية قائمة منذ معرفتهم الأولى للغة العربية ، فالنحو « قديم في العرب دون ان يدركوا المعلم وتضبطه قواعد ، ثم جدده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلي ، فقد كان العرب كانوا في جاهليتهم « يتكلمون في شؤونهم بدون إعمال فكر أو رعاية قانون كلامي يخضعون له ، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم بخلافهم بعد الإسلام» [2] .

[1] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 4 ، ص 1812 – 1813 .

[2] محمد الطنطاوي ، نشأة النحو ، ط2 ، دار المعارف ، القارة ، مصر ، ص 20 .

وبعد أن وضع عالمنا قواعد النحو العربي والذي وافق ذلك « تفشّى اللحن على ألسنة الناس ، تولى العلماء بعده من التابعين وتلاميذهم تعميق محاولة أبي الأسود ومن هؤلاء العلماء [1] عبد الرحمن هرمز ويونس بن حبيب وعنبسة الفيل وميمون الأقرن ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر وابن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعلى رأس هذه المرحلة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه عمر بن قنبر .

وجاء دور الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد أبي الأسود الدؤلي ليُدخل على الخط العربي ما كان يُسميه بـــ (أبعاض الحـــروف) ، « فاقتطع من الألف بعضها وجعله رمزا للفتحة ، واقتطع بعض الياء وجعله رمزا للكسرة ، وصغّر الواو وجعلها رمزا للضمة ، وهكذا قلّل الخليل من عدد النقط في الخط واستعاض عنها بصور أو رموز يسهـــل تمييزها » [2] ، فأصبح للغة العربية أشكالا تُعرف بها : الفتحة والضمة والكسرة .

فمن هو هذا العالم الفذ الذي ساهم في تدوين اللغة العربية بالخط الذي هي عليه الآن ؟ وما كان دوره بين علماء اللغة العربية ؟

الخليل بن أحمد الفراهيدي هو [3] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال : الفرهودي الأزدي اليحمدي ؛ كان إماماً في علم النحو ، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ، ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسماه الخبب .

وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة . وتوفي سنة سبعين ، وقيل خمس وسبعين ومائة ، وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة ، وقيل إنه توفي سنة ستين ومائة .

---

[1] **ينظر : أنيس فريحة ، نظريات في اللغة ، ص 67 .**

[2] **أنيس فريحة ، نظريات في اللغة ، ص 94 .**

[3] **هناك الكثير ممن ترجموا للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج 2 ، ص 244 – 248 ، وصلاح الدين الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 13 ، ص 240 – 244 ، وياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 3 ، ص 1260 – 1271 .**

عُرف الخليل بصلاحه وعقله وحلمه ووقاره ، ومن كلامه قوله : « لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره » ، وقد أقام بخص من أخصاص البصرة .

وللخليل من التصانيف كتاب (**العين**) في اللغة وهو مشهور ، لكن يقول أكثر العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ، ليس تصنيفه ، وكتاب (**العروض**) وكتاب (**الشواهد**) وكتاب (**النقط والشكل**) وكتاب (**النغم**) وغيرها .

أما بداية التحول الفعلي لكتابة الحروف العربية فقد كانت لما رأى الخليل أن الخط العربي أصبح مثقلا في كتابته بعدد من النقط مختلفة الوظيفة ، فبعضها لإعجام الحرف وبعضها الآخر للحركة ، مع إدراكه أن ضبط اللغة كان ضروريا نظرا للحاجة إلى « حفظ الحديث وتفسير القرآن الكريم بما دوّنوه من لسان قريش وغيرهم » [1] .

ومن ثمة فقد اعتمد الفراهيدي في وضع صرح النحو على ثلاثة أصول هي « السماح والتعليل والقياس وهو أسلوب علمي لا غبار عليه لولا بعض المآخذ الثانوية » [2]

على أن نشير إلى أن المدقّق في أعمال علماء العربية سواء والنحاة يجد كل عالم له طابع معين به يعرف به ، « وبناء على ذلك اشتهر الخليل بأنه عروضي لغوي وسيبويه بأنه

نحوي والأصمعي راوية باعتبار الطابع الذي غلب على مجهود كل منهم في نصوص الكلام العربي شعرا ونثرا » [3] .

• دور مدرستي الكوفة و البصرة في الرواية الشفهية والتدوين:

لقد بدأ اللغويون يرتادون البادية لجمع اللغة وذلك بمشافهة الأعراب والأخذ منهم لصحة لغتهم مقارنة بلغة الحضر ، وبمرور السنون ظهرت مدرستان ، مدرسة البصرة ومدرسة

---

[1] **حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات ، الترجمة وآثارها في الحضارة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ص 18 .**

[2] **أنيس فريحة ، نظريات اللغة ، ص 78 .**

[3] **محمد عيد ، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ، ص 113 .**

الكوفة ، يضاف إليهما مدرسة بغداد ، وبدأ المنتسبون لهذه المدارس وتحديدا مع مدرسة البصرة والكوفة ، بنشاطهم العلمي بدءا بالرواية الشفهية ثم التدوين .

و للعلم فإنه[1] لم يطلق القدماء على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة (**مدرسة**) ولكننا كنا نقرا من قولهم : مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ومذهب البغداديين ، غير أن المعاصرين استحسنوا لفظ (**المدرسة**) فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى .

و قد كان نشاط المدرستين في تقييد الملاحظات اللغوية و جمع الشعر الجاهلي والإسلامي ، إلا أنه كان لعلماء البصرة « السبق إلى جمع اللغة » [2] .

وقد حددت مدرسة البصرة مجموعة من القبائل عدتها « ست قبائل تحتج بلغتها وهي قيس وأسد وتميم وهذيل وبعض كنانة وبعض طيء » [3] .

و قد أخذ البصريون بالقياس [4] كما أخذوا بالسماع ، بحيث أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله وحملوا كثيرا من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع في أنها شاذة أو أنها ضرورة وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساسا في حكم .

أما عن مصادر الدراسة عند المنتمين إلى مدرسة البصرة ، فإننا نلفيهم قد اعتمدوا على[5] طائفة من الأسس أولها القرآن الكريم كأصل أقاموا عليه نحوهم ثم الشعر الجاهلي ، و تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي كشعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم

---

[1] **ينظر : إبراهيم السّامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ط1 ن دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1987 م ، ص 12 .**

[2] **بلعيد صالح ، مصادر اللغة ، ص 49 .**

[3] **المرجع السابق ، ص 49 .**

[4] **ينظر : إبراهيم السّامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 17 .**

[5] **ينظر : إبراهيم السّامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 20 .**

ثم كان دور الكوفة التي دخلت التاريخ و ذلك حينما « فُــتح العراق بعد سقوط المدائن عاصمة الفرس على يد القائد الإسلامي سعد بن أبي وقاص في سنة 16 هــ الموافقة لسنة 637 م » [1] .

و قد كانت الكوفة مركزا من مراكز العلم كما كان الحال مع البصرة ، و من العلم أن النحو الكوفي في هذه المدرسة قد « بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي وقد تلمذ له الكسائي والفراء » [2] .

أما عن الاحتكاك بالأعراب والأخذ عنهم قد عنيت الكوفة « باستقراء والأخذ عن الأعراب والاهتمام بالشواذ اللغوية والنحوية ، عنيت البصرة باطراد القواعد وتعميمها وتقديم القياس على السماع » [3] .

و لو تصفحنا مسائل الخلاف بين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ، لوجدنا أن الخلاف لم يقتصر بين البصريين والكوفيين على الاستدلال بالشواهد بل « خلاف أيضا في الروايات » [4] ، مثل [5] ما استدل به الكوفيون على مجيء (**كما**) بمعنى (**كيما**) بأبيات كان قد رواها البصريون برواية مخالفة تنقض احتجاج الكوفيين .

ومن ثم فقد كان الكوفيين يستدلون على أقوالهم النحوية بشواهد ينقضها ويقابلها البصريون برواية أخرى من وجهة نظرهم .

---

[1] **علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ البصرة ، تقديم و تحقيق : عزة رفعت ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، ص 18 .**

[2] **إبراهيم السّامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 32 .**

[3] **أبو القاسم الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس ، ط3 ، 1399 هــ / 1979 م ، شوقي ضيف (المقدمة) ، ب .**

[4] **محمد حسن عبد العزيز ، القياس في اللغة العربية ، ص 50 .**

[5] **أبو البركات الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين ، تحقيق ودراسة الدكتور جودة مبروك ، مراجعة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، (المسألة 81) .**

ومن المعلوم أن معرفة مسائل الخلاف النحوية بين المدرستين « تقتضي الاستقراء لما ورد في كتب الخلاف وأهمها كتاب الإنصاف لأبي البركات الأنباري » [1] ، هذا المصدر الذي يرجع إليه لما تبحث المسائل الخلافية بين المدرستين ، بالشواهد من أقوال أعلام المدرستين .

ومن مسائل الخلاف بين البصرة و الكوفة [2] ، القول في نعم و بئس أفعلان أم اسمان ، إذ ذهب الكوفيون إلى أن " نعم ، بئس " اسمان مبتدآن ، بينما ذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان و إليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .

و كان لكل مدرسة حججها ، فأما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على اسميتها هو دخول حرف الخفض عليهما لقول العرب (ما زيدٌ بـــنِعْمَ الرجلُ) ، وقول حسان بن ثابت :

أَلَستُ بِنِعمَ الجارُ يُؤلِفُ بَيتَهُ *** كَذي العُرفِ ذا مالٍ كَثيرٍ وَمُعدَما

ودلائل أخرى كثيرة دعموا بها ما ذهبوا إليه.

أما البصريون[3] فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنهما فعلان هو اتصال بالفعل المتصرف بدليل قول العرب " نعما رجلين و نعموا رجالا و غير ذلك من الأدلة التي توافق مذهبهم .

و لا نصل إلى نهاية القرن الثالث الهجري حتى تتقارب المدرستان المتنافستان البصرية والكوفية ، بل نجدهما قد اندمجتا في مـــدرسة جديدة أطلـــق عليها اسم (**مدرسة بغداد**) [4] ، فكانت مستودع مزايا المدرستين الكوفية والبصرية .

---

[1] إبراهيم السّامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 61 .

[2] ينظر : أبو البركات الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين ، ص 86 / 90 .

[3] ينظر : المرجع السابق ، ص 90 / 92 .

[4] ينظر : أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، شوقي ضيف (المقدمة) ، ب .

الباب الثاني

- السير والتراجم في الأدب العربي
- السيرة النبوية
- الرواية في السيرة النبوية

الفصل الأول

السير والتراجم في الأدب العربي

إن تاريخ أية أمة هو الناطق بفكرها المستوعب لماضيها وحاضرها ، والرابط بين تجارب السابقين باللاحقين المجسد للحضارة ، الموثق لها ، وإن من أعظم ما تصنعه الشعوب العريقة ذات الحضارة الممتدة والتي تبقى بصماتها خالدة بمرور الزمن، أن تظل « حفية بماضيها ، فتنتقي من هذا الماضي كل مل يصلح لأن ينمو فيصنع مستقبلها الخاص المميز لشخصيتها المقوي لأركان وجودها جذورا وفروعا ماضيا ومستقبلا » [1] ، فكيف إن كان الماضي هو بزوغ دين التوحيد ؟

فنحن إذن أمة كرّمها الله بالإسلام ، وحضارتنا الإسلامية التي انبنت على الإسلام قدمت للمجتمع البشرى قيما ومبادئ وقواعد ترفع من شأن الإنسان ، ومن ثمة فإن ماضينا وحاضرنا مرتبط بالإسلام ارتباطا وثيقا ، والاتفاق معقود على أن الإسلام كان « حافزا فاعلا لحركة فكرية واسعة تناولت جمع القرآن وتفسيره ورواية الحديث وتدوينه وتعميم القراءة والكتابة وتدوين قواعد اللغة وكتابة السير والمغازي »[2] ، من هذا المنطلق سجل لنا التاريخ سيرة خاتم المرسلين ﷺ، وبكل تفاصيلها، هذه السيرة النبوية التي كانت السجل الأمين لحياة خاتم المرسلين ﷺ والمنهل الصافي الذي ننهل منه القيم والمبادئ الفاضلة التي اتسم بها قدوتنا محمد .

ونحاول عبر سطور هذا الفصل بسط الكلام عبر مجموعة من العناوين الرئيسة ، نتعرف فيها على أدب السيرة في التراث العربي .

ولأن التعريف بالمصطلحات يسبق التعريف بالمضامين ، لم نجد بدا ونحن نستهل هذا لفصل، أن نقف عند مفهوم (**السيرة**) لغة واصطلاحا ، باعتبارها الأساس في بحثنا والثابت من موضوعنا ، ولعلاقة أدب السيرة الوثيقة بأدب الترجمة ، اضطررنا إلى التعريف بـــ (**الترجمة**) أيضا قبل الدخول في تفاصيل عناوين هذا الفصل ، مع ذكر الكثير من النماذج المعبرة عن أدب السيرة والترجمة معا .

---

[1] علي عقلة عرسان ، هل التراث ..؟ ! ، مجلة التراث العربي (مجلة فصلية) تصدر عن اتحادا لكتاب العرب ، العدد : 57 ، دمشق ، جمادى الأولى 1415 هـــ / تشرين الأول / أكتوبر 1994 م ، السنة : ص : 15 ، 07 .

[2] كمال اليازجي ، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ، دار العلم للملايين ، ط7 ، 1997 م ، 37 .

أولا : أدب الســـيرة

1 – ماهية السيرة

لم يكن قديما معنى السيرة هو ما يُتداول الآن من معنى في الكتب الأدبية أو النقدية ، مثل غيره من المفاهيم التي تطورت معانيها ومفاهيمها بتطور المفهوم في حد ذاته ، فكيف انتقل لفظ (**سيرة**) من عموم اللغة أو الأصل اللغوي إلى خصوص الاصطلاح أوالحقل الدلالي ؟ ، وما هي دلالته في العصر الحاضر ؟

أ– مفهوم السيرة لغة :

إنه عند رجوعنا للمعاجم العربية منقبين عن المدلول اللغوي للفظة (**سيرة**) ، وجدنا ابن منظور يقول في مادة (سير) : « ... السِّيرَةُ: الطريقة. يقال: سارَ بهم **سِيْرَةً** حَسَنَةً. **والسَّيرَةُ:** الهَيْئَةُ » [1] .

ويضيف الزمخشري على المعنى السابق : « سار الوالي في الرعية **سيرة** حسنة، وأحسن السير. وهذا في سير الأولين ، وقال خالد بن زهير:

فلا تغضبن من سنة أنت **سرتها** *** فأول راضي سنة من يسيرها » [2] .

وورد في معجم مقاييس اللغة : « السين والياء والراء أصل يدل مضيّ وجريان ، يُقال : سار يسير سيرا ، وذلك يكون ليلا ونهارا ، والسيرة : الطريقة في الشيء والسنة ، لأنها تسير وتجري ، يقال سارت وسرتها أنا ، قال :

فَلا تَجزَعَنَ مِن سُنَّةٍ أَنتَ سِرتَها *** فَأَوَّلُ راض سُنَّة مَن يَسيرُها » [1] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، مصر ، مادة (سير) ، ج : 24 / 2170 .

[2] أبو القاسم أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مادة (سير) ، 1 / 488 .

فالسيرة من خلال ما أوردناه اعتمادا على أمهات المعاجم العربية هي السَيْرُ الطريقة أو الهيئة أو السلوك أو المضي ... .

أما في القرآن الكريم فنجد لفظة (سيرة) قد وردت في قول الله تعالى : « وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ »[2] ، ففي قوله تعالى: "سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ " من نفس الآية ، بمعنى « إلى حالها التي تعرف قبل ذلك »[3] ، فالمعنى هنا لا يخرج عن الهيئة الأولى أو الشكل الأول الذي عرف به الشيء ، وكان عليه .

ووردت لفظة (**سيرة**) في الكثير من دواوين الشعر العربي ، القديم منها والحديث ، فها هو ابن الرومي يستخدم اللفظ بمعنى الطريق أو الهدف لما مدح المبرد صاحب الكامل في اللغة والأدب ، سائلا إياه أن يحسن محضره عند أحد الوزراء [4] :

طرقتْ أسماءُ والركبُ هُجودُ *** والمطايا جُنَّحُ الأزْوارِ قُودُ

فسعى يطلب عُلْيا أهلِه *** سَعْيَ جِدٍّ لم يخالطهُ سُمودُ

سالكاً مِنْهاجَهُمْ يَتْلُو الهُدى *** صائب **السيرة** ما فيه حُيُودُ

---

[1] أبو الحسن ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط : محمد عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مادة (سير) ، 3 / 120 – 121 .

[2] طه : 21 .

[3] الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلي أحمد عبد الباقي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، مؤسسة قرطبة ، جيزة ، مصر ، 9 / 321 .

[4] ابن الرومي ، الديوان ، شرح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1324 هـ / 2002 م ، 1 / 485 – 487 .

ولعل السيرة الطيبة هي من أهم ما يُمدح المرء به ، وتعلو مكانته ويعظم شأنه بين أفراد مجتمعه ، وأبناء جلدته .

ويوظفها البحتري بمعنى التعامل مع الناس والطريقة المثلى في قيادة الرعية والسمعة الطيبة في قوله مادحا المهتدي بالله [1] :

أَقصِرا لَيسَ شَأنِيَ الإِقصـــارُ *** وَأَقِلّا لَن يُغنِيَ الإِكثارُ

عَلِمَ اللَهُ **سيرَةَ** المُهتَدي بِاللَـــ *** ـهِ فَاِختارَهُ لِما يُختارُ

ومن الشعر الحديث وبنفس المعاني تقريبا يقول أحمد شوقي في نفس السياق [2] :

وَجَدتُ الحَياةَ طَريقَ الزُمَر *** إِلى بَعثَةٍ وَشُؤونٍ أُخَر

وَما باطِلاً يَنزِلُ النازِلون *** وَلا عَبَثاً يُزمِعونَ السَفَر

فَلا تَحتَقِر عالَماً أَنتَ فيهِ *** وَلا تَجحَدِ الآخَرَ المُنتَظَر

وَخُذ لَكَ زادَينِ مِن **سيرَةٍ** *** وَمِن عَمَلٍ صالِحٍ يُدَّخَر

فالشاعر يدعو للسير في الناس سيرة طيبة ليكون للإنسان ذكر طيب بعد الممات ، فلا شيء كالسمعة والسيرة الطيبة بعد مفارقة دار الدنيا .

هذا مجمل ما يقتضيه بيان لفظة (سيرة) في معناها اللغوي قبل أن تنتقل إلى المعنى الاصطلاحي .

---

[1] **البحتري ، الديوان ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، 2 / 852 – 854 .**

[2] **أحمد شوقي ، الديوان ، تعليق : يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 م ، 1 / 293 .**

ب– مفهوم السيرة اصطلاحا :

أما السيرة اصطلاحا فهي « الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيرُه ... يُقال : قرأت سيرة فلان : تاريخ حياته . (ج) سير . » [1] ، من هذا التعريف فالسيرة هي نمط كتابي يجسد المراحل الحياتية التي يمر بها عَلم من الأعلام ، فتكتب لتبقى شاهدة على أثره على مدى الأزمان ، أيا كان المجال الذي برزت فيه الشخصية ونبغت .

ولفن السيرة جذور تضرب في القدم كما له علاقة وطيدة بالتاريخ وهذا ما لخصه رينيه ويليك (rené wellek) بقوله عن أدب السيرة بأنه : « نوع أدبي قديم وهو أولا جزء من علم تدوين التواريخ من الناحية المنطقية ومن ناحية التسلسل الزمني » [2] ، فربط بذلك هذا الجنس الأدبي والتاريخ ، بل جعل من التاريخ هو أصل لأدب السيرة باعتباره يقع بين التاريخ والأدب، ذلك أنه السيرة هي رواية لأحداث الذات أو بعضها ، ومن هنا جاءت نلك الصلة بين التاريخ وفن السيرة .

ولا يخرج كُتاب الغرب ونقاده عن هذا المفهوم العام لأدب السيرة إذ تُعرف السيرة/ biographie في المعاجم الغربية بأنها : " genre d'écrit qui a pour objet l'histoire de vies particuliéres " [3]

وقد تقترن (**السيرة**) بلفظة (**غيرية**) أو (**ذاتية**) ، باعتبار المؤلف أو المُؤلف عنه ، إذ نجد الباحثين في هذا الحقل من الدراسة يفرقون بين هذين النوعين ، فالسيرة الغيرية هي شكل من أشكال أدب السيرة عموما ، وفيها يقوم الكاتب بـــ « رواية حياة إبداعية في مجال

---

[1] مجمع اللغة العربي ، المعجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، 1425 هـــ / 2004 م ، مادة (سار) ، 467 .

[2] رينيه ويليك واوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة : مجي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 77 .

[3] Paul robert , Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française societé du nouveau Littré Le Robert , Paris , 2eme édition , 1966 , 481 .

حيوي ومعرفي معين لشخصية منتخبة يعتقد بأهميتها »[1] ، فالكاتب هنا غير الشخصية التي تكون موضوع السيرة ، وأساسها .

أما السيرة الذاتية في الأدب فتعرف على أنها « سرد قصصي يتناول فيه الكاتب ترجمة حاله ، وما يعترض حاله من معضلات وشدائد محاولا تتابع الأحداث زمنيا وأهمية ، وهو في السيرة الذاتية لا يذكر إلا ما يشاء ذكره من حياته وما يريد أن يوضحه ع الناس حوله ، وبإمكان الكاتب أن يتبع طريقة المذكرات اليومية والتفضيل في الحكايات والأخبار بالقدر الذي يشاء »[2] ، مما جعل من فن السيرة فنا مشوقا يحمل الكثير من المتعة لدى القارئ ، إما برغبتا لمواصلة ، أو لأنه يجد أحداثا تنطبق عليه ، او أنه يجعل من المقروء له قدوة في حياته ، ومن أحداث سيرته عبرة وموعظة.

أما الكاتب في السيرة الذاتية فهو هنا بخلاف السيرة الغيرية يكون محل مضمون السيرة وموضوعها الرئيس ، وفي كل الأحوال فكاتب السيرة الذاتية أو الغيرية ، يلونها بألوان أدبية تقربها من الفن القصصي ومن هذا جاءت صلتها بالجانب الأدبي.

وتُعرف السيـــرة الذاتية بـــ (biographie) وهي في المعاجم الغـــربية تعني : " biographie d'un auteur faite par lui - mêmes (memoires , confessions "[3]

وهناك من يفرق بين (**السيرة الذاتية**) و(**الترجمة الشخصية**) ، بحيث الأولى يكتب المؤلف نفسه حياته ، أما الثانية فهي أن يكتب عن غيره[4] .

---

[1] **محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية (قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية) ، 120 .**

[2] **محمد التنوجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1419 هــ / 1999 م ، 1 / 537**

[3] **Paul robert , Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française societé du nouveau Littré Le Robert , Paris , 2eme édition , 1966 , 339 .**

[4] **ينظر : المرجع السابق ، 1 / 537 – 536 .**

وحين عودتنا للسير الذاتية نجد مجموعة من المصطلحات التي تندرج ضمن نفس المعنى أو تحوم حوله[1] ، على شاكلة :(**المذكرات**) و(**الذكريات**) و(**الاعترافات**) و(**اليوميات**) و(**المقالات الشخصية**) و(**الروايات الواقعية**)... أو يرتئي المصنف أن يعطي لسيرته اسما ما لا يعبر بصفة مباشرة عن سيرته [2] وجميعا تدخل ضمن ما يمكن أن نسميه بـــ : (**الأدب الشخصي**) الذي يدور حول شخصية الكاتب وتجاربه ، رغم الاختلافات التي نلمحها بين كل نوع وآخر ، وستظهر لنا مختلف هذه التسميات في النتاجات الأدبية في النماذج التي سنعرضها تباعا تحت هذا العنوان العام .

فاليوميات مثلا هي « لون أدبي يدون فيه الأديب أحداثا وانطباعات ومشاهدات ويرتبها ترتيبا فنيا على شكل مذكرات يومية أو شبه يومية وهو فن أدبي مستحب لسهولة عرضه وإقبال القارئ عليه » [3] ، ولعل الاسم يدل عليها ، فهي تسجيل لأهم ما يدور من أحداث في اليوم ، ومن اليوم تدون الأحداث وتترابط مشكلة عمر الإنسان ويومياته في هذه الحياة .

وكثيرا ما نجد السيرة الذاتية قد كتبها صاحبها من عالم أو مفكر أو سياسي أو شخصية عامة – على وجه التعميم – « بعد تجاوزه سن الأشد ، عند بلوغه سن النضج في جو ارتسمت فيه علميته في مسامع الجماهير وأبصارهم » [4] ، وليس أدل من رجوعنا للسير الذاتية المنتشرة في المكتبة العربية قديما وحديثا ، والتي سنشير إليها لاحقا ، والتي تدل على هذه الميزة والسمة البارررزة في كتاب السير .

---

[1] **ينظر : محمد راتب الحلاق ، الترجمة الذاتية محاولة في مقاربة المصطلح ، مجلة الموقف الأدبي ، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، العدد 342 ، السنة 29 ، تشرين الأول 1420 هـــ ، 1999 م .**

http://awu-dam.org/mokifadaby/342/mokf342-005.htm

[2] **ينظر : ما ألفه مثلا : عبد الرحمن الرافعي (1898 – 1966 م) مذكراتي ، الطبعة : 2 ، دار النشر : أخبار اليوم ، بلد النشر : مصر ، سنة النشر: 1409 هـــ/ 1989 م ، سليمان موسى(؟ – ؟) مشاهد وذكريات الطبعة : 1 ، بلد النشر : عمان ، المملكة الأردنية ، سنة النشر : نيسان 1996 م ، على شاكلة ما ألف رفاعة الطهطاوي ، (1216 – 1290 هـــ / 1801 – 1893 م) تخليص الإبريز في تلخيص باريز دار النشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بلد النشر : مصر سنة النشر : 1993 م .**

[3] **المرجع السابق ، 1 / 537 .**

[4] **بكر بن عبد الله أبو زيد ، العلماء الذين ترجموا لأنفسهم ، ط 1 ، 1405 ه ، ص : 23 .**

أما أسباب الترجمة الذاتية فعديدة منها [1] : الوقوف على معاني الحياة الماضية ومدى نصيبه منها في مجال العلم والفكر والكفاح وما شاهده من المواقف والأحداث ، إضافة إلى متعة الذكرى حتى لا تغيب في ثنايا النسيان بعد تقادم السن ...

من هذا المنطلق كانت السيرة صفحة من صفحات التاريخ الخاصة والعامة فالسيرة بنوعيها : الذاتية والغيرية قد نمت « في حضن التاريخ ، لذلك ففيها بعض ملامحه ، بل إنها في بعض الأحيان تقترب منه إلى درجة تجعل بعض الباحثين يعُدّونها لونا من ألوان التاريخ » [2] ، وهذا ليس إجحافا بحق كاتبيها إنما من واقع ما كتب في هذا المجال الأدبي ، فالقارئ لا يفتأ أن يحس أنه يقرأ وثيقة تاريخية قد فقدت العنصر الأدبي ، بدليل أن عند عودتنا للمصنفات الخاصة بهذا المجال الأدبي ، نلفي التأليف فيه وقد ركز على الخبر بمواصفاته وذلك بتصويـــر حياة المترجم له الجسمية والروحية من مولده إلى غاية وفاته ومن ثمة « لم يتّشح بالعنصر الأدبي إلا قليلا وظل أخبارا فردية محدودة أقرب إلى طبيعة الإخبار الخاصة التي يُراد بها الفائدة العامة » [3] ، وكثيرة هي الأمثلة المبثوثة في ثنايا التراث العربي الواسع ، والتي سنقف على بعض منها على وجه التعميم .

ومن الأمثلة الدقيقة عن هذا النوع من السير (سيرة الحسن البصري) إذ يعد هذا الكتاب « خلاصة ما قاله الحسن من مواعظ ابتداء ، وما أجاب به على ما وُجّه إليه من أقوال أو ملاحظ أو أسئلة » [4] ، مثل ذلك قول ابن الجوزي كاتب سيرة الحسن البصري : « روي عن الحسن البصري – رحمه الله – أنه كان يقول : قضاء حاجة أخ مسلم أحب إليّ من اعتكاف شهر ، وسأله رجل عن حسن الخلق ما هو ؟ فقال : البذل ، والعفو والاحتمال ، وكان يقول : مروءة الرجل : صدق لسانه واحتماله مُؤْنة إخوانه ، وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفه

[1] المرجع السابق ، ص : 23 .

[2] يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص : 30 .

[3] شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ط 4 ، دار المعارف ، ص : 19 .

[4] المرجع السابق ، ص : 19 .

الأذى عن جيرانه ... » [1] ، فلا شك أن هذا تجميع لأقوال أكثر منه رصد لمعالم سيرة الشخص المترجم له ، وكثيرة هي النماذج المشابهة للكتاب المذكور .

ومن جهة أخرى فليس التاريخ هو الذي استحوذ على النصيب الأكبر من هذا الفن الأدبي ، بل إن مادة التراجم والسير قد حوت « ثروة ضخمة من النصوص التاريخية التي عالجت مختلف ميادين الحياة الإنسانية التربية والنفسية والثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك من نظم الحياة الأخرى » [2] ، فأصبحت بذلك وثيقة مختلفة الاتجاهات والمشارب ، تساعد الباحث على تجلي الحقائق المرتبطة بفترة زمنية معينة ، وخصائص أفرادها .

ونقوم الآن بسرد أهم العناوين التي تمثل السير القديمة ، فأقدم سيرة وصلتنا هي السيرةا لنبوية لابن اسحاق وبعدها سيرة ابن هشام ، وتلتها سير أخرى ، نوجزها في هدا الجدول ، وتجدر الإشارة إلا أننا اعتمدنا على الترتيب التسلسلي حسب تاريخ الوفاة لكل مؤلّف ، وأوردنا تاريخ الميلاد والوفاة بالتأريخ الهجري والميلادي :

أولا : ســـــير قـــديـــمة		
السيرة	**كاتب السيرة**	**معلومات التوثيق**
السيرة النبوية (سيرة ابن اسحاق)	محمد بن اسحاق بن يسار (- 151 هـــ)	**حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها** : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي
السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)	أبو محمد عبد الملك ابن هشام (- 218)	**حققه وعلق عليه** : محمد حميد الله **الناشر** : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، مطبعة محمد الحاسب

[1] جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي ، آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ، تحقيق سليمان الحرش ، ط1 ، دار الصديق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـــ / 2005 م ، ص : 36 .

[2] محمد علي قاسم العمري ، فن التراجم عند المحدثين ، ص : 344 .

		بلد النشر : فاس ، المغرب **سنة الطبع** : 1396 هـ / 1976 م
الوصايا	أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (165 – 243 هـ / 781 – 857 م)	**تحقيق وتعليق وتقديم** : عبد القادر أحمد عطا **دار النشر** : الكتب العلمية **بلد النشر** : بيروت ، لبنان **الطبعة** : 1 **سنة الطبع** : 1406 م / 1986 م .
الاعتبار	أسامة بن منقذ مؤيد الدولة أبو مظفر الكناني الشيرزي (488 – 584 هـ / 1095 – 1188 م)	**حرره** : فليب حتي **دار النشر** : مكتبة الثقافة الدينية **بلد النشر** : القاهرة ، مصر
عيون الأنباء في طبقات الأطباء	موفق الدين أبو العباس السعدي المعروف بـ : ابن أبي أصيبعة (596 – 668 هـ / 1200 – 1270 م)	**تحقيق وشرح وضبط** : نزار رضا **دار النشر** : مكتبة الحياة **بلد النشر** : بيروت ، لبنان **سنة النشر** : 1965 م .
السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)	بدر الدين العيني (762 - 855 هـ / 1361 – 1451 م)	**تحقيق وتقديم** : فهيم محمد علوي شلتوت **راجعه** : محمد مصطفى زيادة **دار النشر** : دار الكتب المصرية **بلد النشر** : القاهرة ، مصر **الطبعة** : 2 **سنة الطبع** : 1998 م .

الفلك المشحون في أحوال ابن طولون	محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي (830 – 953 هـــ / 1475 – 1546 م)	**دار النشر** : مكتبة القدس **بلد النشر** : دمشق **سنة الطبع** : 1348 م .

ثانيا : أدب التـــرجمة

إن لمصطلح الترجمة سمات يشترك بها مع مصطلح السيرة ، ولا يمكننا ونحن نتحدث عن السيرة أن نغفل الحديث عن الترجمة لغة واصطلاحا ، مثلما كان منهجنا مع فن السيرة .

1 – ماهية الترجمة

يختلف مفهوم الترجمة من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي ، وحتى معناها الاصطلاحي له وجهان ، أحدهما هو المرغوب فيه في هذه الدراسة ، والآخر بعيد عن مجال الرسالة ، ويتضح الأمر من خلال هذه المعاينة :

أ– مفهوم الترجمة لغة :

يقول ابن منظور في مادة (**ترجم**) : « ترجم التُّرْجُمانُ والتَّرْجَمان: المفسِّر للسان. وفي حديث هِرَقْلَ: قال لتُرْجُمانه؛ الترجمان، بالضم والفتح: هو الذي يُتَرْجِم الكلام أَي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى، والجمع التَّراجِم ... » [1] ، من خلال هذه العينة من التعاريف ، فإن المفهوم اللغوي لا يحيلنا إلى المعنى المطلوب ، بل إلى معنى النقل من لغة إلى أخرى وهو ما يدعى باللغة الأجنبية بـــ (traduction) .

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ترجم) ، 5 / 426 .

ب – مفهوم الترجمة اصطلاحا :

الترجمة مصطلح واسع المفهوم واستعمالاته متعددة في لغتنا العربية ، فالترجمة تعرف اصطلاحا بأنها « فن من فنون الكتابة » [1] ، بحيث يجري الاصطلاح على استعمالها في الأوساط الأدبية لتدل على تاريخ الحياة الموجز للفرد [2] ، وليس المعنى هنا ، « هو النقل من لغة إلى أخرى »[3] مثلما رأينا مع معناها اللغوي الأصلي .

وباللغة الفرنسية نجد مصطلحات بعينها تدل على أنواع من الترجمة بمفهومها الاصطلاحي ، نلخصها في المتقابلات التالية[4] : الترجمة[5] للغير هي (biographie) والسيرة الذاتية هي (autobiographie)، والمذكرات هي (mèmoires) ...

وقد استعمـــل المصطلح غير مرة من طرف المترجمين القدامى في أهم مـــظان التراجم والسير على مر العصور ، وبمعناه الاصطلاحي الذي تحدثنا عنه ، فهذا ابن خلكان يوظف كلـــمة (**ترجمة**) بمعناها الاصطلاحي المراد في هذه الدراسة وفي عشرات المواضع مـــن كتابه (وفيات الأعيان) ، من ذلك ما ورد في ترجمته لأبي إسحاق المروزي : « ... وسيأتي **في ترجمة** القاضي أبي حامد أحمد بن عامر المرروذي الفقيه الشافعي بقية الكلام على هذين البلدين، إن شاء الله تعالى. » [6] ، **وفي** ترجمته لأبي إسحاق الشيرازي « ... وقد بسطت القول

---

[1] محمد علي قاسم العمري ، فن التراجم عند المحدثين ، ص : 343 .

[2] ينظر : يحيى إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص : 31 .

[3] أحمد مطلوب ، معجم النقد العربي القديم ، ج 1 (أ – ذ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989 م ، (ترجمة) ص : 381 .

[4] ينظر : عبد النور عواد ، معجم عبد النور المفصل ، (فرنسي عربي) ، طبعة منقحة ومزيدة ، دار العلم للملايين ، دار العلم للملايين ، ط8 ، تشرين الثاني / نوفمبر 2006 م ، 121 ، 87 ، 660

[5] Biographie " histoire écrite de la vie de qqn " : la grande Larousse illustré , volume 1 , 2005 .

[6] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص 27 .

في ذلك **في ترجمة** الشيخ أبي نصر عبد السيد بن الصباغ، صاحب الشامل »[1] ، ولا غرو في أن الكتاب له السبق في مجال أدب السير والتراجم .

ويكاد يكون الأمر نفسه بالنسبة لأدب التراجم مقارنة بأدب السير من حيث دور كل منهما في إثراء صفحات التاريخ ، بل وتفق عليها أحيانا كثيرة ، ففن التراجم قد « طغى إلى حد ما على فنون الكتابة التاريخية شطرا من الزمن ، سواء ما تعلق منه بترجمة حال قوم ، أو جيل أو أصحاب ملك أو خلافة أو وزارة أو أصحاب مذاهب فقهية أو سياسية أو فكرية أو شعراء أو نحاة ولُغويين أو زهاد ، بل تعدّاهم ذلك إلى الظرفاء والمتماجنين »[2] ، فأصبح هذا الفن محط أنظار الجميع وبغية الكثير من فئات المجتمع ، نظرا لتنوع مشاربه واختلاف المترجم لهم من حيث التوجهات والاهتمامات .

ومن ثمة فقد حوت مادة التراجم « ثروة ضخمة من النصوص التاريخية التي عالجت مختلف ميادين الحياة الإنسانية التربية والنفسية والثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك من نظم الحياة الأخرى »[3] ، لفئات متنوعة من المجتمع وعبر فترات مختلفة من التاريخ .

فهي بالتالي « تمتلك من مقومات الكشف عن واقع الحال فيما مضى من العصور بالإضافة إلى ما تضمنته كتب التاريخ العامة ما تستطيع من خلاله تحديد المستوى الفكري والحضاري لهذه الأمة في مختلف الأزمنة »[4] ، فهي خير معين لعلماء الاجتماع وعلماء النفس

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص 29 .

[2] محمد علي قاسم العمري ، فن التراجم عند المحدثين ، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة ، جامعة الدوحة ، 343

[3] نفسه ، 344 .

[4] نفسه ، 344 .

للكشف عن خبايا هذه الشخصية اجتماعيا وسيكولوجيا ، لما تحمله من بصمات فردية خاصة بالشخصية المترجم لها وكذا ميزات المجتمع الذي عاشت فيه .

وقد تمثلت أمامنا المئات من التراجم المدونة منذ أيام الإسلام الأولى وحتى عصرنا هذا ، لكن فئة قليلة من كتاب الترجمة الذاتية هم الذين خلّفوا أعمالا راعوا فيها تلك العناصر الفنية وبرعوا في إشاعة تلك الروح التي تشبع فينا الحاسة الجمالية »[1] ، إذ لم يعد هذا النوع من الفن حكرا على صاحب اليراع المبدع أو الأسلوب المميز بل توسع الأمر ليشمل كل من أراد أن يؤرخ لحياته أو حياة غيره ، فأضحت الترجمة في كثير من المظان سجلا تاريخيا فحسب .

و لم يختلف الأمر بين القدماء والمحدثين في الميل للترجمة الذاتية بل نهج المحدثون « نهج قدمائنا في الترجمة لأنفسهم وقد اطلع من أتقن منهم اللغات الأجنبية على ما لدى الفرد من ترجمات شخصية ، فكان القديم العربي والجديد الغربي باعثا لهم على الترجمة لأنفسهم »[2] ، ومن مختلف الاختصاصات والمجالات الحياتية .

ومن المتداول أيضا في أدب الترجمة « أن يكتب الابن ترجمة أبيه والغريب ترجمة من يتصل به بنسب أو سبب ومنها أن يكتب التلميذ ترجمة شيخه ومنها أن يكتب الرصيف ترجمة رصيفه وعصريه وفاء لحقه ونشرا لفضله (...) ومنها أن يتتبع العالم تراجم العلماء من معاصريه فمن قبلهم »[3] ، فقد تكون من باب الوفاء أو الاعتراف بالجميل أو الإعجاب ، وكلها ساهمت في إثراء أدب الترجمة بشكل أو بآخر .

---

[1] يحيى إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 11 .

[2] شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 120 .

[3] بكر بن عبد الله أبو زيد ، العلماء الذين ترجموا لأنفسهم (السيرة الذاتية) ، ط1 ، الرياض ، 1405 هـ ، 18 .

ونشير إلى أن هناك تداخل في المصطلحات ، مثل ورود عبارة (**السيرة الذاتية**) و(**الترجمة الذاتية**) وكلاهما يدلان على كتابة تفاصيل المترجم له من طرف الكاتب نفسه والذي استقر في ذهننا هو المعادلة بين السيرة الذاتية والترجمة الذاتية مع بعض الفروق الشكلية البسيطة ، اعتمادا على أن السيرة أطول من الترجمة .

وقد أُلفت المصنفات في تثبيت تراجم أعلام في مختلف التخصصات كالدينية[1]، والأدبية[2] ، والعامة أيضا [3].

بعد هذا العرض المستفيض حول السيرة والترجمة نتساءل هل من فرق واضح بينهما ؟ وهل حدوده واضحة من غير تداخل ولا تقاطع بين المفهومين ؟

إن لفظتي (**ترجمة**) و (**سيرة**) « كانتا تدوران على معنى (تاريخ الحياة) وقد اتخذ التأريخ للفرد صورا مختلفة لدى العرب وكانت السيرة أولى هذه الصور وقُصد بها حياة الرسول الكريم ومغازيه »[4] ، إلى أن تداخل اللفظان وأصبح من النادر الفصل بينهما ، وأضحى الحديث عن هذا الفن لا يكتمل إلا باقترانهما معا فنقول : أدب السير والتراجم .

---

[1] على شاكلة ما ألفه الآمدي في طبقات القراء ، ينظر : أبو القاسم الحسن الآمدي (؟ - 370 هـ / 980 م) المؤتلف والمختلف في أسماء القراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم صححه وعلق عليه : ف. كرنكو الطبعة : 1 دار النشر : الجيل بلد النشر : بيروت ، لبنان سنة النشر : 1411 هـ / 1991 م .

[2] مثلما ألف ابن الأحمر الغرناطي عن الشعراء والأدباء ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي (725 – 807 هـ / 1325 – 1405 م) مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب حققه وقدم له : محمد رُضوان الداية الطبعة : 1 دار النشر : عالم الكتب ، سنة النشر : 1406 هـ / 1986 م

[3] مثلما ألف السخاوي في تراجم أعلام لا تربطهم رابطة صنعة أو علم واحد ، ينظر : شمس الدين محمد السخاوي (1427 – 1497 هـ / 831 – 902 م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع دار النشر : مكتبة الحياة بلد النشر : بيروت ، لبنان .

[4] يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، 30 .

ثالثا: المعاجم والطبقات في أدب السيرة والتراجم:

إن الحديث عن أدب التراجم والسير يجرنا للحديث عن كتب الطبقات ومعاجم الأعلام في مسيرة التاريخ الإسلامي والغربي ولكننا نكاد نجزم أنه « ربما لم ينح لأمة أخرى أن تعنى بتأليف المعاجم عن الرجال كما عُني المؤلفون المسلمون بها وتنوعت تلك الكتب وتعددت على مدى العصور حتى أصبح حصرها عبءا مُعجزا » [1] ، على الباحث في هذا المجال الخصب من تراثنا العربي التليد ، فهي تشكل زخما فكريا متميزا ، ألقى بظلاله على الثقافة العربية .

ومما يبرز انشغال المسلمين بمعاجم السير والمتمثلة في كتب الطبقات والتراجم هو امتلاء المكتبة العربية بمعاجم مختلفة جعل مصنفوها أعلام كل علم على حدة ، فنجد معاجم محصورة في أعلام الأدب وأخرى في الفقه والحديث ، وغيرها في المذاهب الفقهية [2]وغير ذلك من العلوم والفنون ، قديما وحديثا ، سواء التي وصلت إلينا أو التي فقدت عبر السنين .

والأمر نفسه بالنسبة لطبقات السير والتراجم ، بحيث أكثر المصنفون في إفراد كتبهم للأعلام ، على شكل طبقات في مختلف العلوم والفنون ، وأخرى عامة[3] .

---

[1] إحسان عباس ، فن السيرة ، ص : 15 .

[2] مثل ذلك ما ألفه البغوي ، ينظر : أبو القاسم البغوي (214 – 317 هـ / 830 – 929 م) معجم الصحابة دراسة وتحقيق : محمد الأمين أحمد الجكني دار النشر : مكتبة دار البيان ، بلد النشر : الكويت ،

[3] من التصنيف في الطبقات العامة ما ألفه خليفة بن خياط ، ينظر : أبو عمرو خليفة بن خياط كتاب الطبقات عن أبي عمرو خليفة بن خياط تحقيق : سهيل زكار دار النشر : مطابع وزارة الثقافة والساسة والإرشاد القومي بلد النشر : دمشق الطبعة : 1 ، سنة الطبع : 1966 م ، ومن التصنيف في طبقات أعلام بعينهم ، ما ألفه الصالحي ، ينظر : أبو عبد الله بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي ، 744 هـ طبقات علماء الحديث تحقيق : أكرمن البوشي وإبراهيم الزيبق دار النشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : 2 ، سنة الطبع : 1417 هـ / 1996 م ، وعن أعلام الشعراء كتب ابن المعتز ، ينظر : ابن المعتز طبقات الشعراء تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار النشر : المعارف ، بلد النشر : مصر .

رابعا: تراجم النساء وتراجمهن:

إن الحديث عن السير والتراجم ليس حديثا مقصورا على آدم وحسب ، بل هو حديث عن شقيقته حواء أيضا إذ لم يقص مؤرخو التراجم والسير المرأة من تصنيفاهم « فمؤلفو التراجم عندنا قد أنصفوا المرأة حين وضعوها في قوائم أعمالهم ، فأفردوا بعض النساء في ترجمة خاصة أو ترجموا لهن مع الرجال على السواء في كتب التراجم العامة » [1] .

بل وجمعت تراجم النساء في كتب منفصلة من أشهرها : كتاب : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة ، الذي يقول في مقدمة كتابه : « لقد حاولت جهد استطاعتي في البحث والتفتيش عن أكبر عدد يمكنني جمعه من شهيرات النساء اللاتي خلفن في مجتمعي العرب والإسلام أثرا بارزا في العلم والحضارة والأدب والفن والسياسة والدهاء والنفوذ والسلطان والبر والإحسان والدين والصلاح والزهد والورع إلخ ... مما يُميط الّلثام عن الأدوار المختلفة التي قضتها المرأة في تاريخ العرب والإسلام » [2] ، وما هذا المؤلف إلا نموذج عن الكثير من التصانيف التي عنيت بالترجمة للنساء في مجالات متعددة وعبر مختلف العصور حتى وقتنا الراهن .

فقديما نجد ابن سعد مثلا في طبقاته قد اعتنى بترجمة نساء مسلمات ومهاجرات من قريش والأنصاريات المبايعات وغرائب نساء العرب وغيرهن [3] ، ونجد نفس المسار في وفيات الأعيان لابن خلكان أيضا ، إذ ترجم لسيدات عربيات واثبت تراجمهن .

---

[1] محمد عبد الغني حسن ، وآخرون ، التراجم والسير ، دار المعارف ، مصر ، 77 .

[2] محمد علي قاسم العمري ، فن التراجم عند المحدثين ، 343 .

[3] ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ابن سعد ، طبقات ابن سعد ، أم حبيب بنت ذؤيب ، 10 / 459 .

خامسا: مميزات السير والتراجم :

كثيرة هي مميزات التراجم والسير وسنقتصر في هذا العرض على الإشارة إلى أهمها ، بحيث نتناول بشيء من الاختصار الترجمة والسيرة بين الطول والقصر ، وبين الإنصاف والتحامل ، ومدى تحري كاتب الترجمة والسيرة للحقيقة وعنايته بتواريخ الولادة والوفاة ، وجاءت هذه المميزات على النحو التوالي :

أ – الترجمة والسيرة بين الطول والقصر :

إن حجم الترجمة والسيرة متفاوت ، بحيث قد « تطول التراجم أو تقصر ، وقد تفيض أو تغيض تبعا لاعتبارات كثيرة يرجع بعضها إلى كاتب الترجمة أو السيرة وبعضها إلى المترجم لهم » [1] ، فإن وجدت المادة العلمية المتعلقة بالمترجم له ، جال المترجم وصال في نواحي حياته ، وقد تكون لاعتبار الشهرة وذيوع الصيت مثل ذلك نجده من ترجمة ابن خلكان لجعفر البرمكي ، إذ أتاحت المادة العلمية والشهرة والأحداث المختلفة والمتنوعة لترجمته في قرابة 21 صفحة [2] ، حتى أنه قال : ... **وقد طالت هذه الترجمة، ولكن شرح الحال وتوالى الكلام أحوج إليه.** » [3] ، بينما ترجم لأبي ثور صاحب الشافعي في أقل من 8 أسطر [4] ، نظرا لعدم شهرته وذيوع صيته .

ب – الترجمة والسيرة بين الإنصاف والتحامل :

إن الحياد مطلوب في كتابة الترجمة أو السيرة مع أنه ليس من السهل أن يكون المترجم منصفا ،وصعوبة هذا الأمر تكمن في اتخاذ الهوى سبيلا لنفس الإنسان ، ويؤكد السخاوي صاحب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، على ضرورة الإنصاف والتجرد من الهوى ، بحيث اشترط في كاتب الترجمة والسيرة أن « لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه ، والتقصير في غيره وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ! ويسلك معه

[1] محمد عبد الغني ، التراجم والسير ، 80 .
[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص 328 – 341 و342 – 346 و472 – 475 .
[3] نفسه ، ج 1 ، ص 341 .
[4] نفسه ، ج 1 ، ص 26 .

طريق الإنصاف ، وإلا فالتجرد من الهوى عزيز » [1] ، وتختلف أسباب تحامل المترجم له فلا يملك زمام هواه إن كان معاصرا له بسبب المنافسة في الصنعة الواحدة والمشيخة وما ينجر عنهما.

ج- **الترجمة والسيرة تحت تحري الحقيقة** :

على المترجمين وكُتاب السير تحري الحقيقة في كتاباتهم ، فـ« التحقيق ومعارضة الحقيقة هي من شروط المترجمين وكُتاب السير ، كما هي من شروط المؤرخين ، فالتأريخ لحياة الأفراد والجماعات لا يعدو أن يكون نوعا من التاريخ العام » [2] ، وعليه فالالتزام بالموضوعية يعد من أهم ما يميز هذا النوع من الكتابة ، وعلى المترجم أو كاتب السيرة أن لا يجزم بما ليس متأكدا منه ، وأن يقارن بين الروايات ويرجح الأصوب .

مثل هذا التحفظ على المشكوك في صحته ما نجده من منهج بعض المترجمين على شاكلة ياقوت الحموي في معجم الأدباء « الذي كان يحقق المسائل ويُبدي فيها بالرأي الحسن ولا يجزم في مسألة بما لم ينته إليه يقينه » [3] ، بحيث نلفيه يوظف عبارات بعينها مثل (أظن ، أحسب ...) في حالة عدم يقينه ، مثل قوله في ترجمة إبراهيم بن سعيد بن الطيب :« قال لي أبو أحمد: ولد أبو سعيد بسيراف ، وفيها ابتدأ بطلب العلم، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة. قال المؤلف: وبها قرأ **فيما أحسب** على المبرمان. قال: كان فقيهاً على مذهب العراقيين، وورد إلى بغداد ، ... » [4].

كما نجد ابن خلكان يوظف عبارات (والذي أعلمه ، والذي أعرفه) في حالة تثبته من المعلومة أو الرواية مثل قوله في ترجمة يعقوب الصفار « ثم قال عقيب هذا: وورد الخبر بوفاة يعقوب في شوال، ولم يذكر السنة، فيدل على موته في تلك السنة. **والذي أعرفه** من عدة

---

[1] محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1986 م ، 124 .

[2] محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 84 – 85 .

[3] المرجع السابق ، 84 – 85 .

[4] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 2 ، ص 877 .

تواريخ خلاف هذا، فإن أبا الحسين السلامي ذكر في كتاب " تاريخ أخبار ولاة خراسان "، في أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار ... » [1] .

– العناية بتاريخ الميلاد والوفاة :

من الحق أن نشير ونحن نتحدث عن مميزات التراجم والسير ومن خلال اطلاعنا على العديد منها أن « اهتمام كتاب التراجم ومؤرخي المسلمين بالوفيات أكثر من المواليد » [2] ، بدليل احتفاظ التاريخ بمؤلفات ضبطت على تـــاريخ الوفاة عـــلى شاكلة (وفيات الأعيان) لابن خلكان و كتاب (فوات الوفيات) للصفدي .

وبعد سرد مجمل لمميزات فني السيرة والترجمة ، نشير إلى أن هناك نوع من التداخل بين السيرة والأجناس الأدبية الأخرى ، ففي كثير من الأحايين نجد المؤلف وقد استخدم تفاصيل حياة أحد المشاهير وأسقطها على عمله الأدبي مثلما فعل عاصم الجندي مثلا حينما ألّف رواية تاريخية أسماها (عز الدين القسام) ، فجمع بين السيرة الغيرية وفن مداعبات القلم الروائي ، وقد قال : « ... كل ما أتمناه هو أن لا يحاسبني الآخرون على أساس أنني مؤرخ » [3] ، وهكذا نجد أنا لتداخل بين السيرة أو الترجمة وبقية الأجناس الأدبية وارد .

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 6 ، ص 420 .
[2] محمد عبد الغني ، التراجم والسير ، 86 .
[3] عـــاصم الجندي ، عز الدين القسام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، شباط (فبراير) ، 1975 م ، 05 .

الفصل الثاني

السيرة النبوية

أولا : السيرة النبوية

السيرة [1] النبوية هي مجموع ما ورد لنا من وقائع حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخُلقية والخَلقية، مضافا إليها غزواته وسراياه ﷺ ، وهي السبيل إلى فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أنه ﷺ لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده.

فهي تجعل بين يدي الإنسان صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، يتمسك به ويحذو حذوه، فقد جعل الله تعالى الرسول محمدًا ﷺ قدوة للإنسانية كلها، حيث قال سبحانه: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ » [2] .

كما أنها تعين على فهم كتاب الله وتذوق روحه ومقاصده ، فكثير من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ ، كما أنها صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، فهي تكوّن لدى دارسها أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية ، سواء ما كان منها متعلقًا بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق.

ثانيا : مصادر السيرة النبوية :

تعتمد دراسة السيرة النبوية على مصادر متنوعة منها الأصلية ومنها الفرعية أو التكميلية ، فمن المصادر الأصلية نجد القرآن الكريم بالدرجة الأولى ، ثم يلي ذلك كتب الحديث من حيث الصحة ، وكذا كتب المغازي والسير ، وغيرها .

[1] سبق التعريف بالسيرة لفظا واصطلاحا في الفصل الخاص بالسير والتراجم في الأدب العربي .

[2] الأحزاب / **21** .

لقد اهتم المسلمون ومنذ زمن طويل بسيرة الرسول ﷺ، وبذلك نجد مؤلفات عديدة جامعة عدت في مجملها مصادر منها الأصلية ومنها الفرعية[1] .

ويعد القرآن الكريم أول هذه المصادر مع ما رافقه من تفاسير مختلفة وقفت عند الآيات التي تناولت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن اهم هذه التفاسير تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وتفسير الطبري .

ويلي القرآن من حيث الأهمية كتب الحديث النبوي والشمائل والدلائل باحتوائها على الكثير من التفاصيل الجزئية فهي تقدم مادة واسعة مفصلة للسيرة النبوية وعلى رأس القائمة صحيحي البخاري ومسلم ، وغيرهما .

دون أن نغفل كتب المغازي والسير منها مغازي الواقدي وسيرة ابن اسحاق وسيرة ابن هشام ، وفي ما يلي تفصيل لأهم هذه المصادر التي اعتمدت للتعرف على السيرة النبوية ودراستها .

وأما المصادر التكميلية[2] فهي لا تختص بالسيرة أو التاريخ بل تتناول موضوعات أخرى لكنها تفيد في حقل دراسة السيرة مثل كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرجال والتراجم وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الفقه وكتب الأنساب ومعاجم اللغة ، وفي ما يلي توضيح لما ذكرنا :

---

[1] هناك بحثين متكاملين تحدثا عن مختلف المصادر الأصلية والفرعية للسيرة النبوية ، ينظر : مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، ط 1 ، 1412 هـ / 1992 م ، وفاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، دار القلم ، دمشق ، ط 3 ، وعليها اعتمدنا على وجه الخصوص .

[2] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، 71 .

1 – القرآن الكريم وتفاسيره :

معلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأصلي والمنهل الأول لاستقصاء أخبار الأنبياء عليهم السلام ، لقطعية ثبوته ، والأمر نفسه يقال عن حياة محمد ﷺ [1] ومعالم سيرته الطاهرة ، فالأصل أن نرجع للقرآن الكريم ، ثم نأتي للسنة النبوية لنرتشف منها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما ألف عن رسول الله ﷺ.

وبما أن السيرة النبوية هي الأحداث المتعلقة بحياة رسول الله ﷺ منذ مولده حتى وفاته فإنها لا تخرج عن عناصر خمسة [2] وردت مجملة في القرآن الكريم ، وقد دارت بين مواقف وأحداث تراوحت بين وصف السيرة الذاتية لرسول الله ﷺ من ولادة ونشأة وزواج وخدم ومتاع أو نبوته ﷺ والرسالة الجامعة التي أتى بها لهداية البشر أو وصف للغزوات والسرايا أو ما تعلق بما عرف به من شمائل تضم آدابه وأخلاقه إضافة إلى الخصائص التي امتاز بها .

فمن حديث القرآن عن نشأة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عز وجل : « أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ » [3] ، وهذا مما يساعدنا على فهم جوانب من الحالة التي كان عليها محمد ﷺ خلال نشأته ، كما صورت آيات أخر كيف نزل الوحي ... بدأ نزول الوحي على الرسول ﷺ، في قوله تعالى:« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِىَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ

---

[1] في هذا المجال ينظر لدراسة جادة قام بها صاحبها بجمع كل ما ورد عن السيرة النبوية في القرآن الكريم ، محمد عزة دروزة ، سيرة الرسول – صور مقتبسة من القرآن الكريم، (جزئين) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان .

[2] ينظر : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، السيرة النبوية من خلال كتب التفسير ، 11 – 22 .

[3] الضحى : 06 – 08 .

تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ » [1] ، فنلاحظ في هذه الآيات كيف هيأ الله تعالى نبيه لحمل الرسالة وأمره بهجر النوم والراحة والاستعداد لمواجهة الصعاب والكد والنصب .

وقد تفرد القرآن الكريم بأمر مهم في السيرة النبوية دون بقية المصادر الأخرى ، وهو تبيلان حالة النبي صلى الله عليه وسلم النفسية ، وتصوير خلجاتها[2] وهذا عبر كثير من المواطن في كتاب الله ، مثل ذلك تصوير القرآن لحسرته صلى الله عليه وسلم ومدى تأثره لما كان من موقفهم اتجاه دعوته صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : « فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ » [3] ، وفي قوله أيضا : « أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ » [4] ، وغير ذلك من الآيات لنفس الموقف ، ولمواقف أخرى من حياة الرسول ﷺ.

أما كتب التفسير فهي وجهة الباحث عن السيرة النبوية ، لما لها من دور في ايضاح وتبيين النص القرآني ، وما تعلق بأسباب النزول مثلا والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ، فقد حوت الكثير من الأسانيد التي تروي عن الصحابة والتابعين الأحداث التاريخية التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتي تعد من أهم ما يميز السيرة النبوية ، ولا بد هنا من الرجوع لما تسمى بكتب التفسير بالمأثور[5] التي ساقت الأحاديث النبوية المسندة أثناء تفسير الآيات القرآنية ، على

---

[1] المزمل : **01 – 09** .

[2] ينظر : فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، **43** .

[3] الكهف : **06** .

[4] فاطر : **08** .

[5] هو التفسير الذى يعتمد على صحيح المنقول المتواتر أو غير المتواتر عن طريق تفسير القرآن بالقرآن نفسه وتفسير القرآن بالسنة النبوية وتفسيره أيضا بأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم ، ينظر : صفوت بن مصطفى

شاكلة تفسير الطبري (– 310 هـــ) وتفسير ابن كثير (– 774 هـــ) ، ومن المتأخرين السيوطي (–911 هـــ) والذي كان ممن لخصوا هذه التفاسير من المتأخرين في مصنفه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) [1] .

2 – الحديث النبوي الشريف

تعد كتب الحديث النبوي مصدر خصب للتعرف على سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم ، إذ عنيت بجمع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وكثيرا من الأحداث التي حفلت بها سيرته من ذلك ما نجده في صحيح البخاري بحيث أفرد مؤلفه أبوابا للحديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وبعده وعن مغازيه وسراياه وعن آل بيته وصحابته عليه الصلاة والسلام [2]، وكذا الإمام مسلم الذي نجده قد أفرد هو الآخر كتبا وأبوابا للحديث عن السيرة النبوية منها إدراجه لفضائل النبي صلى الله عليه وسلم [3] .

وقد استدرك بعض مصنفي السنن الأربعة أحاديث نبوية تشير إلى جوانب من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثرها ذكرا للسيرة النبوية جامع الإمام الترمذي تحديدا في أبواب المناقب[4].

خليلوفتش البوسنوي ، التفسير بالمأثور : أهميته وضوابطه (مع دراسة تطبيقية لسورة النساء) ، دار النشر للجامعات ، 1999 م ، ط 1 ، مصر ، 34 .

[1] ينظر : جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، ط 1 ، 1424 هـــ / 2003 م .

[2] ينظر : كتاب بدء الوحي ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 13 – 16 ، كتاب فضائل الصحابة ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 05 – 36 ، كتاب مناقب الأنصار ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 37 – 80 ، كتاب المغازي ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 81 – 188 ، كتاب الجهاد والسير ، صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 301 – 384.

[3] ينظر : كتاب الفضائل ، صحيح مسلم ، ص 1249 – 1294 .

[4] ينظر : أبواب المناقب ، الجامع الكبير ، ج 6 ، ص 05 – 225 .

ويلاحظ على الأحاديث الواردة سواء في كتب التفسير أو في كتب السنن والمسانيد والمستدركات أنها لا تخلو من الضعيف والواهي والموضوع ، لذلك فتمحيص أسانيد هذه الأحاديث والتنبيه على درجتها من الصحة واجب ، وفقا لمعايير أئمة أهل الجرح والتعديل .

3 – كتب الشمائل

كتب الشمائل مصدر من مصادر السيرة النبوية[1] ، والمقصود بكتب الشمائل هي الكتب التي ركز فيها مؤلفوها على ذكر الصفات الخَلقية والخُلقية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعاداته وفضائله وسلوكه عليه الصلاة والسلام ، وهذا رغم أن معظم الأحاديث النبوية المتعلقة بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم نجدها مبثوثة بين صفحات كتب الحديث النبوي ، ومن الذين أفردوا شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم بالتصنيف نجد الترمذي حينما صنف كتاب الشمائل[2] .

4 – كتب دلائل النبوة

كتب الدلائل هي التي ألفها أصحابها بقصد جمع المعجزات التي ظهرت على يد الرسول ﷺ، مما يدل على نبوته ﷺ، وسميت معجزات لانا لخلق قد عجزوا على الإتيات بمثلها ، ومن أشهر هذه المؤلفات دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني[3] ، ودلائل النبوة للبيهقي[4] .

---

[1] **ينظر : مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، 19 ، وفاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 64 .**

[2] **ينظر : الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، حققه وخرج أحاديثه الشيخ ماهر ياسين الفحل ، أشرف عليه وراجعه بشار عواد معروف ، ط 1 ، 2000 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .**

[3] **ينظر : الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة ، حققه الدكتور محمد رواس قلعه جي ، عبد البر عباس ، دار النفائس ، بيروت ، ط 2 ، 1406 ه / 1986 م .**

[4] **ينظر : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دار الريان للتراث ، ط 1 ، 1408 ه / 1988 م .**

5 – كتب المغازي والسير

كتب المغازي والسير[1] هي الكتب التي تهتم بذكر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته وذكر مبعثه وما قام به من غزوات ضد أعدائه وتفصيل ذلك ، وأصل كتب مادة المغازي والسير هي مرويات كتب الحديث النبوي ، قبل أن تنفرد بالتخصص ، وسبق وأن تناولناها بكثير من التفصيل .

6 – كتب ألفت في تاريخ الحرمين (مكة والمدينة)

لقد أفرد العلماء كتبا خاصة في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كانت في ما بعد مصدرا من مصادر التعرف على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهم الكتب المؤلفة في تاريخ الحرمين كتاب (تاريخ مكة) لأبي الوليد الأزرقي (– 250 هـ)[2] .

7 – كتب التاريخ العام

هذا الصنف من المؤلفات يُعنى بالتأريخ للأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام

وبعده إلى زمن المؤلف [3] ، كانت في ما بعد مصدرا من مصادر التعرف على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهم الكتب المؤلفة في تاريخ الحرمين كتاب (تاريخ الأمم والرسل والملوك) للإمام الطبري (– 310 هـ)[4] .

---

[1] ينظر : مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، 40 ، وفاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 124 .

[2] ينظر : محمد بن أحمد بن الضياء ، لمحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الثانية ، 1424هـ – 2004م .

[3] ينظر : مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، 41 ، وفاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 128 .

[4] ينظر : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والرسل والملوك) ، ط 3 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1413 هـ / 1992 م .

8 – كتب الأدب واللغة

وهي كل المؤلفات التي تدخل في نطاق الشعر والنثر[1] ، خصوصا التي عاصرت الدعوة الإسلامية ، سواء من المسلمين أو من الكفار ، ومن أهم الكتب التي تضمنت نصوصا نبوية كتب الجاحظ كالبيان والتبيين [2] (– 255 هـــ) ، والمعارف [3]والشعر والشعراء[4] لابن قتيبة (– 276 هـــ) ونشير إلى أن بعض هذه الكتب صحيح وبعضها الآخر مكذوب ، الكامل في اللغة والأدب للمبرد (– 286 هـــ) ، وغير ذلك من المصنفات .

محط عناية المسلمين منذ الصدر الأول من الإسلام ، وقد ظهرت عناية المسلمين بالمغازي والسير عند الصحابة وأبنائهم رضي الله عنهم ، من خلال ما كانوا يسؤولنه لآبائهم حرصا منهم على معرفة كل تفاصيل سيرة رسولهم عليه الصلاة والسلام .

إلى جانب هذا فقد دون لنا المتقدمون كتب التراجم والطبقات والمعاجم ، التي تخدم كتب الحديث ، وتترجم للصحابة والتابعين وتابعي التابعين ورواة الحديث ، وفي نفس الوقت فيها الكثير من الأحاديث الخاصة بالسيرة النبوية ، مثل طبقات ابن سعد والإصابة لابن سعد والاستيعاب لابن عبد البر .

ثم جاء بعد هذه القرون الأولى كتاب بدؤوا يجمعون هذه المصادر المتقدمة كل حسب رغبته ومنهجه ، فانتقوا منها ، وعزوا إليها وهي ما تسمى بـــ (المصادر الفرعية) ، على

---

[1] ينظر : مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، 44 ، وفاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 141 .

[2] ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين (1 – 2) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الناشر الخانجي ، القاهرة ، مصر ، 1405 هـــ / 1985 م .

[3] ينظر : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعارف ، حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة .

[4] ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة .

شاكلة الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم[1] لعياض بن موسى اليحصبي (– 544 هـــ) ، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لأبي الفتح ابن سيد الناس[2] (734 هــ) ، وغيرهما من المصادر الأخرى[3] .

ثالثا : شروحات السيرة النبوية [4]:

لقد نالت السيرة النبوية من الشرح والتلخيص والتهذيب الشيء الكثير إذ لم تبق منذ دوّنها ابن اسحاق على حالها ، بل تعرض لها المصنفون بالشرح والاختصار والتهذيب ، وسيرة ابن هشام هي أصلا تهذيب لسيرة ابن اسحاق ، وسيرة ابن هشام بدورها تناولها الدارسون بالأشكال المذكورة ، وسنخصص هذه الصفحات للحديث عن مختلف شروحات واختصارات وتهذيبات السيرة النبوية لابن هشام .

إن الحديث عن شروحات السيرة النبوية هو حديث في المقام الأول عن أبي القاسم عبد الرحمن السُّهَيْلي – 581 هــ الذي – عُني بسيرة ابن هشام فكان جهده بمنزلة الشرح والتعليق لها من خلال الروض الأنف[5] ، الذي يقول في مستهله مبينا عن الغاية من تأليف الكتاب : « (وبعد) فإني قد انتحيت في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطول ، والاستعانة من له القدرة والحول . إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي

---

[1] ينظر : القاضي عياض ، كتاب الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى ، ط 2 ، 1413 ه / 1993 م .

[2] ينظر : الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد العيد خطراوي ، محيي الدين مستو ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت .

[3] وقد جمع فتحي الإبياري العشرات من المؤلفات عن السيرة النبوية التي تصدى لها الكثير من المؤلفين من كتاب ومفكرين وأدباء وباحثين في أنحاء العالم ورؤى جديدة في السيرة العطرة تحت مسمى (المحمديات) في ثلاثة أجزاء ، ينظر : فتحي الإبياري ، المحمديات ، ج1 ، ج2 ، الهيئة المصرية ، 1995 م .

[4] عن الشروحات في تراثنا العربي ينظر الملحق.

[5] ينظر : أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، علق عليه ووضع حواشيه : مجدي بن منصور بن سيد الشوري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحق المطلبي ، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النسابة النحوي مما بلغني علمه ، ويُسِّر لي فهمه : من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلِق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته ، مع الاعتراف بكلول الحد عن مبلغ ذلك الحد ، فليس الغرض المعتمد أن أستولي على ذلك الأمد ، ولكن ينبغي أن يُدَعَّ الجحش عن بَذَه الأعيار ، ومن سافرت في العلم همته ، فلا يلق عصا التسيار ، وقـــد قال الأول :

افعل الخَيْر ما استطَعْتَ وإن كـــا ✿✿✿ نَ قـــليلا فـــلَن تحيط بكـــلِّه

ومـــتى تبلُغ الكثير من الفـــَضْـــ ✿✿✿ ـــلِ إذا كـــُنْتَ تـــارك لأقـــلّه

نسأل الله التوفيق لما يرضيه ، وشكرا يستجلب المزيد من فضله ويقتضيه » [1] .

بهذه المقدمة أبان السهيلي نهجه في تصنيف كتابه حتى أصبح لازما لسيرة ابن هشام بما بذله من جهد واضح في الشرح .

وفي ما يلي نمثل لطريقة السهيلي في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، بايراد الأصل ثم الشرح:

يقول ابن هشام في السيرة النبوية تحت مسمى : أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمّهَاتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

« قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فَوَلَدَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَسُولَ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – سَيّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمّدَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ . وَأُمّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ .

وَأُمّهَا : بَرّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ .

---

[1] **ينظر : أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، 16 / 17** .

وَأُمّ بَرّةَ أُمّ حَبِيبِ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ .

وَأُمّ أُمّ حَبِيبٍ بَرّةُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُوَيْجِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَرَسُولُ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا ، وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . » [1]

ويعلق السهيلي شارحا ما يراه مناسبا للايضاح تحت نفس المسمى في هامش الصفحة بقوله :

أُمّهَاتُ النّبِيّ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ –

« ذَكَرَ فِي آخِرِهِنّ بَرّةَ بِنْتَ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُوَيْجِ بْنِ عَدِيّ وَهُنّ كُلّهُنّ قُرَشِيّاتٌ وَلِذَلِكَ وَقَفَ فِي بَرّةَ وَإِنْ كَانَ قَدْ ذَكَرَ أَهْلُ النّسَبِ بَعْدَ هَذَا : أُمّ بَرّةَ وَأُمّ أُمّهَا ، وَأُمّ أُمّ الْأُمّ وَلَكِنّهُنّ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ . قَالَ مُحَمّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَأُمّ بَرّةَ قِلَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكُ بْنُ طَابِخَةَ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ غَادِيَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ لِحْيَانَ بْنِ هُذَيْلٍ ، وَأُمّ قِلَابَةَ أُمَيْمَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ غَنْمِ بْنِ لِحْيَانَ بْنِ غَادِيَةَ بْنِ كَعْبٍ وَأُمّ أُمَيْمَةَ : دَبّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ لِحْيَانَ بْنِ غَادِيَةَ وَأُمّهَا : بِنْتُ يَرْبُوعِ بْنِ نَاضِرَةَ بْنِ غَاضِرَةَ] كَهْفِ الظّلْمِ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَذَكَرَ الزّبَيْرُ قَلَابَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ وَزَعَمَ أَنّ أَبَاهَا الْحَارِثَ كَانَ يُكَنّى : أَبَا قَلَابَةَ وَأَنّهُ أَقْدَمُ شُعَرَاءِ هُذَيْلٍ ، وَذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ

لَا تَأْمَنَنّ وَإِنْ أَمْسَيْت فِي حَرَمٍ *** إنّ الْمَنَايَا بِجَنْبَيْ كُلّ إنْسَانِ
وَاسْلُكْ طَرِيقَك تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ *** حَتّى تُلَاقِيَ مَا مَنّى لَك الْمَانِي

بَابُ مَوْلِدِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، تحقيق شلبي السقا والأبياري ، ص : 1 / 110 .

ذَكَرَ نَسَبَ أُمّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ وَأَنّ زُهْرَةَ هُوَ ابْنُ كِلَابٍ وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ أَنّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عُرِفَ بِهَا بَنُو زُهْرَةَ ، وَهَذَا مُنْكَرٌ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَإِنّمَا هُوَ اسْمُ جَدّهِمْ – كَمَا قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ وَالزّهْرَةُ فِي اللّغَةِ إشْرَاقٌ فِي اللّوْنِ أَيّ لَوْنٍ كَانَ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنّ الْأَزْهَرَ هُوَ الْأَبْيَضُ خَاصّةً وَأَنّ الزّهْرَ اسْمٌ لِلْأَبْيَضِ مِنْ النّوّارِ وَخَطّأَ أَبُو حَنِيفَةَ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ إنّمَا الزّهْرَةُ إشْرَاقٌ فِي الْأَلْوَانِ كُلّهَا ، وَأَنْشَدَ فِي نُورِ الْحَوْذَانِ وَهُوَ أَصْفَرُ

تَرَى زَهْرَ الْحَوْذَانِ حَوْلَ رِيَاضِهِ ***يُضِيءُ كَلَوْنِ الْأَتْحَمِيّ الْمُوَرّسِ

وَفِي حَدِيثِ يَوْمِ أُحُدٍ : نَظَرْت إلَى رَسُولِ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَعَيْنَاهُ تُزْهِرَانِ تَحْتَ الْمِغْفَرِ ... » [1] .

ويواصل السهيلي على هذا المنوال بالشرح في مصنفه كتاب السيرة النبوية لابن هشام ، وذلك بأن يعرض سيرة ابن هشام ، شارحا ما أبهم من كلمات ومعان ، ويزيد أكثرها إيضاحا وبيانا ، مثلما رأينا في المثال السابق وإذا وجد نسب غامض أزال الغموض الذي يكتنفه ، وأحيانا نجد يقف عند بعض الكلمات لإعرابها ، فجعل بعمله ذاك سيرة ابن هشام سهلة يسيرة في متناول يدي القارئ العادي .

وفي النسخة المحققة للروض الأنف التي بين أيدينا كتاب السيرة لابن هشام في أعلى الصفحات وشرح السهيلي نجده في أسفلها ، مثلما هو موضح في الشكل التالي [2] :

[1] أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، 2 / 6 .

[2] أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، 1 / 43 .



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصَلواته على سَيِدِنا محمد وآلهِ أجمعين

« ذكر سرد النسب الزكى »

« من محمدٍ — صلىَّ الله عليه وآله وسلم — إلى آدم عليه السلام »

قال أبو محمد عبدُ الملك بن هشام :

هذا كتاب سيرة رسول الله ـ صلىَّ الله عليه وآله وسلم ـ محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب : شَيْبة بن هاشم ، واسم هاشم : عَمْرو بن

ترجمة ابن هشام :

وأما عبد الملك بن هشام ، فمشهور بحمل العلم ، متقدِّم فى علم النسب والنحو ، وهو حِمْيَرِىٌّ مَعَافِرِىٌّ من مصر ، وأصله من البصرة ، وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وله كتاب فى أنساب حِمْيَر وملوكها ، وكتاب فى شرح ما وقع فى أشعار السِّيَر من الغريب — فيما ذكر لى — والحمد لله كثيرا ، وصلواته على نبيه محمد وسلامُه .

وعلى شاكلة مجهود السهيلي يطالعنا أبو ذر بن محمد بن مسعود الخُشَني بشرح آخر للسيرة النبوية [1] في 500 صفحة ، الذي استخرجه وصححه بولس برونله ، والذي يفتتح شرحه بقوله : « وبعد فهذا إملاء أمليته من حفظي بلفظي على كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها أو أن سمع هذا الكتاب مني ، وقُيّدت رواياته بطرقها عني ، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وإيضاح ما التبس تقييده على حامله وراويه ، مع اختصار لا يُخل وايجاز يتم به البيان ويستقل لم يقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ، ولا ينحو به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه ، وغنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر » [2] ، وبهذا يكون الخشني قد تصدى لسيرة ابن هشام ، بشرح الغريب المبهم .

---

[1] ينظر : أبو ذر بن محمد بن مسعود الخُشَني ، شرح السيرة النبوية ، رواية ابن هشام ، استخرجه وصححه بولس برونله ، مطبوع بإرادة أصحاب الجلالة : امبراطور ألمانيا وملم بروسيا وملك ورتمبرغ ، مطبعة هندية بالموشكى ، مصر ، 1329 هـ آثار اللغة العربية (مجموعة لبولس برونله) شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

[2] ينظر : أبو ذر بن محمد بن مسعود الخُشَني ، شرح السيرة النبوية ، رواية ابن هشام ، 02 .

وإلى جانب الكتابين المذكورين ، يطالعنا محمود سيد الطهطاوي بتعليقاته على سيرة ابن هشام ، بحيث حاول أن يكتب بعض التعقيبات الوجيزة على هامش السيرة النبوية [1]

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن شرح السهيلي معول عليه لدارسي السيرة النبوية لما فيه من فوائد جمة وتوضيحات لا غنى عنها لقارئ سيرة ابن هشام ، فقد جاء عمله المذكور مع عمل الخشني متممين لبعضهما البعض ، لما فيهما من فوائد جمة ، تحت مسمى : شروحات سيرة ابن هشام .

رابعا – اختصار السيـــرة النـــبوية وتهذيبها [2] :

بعد الجهد المُشار إليه في شرح السيرة النبوية ، انصرفت الهمم من شرحها إلى اختصارها ، مثلما نجد ذلك في [3] (الذخيرة في مختصر السيرة) لبرهان الدين إبراهيم بن محمد المرحل الشافعي ، ومختصر (سيرة ابن هشام) لعماد الدين أبو العباس أحمد لن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي .

كما تولى العلماء في العصر الحديث اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بحيث قادنا البحث إلى مختصر للسيرة النبوية بقلم عبد الله بن الشيخ محـــمد بن عبد الوهاب [4] (– 124 هــ) ، الذي يقع في (532) صفحة .

[1] ينظر : سيرة ابن هشام وعليها تعليقا وجيزة لمحمود سيد الطهطاوي ، ط1 ، المطبعة الخيرية ، 1329 هــ ، مصر

[2] عن الاختصارات في تراثنا العربي ينظر الملحق .

[3] ينظر : ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، تحقيق : الأبياري والسقا وشلبي ، 13 ، ولم نعثر على الكتابين رغم سعينا الحثيث وكل ما وجدناه نسخة مخطوطة لمختصر السيرة للواسطي ، ولم نثبته هنا

[4] عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشره قصي محب الدين الخطيب ، ط2 ، 1396 هــ ، المطبعة السلفية

وهناك اختصارات كثيرة لكنها ليست اختصارا لسيرة ابن هشام بعينها ، بل مختصر للسيرة النبوية من مصادر مختلفة مثل (ملخص السيرة النبوية) [1] للشيخ محمد هارون .

أما تهذيب السيرة النبوية فلا غرو إن قلنا بالسبق لشيخ المحققين عبد السلام محمد هارون الذي يأتي في الصدارة لعمله الجاد ولتقبل الأوساط العلمية له .

ونجده يـــوضح سبب انتهاجه لهذه الطريقة من التصنيف وأهمية التهذيب بـــقوله : « التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل ووصلة صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم ، وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير ، وأنت إذا قرأت الأصل ولست مطيقه اقتضاك هذا من الوقت أشهرا معدودات » [2] .

وقد صدر تهذيب السيرة في طبعته الأولى سنة 1374 هـــ ، ومجاراة للتحقيقات التي واكبت وأعقبت تأليف هذا التهذيب أعاد نبيل عبد السلام هارون تنقيح التهذيب [3] فبات قريب المورد مما كان عليه ، واضح العبارة بيّـــنها ، كثير الفائدة .

إذن هدف التهذيب هو المحافظة على الأصل مع حصول أكبر فائدة بجهد أقل ، فقراءة السيرة النبوية لابن هشام من مبتدئها إلى منتهاها لمن الصعوبة بما كان لما تتميز به من اضطراب في التأليف ما بين كثرة الأشعار وسرد للأسماء وتفصيل في الأنساب والاستطرادات اللغوية وكثرة السند وغير هذا مما يجعل الملل يتسلل إلى نفسية القارئ وينعدم عنده التشويق ، ولا يكون كثير النفع إلا للعلماء الباحثين الناقدين .

---

[1] ينظر : محمد هارون ، ملخص السيرة النبوية ، ترتيب وتهذيب أبو الفضل محمد هارون ، ط5 ،المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

[2] عبد السلام محمد هارون ، تهذيب السيرة النبوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 14 ، 1406 هـــ / 1985 م ، 13 .

[3] محمد عبد السلام هارون ، تهذيب السيرة النبوية ، (تنقيح وضبط : نبيل عبد السلام هارون) ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 م .

ونلاحظ عند تتبعنا لما ورد في السيرة النبوية الأصلية وتهذيبها كيف حافظ عبد السلام هارون على سيرة ابن هشام و لم يضف كلمة واحدة من عنده بينما حذف الأسانيد مع عدم الإشارة للاختلاف بين الألفاظ في النسخ المعتمدة أثناء التحقيق والمقابلة بينها أو ذكر الأنساب ، وغير ذلك.

وهذا كله لكي لا يقطع حبل القراءة لدى المتلقي ويستمر سرد السيرة النبوية ، إذن فبقي الأصل وهُذب فقط لتعم الفائدة .

رابعا : تراجم رُواة السيرة النبوية :

لقد اقترن ذكر السيرة النبوية لأشراف المرسلين عليه الصلاة والسلام بابن هشام المعافري ، حتى أن الباحث عن السيرة النبوية الأصلية الموثوق فيها يجد أمامه كتابا جامعا حمل اسم كاتب السيرة النبوية والموسوم بـــ (سيرة ابن هشام) ، لكن هناك شخصان لا يقلان أهمية من ابن هشام ودوره في نقل السيرة النبوية ، هما راوي السيرة الأول ابن إسحاق المطلبي وكذا زيادالبكائي ناقل هذه السيرة المطهرة من ابن إسحاق لابن هشام ، وهي ممثلة على الشكل التالي الذي يوضح مراحل وصول السيرة النبوية إلينا من روايتها إلى تدوينها :

1 – ابـــن اسحاق وســـيرته

إن الحديث عن المغازي والسير وعن السيرة النبوية تحديدا لا يمكن أن يبدأ وينتهي دون الحديث عن إمام المغازي وأكبر علماء السير ابن اسحاق المطلبي ، فمن هو هذا العالم الفذ الذي نقل إلينا السيرة النبوية ؟

ولماذا لم نعتمد على السيرة النبوية لابن إسحاق التي ألفها ، واعتمدنا على سيرة ابن هشام بدلا عنها ؟

أ – ترجمة ابن إسحاق المطلبي صاحب السيرة

هو[1]عمدة كُتاب السيرة النبوية، وفارس هذا الميدان دون منازع بشهادة جمع من العلماء ، هو : الشيخ المحدث العلامة الإخباري أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء لأن ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبي عين التمر ، سباه خالد بن الوليد .

كان محمد بن إسحاق كثير الرحلات والتنقلات بين أمصار العالم الإسلامي ، ولم يكتف بسماع العلم بالمدينة مسقط رأسه ، بل سافر إلى مصر ونزل الإسكندرية حيث سمع من مشايخها أمثال يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الله بن المغيرة ، وعبد الله بن أبي جعفر ، ثم رجع إلى المدينة مرة أخرى ، فواصل سماع المغازي من الزهري ، وانتقل بعد ذلك إلى مكة ، وفيها واصل حفظ المغازي حيث قال : " حفظت المغازي بمكة مرة ، ثم تفلتت مني ثم عدت فحفظتها » [2] .

وعاد بعد ذلك إلى المدينة فسمع منه المغازي بعدما جمعها إبراهيم بن سعد ، وزياد البكائي ، وعبد الله بن إدريس ، ثم غادر مصر متجها إلى العراق، مركز الخلافة وقتئذ ، فقضى

---

[1] ينظر : قال ابن سعد : « ابن يسار ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان جده يسار من سبي عين التمر . وكان محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وألفها » ، الطبقات الكبرى ، ج 7 ، ص 552 ، قال ابن معين : « ثقة ، وليس بحجة » ، التاريخ ، تحقيق ودراسة أحمد محمد نور سيف ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف مصطفى أمين التازي ، كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، 1396 ه / 1976 م ، ج 2 ، ص 413 ، قال ابن عدي : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ثم من بعده صنفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها وقد فتشت أحاديثه كثيرا فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أو يهم في الشيء بعد الشيء كما يخطىء غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به » الكامل في الضعفاء ، ج 7 ، ص 254 – 270 . ينظر أيضا : ميزان الاعتدال ، ج 6 ، ص 56 ، الجرح والتعديل ، ج 7 ، ص 191 .

[2] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، 7 / 192

ما تبقى من عمره في تعلم العلم وتعليمه ، وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة، وقيل سنة خمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وقيل أربع وأربعين ، على اختلاف بين العلماء ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي .

لقد كان للعلماء آراء مختلفة وأقوال متباينة حول ابن إسحاق فمنهم من أثنى عليه ومنهم من رماه بأقوال تطعن فيه أو لنقل بعض المآخذ وجهت إليه ، ومنهم من كان معتدلا في الحكم عليه .

فهذا الخطيب البغدادي يقول عنه : « جالست ابن إسحاق منذ بضعة وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً » [1] .

ويذكر ابن عدي في الكـــــامل في ضعفاء الرجال عن شعبة قال : « لو كان لي سلطان لأمّرْتُ ابن اسحاق على المحدثين » [2] .

وهذا الكلام من الرجلين فيه مبالغة لأن ابن إسحاق قد تكلم فيه بعض علماء الجرح والتعديل فعلا ، ولم يجمعوا كلهم على توثيقه .

ونلخص ما قيل عن ابن اسحاق بإدراج قول ابن عدي ، الذي يُعدّ أجمع ما قيل عن هذا العلامة ، إذ ورد في الكامل : « لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبتدأ الخلق ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذه فضيلة لابن إسحاق سبق بها ثم بعده صنفه قوم آخرون ولم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق فيه وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن عليه بالضعف وربما أخطأ أو وهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ولم يتخلف عنه في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به» [3] .

[1] الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام ، 2 / 07 .

[2] أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق وضبط ومراجعة : لجنة من المختصين بإشراف الناشر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 6 / 2120 .

[3] أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، 6 / 2125 .

إذن فالحديث عن المغازي والسيرة النبوية ، هو حديث عن ابن إسحاق ، والعكس صحيح ، « قال ابن شهاب الزهري من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق ، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وقال سفيان بن عيينة: ما أدركت أحدا يتهم ابن إسحاق في حديثه. وقال شعبة بن الحجاج: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين، يعني في الحديث. » [1] .

جاء في الفهرست لابن النديم أن ابن إسحاق له من الكتب : كتاب الخلفاء وكتاب السيرة والمبتدأ والمغازي ، وكتاب ابن إسحاق يقال له : السيرة ، ويقال له : المغازي ، وقد جمع بعض المؤلفين المصطلحين في العنوان الذي اختاره لكتابه .

ولنا أن نتسائل لماذا لاقت سيرة ابن اسحاق هذا الانتشار الواسع والذيوع المتميز على حساب المصنفات الأخرى ؟

لعله من الإجابة [2] قولنا إن صياغة ابن اسحاق لمؤلفه كان مبتكرا في عصره من ناحية ترتيب الأحداث وسياقها ، ثم إن ابن اسحاق لم يقف طويلا عند الإسناد الذي كان شرطا لازما لقبول الأخبار ، إذ نلفيه يجمع أطراف الأخبار المتداولة عند الرواة ويسوقها مساقا واحدا.

وهذه الطريقة جعلت من السيرة النبوية قصة متكاملة شاملة سهلة الفهم والاستيعاب ومن ثمة كانت سيرة ابن اسحاق أشمل وأجمع ما كُتب في الموضوع بضمها للجزئيات إلى الكليات دون أن نغفل ما لأثر سعة علم ابن إسحاق ومكانته العلمية في عصره وتفوقه على أقرانه وتصويره البارع للأحداث في تميز سيرته .

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 276/8 .
[2] ينظر : فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية ، 95 / 96 .

ب – سيـــرة ابن اسحاق :

إن السيرة النبوية التي ألفها ابن اسحاق هي المعتمد الأول في دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الأساس في سيرة ابن هشام أيضا ، لأن هذه الأخيرة لا تعدو أن تكون تهذيبا لسيرة ابن اسحاق .

وعن سبب تأليف ابن إسحاق للسيرة النبوية ، جاء في ترجمة ابن خلكان له أنه أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب .

لكن سيرة ابن اسحاق لم تصلنا كاملة ، ولم تكن هذه الحالة الأولى في التراث العربي والإسلامي ، فـــ « في رحلة الكتب التراثية التي بدأت منذ عهد التدوين إلى يوم الناس هذا ، ضـــاع الكثير الكثير وقد أصاب المصنفات العربية القديمة ما أصاب الشعـــر القديم (...) فقدت أجزاء منها أو فقدت كلها » [1] .

ولعل مقارنة خاطفة بين ما سطره كتاب من المصنفين الكبار تحت فن التراجم السير على شاكلة ابن النديم الحموي لدليل قاطع لا يقبل الشك على ضياع وفقدان الكثير من المظان .

وقد عملنا ما بوسعنا للحصول على هذا المصنف الرائد وتم عثورنا على تحقيقين اثنين فأما الأول فهو لمحمد حميد الله [2] الذي قسمه إلى خمسة أجزاء ، كل جزء أسماه : من كتاب المغازي لابن اسحاق ، ثم أفرد جزءا آخر أسماه : القطعة الثانية من كتاب المغازي [3] ، وختم التحقيق بجدول أثبت فيه الصفحات التي اختلف فيها نص سيرة ابن اسحاق مقارنة بنص سيرة ابن هشام ، إضافة للفهارس .

---

[1] **عادل الفريجات ، دراسات في المكتبة العربية التراثية ، ط1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سورية ، 1999 م ، 30 .**

[2] **محمـــد بن اسحاق بن يسار ، سيرة ابن اسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، حققه وعلق عليه : محمد حميد الله ، تقديم محمد الفاسي ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، مطبعة محمد الحاسب ، فاس ، المغرب ، 1396 هـــ / 1976 م .**

[3] **محمـــد بن اسحاق بن يسار ، سيرة ابن اسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، بدء من ص : 281 .**

واعتمادنا على النسخة المذكورة كان على حساب النسخة الأخرى [1] التي قام بتـــحقيقها والتعليق عليها وتخريج أحاديثها أحمد فريد المزيدي في جزئين مجموعين فـــي (735) صفحة ، والذي اعتمد فيه على ما عُثر من مخطوطة ابن إسحاق مفردة ، وهذا في القسم الأول من التحقيق ، بينما اعتمد في القسم الثاني على سيرة ابن هشام بحيث اقتصر على رواية ابن إسحاق فيها ليتم ويكمل الكتاب .

بينما هناك تحقيق آخر للكتاب قام به الدكتور سهيل زكار ، لكننا لم نعثر عليه رغم جديتنا في البحث عنه .

2 – زياد البكّائي راوي السيرة

هو [2] زياد بن عبد الله بن الطفيل البكّائي [3] العامري الكوفي ، صاحب رواية السيرة النبويّة

عن ابن إسحاق المطلبي ، والتي رواها عنه عبد الملك بن هشام الذي قام بتهذيبها ونسبت إليه ، توفي البكائي في حدود سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقيل التسعين ومائة بالكوفة .

روى البكائي عن الأعمش، وروى عنه أحمد بن حنبل و عبد الملك بن هشام النحوي ، وعمرو بن علي الفلاس ، وزياد بن أيوب ، والحسن بن عرفة ، وغيرهم .

وحدث عن : حصين بن عبد الرحمن ، وعبد الملك بن عمير وعطاء بن السائب ، ومنصور بن المعتمر وعاصم الأحول ، وسليمان الأعمش ، وغيرهم .

---

[1] ابن إسحاق ، السيرة النبوية لابن إسحاق ، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه : أحمد فريد المزيدي – 1 – 2 – ، دار الكتب العلمية ، 1424 هــ / 2004 م ، بيروت ، لبنان .

[2] ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص 239 .

[3] « والبكائي: بفتح الباء الموحدة وتشديد الكاف وبعد الهمزة الممدودة ياء مثناة من تحتها، وهذه النسبة إلى البكاء، واسمه ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وسمي البكاء لخبر يسمج ذكره.» ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص 239 .

كان صدوقاً ثقة، قال أحمد وغيره : ليس به بأس ، كما خرج عنه الإمام البخاري ، والإمام مسلم في مواضع من كتابيهما ، مثلما ما ورد في صحيح مسلم : « حدّثنا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ. ح قَالَ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَ ابْنُ بَشَّارٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. ح قَالَ وَحَدَّثَنَا إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا أَبِي. ح قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْحٰقُ أَيْضاً. أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَ بْنَ أَبِي الذَّيَّالِ. ح قَالَ وَحَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ. حَدَّثَنَا زِيَادٌ الْبَكَّائِيُّ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ كُلُّ هَؤُلاَءِ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ ،. بِإِسنَادِ يُونُسَ، كَنَحْوِ حَدِيثِهِ » [1] .

إذن اقترن ذكر رواية السيرة النبوية بزياد البكائي الذي لن ينس له التاريخ حفظه للسيرة النبوية سماعا من ابن إسحاق المطلبي وتحميلا لابن هشام المعافري .

3 – ابن هشام وسيرته :

إن الثابت من موضوع درسنا هو السيرة النبوية ، وتحديدا سيرة ابن هشام ، لهذا من المستحب بل المنهج العلمي يفرض علينا أن نجيب على التساؤلات التالية :

1 – لماذا تم اختيارنا لسيرة ابن هشام لسيرة ابن هشام على حساب السير النبوية الأخرى سواء القديمة منها أو الحديثة ؟

2 – و لم كان اختيارنا لسيرة ابن هشام على دون سواها ؟

3 – من هو ابن هشام الذي اقترن اسمه باسم السيرة النبوية لأشرف المرسلين عليه صلاة رب العالمين ؟

---

[1] مسلم ، صحيح مسلم ، باب قدر ما يستر المصلي ، كتاب الصلاة ، ص 269 (510) .

أ – ترجمة ابن هشام المعافري صاحب السيرة :

هو [1] أبو محمد عند الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، اختلف في نسبته إلى معافر عند بعض الرواة والذهل عند غيرهم ، وينسبه رواة آخرون إلى سدوس .

نشأ ابن هشام بالبصرة ثم نزل مصر ، كان إماما في النحو واللغة العربية، عارفا بغريب الشعر، كما اشتهر بتهذيبه لسيرة ابن إسحاق التي انتهت إليه بتلقيها من زياد البكائي عن ابن إسحاق ، حتى عُرفت باسمه وانتشرت بين أيدي الناس إلى يوم الناس هذا وهي المعروفة بـــ (سيرة ابن هشام) .

وله أيضا (شرح ما و وقع في أشعار السيرة من الغريب) [2] وله : (أنساب حمير وملوكها) ، الذي طبع باسم (كتاب التيجان في ملوك حمير) [3] .

أما وفاته فالأمر غير مقطوع فيه برأي بحيث اختلف بين سنة ثمان عشرة ومائتين ، وقيل : سنة ثلاث عشرة من الهجرة

ب – سيـــرة ابـــن هـــشام

تعد السيرة النبوية محور حديثنا ومرتكز بحثنا وأساس دراستنا في هذه الفصول المتتالية ، ومن ثم برزت الأهمية التي يكتسيها الاختيار الأفضل للمصنف الذي يمثل السيرة النبوية أقرب ما يكون لإجماع العلماء .

فالباحث في الرحاب النبوي عليه أن يرجع إلى السيرة النبوية ، وليس هذا فحسب بل عليه أن يعتمد على « مصادرها الأولى ولكل واحد الحق أن يحللها بالطريقة التي تهمه ، تحليلا

---

[1] ترجم له : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 10 ، ص 428 – 429 ، وفيات الأعيان ، ج 3 ، ص177 ، الزركلي ، الأعلام ، ج 4 ، ص 166 .

[2] لم نعثر على الكتاب ، ونخال أنه مفقود .

[3] ينظر : ابن هشام ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية ، عن وعب بن منبه رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم جميعا ، ط 1 ، 1347 ه .

أدبيا أو سياسيا أو اقتصاديا ، أو غير ذلك ، ولا بد أن يكون هذا التحليل مستندا إلى السيرة الصحيحة الكاملة ، وليس إلى الأساطير والخرافات التي أضافها المتأخرون أو اخترعها أعداء الإسلام » [1] ، وبالتالي رجعنا لكل مصنفات السيرة النبوية ، ولكننا ركزنا بالدرجة الأولى على سيرة ابن هشام .

1 – اختيار سيرة ابن هشام :

على أساس ماذكرناه ارتأينا الاعتماد على سيرة ابن هشام على حساب السير النبوية الأخرى في بعض جزئيات البحث ، سواء التي سبقتها أو التي تلتها ، لتكون الثابت في موضوع دراستنا ، ومجال الاستشهاد أيضا ، وسيتضح في السطور الموالية مكانة هذه السيرة وأسباب تفضيلنا لها على بقية السير .

لقد كان اختيارنا لسيرة ابن هشام لسبب وجيه جدا وهو أنها أوثق مصدر قديم تحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى وإن كانت سيرة ابن إسحاق أسبق منها ، كون ابن هشام قام بإعادة تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلخيصها روايةً عن ابن اسحاق عن طريق زياد البكائي ، لذلك تعد سيرة ابن هشام تهذيبا لسيرة ابن إسحاق فليس بعده من أحد إلا كان عـــيالا عليه ، وهي نفسها الموجودة بأيدي الناس منذ القديم حتى الساعة ، والمعروفة بـــ (سيرة ابن هشام) ، والحق أن « الصورة التي تعطيها مغازيه عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة مما يعطي سيرته توثيقا كبيرا » [2] ، ومن ثمة يثق فيها أهل العلم وطلبته خاصة ، والراغبين في معرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة.

كما أثنى العلماء على هذه السيرة ، بل ورجع إليها المحدَثون في كتابة سيرة رسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت مصدر جميع الكتب الحديثة التي تتحدث عن السيرة النبوية وقد انتشرت بين العوام من الناس وخاصتهم منذ القديم لهذا السبب ، دون أن يتعرض لها أحد العلماء بالنقيصة أو الطعن .

[1] **فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 31 .**
[2] **أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، 66 .**

2 – اختيار تحقيقات بعينها لسيرة ابن هشام :

ثم إن سيرة ابن هشام حظيت بأكثر من تحقيق من طرف علمائنا ، وهنا اضطررنا إلى البحث عن التحقيق الأفضل ، ليكون هو النسخة المعتمدة في رسالتنا ، وبالتالي يبقى أن نوضح النسخة المعتمدة من سيرة ابن هشام وسبب تفضيلنا لها .

بعد اختيارنا للسيرة النبوية التي هذبها ابن هشام ، توجهنا للبحث عن مختلف طبعاتها ، فإذا بنا نُفاجئ بأن بُسطت أمامنا مجموعة من الطبعات منها المحققة ومنها غير المحققة ، من النسخ من تضم مجلدات ومنها من احتواها مجلد واحد ، فوضعنا النسخ غير المحققة أو التي لم يدرج على صفحاتها التحقيق ، لتبق بين أيدينا مجموعة من النسخ المحققة .

كان أولها وأقدمها عناية المستشرق فردناند وستنفلد (wüstenfeld)[1] بطبع السيرة وإخراجها لنور الحياة العلمية ، ورافقت التحقيق ملحوظات باللغة الألمانية وقد نشر سنة (1866 م) في جزئين[2] .

ولكننا لم نعتمد عليه في درسنا هذا ، إلا في بيان أنها من أوائل التحقيقات لسيرة ابن هشام ، إذ بعدما استشرنا أهل العلم الثقات شفهيا ، واطلعنا على الكثير من المؤلفات التي تشير إلى الأخذ من السيرة النبوية بالتحقيق اللاحق الذكر دون غيرها ، وبعد تفحصنا لمختلف التحقيقات التي عثرنا عليها ، ممحصين في ذلك المقدمة والنقد وطريقة عمل المحقق والهوامش ،

[1] فردناند وستنفلد (1808 – 1899 م) **Hrinrich ferdinand wuestenfeld** ، مستشرق ألماني تخرج في جامعة جوتنجن، ودرس في جامعات ألمانيا، له تسعة وثلاثون مؤلفا بين دراسة وتحقيق ، تحقيق (سيرة ابن هشام) ، و(معجم ما استعجم) للبكري و"معجم البلدان" لياقوت الحموي، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان، وغير ذلك ، ينظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص : 399 – 402 .

[2] سيرة رسول الله

Das Leben Ibn Ishaq bearbeitet von abd el-MALIK Ibn Hicham , zweiterband , ein leitung , armerkungen und register , Gottingen , dieterichsche universitats – buchhandlung , 1860 .

استقر رأينا على اعتماد بالدرجة الأولى على سيرة ابن هشام بتحقيق ودرس وشرح وضبط ووضع الفهارس لكل من : مصطفى السّقا وإبراهيم الأبْياري وعبد الحفيظ شلبي [1] .

وقد استعان السّقا والأبْياري وشلبي بثمانية نسخ بين خطية ومطبوعة ، ثم قاموا بمنهجية وضحوها بقولهم في مقدمة التحقيق ، أنهم عملوا على : « تبيين المغلق وتوضيح المبهم بالكتب التي عرضت للسيرة بمثل هذا ، كالروض الأنف للسهيلي وشرح السيرة لأبي ذر وفي كثير من المواطن التي كنا نفقد فيها بغيتنا في مثل هذين المرجعين كنا نلجأ إلى المراجع التي أشرنا إليها في حاشية الكتاب ، وقد كنا نترجم للأعلام الواردة ، ونتتبعها بالتصحيح والضبط ، بقي بعد ذلك تبويب الكتاب ، ووضعه أبوابا تحت هذه العناوين التي أثبتناها ، فبينا رأينا معظم النسخ قد أغفلت منها الكثير إذا بالنسخة الأوروبية قد أسرفت في ذلك فسلكنا نحن نهجا وسطا ، فأخذنا منال عناوين ما يصح أن يميز بابا مستقلا عن غيره ، ونفينا منها ما لا يجري مع هذه الفكرة ووضعنا به تلك العناوين الصغيرة التي في هامش الكتاب أما كل فكرة جديدة ، ثم أردفنا هذا وذاك بفهرس لكل جزء يضم تلك الأنواع المبينة فيه » [2] .

وقـــد قسموا متن السيرة النبوية إلى قسمين ، كل قسم يضم جزين الجزء الأول مكون من (463) صفحة ، بدءا من ذكر سرد النسب الزكي للرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية ذكر ما لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى ، والجزء الثاني يحتوي على (438) صفحة ، ويبدأ بذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة ، والثالث من (427) ويبدأ من ذكر أسرى قريش من بدر ، أما الجزء الرابع فمن (368) ، ويبدأ من قدوم جعفر بن أبي طالب للحبشة .

الطعون الموجهة للسيرة النبوية

هل كل ما كُـــتب عن السيرة النبوية صحيح ؟

---

[1] ابن هشام المعافري ، سيرة ابن هشام ، تحقيق وشرح وضبط ووضع الفهارس ، مصطفى السّقا وإبراهيم الأبْياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي (تراث الإسلام) ، بيروت لبنان ، 24

[2] ابن هشام المعافري ، سيرة ابن هشام ، تحقيق وشرح وضبط ووضع الفهارس ، مصطفى السّقا وإبراهيم الأبْياري وعبد الحفيظ شلبي ، المقدمة ، ص : 24 .

هل السيرة النبوية كانت بمنأى عن تلك الدسائس التي تختفي وراء ستار التظاهر بالإنصاف عند الكثير من العلماء والمفكرين مثلما كان الحال مع السنة النبوية عموما ؟

هل أنصف المسلمون القدامى ومن خلفهم السيرة النبوية ؟

وماذا عن موقف المستشرقين من السيرة الشريفة وما كانت محاولاتهم لتشويه صورة النبي الأكرم ﷺ من خلال السيرة النبوية ؟

وما هو موقف تلامذتهم من بني جلدتنا من سيرة أشرف خلق الله عليه الصلاة والسلام ؟

وأخيرا : هل نتغاظى عن الأوهام والأباطيل التي مست سيرة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ؟ وهل هناك من حاول كشف الفكر العدائي لهؤلاء اتجاه التاريخ الإسلامي؟

لعلنا ارتأينا أن نبدأ بهذه التساؤلات لتتضح خطة عملنا ونحن نتحدث عن محاولة تحريف أحداث السيرة النبوية ، سواء عن قصد أو دون عمد ، ونأخذ نماذج عن كل فئة والمنهج العلمي السليم يفرض علينا التدرج الزمني في الحديث عن الأخطاء التي ارتكبت في حق السيرة النبوية ، بدءا من المصادر العربية القديمة على شاكلة بعض كتب التفسير ، ثم يليها خوض المستشرقين في سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ومن ثمة خروج بعض الأصوات العربية المنادية بأفكارهم بعد تبنيها .

1 – طعون علماء المسلمين القدامى في السيرة النبوية:

إن المطّلع على كتب التفسير يجد كثيرا منها وقـــد « حملت آراء وذكرت أقوالا اتخذت في ما بعد منطلقا لكثير من الشبهات والشكوك التي تطعن في الإسلام ، وترمي بالنقيصة أكـــمل الخلق وسيد الأنام نبينا محمد ﷺ، وتشوه سيرته الشريفة » [1] .

ومن ضمن هذه الكتب تفسير الطبري وتاريخه [1]، على شاكلة الأقوال التي أدرجها الطبري في تفسير الآية 37 من سورة الأحزاب[2]، والمتعلقة بشبهة حول زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش .

---

[1] **عمر يوسف حمزة ، العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، 23 .**

يقول الطبري في تفسير الآية الكريمة « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نِفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً » [3] :

« يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتاباً من الله له " و " اذكر يا محمد " إذ تقول للذي أنعم الله عليه " بالهداية " وأنعمت عليه " بالعتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمسك عليك زوجك واتق الله " (وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمسك عليك زوجك " وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها " واتق الله " وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك " وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس)، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك : حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة " وإذ تقول للذي أنعم الله عليه " وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه: أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه " قال: وكان

---

[1] قام الباحث محمد بن طاهر البرزنجي في عمل ضخم ضم **13** مجلدا بجمع مختلف المآخذ والانتقادات والأخطاء التي حفل بها تاريخ الطبري ، وخصص المجلد الثاني كاملا لايراد الصحيح عن السيرة النبوية .

[2] ينظر : أبو جعفر بن جرير الطبري ، صحيح تاريخ الطبري ، ج**2** ، حققه وخرّج رواياته وعلق عليه : محمد بن طاهر البرزنجي ، إشراف ومراجعة : المحقق محمد صبحي حسن حلاق ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط**1** ، **1428** هـ / **2007** م ، ج**2** / **163** .

[3] الأحزاب : **37** .

يخفي في نفسه ود أنه طلقها، قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها " وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " قال: خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد: " كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما لك، أرابك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى " وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه " تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها ".

حدثني محمد بن موسى الجرشي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي حمزة، قال: نزلت هذه الآية " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " في زينب بنت جحش. »[1] .

هذا الطعن في خير خلق الله عليه أفضل الصلاة والسلام من شأنه أن يفتح الباب لأعداء الإسلام والحاقدين عليه والساعين للنيل منه ، وحتى من أبناء المسلمين =وي الفلوب الضعيفة الدين جعلوا من المستشرقين أساتدة لهم .

2 – موقف المستشرقين من السيرة النبوية :

التراث « هو مكونات شخصية اية أمة والتراث هو مجموع مصادر في كل المجالات في الدين والتاريخ و العلوم والفلسفة والآداب والفنون فهي بالنظر لهذا هذا الكم الهائل « من

[1] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، الجزء التاسع عشر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، 1422 هـ / 2001 م ، 19 – 116 / ج 114 .

الأمور التي يصعب حصرها وانتقاء الصالح منها »[1] ، ولقد بُذلت الجهود من طرف الباحثين والدارسين المسلمين من أجل الغوص في مكنوناته واستخراج درره ، وهذا منذ عقود خلت ما بين التحقيق والتوثيق والدراسة والشرح في سياق المعرفة ونشرها .

وتختلف منابع دراسة التاريخ الإسلامي فهي لم تعتمد ولم تستند على وجه الخصوص على أصوله الأولى بل « تعدت إلى منابع غير صافية كتبتها أيد غير أمينة نتيجة لأهوائها وأخطائها في فهم هـذا التاريخ وأعني بهؤلاء على وجـه الخصوص المستشرقين المغرضين مـن كل الأمم ومن تابعهم من أبناء هذه الأمة »[2] .

بحيث « أكدت تجاربنا المعاصرة مع الاستعمار الغربي والصهاينة بأنهما يسعيان بشكل نشط إلى تشكيكنا بلغتنا وصلاحيتها لهذا العصر وبذاتيتنا الحضارية »[3] ، بل والأخطر من ذلك دعوتهم « أمتنا للتخلي تماما عن جذورها وهويتها من أجل أن نغدو – وقد قطعنا هذه الجذور – أخف وزنا في ميدان الصراع الحضاري »[4] ، وليس أهم من ديننا كمرتكز لحضارتنا.

ونحن لا ننكر فضل بعض المستشرقين على التراث الإسلامي تحقيقا ودراسة خصوصا في الدراسات الإسلامية ، فكثير منهم نفض الغبار على كنوز من تراثنا وأخرجه لنور الحياة العلمية ، ومع هذا الاعتراف بجهود فئة منهم لا بد أن نقف وقفة علمية أمام من حاولوا تشويه تاريخنا والمساس بثوابتنا .

---

[1] **محمد العربي الخطابي ، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي (نصوص رائدة مع مدخل تحليلي ومقدمة نقدية) ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1998 م ، 1 / 74 .**

[2] **عبد الرحمن علي الحجي ، نظريات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ط3 ، مكتبة الصحوة ، بيروت ، لبنان ، 1399 هـ / 1979 م ، 13 .**

[3] **عبد الله فهد النفيسي ، التراث وتحديات العصر ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1986 م ، 15**

[4] **نفسه ، 15**

فلقد استهوى هذا التراث التليد المستشرقين ، فباتوا يصولون ويجولون فيه تحقيقا ودراسة أيضا ، بل ويجعلون « الدراسات العربية الإسلامية تحتل منزلة مهمة في الحوار العقلي الدائر بين أوروبا والإسلام » [1] .

ومن هذا المنطلق « اتخذوا من ماضينا أداة لتشويه حاضرنا ، فزينوا ذلك الماضي كما زينوا الحاضر ، حين عكسوا للمجتمع الغربي أمورا ليست هي صلب حقيقتنا » [2] .

وهم يعتمدون على « ثقة الناس بأمانتهم العلمية لترويج سمومهم في العالم الإسلامي ، فأكثر ما يلوكونه المسبحون بحمد المستشرقين هو الإشادة بدقتهم وبتجردهم للبحث والعلم وقدرتهم على التمحيص وأنهم قـــادة هذا الميدان وفرسان هذا المجال ، والمستشرقون أيضا حرصوا كل الحرص على أن يضفوا على أنفسهم هيبة العلم وقداسة محرابه وأن يخفوا تحت شـــارته وردائه كل ، (أغراضهم) و (أهوائهم) » [3] ، وتـــرددت في أوساطهم كلمات براقة عـــلى شـــاكلة « (الأكـــاديمي) و (البحث العلمي) ، (المنهج) و (حرية الرأي) ، (قيمة العقل) و (الحيدة العلمية) ... » [4] .

فالدراسات الاستشراقية بإجماع أصحاب العقول الراجحة « تحمل في أحشائها كمّا هائلا من المتناقضات ، وكيف أنها لا تعدو أن تكون سوى دراسات جدلية » [5] .

والمشكلة الأكبر هي أن هؤلاء المستشرقين نلفي الكثير منهم وقد تخلوا عن « الطعن المباشر والعداوة المعلنة وتظاهروا بالإنصاف والموضوعية والخضوع لمقتضيات البحث العلمي

---

[1] يوهان فوك ، تاريخ حـــركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين) ، دار المنار الإسلامي ، نقله عن الألمانية : عمر لطفي العالم ، ط2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، 13 .

[2] سعدون محمود السّاموك ، عبد القاهر داود العاني ، مناهج المستشرقين ، جامعتة بغداد ، 1989 م ، 125

[3] عبد العظيم الديب ، المستشرقون والتراث ، ط3 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ودار النشر للجامعات المصرية ، 1413 هـــ / 1992 م ، 27 .

[4] عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية ، 289 .

[5] نفسه ، 289 .

وقصدهم بذلك استهواء القارئ المسلم وكسب ثقته ، فيعترفون بأخطاء أسلافهم ويُظهرون بعض محاسن الإســـلام ويدرجون في ثـــنايا الكلام ما يريدونه من الدس والطعن » [1] .

و باعتبار السيرة النبوية الشريفة لخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم هي أول تطبيق عملي للدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً ، فقد لقيت الاهتمام البالغ من طرف المسلمين وكذا الدارسين والمنقبين عن تراثنا ولا سيما المستشرقين .

ولما بدأ الاهتمام بالإسلام كان أول ما شد انتباههم القرآن الكريم وبعده ، بدأت الكتابة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فـــ« نادرا ما نرى مستشرقا لم يتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو الدعوة الإسلامية في كتبه أو أبحاثه » [2] .

إنه بالرغم من « تبدل النظرة الاستشراقية في منهج التفسير والعرض ، فإن الغالبية من المستشرقين لم تتمكن من التخلص من الفعل المعادي والتفسير المشوه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وللقرآن الكريم والمبادئ الإسلامية » [3] ، ومن المسلم به الآن أن الدراسات الاستشراقية « تحمل في أحشائها كما هائلا من المتناقضات ، وكيف أنها لا تعدو أن تكون سوى دراسات جدلية» [4].

وعلى العموم ، فقد اتبع المستشرقون حيال السيرة النبوية أكثر من منهج [5] ، كمنهج العكس وذلك بعكس الحقائق بغية تشويهها ومنهج الأثر والتأثر وذلك بإحالة الأخبار إلى

---

[1] **أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) ، ط 1 ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ايسيسكو ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، 1424 هـــ / 2004 م ، بيروت ، لبنان ، ، 17 / 18 .**

[2] **فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) : دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998 م 51**

[3] **نفسه ، 51 .**

[4] **عبد الله محمد الأمين ، الاستشراق في السيرة النبوية ، 289 .**

[5] **ينظر : نفسه ، 34 – 35 .**

مصادر خارجية هي النصرانية واليهودية والبابلية والمجوسية ، وكذا منهج الإسقاط ، أي إسقاط الواقع المعاصر على الوقائع التاريخية ومنهج النفي والتشكيك والاستعانة بالضعيف الشاذ ، وغير ذلك .

وتباينت آراء المستشرقين حيال السيرة النبوية بين ثلاثة أقسام [1] ، قسم مشنع على السيرة مكذب لكل أحداثها وقسم ناقد يميز بين عناصرها الصحيحة والموضوعة وقسم يركز في أبحاثه على الشك في أحداث السيرة ويُشنع على أخبارها نظريا وعمليا رغم قوله باحتواء السير على مادة علمية صحيحة

ورغم أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وما بلّغه من مبادئ إسلامية مدعومة بوثائق تاريخية وروايات ذات سند ثابت فإن « الاستشراق الأوروبي يأبى إلا أن يبدأ في تشكيكاته وتحريفـــاته من الأسس والجذور متبعا منهج المبشرين التقليدي نفسه في التشكيك بالنصوص التاريخية » [2] .

ولقد بدأت الرؤية الاستشراقية تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته في التكون « منذ احتكاك المسلمين بالمسيحيين في الأندلس ، ثم بدأت هذه الرؤية تتطور عبر العصور ، غير أنها تطور في الشكل دون أن تكون تطورا في مضمون فهمها للإسلام ، وهذه الرؤية في الأساس سلبية عدائية » [3] .

---

[1] ينظر : لخضر الشايب ، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، مكتبة العبيكان ، **351** .

[2] فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) ، **51** .

[3] عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء وات – بروكلمان – فلهاوزن) ، مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية **1417** هـ / **1997** م ، **27** .

ويدلنا إحصاء قديم لِما صُنّف في السيرة النبوية ، نشرته مجلة المقتبس ، وبمختلف اللغات الأوروبية أنه بلغ (1300) كتابا [1] ، حتى أن اللغة الأوردية التي لم تصبح لغة كتابية إلا منذ قرنين بلغ عدد المؤلفات بها عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف مؤلف » [2] .

وشهد العالم الأنكلو- أمريكي ظهور أكثر من خمس عشرة سيرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم نشرت على شاطئ المحيط الأطلسي خلال هذا القرن »[3] ، وربما كان أولها « كتاب المستشرق الانكليزي المشهور مارغليوث الموسوم بـــ " محمد ونهوض الإسلام " الذي صدر عام 1905 م ، وتلاه كتاب menzel حياة محمد ودينه عام 1912 م » [4] .

ويشهد شاهد من أهلها ، يقول مارجليوث في مقدمة كتابه محـــمد (صلى الله عليه وسلم) ونهضة الإسلام Mohamed and the Rise of islam سنة : 1905 م :

« The biographers of the Prophet Mohammed from a long series it is impossible to end but in wich would be [5]honourable to find a place . »

بمعنى أن الذين كتبوا في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لا ينتهي ذكر أسمائهم وأنهم يرون أنه من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوئه مجلسا بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية [6] ، ويدلنا إحصاء قديم لما صُنِّف في السيرة النبوية ، نشرته مجلة المقتبس ، وبمختلف اللغات

---

[1] ينظر : سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، ط1 ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1415 هـــ / 1995 م ، 83 .

[2] عبد المتعال محمد الجبري ، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 42

[3] عبد النبي اصطيف ، صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأنكلو – أمريكية ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ،

[4] عبد النبي اصطيف ، صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأنكلو – أمريكية ،

[5] **Margoliouth David Samuel , Mohamed and the Rise of islam, G.P.Putman and Sons , New York and London , first published in 1905 , preface , iii .**

[6] من ترجمة الباحثة .

الأوروبية أنه بلغ (1300) كتاب [1] ، حتى أن اللغة الأوردية التي لم تصبح لغة كتابية إلا منذ قرنين بلغ عدد المؤلفات بها عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف مؤلف [2] .

إن من الشكوك التي أثيرت حول مصداقية السيرة النبوية شبهة في « أن تكون السيرة قد تأثرت بالسنن اليهودية والمسيحية إما بالنسج على منوال القصص الواردة في العهدين القديم والحديث أو بالنقل عن "المدراش" و "الهجادة" من ناحية وعن "الأناجيل" المنحولة وسير القديسين عند المسيحيين من ناحية أخرى » [3] .

وأخطاء أخرى نجدها في الموسوعة الإسلامية مثلا والتي نشرتها دار بريل والمتواجد مقرها في مدينة لايدن بولندا ، باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية وفي أكثر من طبعة ، هته الموسوعة « لها مكانة كبرى في الأوساط العلمية في الغرب والشرق وتتمتع بالانتشار الواسع بين الباحثين في جميع فروع الثقافة والمعارف الإسلامية » [4] .

فالمواد المتعلقة بالسيرة النبوية متناثرة بين صفحات هذه الموسوعة ، خصوصا الواقعة تحت مادة (محمد) [5] ، فوصفوه عليه الصلاة والسلام بالعبقري والمصلح الاجتماعي وغير دلك مما

---

[1] ينظر : سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، ط 1 ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1415 ه / 1995 م ، ص 83 .

[2] ينظر : عبد المتعال محمد الجبري ، السيرة النبوية ، وأوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 42 .

[3] موقف السيرة النبوية من اليهود والنصارى ، 17 .

[4] أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) ، 13 .

[5] **THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM , new Edition , prepared by a number of leading orientalists , edited by : C.E.BOSWORTH , E.VAN DONZEL , W.P.HEINRICHS , and *the late* CH. PELLAT**
ASSISTED BY F.Tn. DIJKEMA (pp. 1-384), P.J. BEARMAN (pp. 385-1058) AND MME S. NURIT
UNDER THE PATRONAGE OF THE INTERNATIONAL UNION OF ACADEMIES , LEIDEN — NEW YORK
E.J. BRILL1993 , VOLUME VII ,MIF — NAZ 360 – 387 .

لا يليق ، مما يؤكد أهدافهم الشنيعة ، وقد حشدت فيها الموسوعة أخطاء المستشرقين ومزاعمـــــهم .

فغرض المستشرقين من هذا التوظيف المعلن لتلك النعوت لا يخرج عن إطار إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإظهاره في مظهر المصلح أو العبقري لأن هؤلاء تنتهي معهم أفكارهم ، ويمكن أن يأتي مفكر أو مصلح آخر بما هو خير منها ولذلك فهم ليسوا جديرين بالخلود وأفكارهم ليست جديرة بأن يستمسكون برسالات الأنبياء » [1] .

ومن ثمة فإن مراجعة موادها وتصحيح أخطائها المنكرة في السيرة النبوية وغيرها أصبح أمرا ضروريا وواجبا مفروضا ومسؤولية ملحة على المسلمين دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنصافا لسيرته الطاهرة وإظهارا للحق وزهقا للباطل » [2] .

وهذه نماذج أخرى من كتابات المستشرقين الشنيعة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته المطهرة :

ونستهله بموقف الأب هنري لامانس Henri lammens الموحد من الروايات الإسلامية سواء التي ضمتها كتب الحديث أو السير ، وهو « اتهام المسلمين باختراع كل المادة الموجودة فيهما من أجل تفسير القرآن الكريم » [3] .

« …la tradition musulmane , l'inspiration de la Sira est d'abord exégétique , Dérivée en droiture du texte du Quran , la Sira est destinée a lui servir de commentaire en action : elle doit traduire en anecdotes précises et pittoresque , les allusions les plus obscures , les sous-entendus les moins intelligibles des versets , faire la chasse à l'anonyme , à l'anonyme , à l'impersonnel apposer des plaques

---

[1] أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) ، **149** .

[2] نفسه ، **13** .

[3] لخضر الشايب ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر ، **351** .

commémoratives , multiplier la mention des noms propres les dates , prudemment évités par Abou'lQasim » [1]

بمعنى [2] : أن السيرة مثلها في ذلك مثل الحديث ذات هدف تفسيري ، إنها مادة محولة مباشرة من النص القرآني لتخدمه في التعليق عليه ولهذا السبب فقد كان عليها أن تضيء في حكايات دقيقة ومليئة بالألوان إشارات القرآن المظلمة ، والتلميحات الأكثر غموضا في الأبيات إنها تصطاد المجهول وغير المعين الذي كثيرا ما سبّب الحيرة في سور القرآن ...إنها نصب تذكاري يذكر الأسماء والتواريخ التي كان أبو القاسم يبتعد عنها بحذر شديد .

وهاهو المستشرق ر . ف. بودلي ، في كتابه الرسول (حياة محمد) يقول عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وبكل وقاحة : « فعلتْ أشياء في دور النبي ، تخالف مبادئ الإسلام جميعا وكان أبوها ينكر ما تفعله إنكارا شديدا ، وقد أثارت بعد موت النبي فتنة بين المسلمين [3] ، عجز عن إثارة مثلها أي قرشي مكي ، فقد كانت ذات طبيعة نارية عنيدة أنانية لا تحمل المسؤولية ولو لم تكن مسلمة كانت زنوبيا أو تيودورا أخرى » [4]

ثم أتى هذا المستشرق الحاقد ببهتان عظيم حين تحدث عن قصة حادثة الإفك في الفصل الخامس عشر من الكتاب تحت مسمى : قلادة عائشة (حادثة الإفك) عام 667 م ، بما نصه : « كان محمد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا ما قام برحلة، أو خرج في غارة، وكن يرحلن في هودج، فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير، فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً، ما لم ترفع المظلة.

---

[1] Henri lammens .s.I , Fāţima et les filles de Mahomet (note critique pour l' étude de la Sïra) , scripta pontifich instituti Biblici Romae , Sumptibus pontifich institu Biblici 1912 , (Avant – propos) , 03 .

[2] من ترجمة الباحثة .

[3] يقصد بذلك فتنة الجمل .

[4] ر . ف. بودلي ، الرسول (حياة محمد) ، ترجمة : محمد فروخ وعبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر ،

كان محمد قد أتم غزوته القصاصية الناجحة لقبيلة بني المصطلق، حيث تزوج من جويرية زوجه الثامنة، وكان في طريق عودته إلى المدينة بجنده وبعيره وغنائمه، وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة طويلة، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم في الفجر، فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها، فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت، وكان جملها منتظراً، فلما همّت بدخول هودجها، كشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها، فعادت أدراجها، دون أن تخطر أحداً للبحث عنها، وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عماية الصبح، بين الحصى والأعشاب، ولاح نور الصباح قبل أن تعثر عليها، ثم ثبتتها حول عنقها، وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة، وكانت نيران العسكر هي الدليل على أن أناساً كانوا هناك.

لقد حسب المكلفون بنقل عائشة أن السيدة في هودجها، فشدوه إلى بعيره، فقد كانت عائشة صغيرة خفيفة جداً، حتى إنه ما كان أحد ليميز وجودها في الهودج من غيابها، فلما تحرك الركب، انطلق الرجال وهم يقودون بعيراً غير محمل .

وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري، فلم تجد أثراً لقومها أو قافلتها، فهزت منكبيها وجلست، فما كان يجدي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة ، وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذا ما افتقدوها، فلم يجدوها في الهودج.

فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول، فالتفت في جلبابها، واستظلت تحت شجرة ثم نامت، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة. كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب، ثم أناخ بعيره، وقال إنه صفوان بن المعطل، ولم تُقدِّم عائشة نفسها له، تبعاً لما قالته عائشة لما روت القصة. وكان صفوان يعرفها بالنظر، فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر.

سألها صفوان :ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب؟ فشرحت له عائشة الأمر. فضحك صفوان !!ثم عرض عليها بعيره ليقودها إلى المدينة، فقبلت عائشة، فساعدها صفوان على الركوب، ثم انطلقا.

وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها، و لم يكشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي، ثم ابتدأ الدهش؟! .

إن قُوَّاد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم رحلوا من المعسكر بعائشة، قد عزوا اختفاءها إلى الجن، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول، مادام أنهم لم يقفوا في الطريق أبداً.

وما كان محمد ليوافق على خرافات كهذه، فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها، لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة، يقوده شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر، وأنيخ البعير أمام مدخل دارها، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار، دون أن تحسن أنها عرضة للانتقاد، كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب.

وكان محمد مسروراً برؤية زوجه الأثيرة عنده سالمة، فرحَّب بها، ولما كان الأمر يعنيه خاصة انتهت الحادثة، وكان مـــن الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبد الله بن أبي » [1] .

إن المتمعن في ما أورده هذا المستشرق في كتابه ذاك ، يدرك يقينا أن هذه التحريفات المتعمدة للقصة عن وجهها الصحيح ، لا تستند لأي دليل ، وقد وضعنا سطرا تحت ما يمكن وصفه بمحاولة تشويه سيرة عائشة رضي الله عنها وإظهارها بمظهر المتهتكات عن الستر والحياء

من مثل قوله : فابتسم الشاب... وقال إنه صفوان بن المعطل) ، (وسألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب فشرحت له عائشة الأمر. فضحك صفوان) وقوله : (أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل ، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر... فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار... كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شُبان أغراب) .

إذن إضافة إلى تشويه الروايات فإن وجهة النظر الإسلامية فإنه لا يمكن اعتبار السيرة النبوية مسألة تاريخية صرفة ، تخضع لأساليب النقد والتحليل ، التي تعامل بها المراحل التاريخية

---

[1] ر . ف. بودلي ، الرسول (حياة محمد) ، **214 / 216** .

المختلفة وهو ما يراه المستشرقون »[1] ، فهم يريدون لا محالة إخضاع السيرة لمناهج البحث الغربية المادية والعلمانية وغيرها من المناهج ليتسنى لهم التشكيك في السيرة النبوية ذاتها »[2] .

إذن هناك خلل منهجي واضح ومتعمد في تناول أحداث السيرة العطرة لخير الأنام عليه الصلاة والسلام ومعطياتها ، « ذلك المنهج الذي استمد مقوماته من المناهج الغربية المرتكزة على أسس مغايرة لروح السيرة ووقائعها »[3] .

لذلك بات واجبا التصدي لهته الأخطاء العمدية ، وقد تصاعدت ردود فعل الباحثين المسلمين لتفنيد ادعاءات هؤلاء المستشرقين الحاقدين ، فألفوا كتبا ترد على تلك المزاعم الباطلة بالدليل العلمي الواضح ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات – بروكلمان – قلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية[4] ، محمد مهر علي الذي حلل مؤلفات ثلاثة مشاهير وهم وليام ميور ومرغليوث ومنتغمري واط وذلك في مؤلفه : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والمستشرقون[5] ، أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن)[6] ، ومحمد عبد المتعال محمد الجبريفي كتابه : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون[7] ، وقد صوّب الكثير من أخطاء المستشرقين ، كالتي أوردها

---

[1] عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات – بروكلمان – قلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط1 ، 1417 هـ / 1997 م ، 33 .

[2] نفسه : 33 / 34 .

[3] نفسه ، 33

[4] ينظر : عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات – بروكلمان – قلهاوزن) ، 33

[5] **Muhamed Mohar Ali , sîrat – nabî and the orientalists , king Fahd complex for the printing of the Holly Quran Madinah , first edition 14 17 AH / 1997 CE .**

[6] ينظر : أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) .

[7] ومحمد عبد المتعال محمد الجبريفي كتابه : السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ترجمة : محمد عبد العظيم علي دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، ط1 ، الاسكندرية ، مصر ، لا1414 هـ / 1994 م ، 14 .

المستشرق سافاري Claude Etienne SAVARY (1750 – 1788 م) عندما تناول موضوع الحج في السيرة النبوية.

وقد شهد القرنان الأخيران جملة من التطورات كان يفترض بها أن تصحح هذه الصورة للنبي صلى الله عليه وسلم تجعلها أكثر موضوعية ونزاهة وقربا من واقع الحال منـــها :

الاطلاع المتناهي للغرب على المصادر الإسلامية للسيرة النبوية وذلك بعد تحقيق ونشر الكثير من المؤلفات العربية والإسلامية للسيرة النبوية وذلك بعد تحقيق ونشر الكثير من المؤلفات العربية والإسلامية على يد المستشرقين الغربيين في البداية والباحثين المسلمين لاحقا وفي مختلف اللغات الشرقية إضافة إلى الاحتكاك الشامل مع الشعوب الإسلامية في فسح أكثر إنسانية واطلاع الباحثين الغربيين على كتابات المسلمين الحديثة عن السيرة النبوية والتطورات المهمة التي حققتها تقاليد كتابة السيرة (biographiy) وطرائقها بشكل خاص ومختلف العلوم الإنسانية المساعدة بشكل عام . [1]

بالمقابل ، نحن لا ننكر فضل بعض المستشرقين على التراث العلمي الإسلامي ، تحقيقا ودراسة خصوصا في الدراسات الإسلامية ، فكثير منهم نفض الغبار على كنوز من تراثنا وأخرجوه إلى نور الحياة العلمية .

ومع هذا الاعتراف بجهود فئة منهم لا بد أن نقف وقفة علمية أخرى مع المستشرقين ممن أنصفوا الإسلام ، فها هو مايكل هارت Michail Hart يؤلف كتابا ضمنه مائة شخصية عالمية اصطفى على رأس قائمة عته المائة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبرر سبب اختياره بقوله:

My choice Of Muhammad to lead the list of the world's most influential persons may surprise some readers and may be questionned by others, but he was the only man in

---

[1] **عبد النبي اصطيف ، صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأنكلو – أمريكية ، وزارة الثقافة (الهيئة العامة السورية للكتاب ، 25 – 26 .**

history who was supremely successfull on both religious and secular levels .[1]

بمعنى : « لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ، ومعه حق في ذلك ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقا على المستوى الديني والدنيوي » [2] .

ونجد آخرين منصفين لشخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أمثال الرسام العالمي Étienne Dinet (1861 ــ 1929م) ايتين دينيه الفرنسي الذي ألف كتابه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) [3]

و الأمانة العلمية تفرض علينا مرة أخرى الاستشهاد ببعض أقوال المنصفين مثلما فعلنا مع المستشرقين المغرضين ، ونأخذ المستشرق توماس كارليل Thomas Carlyle (1795 – 1881 م) كنموذج لهذه الفئة ، فكان مما قاله هذا الانجليزي المنصف ردا على تهجمات بعض الغربيين من بني عرقه وجنسه المتعصبين الطاعنين في الإسلام ورموزه ، نختار منها موقفه من الشبهة التي طالما ترددت بخصوص تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان رأيه تحت عنوان : براءة محمد من الشهوات وتواضعه وتقشفه ، قال فيه :

« وما كان محمد أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوياً، لا همّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت، لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وانهم ليذكرون ــ ونعم ما يذكرون ــ أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة

---

[1] **Michail Hart , the 100 a Ranking of the most influential persons in History ,(a Citadel press Book published by Carol publishing Group , 1993 , 3 .**

[2] **مايكل هارت ، أعظم مائة شخصية في التاريخ ، ترجمة : أنيس منصور ، المكتب المصري الحديث ، 13 .**

[3] **ايتين دينيه Étienne Dinet وسليمان بن ابراهيم ، محمد رسول الله ﷺ ، ترجمة : عبد الحليم محمود ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .**

ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله قائم النهار، ساهر الليل دائباً في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان. غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم وإلا فما كان ملاقياً من أولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً وإكباراً وإعظاماً، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء، وغلظة، وبادرة، وعجرفية، وكانوا حماة الانوف، أباة الضيم، وعر المقادة صعاب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم، وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم وايم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل، لما خضعوا له ولا أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه.

وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد، في ثوبه المرقع بيده فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال. » [1] .

ويقول أيضا في موضع آخر : تحت عنوان : من أكبر العار القول أن محمداً كذاب:

لقد أصبح من أكبر العار، على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن محمداً خداع مزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر. أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بلّه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها أن لا تخلق.

فوا أسفاه ما أسوأ هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة ...

---

[1] **توماس كارليل ، محمد المثل الأعلى – صلى الله عليه وسلم – عربه محمد السباعي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ذو الحجة 1413 هـ / 1993 م ، 48 – 49 .**

وبعد ، فعلى مَن أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك ، فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود والحاد، وهي دليل على موت الأرواح في حياة الأبدان، ولعل العالم لم ير قط رأياً أكفر من هذا والأم.

وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً، أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الانقاض، وكثيب من أخلاط المواد، نعم وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً، يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن ...

ثم إذا نظرت إلى كلمات العظيم. شاعراً كان أو فيلسوفاً أو نبياً أو فارساً أو ملكاً، ألا تراها ضرباً من الوحي! والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون، فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء، وقد دلّ الله على وجوده بعدة آيات، أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علّمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء.

وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه، أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا، ما محمد بالكاذب ولا الملفق وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذوالفضل العظيم، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين » [1] .

---

[1] توماس كارليل ، محمد المثل الأعلى – صلى الله عليه وسلم – ، **10 – 15** .

وأخيرا فإن الاستشراق « حقق كثيرا من أغراضه ، لكنه لم يستنفد تلك الأغراض لذلك هو يواصل التأليف ويواصل الحوار في الندوات والاجتماعات الإقليمية والاجتماعات الدولية وهو ماض بمؤسساته الضخمة وإمكانات نشره الهائلة » [1] .

وأخيرا فالمطلوب هو« أن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية والتاريخية والعقدية لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار التي سمها المستشرقون » [2] .

3 – موقف بعض المحدثين من السيرة النبوية :

لا يمكن السكوت أمام الانحرافات والضلالات التي مست السيرة النبوية من باب المنافحة عن الدين وعن سيرة أكرم خلق الله أجمعين ﷺ ، التي هي جزء من هذا الدين القويم ، فإذا كان الاستشراق « لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا»[3] ، فقد استورد أهل الزيغ والشك عندنا ترهات أقلام بعض المستشرقين المبغضين وطروحاتهم الضبابية الحاقدة على الإسلام وأهله ، وبدؤوا في نسجها تحت مسمياتهم وفي طيات كتبهم ، مكشوفة تارة ومقنعة تارة أخرى .

فمن المستشرقين إذن إلى أذيالهم في الوطن العربي، ومن مطاعن الحاقدين على الإسلام جهرة إلى من والاهم في بلاد العرب طعنا ودسا لسموم أساتذتهم في السيرة النبوية ، والكل يجمع على أنه « من أخطر وأشنع ما فعله أعداء الإسلام لتحصيل تلك المطاعن الخبيثة وتحقيق تلك المقاصد الضالة ما اتخذ في زماننا هذا من أساليب ثقافية ظاهرها " الأدب والشعر والثقافة والنقد " وباطنها الكفر والشك والثقافة » [4] ، وهذا ما نلفيه في بعض كتابات أعلام عربية الذين سعوا إلى زرع الأساطير والشبهات في قلب السيرة النبوية الشريفة .

---

[1] أكرم ضياء العمري ، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (جامعة قطر ، العدد : 08 ، 1415 هـ / 1994 – 1995 م ، 76 .

[2] نفسه ، 76

[3] مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1388 هـ / 1969 م ، 06 .

[4] سعيد بن ناصر الغامدي ، الانحراف العقدي يف أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقدية شرعية) ، 02 .

وقد اتبعوا هذه الخطة « عن جهل أو عمد أو غفلة أو سوء فهم لدلالة هذه الأوصاف من بعض الكتاب المسلمين في العصر الحديث ، فكتبوا عن عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما كتبوا عن عبقرية أبي بكر الصديق وعبقرية عمر بن الخطاب وعبقريات أخرى ، وهذا حيف كبير في حق نبي الله ورسوله » [1] ، ولعلنا أفضنا في الحديث عن استخدام المستشرقين لكلمة (عبقري) أو (Genius) وصفا للرسول صلى الله عليه وسلم ، فما بال أبناء جلدتنا يصرون على هذا الوصف ؟

إن تصفحا سريعا لمؤلفات المسلمين في السيرة النبوية من هذا القبيل ، يجعلنا نتّجه صوب رأس القائمة ، إنه الأديب العصامي العقاد بعبقرياته ، فالعقاد كتب مجموعة من السير أسماها(العبقريات): عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، عبقرية أبو بكر الصديق [2]

وعبقرية عمر بن الخطاب [3] ، وعبقرية علي [4] وعبقرية خالد بن الوليد [5] رضي الله عنهم جميعا وعبقرية المسيح [6] عليه السلام أيضا ، وكان في كل مرة يتحدث عن جوانب من صاحب حياة صاحب السيرة المذكورة .

ولعل الذي يهمنا هو (عبقرية محمد) ، يقول عباس محمود العقاد في مقدمة كتابه (عبقرية محمد) : « عبقرية محمد عنوان يؤدي معـــناه في حدوده المقصودة ولا يتعداها ، فليس الكتاب ســـيرة نبوية جديدة تضاف إلى السير العربية والافرنجية التي حـــفلت بها (المكتبة المحمدية) حتى الآن (...) وليس الكتاب شـــرحا للإسلام أو لبعض أحكامه أو دفاعا عنه (

---

[1] أحمد أبو زيد ، السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) ، 458 .

[2] ينظر : عباس محمود العقاد ، عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

[3] عباس محمود العقاد ، عبقرية عمر ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، يناير 1998 م .

[4] ينظر : عباس محمود العقاد ، عبقرية الإمام علي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

[5] عباس محمود العقاد ، عبقرية خالد ،

[6] ينظر : عباس محمود العقاد ، عبقرية المسيح وكشوف العلم الحديث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا .

...) إنما الكتاب تقدير (لعبقرية محمد) بالمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى » [1].

ففي هذه المقدمة يظهر لنا العقاد « صادقا في دراسته وتحليله لو كان المدروس آخر أما كونه النبي ﷺ فهذا شأن آخر» [2] ، فتكرار كلمة (عبقري) والإصرار عليها هو الخطأ بعينه.

لكن لو درس العقاد حياة الرسول ﷺ « قبل البعثة وقال إنه عبقري قلنا صواب لكنه بعد ذلك نبي ورسول ولا تكتسب صفة العبقرية شيئا يُذكر في الميزان لا تكتسب أي ملاصقة لمن هو نبي أو رسول إلا لإخضاع النبوة والرسالة لحال أو حالات العبقرية » [3] .

ونحن لا ننكر أنه « نموذج طيب لو تحرر من منظور خاص وفهم خاص وتحليل خاص لكنها تبقى دراسة جيدة إذا قورنت بغيرها تعالمت وانتقدت على منهج مادي » [4] . فالحديث عن الرسول ﷺ ليس كالحديث عن غيره .

وحتى نبرأ ساحتنا نقول : « لعل العقاد لم يقصد ذلك لكن المشكلة أنه ينظر بعيون غيره ثم هو يترجم على أساس إسلامي لكنه أساس يفقد الفهم للنص الشرعي » [5] .

ونأتي لطه حسين الذي تحدثنا عن منهجه المشكك في الشعر الجاهلي و في السنة النبوية ، ونجده هنا يعلن في بداية كتابه (على هامش السيرة) معتذرا عن تناقض بعض أحداث السيرة مع العقل فقال : « وأنا أعلم أنا قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون إلا به ، وهم لذلك **يثقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لا يسيغها العــقل**

---

[1] **عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (المقدمة) 08 .**

[2] **الشيخ صالح بن سعد اللحيدان ، نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات ، ط1 ، دار راجح للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، دار الشوّاف للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1425 هــ / 2004 م .**

[3] **نفسه ، 20 .**

[4] **نفسه ، 51 .**

[5] **الشيخ صالح بن سعد اللحيدان ، نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات ، 21 .**

ولايرضاها وهم يشكون ويُلحون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ، وجده في طلبها وحــــرصه على قراءتها والاستمـــاع لها »[1] .

وأضاف قبل أن يصرح بما يكنه لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : « **الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ولم يرضها المنطق** ولم يستقم لها أساليب التفكير العلمي فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة واستراحتهم إليها من جهة الحياة وعنائها ، ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها **الترفيه على النفس** حين تشق عليهم الحياة »[2] .

ونراه يقول أيضا وبكل صراحة ووضوح ، بكلام لا يقبل اللبس ولا يجعلنا نلتمس له عذرا : « ... فأحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم لم تكتب مرة واحدة ، ولم تحفظ في صورة بعينها وإنما قصها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون في صنوف من التأليف **وقل مثل ذلك في السيرة نفسها** ، فقد ألهمت الكتاب والشعراء في أكثر العصور الإسلامية وفي أكثر البلاد الإسلامية أيضا فصوروها صورا مختلفة تتفاوت حظوظها من القوة والضعف والجمال الفني »[3] ، فمتى كانت السيرة أساطير تُرضي ميول الإنسان ؟ وكيف تتساوى السيرة المطهرة مع أساطير العرب في الجاهلية ؟

إذن لقد اتخذ طه حسين النبي عليه الصلاة والسلام وعصره مادة رائجة للأدب الأسطوري ، جاعلا سيرته عليه الصلاة والسلام مادة يُفتتن بها كما افتتن بالأدب الأوروبي الغربي ، فلقد أعلن ولائه للغرب وجعل من « تناول الأدب الأوربي للأساطير اليونانية إماما ، وطرقة ونبراسا ، ويضع السيرة في مصاف الإلياذة ، ويطلب من المؤلفين والكُتاب أن يفتنوا في

[1] **طه حسين ، على هامش السيرة ، دار المعارف ، مصر ، ط 31 ، 1 / ي – ك .**
[2] **نفسه ، 1 / ي – ك .**
[3] **طه حسين : على هامش السيرة ، ص ح .**

الحديث عنها افتتان أوروبا بأساطير اليونان كي يلذوا ميول الناس إلى السذاجة ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم » [1].

ويُرى طه حسين في كتابه ذاك « وقد جمع كل السموم والشبهات التي أثارها الاستشراق في مختلف كتبه ، وفي دائرة المعارف الإسلامية وأدخلها في دراسته عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنه حتى يمكن القول بأن " على هامش السيرة " يمكن أن يسمى " على هامش الشعر الجاهلي " » [2] !

لكنه نسي بل تناسى أنه « لم يقصد رواة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام الجمال القصصي في حديثهم عنه ، و لم يبتغوا الزينة اللفظية في تأريخهم لدقائق حياته ، إنما جاء الجمال القصصي والزينة اللفظية عارضا في مثاني الكلام فعملهم في سيرة نبيهم أسمى من أن يهدفوا منه التقاصص أو التلاعب » [3] .

إذن فقد جاء مسعاه لإفساد العقول بالتشكيك و إدخال الريبة إلى نفوس المسلمين في سيرة رسولهم الكريم عليه أفضل الصلاة التسليم ، وهو المعروف عنه بتتبعه « المنهج الديكارتي ، منهج الشك من أجل الوصول إلى الحقيقة » [4] ، وكان ما ذكرناه نتيجة لهذا التصور الغربي .

و لم يكن طه حسين ليقول تلك الترهات الواضحة التي كشفت عمالته وخبث معتقده لو لا نفسه الدنيئة و « ما انطوت عليه من غل على القرآن والإسلام ، وبما اجتمع عليه قلبه من دخائل العقائد الباطلة والجهالات المتواصلة » [5] .

---

[1] نقد كتاب " على هامش السيرة " غازي التوبة ، من : حسين في ميزان العلماء والأدباء ، إعداد وتقديم وتعليق : محمود مهدي الاستنبولي ، المكتب الإسلامي ، ط1 ، 1403 هـ / 1983 م ، 235 .

[2] سيد بن حسين العفاني ، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، ج1 / 245 .

[3] نقد كتاب " على هامش السيرة " غازي التوبة ، من : حسين في ميزان العلماء والأدباء ، 234 .

[4] خيري سلبي ، محاكمة طه حسين ، 29 .

[5] سعيد بن ناصر الغامدي ، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقدية شرعية) ، 1079 .

ونأتي لنموذج آخر وأخير لأحكام بعيدة عن التمحيص والإثبات وفيها مخالفة واضحة لأهل العلم في ما يخص السيرة النبوية ، في المقاربة الوضعيّة التي رسمها هشام جعيْط والتي لا تعد إلا قاسما مشتركا بينه وبين المستشرقين والعقلانيين .

يقول هشام جعيْط : « السيرة والتواريخ تشدد على الحدث باعتباره الانطلاق الأساس ولئن كانت الأسانيد لا تُعتمد بالنسبة للمؤرخ ، بل فقط متن الرواية ، فقصة الغار ثم رؤية الملك فيما بعد **وإن كانت غير مستحيلة طبعا لتواتر المصادر لدينا ، فإني شخصيا أرفضها** لأن لحظة التلاقي والتجلّي والوحي حصلت كما ورد في سورتي النجم والتكوير واضحة مفصلة » [1] .

ويقف عند حديث جبريل عليه السلام مخاطبا رسول الله ﷺ وطالبا منه القراءة يعلل عدم قراءة الرسول ﷺ من أول وهلة بأنه ليس « رفضا وإنما إشعار بواقع الأمية الذي يجهله المَلَك فأرهقه حتى قرأ عليه الملك وانطبعت الآيات في قلبه » [2] .

ولعل تسميته للجزء الثاني من كتابه المذكور (تاريخية الدعوة **المحمدية** في مكة) [3] لكاف للدلالة على حكمنا السابق ، وكأن الإسلام هو دعوة فردية لا إنسانية شاملة **!**

سادسا: السيرة النبوية بين الصحيح والضعيف:

تبقى السيرة النبوية هي الينبوع الثر الذي لا ينضب ولا يتحول رغم مرور السنون عليه ، وتبقى المعتمد الأول للباحثين عن القدوة ، والقاصدين الهداية والرشاد ، فمنها يستقي الكبير والصغير ، الداعي والواعظ ، الدارس والمدرس ...

---

[1] هشام جعيْط ، في السيرة النبوية – الوحي والقوة والقرآن – ج1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، أيار / مايو ، 2000 م ، 35 .

[2] هشام جعيْط ، في السيرة النبوية – الوحي والقوة والقرآن – ج1 ، 35 .

[3] هشام جعيْط ، في السيرة النبوية – تاريخية الدعوة المحمدية في مكة – ج2 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، كانون الثاني / يناير ، 2007 م ، 35 .

فالسيرة النبوية وإن أعطيت حقها في التحقيق ، بظهورها لنور الحياة العامة سواء تحقيقا ودراسة لسيرة ابن هشام ، فإنها لم تعن بتحقيق أسانيد النصوص ، و لم يستخرج منها الضعيف ، و لم تذكر درجة عدالة رواتها بالدقة المطلوبة ولا بالكم المطلوب أيضا

لقد كانت الحاجة ماسة لكتاب يجمع صحيح السيرة النبوية ، خوفا من انتشار أقوال أو مواقف من السيرة تنسب للرسول صلى الله عليه وسلم دون وجه حق ، الأمر الذي حدا ببعض الدارسين إلى إفراد مؤلفات للصحيح من السيرة النبوية وهي على قلتها خطوة محمودة في طريق تنقية السيرة النبوية مما علق بها من موضوعات ومكذوبات .

فمما ينبغي التنبيه إليه ونحن نتحدث عن الصحيح و الضعيف في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـــو أن « كتب السير ومثلها كتب التاريخ تسوق كل ما ورد في الباب مما صح أو لم يصح » [1] ، إذ ثبت لنا أن « سائر الذين كتبوا في السيرة اهتموا بجمع ما أمكنهم من الروايات وتدوينها دون أن يشترطوا الصحة فيما يكتبونه »[2] ، فكثيرة هي الروايات التي ضمتها كتب المغازي والسير بأسانيد مرسلة ومنقطعة بعكس ما يرد في كتب الحديث ، وعليه فإن الحذر واجب والتحرز مطلوب أثناء نقل ما نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذن هي أسباب حدت ببعض علمائنا إلى التفكير في ضرورة كتابة السيرة من وجهة نظر المحدثين لما عُرف عنهم من عدم التساهل في الروايات من أجل تمييز الروايات الصحيحة من غيرها ، وتبنوا القاعدة التي مفادها أن كل ما جاء في كتب الحديث الصـــحيحة من روايات تتعلق بالسيرة النبوية لهو مقدم على ماجاء في كتب المغازي والسير .

لكننا نشير هاهنا إلى أن ما ذكرناه آنفا من عدم اعتماد كُتاب السير والمغازي على الروايات الصحيحة دون غيرها ، لا يحط من قيمة السيرة حتما ولا يطعن في أصحابها خصوصا إذا علمنا أن سبب إحجام كتاب السير والمغازي عن رواية الصحيح دون غيره لا يعكس قلة ثقافتهم في معرفة أحوال الرجال وإنما « كان المتخصصون في القرون الأولى يعرفون الرواة

[1] فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، **104** .

[2] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية ، مركز بحوث السيرة والسنة ، جامعة قطر ، **1411** هـــ / **1991** م ، **11** .

وأحوالهم والأسانيد وشروط صحتها فكان بوسعهم الحكم على الروايات وتمييزها لـــكن هذه المعرفة بالرجال والأسانيد لم تـــعد من أسس الثقافة في القرون المتأخرة »[1] ، فما بالنا بعصرنا الحالي الذي شحت فيه المعرفة واقتصرت على النخبة ، وكثير ممن يُسر لهم من الكُتاب والمؤرخين العمل على الروايات التاريخية عموما « يترسمون مناهج (النقد التاريخي) الذي ظهر ونما في الغرب خلال القرنين الأخيرين »[2]

إضـــافة إلى أن « الوقائع التاريخية لا يمكن الاقـــتصار على الروايات الصحيحة فيها »[3] ، دون أن نغفل بأن ذكر الروايات المختلفة من صحيح وضعيف يدل على « ما امتاز به العلماء المسلمون من حرية البحث وسعة الأفق ويشهد على حرصهم في تحري الحقيقة مما جعل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصح وأدق ما كُتب عن العظماء والأبطال »[4] ، على مر الأزمان

في هذا الصدد يقول أحد إبراهيم العلي صاحب كتاب (صحيح السيرة النبوية) وأحد الذين تصدوا للكشف عن الصحيح من الضعيف في السيرة النبوية : « إن المطلوب هو اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها في بناء الصورة الناصعة لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الروايات الحسنة ثم ما يعضدها من الضعيف ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائما ، أما الروايات الضعيفة فيمكن الاعتماد عليها في إثبات حوادث تاريخية لا ينبني عليها أي حكم شرعي أو أمر في جانب العقيدة ، لأن الأحكام الشرعية والأمور العقدية لا تثبت إلا بالأحاديث الصحيحة»[5].

---

[1] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية – ص : 12 .

[2] نفسه ، : 12 .

[3] عمر أحمد عمر ، أولو العزم من الرسل : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط1 ، دار حسان ، دمشق ، سورية ، 1409 هـــ / 1988 م ، المجلد 2 ، ج5 ، ص : 375 .

[4] نفسه : المجلد 2 الجزء 5 ص : 375 .

[5] إبراهيم العلي ، صحيح السيرة النبوية ، ط1 ، النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1415 هـــ / 1995 م ، ص : 11 .

وقـــد قام فـــتحي مجدي السيد أحد الذين حققوا سيرة ابن هشام بتصنيف كـــتاب (صحيح السيرة النبوية لابن هشام)[1] ، لنفس الغرض المذكور ، ولم تختلف منهجيته كثيرا عن المنهجية التي اتبعها إبراهيم العلي في مصنفه المذكور آنفا * ، بحيث أبقى على الصحيح وحذف الأحداث التي لم يصح فيها أحاديث أو آثار ، أو لم يأت المصنف فيها بآيات قرآنية[2] .

كـــما كانت هناك دراسات وأبحاث أخرى لم تدرج تحت نفس المسمى المتـــداول (**صحيح السيرة النبوية**) الذي يعني باستخلاص الصحيح من السيرة النبوية والإشارة للضعيف من رواياتها ، لكنها أخذت نفس المنحى ، بحيث لم تخرج عن الإطار العام الذي رُسم أول مرة حين كانت البغية هي تصفية السيرة النبوية من كل ضعيف أو موضوع .

مثل ذلك نجد كتاب (**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**)[3] لمهدي رزق الله أحمد ، وذلك في أكثر من 900 صفحة .

وكتاب (**ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية**)[4] لمحمد بن عبد الله العوشن ، الذي أفرده للكثير من الروايات التي لمن تثبت قطعا في السيرة النبوية ، فتداول الخبر وانتشاره وشهرته ، لا يعني أبدا أنه ثابت ، رغم أنه يحمل من الحقيقة شيئا ومن الواقع حوادثا فالخبر المشاع أو الإشاعة « تشمل دائما على فتات متخلف من الأخبار تشمل على جانب من الحقيقة ولكن هذا الفتات تطغى عليه شطحات أخيولية »[5] ، والتفريق بين الحدث الحقيقي وما أُضيف إليه من موضوع ليس سهلا ، إلا إذا تصدى لهذا العمل من ذوي الاختصاص .

---

[1] ينظر : مجدي فتحي السيد ، صحيح السيرة النبوية لابن هشام ، ط 1 ، الصحابة للتراث بلد النشر :طنطا ، مصر سنة الطبع : 1416 هـــ / 1995 م .

*** لم نتمكن من معرفة أيهما أسبق تأليفا من الآخر ، لأن أول طبعة للكتاب صدرت في نفس السنة (1995 م) .**

[2] ينظر منهج الكاتب في تصنيف الصحيح : ص : 07 .

[3] مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، الطبعة : 1 ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

[4] ينظر : محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، دار طيبة .

[5] كامل محمد محمد عويضة ، علم نفس الإشاعة ، مراجعة : محمد رجب البيومي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1416 هـــ / بيروت ، لبنان ، 55 .

ومن ضمن الكثير مما شاع و لم يثبت قطعا من الضعيف والواهي هو[1] : ما رافق ليلة مولد خير الأنام عليه الصلاة والسلام من انشقاق ايوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة منه وخمود نار فارس وكانت لم تخمد قبل ذلك بألف عام وغيض بحيرة ساوة المتواجدة في بلاد فارس ورُؤى الموبذان كبير حكام الفرس ، فرغم ذكر هذه الأخبار من طرف الكثير من علماء السير والتراجم ، إلا أنها لم تثبت .

من ذلك أيضا ، قضية عمر خديجة رضي الله عنها عند زواجه صلى الله عليه وسلم منها « فالمشهور في كتب السيرة أن عمرها رضي الله عنها لما تزوجها رسول الله كان أربعين سنة وأنها لما توفيت كانت بنت خمس وستين » [2] ، وغير هذه الأخبار مما يدخل في دائرة الضعيف المشكوك فيه .

كما أُفردت كتب أخرى لروايات ضعيفة بعينها مثل قصة الغرانيق [3] على سبيل المثال لا الحصر ، والتي أبطلت من جهة النقل أو السند كما من جهة المتن أيضا والتي إضافة إلى إثباتها في الكتب التي أشارت للضعيف من الروايات ، فإنها عنيت بتخريجها من طرف محمد ناصر الدين الألباني في كتابه (**نصب المجانيق لنسف قصة المجانيق**) [4] .

إذن أن تكون بين يدي الدارسين والعوام على حد السواء سيرة نبوية صحيحة من شأنه أن يجعل الآخذ ينهل منها بكل تفاصيلها المتنوعة وهو مطمئن لصحة النصوص الواردة فيها ، دون شك في ما يقرأ وما ثبت عن رسول الله صلى الله عله وسلم ، لذلك وجب التركيز أكثر على تنقية السيرة النبوة من الضعيف والموضوع وذلك بـــ « الجمع بين معطيات منهج المحدثين

---

[1] ينظر : علي القاري الهروي المكي ، المصنوع في معرفة المصنوع (وهو الموضوعات الصغرى) حققه وراجع نصوصه وعلّق عليه عبد الفتاح أبو غدّة ، ط5 ، مكتب المطبوعات ، حلب ، بيروت ، ودار البشائر الإسلامية لبنان ، 1414 هــ / 1994 م ، 18 .

[2] محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، 18 .

[3] محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، 61 ، مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، 199 وما بعدها

[4] محمد ناصر الدين الألباني ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، المكتب الإسلامي ، ط3 ، 1417 هــ / 1996 م .

ومنهج النقد الغربي يعطي أمـــثل النتائج إذا حَكمت الأخير معايير التصور الإسلامي »[1] ، فيصير اليقين في معلوماتنا والأخذ من سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام .

ونتساءل أخيرا لماذا لم يتم اعتماد مثل هذا المنهج ؟ ولعل الإجابة لا تكون إلا لما يحمله هذا المنهج من « صعوبة وجهد في معرفة الرجال وأحوالهم والتفتيش عنهم وفي إتقان علوم الحديث والتمرس على تطبيقها في النقد التاريخي »[2] ، ويبقى هو المعول عليه في كل الأحوال لضمان نتائج طيبة تخدم السيرة النبوية لخير خلق الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما وجدناه في مصنفات تعد على الأصابع سطرناها في الجدول التالي الذي يضم ما صُنف في صحيح سيرة ابن هشام ، وأمكننا الوصول إليه :

1 – ما عنونت بــ (الصحيح)		
المؤلف	**عنوان الكتاب**	**معلومات التوثيق**
محمد بن مرزوق بن طرهوني	**صحيح** السيرة النبوية المسمى : السيرة الذهبية	**دار النشر** : ابن تيمية للطباعة والنشر **بلد النشر** : القاهرة **الطبعة** : 1 **سنة الطبع** : 1410 هــ .
مجدي فتحي السيد	**صحيح** السيرة النبوية لابن هشام	**الطبعة** : **1** **دار النشر** : الصحابة للتراث **بلد النشر** : طنطا ، مصر **سنة الطبع** : **1416 هــ / 1995** م .

[1] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية – ص : 14 .

[2] المرجع السابق ، النبوية ، ص : 70 .

إبراهيم العلي	**صحيح** السيرة النبوية	**الطبعة** : 1 **دار النشر** : النفائس للنشر والتوزيع **بلد النشر** : الأردن **سنة الطبع** : 1415 هـ / 1995 م .
2 – ما اختلف عنوانه وجاء مضمونه متناولا للصحيح من السيرة		
محمد بن عبد الله العوشن	ما شاع و لم يثبت في السيرة النبوية	**دار النشر** : طيبة
مهدي رزق الله أحمد	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية	**الطبعة** : 1 **دار النشر** : مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية **بلد النشر** : الرياض المملكة العربية السعودية **سنة الطبع** : 1412 هـ / 1992 م .
محمد ناصر الدين الألباني	نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق	**الطبعة** : 3 **دار النشر** : المكتب الإسلامي **بلد النشر** : الأردن **سنة الطبع**: 1417 هـ / 1996 م

إن ما يميز هذه الأعمال الجادة هو أن مؤلفيها حاولوا تنقية السيرة النبوية من كل ما هو ضعيف وموضوع ، واقتصروا على الصحيح من الروايات ، لأن المؤرخين يتساهلون في

مناهجهم مع الروايات التي يوردونها ، فلا يدققون في عدالة الرواة ممن يروون عنهم ، ولا يعتمدون على الإسناد كشرط لقبول الرواية مثلما يفعل المحدثون ، ومن ثمة لم يستخدموه لتصحيح الخبر والرواية التاريخية ، فكانوا يروون بذلك عن رواة لم تثبت عدالتهم من الضعفاء .

الفصل الثالث

الرواية في السيرة النبوية

أولا : قراءة عامة في المنهج ابن هشام في عرضه للسيرة من خلال كلامه في المقدمة :

كثيرا ما نتبين منهج المؤلف من مقدمة كتابه ، الأمر الذي ينطبق على سيرة ابن هشام ، فقد ظهر منهجه في مستهل الكتاب ، وعلى ضوئها أمكننا الوقوف على نقاط منهجية نتبينها في هذا الفصل الخاص بمنهج ابن هشام في رواية السيرة النبوية .

لقد أثار ابن هشام في مستهل السيرة النبوية وأبان عن منهجه في تناول سيرة ابن إسحق وإعادة كتابتها وفقا لمنهجه الخاص فقال :

« أنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارك بعض ما ذكره بن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر ، يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به » [1] .

وهذا الإعلام الصادر عن ابن هشام نفسه يوضح لنا بشكل كبير كيف تعامل مع النص الأصلي للسيرة النبوية التي سمعها عن البكائي نقلا عن ابن إسحق ، ونركز على الكلمات المفتاحية التالية :

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 1 ، ص 3 .

منهج ابن هشام في عرض السيرة كما وضحه في المقدمة	الكلمة المفتاح
تحديد بداية سرد السيرة النبوية	وأنا (...) **مبتدئ** هذا الكتاب
ترك بعض الأقوال	**وتارك** ذكر غيرهم
ترك بعض ما كتبه ابن إسحق بغية الاختصار	وتارك (..) **للاختصار**
ذكر أسباب الترك	- ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر - لا نزل فيه من القرءان شيء - ليس سببا لشيء من هذا الكتاب - ولا تفسيرا له - ولا شاهدا عليه
حذف بعض الأشعار	- وأشعارا
حذف أشياء أخرى لأسباب هـــي :	- بعضها **يشنع الحديث به** - بعض **يسوء بعض الناس ذكره** - بعض **لم يقر لنا البكائي بروايته**
اتباع منهج الاستقصاء في ما سوى ذلك	**ومستقص** إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك
طريقة الاستقصاء	بمبلغ **الرواية** له و**العلم** به.

والملاحظ أثناء قراءتنا لمنهج ابن هشام المذكور أنه ركز على كلمات بعينها ، والتي كان لها الأثر البالغ في تناول ابن هشام لسيرة ابن إسحق بالتهذيب ، فكرر كلمة (**بعض**) خمس مرات ، بينما وظف كلمة (**تارك**) مرتين ، وبنفس العدد كلمة (**الاختصار**) ، ومعلوم أن مقدمة الكتاب تأتي مركزة مختصرة ، بحيث تكون كل كلمة فيها مهمة للناقد ، والقارئ معا ، فهي زبدة العمل وخلاصته .

الكـــلمة	تكرارها في عرض المنهجية
بعض	5
تارك	2
الاختصار	2

والكلمات كما هو ملاحظ هي (**بعض** ، **تارك** ، **الاختصار**) وهي في الأساس ركائز منهج ابن هشام ، كونه (ترك بعض ما أورده ابن إسحق للاختصار) ، أي أنه هذب سيرة ابن إسحق واختصرها بحذف أو ترك بعض (وليس كل) ما رواه ابن البكائي عن ابن إسحاق.

ويرى ابن خلدون ، أن المؤرخ عليه أن يكون دوره دور المتفرج الناقل للأحداث ، بحيث تهجم دون هوادة على المؤرخين بسبب : « اعتمادهم على مجرد نقل ما رأوه أو سمعوه وعدم تأمل الحقيقة في ذاتها ومناقشتها وإعطائها عللا وأسبابا » [1] ، كما يقول في مقدمته لما تحدث عن فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط : « كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر ، إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد » [2] ، فابن هشام أخذ بجل منطق ابن خلدون ، ولم ينقل سيرة ابن إسحاق ، كما رواها له ابن زياد البكائي ، كما سنرى .

[1] يسري عبد الغني ، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، ص 13 .

[2] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي ، خزانة ابن خلدون ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ج 1 ، ص 14 .

ثانيا : منهج ابن هشام في رواية الشعر في السيرة النبوية

لما تغير حال العالم ببزوغ فجر الإسلام ، كان على هذا الدين الجديد أن يضع بصماته في مختلف مجالات الحياة ، لقد كان هذا الحدث بعيد الأثر في حياة المجتمع والناس ، وفي ظل هذا التحول والتغير ، كان لا بد للأدب شعره ونثره أن يتأثر ، فيستجيب لما طرأ من جديد على شبه الجزيرة العربية .

لكن هذا التغيير لم يكن بين عشية وضحاها ولم يكن سهلا على حد السواء ، ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بعد بعثته واجه الأدب الذي نشأ عليه آباؤه من جهة ، وغيّر مفاهيمه بجعله ذو صبغة إسلامية من جهة أخرى .

واستنادا على هذا فإنه من الطبيعي أن تجمع سيرته الطاهرة كمّا لا يستهان به من الشعر ، هنا لا ينكر أحد ما لابن إسحاق من الفضل الكبير في نقل الأشعار المتفاوتة بين الصحة والانتحال والوضع ، وبين التداخل والخلط وما إلى ذلك ... والتي واكبت أحداث السيرة النبوية ، فالسبق كان له دون أدنى منازع ، بينما حاول ابن هشام تطبيق منهجه على هذه الأشعار المروية ، وبما أننا نتناول الرواية في السيرة النبوية والشعر هو من أهم ما رُوي فيها ، كانت بهذا جزءا أساسيا من درسنا ، ومن ثمة كان لزاما علينا أن نتناوله بكثير من التفصيل ، محاولين تناول هذا العنصر المهم في بحثنا بطريقة دقيقة ، بعدما استقصينا ما يمكن أن يشكل منهجا لدى ابن هشام في روايته للسيرة النبوية ، والتي أخذها عن ابن إسحاق ، وعدلها ونقحها بما رآه مناسبا لإخراج السيرة النبوية على أفضل وجه وأحسنه

ونشير هنا ، إلى أنه ليس هناك دراسة كاملة شاملة تناولت نقد شعر السيرة النبوية في سيرة ابن إسحاق التي نقحها في ما بعد ابن هشام ، كما أسلفنا الذكر غير مرة ، كما أن التشكيك في شعر السيرة النبوية كان حاضرا منذ عهد ابن إسحاق نفسه ، ولعل ابن سلام في (**طبقات فحول الشعراء**) كان أولهم ، يقول ابن سلام الجمحي : « وكان مما أفسد الشعر وهجنه محمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار ... فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أتى به فأحمله ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن

الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، ليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف ، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : ... وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى) » [1] ، فابن سلام يكشف عن الحمل السيء للأشعار الذي عرف به ابن إسحاق وإقحامها في السيرة النبوية ، لدرجة أنه أورد اعترافا لابن إسحاق نفسه ، معترفا أنه يحمل ما يأتيه من شعر ويرويه على أنه جزء من السيرة ، رغم عدم علمه بهذه الصنعة ، ولا إتقانه لها .

وفي العصر الحديث ظهرت مجموعة من الدراسات التي تناولت شعر السيرة النبوية ، على شاكلة ما قام به شوقي رياض أحمد في كتابه (**شعر السيرة النبوية**) ، و لم نجد من سبقه لرصد الكثير من المشاهد النقدية التي تحوم حول شعر السيرة ، وكذا وليد عرفات ، قي مقاله المعنون بــ (**الناقدون الأولون لشعر السيرة**) الذي نشره على صفحات مجلة (أقلام العراقية) [2] ، وذكر فيه مختلف الذين تناولوا شعر ابن إسحاق بالنقد والتمحيص .

1- موقف الإسلام من الشعر والشعراء

كان الشعر ديوان فضائل العرب وسجاياهم وسيمة يتميزون بها ، وسجلا ضخما لمفاخرهم ، تأصل في نفوسهم سماعا وإنشادا وجرى على ألسنتهم سليقة ، ولما جاء الإسلام نظر للأدب كغيره من المظاهر الحياتية الأخرى كعنصر وجب في حقه التغيير ومسايرة المبادئ الإسلامية الجديدة ، وضبطه بمجموعة من الضوابط التي إن حكّمت جاز ونفع ، وإن ألغيت دخل في دائرة المحذور مثلما سنرى .

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الشــعراء : « وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

[1] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 7 – 8 .

[2] وليد عرفات ، الناقدون الأولون لشعر السيرة ، ترجمة وتعليق : بشار عواد معروف ، مجلة الأقلام ، السنة الأولى ، جمادى الثانية 1384 ه ، ج 3 ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، العراق .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ » [1] ، وهذه الآية القرآنية هي التي يُعتمد عليها بدرجة كبيرة في توضيح رأي الإسلام في الشعر والشعراء ، ورأي القرآن الكريم بالدرجة الأولى .

يقول ابن كثير في شرح هذه الآية القرآنية : « وقوله تعالى : " وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ " قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن ، وكـــذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما . وقال عكرمة : كـــان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ، ولهذا فئام من الناس ، فأنزل الله تعالى : " وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ " (...) وقوله تعالى : " أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ " قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : في كل لغو يخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره (...) وقال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها مرة في شتمه فلان ، ومرة في مدحة فلان. وقال قتادة: الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذم قوماً بباطل. وقوله تعالى:" وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ " (...) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أكثر قولهم يكذبون فيه. وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر . فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم ...»[2].

ويقول الزمخشري أيضا موضحا أن الاتباع يكون اتباعا للباطل الذي هم عليه كـــ « كذبهم وفضول قولهم وما هم عليه منا لهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم ... » [3] .

---

[1] الشعراء : **224** / **227** .

[2] ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج **10** ، ص **384 – 385** .

[3] الزمخشري ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي حمد معوض ، مكتبة العبيكان ، ج **4** ، **425** .

فالمعنى مشترك بين ابن كثير والزمخشري في كون هذه الصفات التي تلحق بالشاعر هي التي تجعله من الغاوين المتبعين ، وتجعل قوله باطلا منكرا ، وهذه الآيات الكريمة لا تذم الشعراء جملة وتفصيلا ، وإلا لم كان الاستثناء بــ (**إلا**) ، فمن هي هذه الفئة التي حق فيها قوله تعالى؟

إلى هذا ذهب العسكري في الصناعتين بقوله : « واستثناء الله عزّ وجل في أمر الشعراء يدلّ على أنّ المذموم من الشعر إنما هو المعدول عن جهة الصواب إلى الخطأ والمصروف عن جهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور ، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم ، ولو كان الذمّ لازماً له لكونه شعراً لما جاز أن يزول عنه على حال من الأحوال » [1] ، فالاستثناء هنا يجب الوقوف عنده مليا كي لا نعمم الحكم ، ونفهم الطائفة التي خرجت من الذم .

وبهذا ليس كل من سال يراعه شعرا هو من الغاويين ، بل الشعر شأنه شأن الكلمة في الإسلام ، منها الطيبة ومنها الخبيثة ، وليس كل من رزق موهبة قرض الشعر يقول ما لا يفعل ، بل قد يكون الشعر رسالة إنسانية لإقرار الحق والدفاع عنه ، « فالشعر الذي قاله الشعراء المؤمنون هو الشعر الجائز المقبول ، والشعر الذي قاله الشعراء الغاوون هو الشعر المردود الذي لا يجوز » [2] ، وهذا ينطبق على كل العصور وفي كل الأمصار ، وفي كل الظروف والمواقف لأنه قضية مبدأ لا غير ، وقضية حرص على اتباع المنهج القويم في التعامل مع كل عمل يقوم به المسلم في حياته .

ولنمثل على ذلك باستحضار صفة واكبت الشعر منذ القدم ، في حين هي صفة مذمومة من طرف ديننا الحنيف والفطرة السليمة على حد السواء ، قـــال العرب قديما : « أحسن الشعر أكذبه » [3] ، فالضاعر في عرف العربي القديم لا بد له من الإتيان بكل ما

---

[1] **أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، ط 1 ، 1319 ه ، ص : 104 .**

[2] **سفير بن خلف بن متعب القثامي ، الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر (عرض وتوجيه) ، 107 .**

[3] **أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 94 .**

يجعل سامعه يتلقفه باستحسان حتى وإن اضطر للكذب أو المبالغة ، وقد جاء أيضا : « أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه » [1] .

وجاء الإسلام ليذم الكذب ويحث على الصدق في الحديث ، فقد قال الحق تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ » [2] ، كما ثبت أن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ الصدقَ يَهدِي إلى البرّ، وإن البرَّ يَهدي إلى الجنَّة، وإن الرجلَ لَيَصدُق حتى يكونَ صدِّيقاً. وإن الكذبَ يَهدِي إلى الفجور، وإن الفجورَ يَهدِي إلى النار، وإن الرجلَ لَيَكذِب حتى يُكتبَ عند اللهِ كذّاباً » [3] .

فالصدق من أخلاق المسلم ، ويعده الإسلام خلقا رفيعا بل من أعظم خصال الخير ، وهو من مكارم الأخلاق التي جاء الشرع بتأكيدها والأمر بها ، لهذا نجد هذه الصفة يتمثلها الأفاضل من الناس ، ولا سيما الأنبياء منهم ، والأدنى فالأدنى .

وإيراد الآية المذكورة يتبعها إيراد بعض الأحاديث النبوية الواردة في ذم الفئة الغاوية من الشعراء ، على شاكلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : « لأنْ يَمتلىء جَوفُ أحدِكم قَيحاً خيرٌ له من أن يمتلىءَ شِعراً » [4] ، ومعنى الحديث لا يخرج عن المعنى العام للآية سابقة الذكر ، فالشعر كلام يصدر من الشاعر مثلما تصدر الكلمة منه على حد سواء ، قد يكون قبيحا مذموما وقد يكون مقبولا ، وبالتالي فالذم الوارد في الأحاديث ليس موجها إلى الشعراء أو الشعر عامة ذاته ، وإنما إلى الإفراط في الاشتغال به

[1] ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1963م ، ص 148

[2] التوبة : 119 .

[3] البخاري ، باب قولِ الله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ " (التوبة: 119) ، وما ينهى عنِ الكذِب ، ج 4 ، ص 109 (رقم الحديث : 6094) .

[4] المصدر السابق ، باب مايُكرَهُ أن يكونَ الغالبَ على الإنسانِ الشعرُ حتى يَصُدَّه عن ذِكر الله والعلم والقرآن ، ج 4 ، ص 120 (رقم الحديث : 6155) .

والخروج فيه عن الحد المقبول شرعا ، حتى أن الحديث النبوي المذكور أورده الإمام البخاري تحت عنوان : باب ما يُكرَهُ أن يكونَ الغالبَ على الإنسانِ الشعرُ حتى يَصُدَّه عن ذِكر الله والعلم والقرآن ، إذن فالشعر في مجموعه وعمومه مرتبط بالكلام المبالغ فيه كأن يكون كاذبا ، مما يدخل في دائرة المذموم في ديننا .

وصفوة القول فالشعر « جائز إذا لم يكن فيه إفراط أو فحش أو تعرض لأعراض المسلمين الأبرياء ومندوب حين يكون مدحا للإسلام وأهله أو هجاء وتحقيرا للكافرين وتحريضا على قتالهم وما شابه ذلك » [1] ، وسنرى في ما يلي كيف شجع الرسول صلى الله عليه وسلم قرظ الشعر دفاعا عن الإسلام والمسلمين وردّا لهجاء الكفار .

يُروى أنه « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ، فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً »[2] ، والرسول صلى الله عليه وسلم قصد ما يستخدم من الشعر للتوعية والعظة والحكمة ، والمنفعة العامة لا ما يجعل من المجتمع منحلا ، والقيم متفسخة .

ولتكتمل الصورة نورد الأحاديث التي تحدث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عن أهمية الشعر ، بل وحث فيها عليه ، تلك التي تعلقت بالرد على المشركين واليهود الذين استخدموا الشعر كوسيلة إلى جانب السلاح للنيل من الإسلام وأهله ، ونلخصها في الأحاديث التالية على سبيل المثال لا الحصر :

---

[1] سفير بن خلف بن متعب القثامي ، الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر (عرض وتوجيه) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج 18 / ع 38 رمضان 1427 هـ ، 135 .

[2] في صحيح ابن حبان ، عن ابن عباس ، أن أعرابياً أتى النَّبِيَّ ، فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْراً ، وإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً » ، ابن بلبان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1408 ه / 1988 م ، ج 13 ، ص 96 (5780) .

تحدثنا المصادر التاريخية أنه عليه الصلاة والسلام أمر بقرظ الشعر لصالح الدعوة الإسلامية والدفاع عنها ، فقد ثبت أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لحسّانَ بن ثابت رضي الله عنه يومَ قُريظةَ : « اهجُ المشركين ، فإن جبريلَ معَك » [1] .

ويتجلى لنا ما ذكرناه بدقة من خلال القصة الواردة في صحيح مسلم والتي ارتأينا أن نوردها كاملة للدلالة على دور الشعر في معركة المسلمين ضد المشركين ، فعَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشاً. فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إِلَىٰ ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ. فَأَرْسَلَ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَىٰ هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ. ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ. فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «لاَ تَعْجَلْ. فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا. وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَباً. حَتَّىٰ يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ. ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ لِحَسَّانٍ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللّهِ وَرَسُولِهِ». وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَىٰ وَاشْتَفَىٰ». قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ✿✿✿ وَعِنْـــــدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَـــنِيفًا ✿✿✿ رَسُولَ اللهِ شِيـــــمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِـــرْضِـــي ✿✿✿ لِعِــرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُـــمْ وِقَاءُ

ثَكِــلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ✿✿✿ تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَـــــــدَاءِ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُـــــصْعِدَاتٍ ✿✿✿ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الـــــظِّمَاءُ

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، باب مرجع النبيِّ صلى الله عليه وسلم منَ الأحزاب ، ومخرجهِ إلى بني قُرَيظة ، ومحاصرَتهِ إيّاهم ، ج 3 ، ص 120 (رقم الحديث : 4124) .

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّـــــــرَاتٍ ✿✿✿ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُــرِ النِّــسَاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَـــــنَّا اعْتَمَرْنَا ✿✿✿ وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِــرَابِ يَوْمٍ ✿✿✿ يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَــــنْ يَـــــشَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْــتُ عَبْدًا ✿✿✿ يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَــفَاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَـــــدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ✿✿✿ هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَـــنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِــــــنْ مَعَدٍّ ✿✿✿ سِبَــابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَـــنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ✿✿✿ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْــصُرُهُ سَــوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ✿✿✿ وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ »[1] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الحادثة ، جعل من الشعر طريقة لردّ كيْد شعراء فريش ، وانتقى من الشعراء حسانا ، لقدرته على الرد ، وأبي بكر لقدرته على تيسير أمر الهجاء دون مسّ نسب النبي صلى الله عليه وسلم .

كما تطالعنا المصادر التاريخية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استمع لقصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير والتي مطلعها [2]:

قصيدته التي قال حين قدم على رسول اللهﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ✿✿✿ متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ✿✿✿ إلا أغن غضيض الطرف مكحول

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، باب فضائل حسان بن ثابت، رضي اللّهُ عنه ، ج 3 ، ص 120 (رقم الحديث : 4124) ، مسلم ، صحيح مسلم ، ص : 1352 ، 1353 ، (رقم الحديث : 2490) .

[2] كعب بن مالك ، الديوان ، حققه وشرحه : علي فاعور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 22 ، 1417 ه / 1997 م ، ص : 60 ، وص : 67 ، ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج 1 ، ص 503 – 513 .

إلى أن يقول :

إن الرسـول لنور يستضاء به ✿✿✿ مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ✿✿✿ ببطن مكة لما أسلموا زولوا

باختصار إنه الالتزام في الأدب مثلما هو الالتزام في كل مجالات الحياة حسب الضوابط الإسلامية ، فكلما حمل الشعر مضامين اجتماعية أو ثقافية أو إنسانية أو حضارية هادفة تنضوي تحت لواء الإسلام والفطرة السليمة ، ساعد بطريقته على الرقي بالمجتمع وتجميع الهمم والسعي لتبديل المساوئ بالمحاسن والرذائل بالفضائل ، فالالتزام ما هو إلا « أمر داخلي وتعبير ذاتي عن النفس والفكر والخيال والروح بوازع إيماني وصدق نفسي »[1] ، يتعلق بكل مناحي الحياة ، بما في ذلك الإبداع الفني والأدبي ، وغير ذلك .

وتعد (قضية الالتزام) في الأدب من قضايا النقد التي أسالت الكثير من الحبر ، لحد الساعة ، ويدعو أصحابها بأن « يتقيد الأدباء وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة ، يلتزمون بالتعبير عنها ، والدعوة إليها ، ويقربونها إلى عقول جماهير الناس ، ويحببونها إلى قلوبهم »[2] ، فتكون وسيلة إصلاح لا هدم ، وتوعية لا إفساد ، وطريقة تقويمية للسلوك لا لهدم القيم ، فالإسلام عاب على الشعراء الذين « لا يلتزمون الضوابط الأخلاقية في أعمالهم ورفض الأدب الذي لا يعمد الحياة ولا يغني النفوس ويعمل على تمزيق الأعراض والطعن في الأنساب والغزل الفاضح والمدح بالكذب والباطل حيث لا يقبل ذلك منهم إلا الغاوون »[3] ، وكل هذه الصفات الأحرى أن تجتنب في كل أمور

[1] عباس محجوب ، الأدب الإسلامي ، (قضاياه المفاهيمية والنقدية) ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن و عالم الكتب ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م ، ص : 125 .

[2] بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي (الوحدة ، الالتزام ، الوضوح والغموض ، الإطار والمضمون ، دار المريخ للنشر، 1404 هـ / 1984 م ، ص : 15 .

[3] عباس محجوب ، الأدب الإسلامي ، (قضاياه المفاهيمية والنقدية) ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن و عالم الكتب ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م ، ص : 125 .

الحياة ، فكيف بالشعر الذي يعبر البلدان ، ويطوي الزمان ، ويؤثر في النفوس والعقول ، فتفسد بذلك المجتمع ، وتحدث شرخا في قيمه الأخلاقية .

على أننا على دراية تامة بأن هذا السجل الحافل بمآثر العرب وطبائعهم التي جبلوا عليها قرونا خلت ، لم يتغير كلية ودفعة واحدة ، إذ « لم يكن من اليسير أن تتغير مفاهيم الشعر وقيمه بين عشية وضحاها ، فهذه المفاهيم قد رافقت الشعر قرونا طويلة » [1] ، وهذا الأمر قد ينطبق على كل جديد في كل مجالات الحياة وفي كل عصر ومصر .

2 – حذف ابن هشام للكثير من الأشعار التي رواها البكائي عن ابن إسحق :

ترك / إهمال / حذف : بعض شعر السيرة

كثيرة هي العوامل التي أثرت على شعر السيرة النبوية شانه في ذلك شأن الشعر بصفة عامة ، ما بين الضياع والانتحال والوضع والترك عمدا ، والحقيقة الماثلة أمام الدارسين هي أن شعر السيرة النبوية لم يصلنا كله ، ونركز ها هنا على عامل الترك العمدي لبعض من أشعار السيرة النبوية ، فابن هشام نفسه يشير إلى تركه لرواية بعض الأبيات أو قصائد بأكملها في قوله « (...) وتارك (...) و**أشعارا** ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكـــائي بروايته ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعـــلم به » [2] .

فابن هشام من خلال هذا المقتطف ، يوضح منهجه في كتابة السيرة النبوية وقد ركز في المقطع أعلاه على الحذف أو الترك للكثير من الأشعار التي سمعها عن زياد البكائي ، بسبب جهله لها وعدم تناولها من طرف العارفين بالشعر أنذاك ، أو نظرا لبشاعة معانيها واستهجانه لها أو بغرض الاختصار ، وقد أجمل قول هذه الأسباب على الشعر وغيره .

[1] إحسان سركيس ، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، ط 1 ، آب (أغسطس) 1981 م ، ص : 82 .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، القسم الأول ص : 04 .

أ – حذف ابن هشام للأشعار البذيئة المقذعة التي تسيء للإسلام والمسلمين

إن الحديث عن حذف ابن هشام للأشعار المسيئة للإسلام ، لا يمكن تصوره بعيدا عن إبراز المعالم الكبرى لتلك الحرب الكلامية التي دارت بين المسلمين والمشركين ، إلى جانب حرب السنان .

○ المعركة الشعرية بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر

لما رأت قريش أن الدعوة الجديدة قد وجدت لها من يلتف حولها من المهاجرين والأنصار ، وقد استنفرت لذلك شعراءها لمحاربة الدين الجديد فـــ« هب شعراء قريش يعلنونها حربا شعواء على الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين وفي مقدمتهم ألمع شعرائها وأشدهم عداوة للمسلمين وهجاء لهم وتحريضا عليهم ، عبد الله بن الزبعرى يعينه ويؤيده أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم) ، وضرار بن الخطاب الفهري – فارس قريش وشاعرها – والحارث بن هشام المخزومي (أخو أبي جهل) ، يؤازرهم من شعراء الطائف أمية بن أبي الصلت ومن شعراء اليهود بالمدينة وما حواليها كعب اليهودي وحيل بن جوال الثعلبي ، وغيرهم » [1] ، فكان الهجاء مُعلنا على الإسلام والمسلمين ، طعنا في كرامتهم ، وخدشا لمشاعرهم ، وحطا من قيمتهم .

ولا ينكر الدارسون أن الهجاء قبل أن يستغل من طرف المشركين نيلا من الإسلام والمسلمين كان ثابتا موجودا بين الشعراء العرب وكانت غالبيته بين القبائل المتناحرة ، بحيث يعظم كل شاعر قبيلته ويزكي نفسه .

فأصبح الهجاء إذن في أثناء المواجهة بين كفار قريش ومن أسلموا ، سلاحا ماضيا يشهرونه في وجه الدعوة الإسلامية ، ومن نتائجه أن كان له « أثره في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفوس المسلمين ، وفي تعويق الدعوة والتنفير منها لما كان له من ذيوع

[1] صلاح الدين الهادي ، الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ، ط 3 ، 1407 هـــ / 1987 م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 232 .

وانتشار بين القبائل العربية »[1] ، لهذا برز دور جديد لنصرة الإسلام ، إنه النصرة باللسان والقريض ، وأصبح « هجاء الكفار والمشركين لكف أذاهم والانتصار للمسلمين منهم يعد بابا من أبواب الجهاد في سبيل الله »[2] ، ومن ثم ظهر من المسلمين شعراء أفذاذ في مقدمتهم الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه ، والذي لقب بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونأتي على سرد مثال حي لهذه الحرب الشعرية ، لنرى كيف لم تقتصر حرب قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه الجديد على السيف فحسب ، بل حاربته بقول اللسان هجاء مرا، وتطاولوا على الإسلام والمسلمين ، حفظ التاريخ منها قصيدة عبد الله بن الزبعرى التي أنشدها يوم أحد[3] يعرض فيها بحسان بن ثابت الذي فخر عليه كثيرا :

يا غرابَ البَينِ أَسمَعتَ فَقُل ✿✿✿ إِنَّما تَنطِقُ شَيئاً قَـــد فُعِـــل

إِنَّ لِلخَيرِ وَلِلشَّرِّ مَــــــدىً ✿✿✿ وَكِـــلا ذَلِـــكَ وَجــهٌ وَقبل

أَبلِغا حسّـــانَ عَنّي آيَـــةً ✿✿✿ فَقَريضُ الشِعرِ يِشفي ذا الغُلَل

كَم تَرى بِالجَرِّ مِن جُمجُمَةٍ ✿✿✿ وَأَكُفٍّ قَـــد أُتِرّت وَرِجِـــل

ويجيبه حسان بن ثابت مقابلا كلامه ورادا عليه معارضا إياه بمثل قوله[4] :

ذَهَبَت بِابنِ الزِبَعرى وَقــعَةٌ ✿✿✿ كانَ مِنّا الفَضلُ فيها لَو عَدَل

وَلَقَد نِلتُم وَنِلـــــنا مِنكُـــمُ ✿✿✿ وَكَذاكَ الحَربُ أَحيـــاناً دُوَل

---

[1] سامي مكي العاني ، الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، أغسطس 1996 م ، ص 53 .

[2] سفير بن خلف بن متعب القثامي ، الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر (عرض وتوجيه) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج 18 / ع 38 رمضان 1427 هـ ، 135 .

[3] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص : 136 ، يحي الجبوري ، شعر عبد الله بن الزبعرى ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1401 ه / 1981 ، بيروت ، لبنان ، 41 .

[4] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص : 136 – 137 ، وحسان بن ثابت ، الديوان ، تحقيق وتعليق : وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، 2006 م ، ص : 98 .

إِذ شَدَدنـــا شَدَّةً صـــادِقَةً ✿✿✿ فاجَأناكُمُ إِلى سَفحِ الجَـــبَل

إِذ تُوَلّونَ عَلى أَعقـــابِكُم ✿✿✿ هَرَباً في الشَعبِ أَشباهَ الرَسَل

لَم يَفوتونا بِشَيءٍ ساعَـــةً ✿✿✿ غَيرَ أَن وَلَّوا بِجُهدٍ وَفَـــشَل

ضاقَ عَنّا الشِعبُ إِذ نَجزَعُهُ ✿✿✿ وَمَلَأنا الفُرطَ مِنهُـــم وَالرِجَل

بِرِجالٍ لَســـتُمُ أَمـــثالَهُم ✿✿✿ أُيِّدوا جِبريلَ نَصـــــراً فَنَزَل

وَعَلَـــــونا يَومَ بَدرٍ بِالتُـــقى ✿✿✿ طاعَةَ اللَهِ وَتَصديقَ الرُسُـــــل

إذن فقصيدة ابن الزبعرى تنم عن تلك العصبية القبلية وذلك الحقد الذي يكنه للمسلمين وكأننا به يشفي غليله ويرجع لقبليته مكانتها بعد الانهزام الذي لحق بها من ناصبوا النبي صلى الله عليه وسلم العداء يوم بدر .

بينما قصيدة حسان بن ثابت فهي مثال للمدافع عن الدين والحق ، المتفاني في جعل يراعه في خدمة الدين وأهله ، ولم يكن عبد الله بن الزبعرى الوحيد في صفوف الكفر ، بل كان معه زمرة من المشركين والكفار على شاكلة ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وغيرهم ممن عُرفوا بالعداء الشديد للمسلمين وهاجموا الإسلام والمسلمين بالقريض .

ولم يكن الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه هو الوحيد في معركة الدفاع عن عرض المسلمين ، فقد كان إلى جانبه عبد الله بن رواحة الذي تحركت قريحته معبرا عن معاني الإيمان السامية ومدافعا رفقة صحبه عن الدين الجديد ، ومما خلده له التاريخ قوله في رثاء أهل مؤتة ، زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة [1]:

تأوبني ليـــل بيثرب أعســـر ✿✿✿ وهم إذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ✿✿✿ سفوحاً وأسباب البكاء التذكر

[1] **حسان بن ثابت ، الديوان ، تحقيق وتعليق : وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، 2006 م ، ص : 98 .**

بلى إن فقـــدان الحبيب بلـــية ✿✿✿ وكم من كريم يبتلى ثم يـــــصبر

رأيت خـــيار المؤمنين تواردوا ✿✿✿ شعوب وخلفاً بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تــــتابعوا ✿✿✿ بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تــــتابعوا ✿✿✿ جميعاً وأسباب المنية تخطر

غداة مضوا بالمؤمنين يقـــودهم ✿✿✿ إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ✿✿✿ أبي إذا ســيم الظلامة مجـــسر

وإلى جانبهم كعب بن مالك رضي الله عنه الذي نراه يذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان والسنان ، وهو القائل يوم بدر [1] :

لعمر أبيكما يا بني لؤي ✿✿✿ على زهو لديكم وانتخاء

لما حامت فوارسكم ببدر ✿✿✿ ولا صبروا به عند اللقاء

وردناه بنـــور الله يجـــلو ✿✿✿ دجى الظلماء عنا والغطاء

رسول الله يقدمـــنا بأمر ✿✿✿ من أمر الله أحكم بالقضاء

فما ظفرت فوراسكم ببدر ✿✿✿ وما رجعوا إليكم بالسواء

فلا تعجل أبا سفيان وارقب ✿✿✿ جياد الخيل تطلع من كداء

بنصر الله روح القدس فيها ✿✿✿ وميكال فيا طيـــب الملاء

وعلى هذا النمط نظم عبد الله بن رواحة قصائد في الدفاع عن الدعوة الإسلامية بقلمه الذي صاحب معارك النزال ، فقال على سبيل المثال قوله في غزوة بدر يعير أبا سفيان لإخلافه وعده ، بعدم إتيانه بدر [1] :

---

[1] **كعب بن مالك ، الديوان ، دراسة وتحقيق : سامي مكي العاني منشورات : مكتبة النهضة ، بغداد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط 1 ، 1386 هـــ / 1966 م ، ص : 169 .**

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ✿✿✿ لميعاده صــدقاً وما كان وافيا

فأقـــسم لو وافيتنا فلــيتنا ✿✿✿ لأبت ذميماً وافتقــدت المواليا

تركنا به أوصـــال عتبة وابنه ✿✿✿ وعمراً أبا جهل تركناه ثــاويا

عصيتم رسول الله أف لدينكم ✿✿✿ وأمركم السيء الذي كان غاويا

فإني وإن عــنفتموني لــقائل ✿✿✿ فدى لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نعدله فيــنا بــغيره ✿✿✿ شهاباً لنا في ظلمة الليل هــاديا

إذن ، فالقاسم المشترك بين القصائد المذكورة هو روح الدفاع عن الإسلام العالية سواء بمدح الرسول ﷺ وصحبه أو هجاء الكفار ردا عليهم .

أما المعسكر المقابل من الكفار والمشركين واليهود ، فقليلة هي المصادر التي حوت أشعارهم ، ونركز على سيرة ابن هشام التي انتقينا منها بعض أشعار هؤلاء ، منها قول عبد الله بن الزبعرى يوم أحد [2] :

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله ✿✿✿ وحمزة في فــرسانه وابن قوقل

وأفلتنا منهم رجـــال فأسرعوا ✿✿✿ فليتهم عــاجوا و لم نتـــعجل

أقاموا لـــنا حتى تعض سيوفنا ✿✿✿ ســراهم وكــلنا غير عـــزل

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ✿✿✿ ويلقوا صبوحاً شره غير منجلي

وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد[3] :

---

[1] عبد الله بن رواحة ، الديوان ، عبد الله بن رواحة ودراسة في شعره وليد قصاب دار العلوم للطباعة والنشر ، ط1 ، 1401 هـ / 1981 م ، ص : 138 .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص 166 – 167 .

[3] المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص 164 – 165 .

ما بال عينك قد أزرى بها السهد ✿✿✿ كأنما جال في أجفانها الرمد

أمن فراق حبيب كنت تألفه ✿✿✿ قد حال من دونه الأعداء والبعد

وفي هذا الجدول المختصر نحاول أن نوضح أشهر الأسماء من الجانبين :

أهم شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم	القصائد
حسان بن ثابت رضي الله عنه	(الديوان كاملا) ديوان حسان بن ثابت حققه وعلق عليه : وليد عرفات(في جزئين) : ○ النص والروايات والتخريج ○ الشروحات والتعليقات دار صادر بيروت ، لبنان ، 2006 م . **وينظر أيضا :** شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ،1347 هـ / 1929 م .
كعب بن مالك رضي الله عنه	(الديوان كاملا) ديوان كعب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق : سامي مكي العاني منشورات : مكتبة النهضة ، بغداد

	ط1 ، 1386 هـ / 1966 م .
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه	(الديوان كاملا) عبد الله بن رواحة ودراسة في شعره وليد قصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ط1 ، 1401 هـ / 1981 م .

وهذه قائمة عامة بأهم أسماء المشركين واليهود والكفار ممن اشتهروا بمحاربتهم للدعوة الإسلامية ، والتي حُفظت أسمائهم ، دون أن تُحفظ جل قصائدهم ، إلا النزر اليسير منها :

أهم شعراء قريش	عدد القصائد
عبد الله بن الزبعرى	(جمع لقصائده مع دراسة) شعر عبد الله بن الزبعرى يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1401 ه / 1981 م ، بيروت ، لبنان ، روى له ابن هشام في موضعين
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب	روى له ابن هشام في موضع واحد
ضرار بن الخطاب	روى له في خمسة مواضع
هبيرة بن أبي وهب	روى له ابن هشام في خمسة مواضع

وفي ما يلي توضيح لطريقة الرد على المشركين والكفار الذين تطاولوا على الإسلام والمسلمين ، حفظ منها قصيدة عبد الله بن الزبعرى التي أنشدها يوم أحد [1] :

يا غرابَ البَينِ أَسمَعتَ فَقُــل ✿✿✿ إِنَّما تَنطِقُ شَيئاً قَد فُعِل

إِنَّ لِلخَيرِ وَلِلــشَرِّ مَــدىً ✿✿✿ وَكِــلا ذَلِكَ وَجهٌ وَقَــبل

وَالعَطِياتُ خِــساسٌ بَينَهُم ✿✿✿ وَسَــواءٌ قَبرُ مُثرٍ وَمُــقِل

كُلُّ عَيشٍ وَنَــعيمٍ زائِلٌ ✿✿✿ وَبَناتُ الدَهــرِ يَلعَبنَ بِكُل

أَبلِغا حسّانَ عَنّى آيَــةً ✿✿✿ فَقَريضُ الشِعرِ يِشفى ذا الغُلَل

كَم تَرى بِالجَرِّ مِن جُمجُمَةٍ ✿✿✿ وَأَكُفٍّ قَــد أُترِّت وَرِجــل

وَسَرابيلَ حِســانٍ سُرِّبَــت ✿✿✿ عَــن كُماةٍ أُهلِكوا في المُنتَزَل

كَم قَتَلنا مِن كَريمٍ سَــيدٍ ✿✿✿ ماجِدِ الجَدَّينِ مِــقدامٌ بَطَل

صادِقِ النَجدَةِ قَرمٍ بــارِعٍ ✿✿✿ غَيرِ مُلتاثٍ لَدى وَقعُ الأَسَــل

فَسَلِ المِهراسَ مَن ســاكِنُهُ ✿✿✿ بَينَ أَقــحافٍ وَهامٍ كَالحَجَل

ويجيبه حسان بن ثابت رضي الله عنه ، مقابلا كلامه ورادا عليه معارضا إياه بمثل قوله [2] :

ذَهَبَــت بِابنِ الزِبَعرى وَقعَةٌ ✿✿✿ كانَ مِنّا الفَضلُ فيها لَو عَدَل

وَلَقَــد نِلتُم وَنِلــنا مِنكُمُ ✿✿✿ وَكَذاكَ الحَربُ أَحــياناً دُوَل

إِذ شَــدَدنا شَدَّةً صــادِقَةً ✿✿✿ فاجَأناكُمُ إِلى سَــفحِ الجَبَل

إِذ تُوَلّــونَ عَلى أَعقابِكُم ✿✿✿ هَرَباً في الشَعبِ أَشباهَ الرَسَل

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص 136 – 137 .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 137 – 138 .

نَضَعُ الخَطِّيَّ في أَكتافِكُم ✿✿✿ حَيثُ نَهوى عَلَلاً بَعدَ نَهَل
فَسَدَحنا في مَقامٍ واحِـــدٍ ✿✿✿ مِنكُمُ سَبعينَ غَـــيرَ المُنتَحَل
وَأَسَرنا مِنكُمُ أَعدادَهُـــــم ✿✿✿ فَانصَرَفتُم مِثلَ إِفلاتِ الحَجَل
بِخَناطيلَ كَـــــجِنّانِ المَلا ✿✿✿ مَن يُلاقــوهُ مِنَ النـــاسِ يُهَل
يَخرُجُ الأَكدَرُ مِن أَستاهِكُم ✿✿✿ مِثلَ ذَرقِ النيبِ يَأكُلنَ العَصَل
لَم يَفوتونا بِشَيءٍ ســـــاعَةً ✿✿✿ غَــيرَ أَن وَلَّــوا بِجُهدٍ وَفَشَل
ضاقَ عَنّا الشِعبُ إِذ نَجزَعُهُ ✿✿✿ وَمَلَأنا الفُرطَ مِــنهُم وَالــرِجَل
بِرِجالٍ لَســتُمُ أَمثالَهــُم ✿✿✿ أُيِّــدوا جِــــبريلَ نَصراً فَنَزَل
وَعَــــلَونا يَومَ بَدرٍ بِالتُقى ✿✿✿ طاعَةَ اللَهِ وَتَصديقَ الــرُسُل

إذن فقصيدة ابن الزبعرى تنم عن تلك العصبية القبلية وذلك الحقد الذي يكنه للمسلمين وكأننا به يشفي غليله ويرجع لقبليته مكانتها بعد الانهزام الذي لحق بها من ناصبوا النبي صلى الله عليه وسلم العداء يوم بدر ، بينما قصيدة حسان بن ثابت فهي مثال للذود عن الدين باليراع ، ونموذج للإبداع الملتزم والضروري في مثل تلك الأوضاع.

وليس النموذج المذكور آنفا هو الوحيد في هذه المعركة الشعرية ، بل هي شذرات احتفظ بها التاريخ ، لا تمثل سوى النزر القليل مما تعرض له المسلمون بلسان الكفار ، لأن مصيره كان الترك ، وهذا كان منهج ابن هشام في الشعر ، وتشير إلى أن اتباع هذا النهج ليس بالجديد ، وهو ليس من شأن ابن هشام وحده ، بل نجد انتشارا واسعا لهذه الظاهرة نحاول عبر السطور الموالية الكشف عنها .

○ **الحذف بين المؤيدين والمعارضين :**

لقد اتفق أكثرية القدماء على ضرورة التخلص من كل ما يطعن في الدين أو رموزه من قبل شعراء الكفار ، مثل ذلك ما نجده عند ابن كثير الذي يصرح بتركه للكثير مما أورده ابن إسحاق في قوله تعقيبا على ما رواه ابن هشام في غزوة أحد : « وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعارا كثيرة ، **تركنا كثيرا منها** خشية الإطالة ، وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد » [1] ، فابن كثير إذن يصرح بأنه حذف وترك وأهمل أبياتا من الشعر ، وأقر بالغاية من ذلك وهي من منظوره : إزاحة الملل الذي يلحق بالقارئ من جراء الإطالة .

ويبدي السهيلي شارح سيرة ابن هشام تحرجه من رواية مثل هذه الأشعار فيقول تحت عنوان (رِوَايَةُ شِعْرِ الْكَفَرَةِ) حينما عقّب على شعر أبي جهل ردا على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه : « لَكِنّي **لَا أُعْرِضُ لِشَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِ الْكَفَرَةِ الّتِي نَالُوا فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ** » [2] ، لكنه يستثني طائفة ثم يورد قول أهل العلم في جمع ابن اسحاق لهذا النوع من الأشعار : « **إلّا شِعْرَ مَنْ أَسْلَمَ وَتَابَ** كَضِرَارِ وَابْنِ الزّبَعْرَى ، وَقَدْ **كَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِعْلَ ابْنِ إسْحَاقَ فِي إدْخَالِهِ الشّعْرَ الّذِي نِيلَ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ –** وَمِنْ النّاسِ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ قَالَ حِكَايَةُ الْكُفْرِ لَيْسَ بِكُفْرِ وَالشّعْرُ كَلَامٌ وَلَا فَرْقَ أَنْ يُرْوَى كَلَامُ الْكَفَرَةِ وَمُحَاجّتُهُمْ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَدّهُمْ عَلَيْهِ مَنْثُورًا وَبَيْنَ أَنْ يُرْوَى مَنْظُومًا ، وَقَدْ حَكَى رَبّنَا سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مَقَالَاتِ الْأُمَمِ لِأَنْبِيَائِهَا ، وَمَا طَعَنُوا بِهِ عَلَيْهِمْ فَمَا ذَكَرَ مِنْ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْحِكَايَةِ نَظْمًا أَوْ نَثْرًا فَإِنّمَا يُقْصَدُ بِهِ الِاعْتِبَارُ بِمَا مَضَى ، وَتَذَكّرُ نِعْمَةِ اللّهِ تَعَالَى عَلَى الْهُدَى ، وَالْإِنْقَاذِ مِنْ الْعَمَى » [3] ، فالمسألة عند السهيلي محسومة ، إنه يرفض كل حشد

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص : 136 – 137 .

[2] السهيلي ، الروض الأنف 2 / 57 .

[3] المرجع السابق ، 2 / 57 .

لأشعار الكفار ، ولا سيما التي يطعن فيها أصحابها في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولا يخص الأمر الرواة والمؤلفين فحسب ، بل الشاعر نفسه ، فإذا كان الشاعر في أي مصر وعصر يعمل جاهدا على إنشاد شعره ونشره في الآفاق ، فإن الأمر لا يكون كذلك حينما يتعلق الأمر بشاعر أسلم وجهه لله الواحد الأحد ، وقد سبق وأن أشهر قلمه ضد هذا الدين الذي اعتنقه ، الأكيد أن هؤلاء الشعراء بعد اعتناقهم للإسلام ، « استشعروا في أنفسهم ندما بالغا على ما فرطوا في جنب الله ووجدوا في أشعارهم هذه وثائق تدمغهم بالخزي والعار وتفضح سفاهتهم وسوء قولهم ، فعمدوا إلى لمس هذه الأشعار وعدم ترديدها وحاولوا محوها من ذاكرتهم ومن ذاكرة كل من يرويها » [1] ، إنه الحرص على عدم حمل أقوال تقدح في الدين وتسيء للشخص بعد مماته .

وقد وردت على لسان بعض هؤلاء الشعراء الذين أسلموا أبيات تشعر قارئها بمدى الندم الذي تمكن من هؤلاء ، ومدى الحرج الذي يعانونه من رواية أو إنشاد ما بدر منهم أيام كفرهم ، وبهذا الأثر النفسي يقول ابن الزبعرى نادما ، مستشعرا خطأه الفظيع وقوله الشنيع يوم كان مع المشركين لسانا هاجيا :

يا رسول المليك إن لساني ✿✿✿ راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن الغي ✿✿✿ ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربي ✿✿✿ ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثم حيا ✿✿✿ من لؤي وكلهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم ✿✿✿ والليل معتلج الرواق بهيم

---

[1] شوقي رياض أحمد ، شعر السيرة ، **207** .

مما أتاني أن أحمـــــد لامني ✿✿✿ فيه فبت كأنني محـــــموم

ورغم هذا الحرص الذي لمسناه في التحفظ الواضح من رواية أشعار الكفار التي تطعن في الإسلام ورموزه ، فإننا لا ننكر وصول بعض هذه الأشعار عن طريق بعض الرواة لابن إسحق الذي أثبتها في سيرته والذي لم ير في روايتها حرجا ، ولعل تبريرات موقف ابن إسحق ومن ينحو نحوه مختلفة كأن تكون « روايتها من باب العلم بالشيء والتعرف على الحقيقة فيما كان يواجه الإسلام ورسوله فليس على راويها وزر ما دام في نفسه مؤمنا لا يوافق على ما تحتويه من معان وألفاظ » [1] .

هذا الرأي وجدنا له مؤيدين أو لنقل معجبين ، وعلى رأسهم يوسف هوروفيتش الذي يعد موقف ابن إسحق المذكور قمة في النزاهة والأمانة العلمية بقوله : « ويكشف ابن اسحاق عن نزاهة غير عادية في إدخال القصائد ، حتى ليسمح لخصوم النبي بإدخال الأشعار التي نظموها دون حرج » [2] ، وبين التأييد منعدمه ، أوصل إلينا الرواة كما قليلا من شعر السيرة المنتمي لمعسكر الكفر ، ليس فيه إقذاع حاد ، لكنه في كل الأحوال يصور لنا كيف كان الإسلام يحارب من كل الجبهات ودون هوادة .

ب – نماذج من الحذف في رواية ابن هشام لشعر السيرة النبوية

أما ابن هشام في السيرة النبوية ، فدفعه للحذف أسباب نـــركز عليها في ما يلي – بايـــراد أمثلة منتقاة من أقـــوال ابن هشام نفسه في السيرة النبوية أي ناسبا إياها لنفسه – :

« قال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرو والوليد ومطـــــعم ✿✿✿ ألا ليت حظي من حياطتكم بكر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلاً ✿✿✿ هما نبذانا مثل ما يـــنبذ الجـــمر

[1] شوقي رياض أحمد ، شعر السيرة النبوية ، 209 .

[2] يوسف هوروفتش ، المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمه حسين نصار ، ط 1 ، 1369 ه / 1949 م ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 93 .

وتـــيم ومخزوم وزهـــرة مـــنهم ✿✿✿ وكانوا لنا مولى إذا بـــغي النصر

فقد سفهت أحلامـــهم وعقولهم ✿✿✿ وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال بن هشام : **تركنا منها بيتين أقذع فيهما.** » [1] .

وقال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من أصيب من قريش يوم بدر:

ألا بكيت على الكـــــرا ✿✿✿ م بني الكـــــرام أولي الممادح

كبكا الحمام على فــــرو ✿✿✿ ع الأيك في الغصن الجـــوانح

ماذا بــــــبدر فالـــعقنقل ✿✿✿ من مـــــرازبة جحاجـــــح

فمــــدافع البــــرقين فال ✿✿✿ حنان من طرف الأواشـــــح

شمــــــط وشـــبان بهـــا ✿✿✿ ليل مغاويـــــر وحـــاوح

قال ابـــن هشام : **تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم** » [2] .

وفي المثال التالي حذف ابن هشام بيتا واحدا أيضا لابن الزبعرى والذي رد فيه على شعر كان قد نظمه أبو بكر الصديق [3] :

« أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث ✿✿✿ بكيت بعيـــــن دمعها غير لابث

ومن عجب الأيام والدهر كله ✿✿✿ له عجب من سابقات وحادث

لجيش أتانا ذي عرام يقـــوده ✿✿✿ عبيدة يدعي في الهياج بن حارث

لنتـــرك أصناما بمكـــة عـــكفا ✿✿✿ مواريث مـــــوروث كريم لوراث

فلما لقيناهم بـــسمر رديـــنة ✿✿✿ وجرد عتاق في العجاج لواهــــــث

وبيض كان الملح فوق متونها ✿✿✿ بأيدي كماة كالليوث العوائـــث

نقيم بها إصعار من كان مائلاً ✿✿✿ ونشقي الذحول عاجلا غير لابث

فكفوا على خوف شديد وهيبة ✿✿✿ وأعجـــبهم أمر لهم أمـــــر رائث

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول : **267 – 268** .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص **30 – 32** ، ونشير إلى أن ابن هشام يشكك في نسبة الأبيات لأبي بكر الصديق وابن الزبعرى على حد السواء ، ثم إننا اختصرنا الأبيات ، اختصارا ، **2 / 30 – 32** .

[3] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول : **592 – 593** .

ولو انهم لم يفعلوا ناح نسوة ✿✿✿ أيامى لهم من بين نسء وطامث
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم ✿✿✿ حفي بهم أو غافل غير باحـــــث
فأبلغ أبا بكر لديك رســــالة ✿✿✿ فما أنت عن أعراض فهر بماكث
ولما تجب مني يمين غلـــــيظة ✿✿✿ تجدد حربا حــلفة غير حانث

قال بن هشام **تركنا منها بيتا واحداً** وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعري »[1] .

فما صدر من ابن هشام كتبرير لترك الأبيات الشعرية ، كان بدافع الغيرة على الدين ، وعدم قبوله لرواية ما يخالف اعتقاده في أن الكلام الذي يتعرض فيه قائله بسوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه من الأولى تركه ، والملفت للنظر أن ابن هشام وصل لدرجة كبيرة من الأمانة ، بحيث أقر بحذفه للأبيات وكان قادرا على أن لا يشير إلى ذلك ، فهذا مما يحسب له .

○ كعب بن الأشرف نموذجا

الدهاء والمكر والحقد ... ، صفات ارتبطت بالفرد اليهودي أكثر من غيره ، بشهادة التاريخ ، وبمواقف بين المسلمين واليهود على مر السنين ، فقد عرف عن اليهود اتصافهم بصفات أخلاقية ذميمة ، حيث « توفرت لهم مجموعة من الرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية بصورة عجيبة لعلها لم تتوفر مثلها لأمة أخرى من الأمم ، ورسخت في نفوسهم رسوخا في ثابتا لعلها لم ترسخ مثلها لأمة أخرى من أمم أخرى ، واتخذت هذه الرذائل والمفاسد والقبائح والنقائص والأمراض والآفات خطوطا ثابتة »[2] ، فهم دائما في محاربة الحق وأهله ، هذه الصفات التي لم تتغير ، ولم تتحول وتتبدل ، بل أصبحت سمة نفسية راسخة في الفرد اليهودي ، وتُرجمت في ممارسات سلوكية تجاه الآخر.

---

[1] المرجع السابق ، **593 – 594** .

[2] **صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن (تاريخ – سمات – ومصير) ، ط1 ، 1419 هـ / 1998 م ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، 163 .**

وعُرف اليهود بمحاربتهم للمسلمين على مختلف الجبهات ، كان منها زرع البلبلة في صفوف المسلمين وايقاد نار الفتنة ، فبعد غزوة بدر الكبرى ، يتقدم اليهودي ، كعب بن الأشرف بدهائه المعهود إلى مكة ، ليزيد من حرقة القرشيين ، ويذكي نار الكره والحقد بينهم وبين المسلمين بعد مصابهم وهزيمتهم في بدر ، يقول كعب بن الأشرف [1] :

طحنت رحى بدرٍ لمهلِكِ أهـــــلِهِ ✿✿✿ ولمثلِ بـــدرٍ تـــستهلُّ وتدمَعُ

قُتِلَت سراةُ الناسِ حَول حياضِهِم ✿✿✿ لا تبعدُوا إن المُلوكَ تُصَرَّعُ

نُبِّئتُ أن بــــني المغيرةِ كلهــم ✿✿✿ خَشعُوا لقتل أبي الحكيمِ وجُدعُوا

وابنا ربــيعةَ عــندَهُ ومــــهُ ✿✿✿ ما نالَ مــثل المُهلكين وتُــــبَّعُ

نبئـــتُ أن الحارثَ بن هشامِهِم ✿✿✿ في الناس يبني الصالحاتِ ويجمَعُ

لــيزورَ يثربَ بالجمُوعِ وإنَّمـــا ✿✿✿ يحمي على الحسب الكريم الأروَعُ

و لم يتوقف كعب اليهود عند حد زرع الحقد والكره والتحريض ، بل أخذ يهجو رسول الله عليه وسلم ، ويتعرض لأعراض المسلمات ، وشاع شعره في المدينة ، حتى أخذ يتناشده الجواري والصبيان [2] .

وبعد هذا التهجم الشنيع من كعب اليهود على الإسلام والمسلمين ، وما حمله من كراهية ومقت بمعان كلها إقذاع وفحش ، انطلقت ألسنة الشعراء المسلمين للرد عليه وعلى رأس القائمة حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وميمونة بنت عبد الله البلوية القائلة في قصيدة لها [3]:

تحنن هـــذا العـــبد كـــل تحنن ✿✿✿ يبكي على قتلى وليس بناصب

بكت عين من يبكي لبدر وأهله ✿✿✿ وعلـــت بمثليـــها لؤي بن غالب

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، **52** .

[2] ينظر تفاصيل القصة كاملة : ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، **51 – 57** .

[3] نفسه ، القسم الثاني ، **53** .

فليـــت الذين ضرجوا بدمائهم ✿✿✿ يرى ما بهم من كان بين الأخاشب

فيعـــلم حقاً عن يقين ويبصروا ✿✿✿ مجرهم فوق اللحـــى والحـــواجب

فأجابها كعب بن الأشرف فقال [1] :

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلموا ✿✿✿ عن القول يأتي منه غير مقارب

أتشتمني أن كنـــت أبكي بعبرة ✿✿✿ لقوم أتاني ودهـــم غير كاذب

و لم يعد الأمر يُحتمل ، وأدرك حينها الرسول صلى الله عليه وسلم أن قتله سيكون عبرة لكن تسول له نفسه ويعادي الإسلام عداء سافرا ، وأهدر دمه ، وقُتل كعب بن الأشرف ، وسكت لسانه إلى الأبد .

إذن بعد الأمثلة العديدة التي ذكرناها ، يمكن القول أن ذاك الشعر كان سببا وجيها ومقبولا لحرص الرواية الإسلامية على تجاهل وحذف وترك رواية الشعر من هذا القبيل ، الذي يتعرض فيه كعب لهجاء المسلمين هجاء فاحشا .

مثل ما كان مصير كل الأشعار التي تندرج تحت هذا الضرب من أصحاب الألسنة المحمومة على الإسلام والمسلمين .

ج – حذف ابن هشام للأشعار المقذعة التي فيها بذاءة (من جانب المسلمين)

لقد سجلنا من خلال بحثنا في منهج ابن هشام المعتمد على الحذف ، أن الترك لم يحصر في الإطار العقدي المحض ، و لم يختص بحذف أشعار الكفار والمشركين واليهود الذين أساؤوا للمسلمين ، بل دفع حرص ابن هشام على تنقية السيرة من الكلام البذيء لإدراكه أن الكلام الليّن ، يغسل الضّغائن المستكنّة في الجوانح ، والكلمة المبغضة التي يستهجنها أصحاب الفطرة السليمة ، ومن ثمة عمد ابن هشام إلى حذف بعض من أشعار المسلمين كذلك .

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، القسم الثاني ، **54** .

ونمثل لهذه الظاهرة النقدية بأمثلة من النص الأصلي للسيرة النبوية « قال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعـــالهم ✿✿✿ وضرهم الـــــرحمن رب المـــشارق
فأخزاك ربي يا عتيب بن مالك ✿✿✿ ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بســـطت يميناً للنبي تـــعمداً ✿✿✿ فأدميت فاه قـــــطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي ✿✿✿ تصـــير إليه عـــند إحدى البوائق

قال ابن هشام: **تركنا منها بيتين أقذع فيهما.** »[1] .

ونسجل أيضا : « قال حسان بن ثابت أيضاً :

يا حـــــار قد عولت غير معول ✿✿✿ عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطي سرح اليـــدين نجيبة ✿✿✿ مرطى الجراء طـــويلة الأقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ✿✿✿ ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى ✿✿✿ قعص الأسنة ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه ✿✿✿ بشنار مخزية وسوء عذاب

قال ابن هشام: **تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.** »[2] .

وهذا مثال آخر يدعم ما ذهبنا إليه ، وفيه حذف ابن هشام ثلاثة أبيات قالتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ردا على هند بنت عتبة قبل إسلامها ، بعد أن صعدت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

« نحن جزيناكم بيوم بـــدر ✿✿✿ والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ✿✿✿ ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ✿✿✿ شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري ✿✿✿ حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر ✿✿✿ يا بنت وقاع عظيم الكفر

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، **81** .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، **19 – 20** .

صبحك الله غداة الفجر ✿✿✿ ملهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري ✿✿✿ حمزة ليثي وعلي صقري

إذ رام شيب وأبوك غدري ✿✿✿ فخضبا منه ضواحي النحر

ونــَـذْرُكَ الســـُّوء فَشَـــرّ نذْر

قال ابن هشام: **تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.** » [1] .

ويضيف حسان بن ثابت أنه سيرد دفاعا عن نبي الهدى عليه الصلاة والسلام [2]:

فإن أبي ووالده وعرضي ✿✿✿ **لعرض محمد منكم وقاء**

لساني صارم لا عيب فيه ✿✿✿ وبحري لا تكدره الدلاء

وكذا قول كعب بن مالك يوم أحد [3]:

سألت بك ابن الزبعري فلم ✿✿✿ أنبأك في القوم إلا هجينا

خبيثاً تطيف بك المنديات ✿✿✿ مقيماً على اللؤم حيناً فحينا

تبجست **تهجو رسول المليك** قاتلك الله جلفاً لعينا

بقول الخنا ثم ترمي به ✿✿✿ نقي الثياب تقياً أمينا

ولعل إهدار الرسول صلى الله عليه وسلم لدم عدد من الشعراء المعادين للإسلام والذين أطلقوا ألسنتهم بقول فاحش وهجاء مقذع ، لدليل على وجود تلك الأشعار ، ومن أبرز الأمثلة التي يمكن أن نسوقها هنا ، كعب بن الأشرف اليهودي .

فقد أورد أبو داوود في سننه ، حدثنا مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى بنِ فَارِسَ أنَّ الْحَكَمَ بنَ نَافِعٍ حَدَّثَهُمْ قال أنْبأنَا شُعَيْبٌ عن الزُّهْرِيِّ عن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَبْدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ عن أبِيهِ ، وَكَانَ أحَدَ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ: «وَكَانَ كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ يَهْجُو النَّبِيَّ

---

[1] **المرجع السابق ، 91 – 92 .**

[2] **المرجع السابق ، القسم الثاني ، 421 – 424 .**

[3] **المرجع السابق ، 158 – 161 .**

صلى الله عليه وسلم وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ وَالْيَهُودَ، وَكَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم بالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ فَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ: " وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ " الآية فَلَمَّا أَبِي كَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عن أذَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَعْدَ بنَ مُعَاذٍ أَنْ يَبْعَثَ رَهْطاً يَقْتُلُونَهُ، فَبَعَثَ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ ، وَذَكَرَ قِصَّةَ قَتْلِهِ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ فَزِعَتْ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ، فَغَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقُتِلَ فَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي كَانَ يَقُولُ وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَاباً يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهِ. فَكَتَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً».[1]

وورد في مسند الإمام أحمد : حدثنا عبد الله حدَّثني أبي ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق حدَّثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : « مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله وقال : اللهم أعنهم ، ــ يعني النفر الذين وجههم إلى كعب بن الأشرف ــ » [2].

و لم يكن دور النساء أقل من نظائرهن الرجال ، إذ تطالعنا المصادر التاريخية كيف قامت هند بنت عتبة أبرز شواعر قريش يوم أحد لما التقى الجمعان ، بين النسوة يضربن بالدفوف خلف الرجال يدفعنهم لبذل المستطاع من أجل كسب الحرب ، فقالت هند [3]:

ويهاً بني عبد الدار ✿✿✿ ويهاً حماة الأدبار

ضـــرباً بكل بتـــار

وتقول أيضا :

---

[1] أبو داوود ، سنن أبي داوود ، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة ، ج 4 ، ص 613 – 614 (3000) .
[2] الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، 4 / 221 .
[3] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، 68 .

إن تقبلوا نعانق ✿✿✿ ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق ✿✿✿ فراق غير وامق

وتمثلت في هذه الأبيات ، قول هنـــد بنت طارق بن بياضة الإيادية لإيـــاد في حرب الفرس [1]:

نحن بنات طارق ✿✿✿ نمشي على النمارق

الدر في المخانق ✿✿✿ والمسك في المفارق

إن تقبلوا نعانق ✿✿✿ أو تدبروا نفارق

فـــراق غيـــر وامـــق

د – التخفيف من الأشعار بالحذف بهدف الاختصار

لقد كان الاختصار ، من الأهداف التي قصد ابن هشام إليها قصدا ، فكثيرا ما لاحظنا أنه يخفف من الأشعار ويرجع السبب لطلب الاختصار ، ومن النماذج التي الموضحة لهذا المنهج قول ابن هشام قال ابن هشام: « تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام ليس فيها ذكر بدر إلا في أول بيت منها والثاني **كراهية الإكثار** » [2] .

ويقول ابن هشام على لسان أمية بن أبي الصلت الثقفي [3]:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ✿✿✿ يبنون من دون سيله العرما .

ويعقب قائلا : « وهذا البيت في قصيدة له وتروى للنابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وهو حديث طويل **منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار**. » [4] .

---

[1] المرجع السابق ، **68** .

[2] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، **38** .

[3] المرجع السابق ، القسم الثاني ، **14** .

[4] السابق ، القسم الثاني ، **14** .

ومن أهم النتائج التي خرجنا بها هو أن أكثر الأشعار التي تُركت وأسقطت من شعر السيرة كانت في الهجاء ، لأنه الغرض الذي يتيح للشاعر التحدث بكل بذاءة ، دون أن نغفل أن شعر السيرة جزء من التراث الشعري الذي لم يصلنا كاملا ، بسبب ضياع جزء منه لعدة عوامل وأسباب ، انطبقت على كل أغراضه .

وفي ما يلي جدول جمعنا فيه مجمل ما حذف وترك وأهمل من شعر السيرة النبوية بإقرار ابن هشام :

عدد الأبيات المتروكة	الشاعر الذي تـــرك من شعره	سبب الترك	صيغة الترك
قصيدة كاملة	أبو أسامة	خروجها عن موضوع السيرة وخشية الإطالة	تركت
01	عبد الله بن الزبعرى	لم يحدد السبب	تركنا منها
01	أبو طالب	مقذعة	تركنا منها
01	الجون بن أبي الجون	مقذعة	تركنا منها
01	حسان بن ثابت	مقذعة	تركنا منها
03	حسان بن ثابت	مقذعة	تركنا من قصيدة
دون تحديد	حسان بن ثابت	مقذعة	تركنا أشياء قالها
دون تحديد	حسان بن ثابت	مقذعة	أبيات له تركناها
دون تحديد (أبيات على الدال)	حسان بن ثابت	مقذعة	أبيات له تركناها
دون تحديد	حسان بن ثابت	مقذعة	أبيات له

(أبيات على الذال)			تركناها
دون تحديد	حسان بن ثابت	مقذعة	تركنا ما بقس فيها
دون تحديد	أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب	قبح اختلاف قوافيها	بقيت منها أبيات تركناها
02	أمية بن أبي الصلت	نال الشاعر فيهما من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه	تركنا منها
02	حسان بن ثابت	مقذعة	تركنا منها
03	هند بنت أثاثة	مقذعة	تركنا منها

3 – الرواية عن غير ابن اسحاق:

لم يكن ابن اسحاق المصدر الوحيد للرواية عند ابن هشام ، فمن خلال الاطلاع على السيرة النبوية التي هذبها عن ابن اسحاق ، نلفيه كثيرا ما يشير إلى أن الرواية هي لشخص دون ابن اسحاق بتوظيف عبارة : **عن غير ابن إسحاق** دون أن يصرح بمن أخذ عنه ، مثل تعقيبه على بيت لأبي أحمد بن جحش ، بنفس العبارة المذكورة [1] :

نمت بأرحام إليهم قريبة ✿✿✿ ولا قرب بالأرحام إذ لا نقرب

وأحيانا أخرى ، يذكر ابن هشام عمن أخذ الكلام عنه ، من غير ابن اسحاق ، مثل ذلك قوله معقبا على أبيات لعبد الله بن الحارث السهمي :

« مستشعري حلق الماذي يقدمهم ✿✿✿ جلد النحيزة ماض غير رعديد

أعني رسول إله الخلق فضله ✿✿✿ على البرية بالتقوى وبالجود

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ✿✿✿ وماء بدر زعمتم غير مورود

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، **1 / 473 – 474** .

ثم وردنا و لم نسمع لقولكم ✿✿✿ حتى شربنا رواء غير تصريد

مستعصمين بحبل غير منجذم ✿✿✿ مستحكم من حبال الله ممدود

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ✿✿✿ حتى الممات ونصر غير محدود

قال ابن هشام: بيته: "مستعصمين بحبل غير منجذم" **عن أبي زيد الأنصاري**. »[1] .

وقد احتل الشعر مكانا لا بأس به من مجموع ما أخذ ابن هشام عن غير ابن اسحاق ، فبالموازاة مع الشعر ، نجده يشير إلى أحداث تاريخية عن غير ابن اسحاق أيضا على شاكلة قوله « : **وذكر غير زياد** عن محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الأنصار يوم أحد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم. »[2] ، فبين الشعر والحديث كان الأخذ بينا من غير صاحب السيرة الأصلي ، ابن اسحاق ، ويشهد على أمانة ابن هشام أيضا .

وفي ما يلي نماذج وافية عما صرح به ابن هشام من الأخذ عن عير ابن اسحاق ، سواء بتعميم الكلام أو يذكر من أخذ عنه :

عبارة الأخذ عن غير ابن اسحاق	القول المأخوذ عن غير ابن اسحاق	مأخوذ من :
عن غير ابن إسحاق	ولتنأ يثرب	شعر
عن غير ابن إسحاق	إذ لا تقرب	شعر
عن غير ابن إسحاق	سلجج	شعر
عن غير ابن إسحاق	في جفر	شعر
عن غير ابن إسحاق	مدلس عنبس في الغيل مجري	شعر

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، **2 / 20** .

[2] المرجع السابق ، القسم الثاني ، **64** .

عن غير ابن إسحاق	تبع	شعر
عن غير ابن إسحاق	وأسر بقومهم	شعر
عن غير ابن إسحاق	أبكى لكعب	شعر
عن غير ابن إسحاق	ذفف	شعر
عن غير ابن إسحاق	ماضي الشباة وطير يجفن	شعر
عن غير ابن إسحاق	من كان يرمي بالنواقر	شعر
عن غير ابن إسحاق	كليلة	شعر
عن غير ابن إسحاق	كلنا	شعر
عن غير ابن إسحاق	يلقوا صبوحا	شعر
عن غير ابن إسحاق	بالحسي المزنم	شعر
عن غير ابن إسحاق	عمرا ينزل	شعر
عن غير ابن إسحاق	فعبأنا أعنقها	شعر
عن غير ابن إسحاق	ابن الإراش	شعر
عن غير ابن إسحاق	غير نافل	شعر
عن غير ابن إسحاق	إلى خيف رضوى	شعر
عن غير ابن إسحاق	بسر	شعر
عن غير ابن إسحاق	ألظت بخطاب	شعر
عن غير ابن إسحاق	تغفر بالتراب	شعر

عن غير ابن إسحاق	بيت شعري كامل	شعر
عن غير ابن إسحاق	يقبسوا	شعر
عن غير ابن إسحاق	فبين لنا	شعر
عن غير ابن إسحاق	وبيته ... وبيته ... وبيته ...	شعر
عن غير ابن إسحاق	تبكين	شعر
عن غير ابن إسحاق	عجز بيت شعري	شعر
عن غير ابن إسحاق	ألبسناه اسما	شعر
عن غير ابن إسحاق	بيت شعري كامل	شعر
عن غير ابن إسحاق	بيت شعري	شعر
عن غير ابن إسحاق	بيت في آخر القصيدة	شعر
عن غير ابن إسحاق	فإن نغلب	شعر
عن غير ابن إسحاق	لا يرجى لها عتق يسير	شعر
عن غير ابن إسحاق	عن العتق الأمور	شعر
عن غير ابن إسحاق	محلم – اسم علم –	حديث
عن غير ابن إسحاق	عجز بيت شعري	شعر

عن أبي عبيدة	بيت شعري	شعر
أنشدني أبو زيد الأنصاري ... **عن غير ابن اسحاق**	قوله : في قريش من جموع جمعوا	شعر
وذكر غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزهري	فقرة	حدث تاريخي

4 – الرواية بالشرح

كثيرا ما كان ابن هشام ، يتدخل في الرواية الأصلية بالشرح ، خصوصا بيان مفهوم الكلمات التي رآها صعبة ، غير مألوفة ، الواردة في الأشعار ، يقول مثلا معقبا على بيت شعري للكميت بن زيد ، وشارحا كلمة (**الإيلاف**) :

وآل مزيقياء غداة لاقوا ✿✿✿ بني سعد بن ضبة مؤلفينا

المنعمين إذا النجوم تغيرت ✿✿✿ والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى **والإيلاف أيضاً أن** يكون للإنسان ألف من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك يقال آلف فلان إيلافا قال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد:

بعام يقول له المؤلفون ✿✿✿ هذا المعيم لنا المرجل

وهذا البيت في قصيدة له **والإيلاف أيضا أن** يصير القوم ألفا يقال آلف القوم إيلافا قال الكميت بن زيد :

وآل مزيقياء غداة لاقوا ✿✿✿ بني سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت في قصـــيدة له والإيلاف أيضا أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلـــزمه » [1] ، وبالتالي يتضح لنا كيف تدخل ابن هشام في روايته لما سمع من البكائي عن ابن إسحاق بشرح الغامض من الكلمات ، وهذا جزء مهم في منهجه الذي اتبعه .

وفي موضع آخر يشرح بصفة مستفيضة ، وبإيراد الشواهد للتوضيح ، وتحديدا عند حديثه عن غزوة بني المصطلق ، نجده يقف عند قوله تعالى : « وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » [2]، شارحا كلمة (يأتل) ، يقول : « قال ابن هشام: "ولا **يأتل** أولوا الفضل منكم" : ولا **يأل** أولو الفضل منكم ، قال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

ألا رب خصم فيك ألوى رددته ✿✿✿ نصيح على تعذاله غير **مؤتل**

وهذا البيت في قصيدة له ويقال: "ولا **يأتل** أولوا الفضل": ولا يحلف أولو الفضل وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري فيما بلغنا عنه ، وفي كتاب الله تعالى: "للذين **يؤلون** من نسائهم" وهو من الألية والألية: اليمين قال حسان بن ثابت:

آليت ما في جميع الناس مجتهداً ✿✿✿ مني ألية بر غير إفناد

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها إن شاء الله في موضعها ، **فمعنى** : أن يؤتوا في هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفي كتاب الله عز وجل "يبين الله لكم أن تضلوا" ، **يريد** : أن لا تضلوا" ، "ويمسك السماء أن تقع على الأرض" **يريد** أن لا تقع على الأرض **وقال** ابن مفرغ الحميري :

لا ذعرت السوام في وضح الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى مخافة الموت ضيماً ✿✿✿ والمنايا يرصدنني أن أحيدا

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، ص **56** .

[2] النور : **22** .

يريد : أن لا أحيد وهذان البيتان في أبيات له. » [1] .

فلننظر كيف استطاع ابن هشام ، أن يشرح بأكثر من طريقة ، ففي البداية ذكر مرادفا للكلمة في جملة من إنشائه ، ثم استشهد ببيت شعري ، ثم ذكر قولا للحسن البصري ، ويعود للاستشهاد بآية قرآنية ، ثم شرح معجمي للكلمة ، فالاستشهاد ببيت شعري ، ثم يشرح بكلامه الخاص ، ويعود للاستشهاد بآية قرآنية فبيت شعري ، ويختم بتعليق خاص ، وقد استعمل ابن هشـــام أدوات ربط تشير إلى الشرح (معنى ، يريد ، قال) ، وهذا ديدنه في الكثير من المواضع من السيرة .

5 – الرواية بالترتيب والتوزيع:

يبدو أن ابن هشام اتبع منهجية صارمة ، أولت الاهتمام للتسلسل المنطقي من وجهة نظره ، فروايته للسيرة لم تقتصر على سماع الأحداث من البكائي وتدوينها ، بل تعدى الأمر إلى إعادة ترتيبها وفق منهجه الخاص ، وهذا ما يشير إليه في (14) موضعا من السيرة النبوية ، بقوله (**سأذكرها في موضعها**) ، كما هو موضح من خلال الجدول المصغر الموالي :

العـــــبارة	عـــدد تكرارها
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	09
سأذكرها إن شاء الله **في موضعها**	05

ومن خلال تتبعنا لهذه العبارة في السيرة ، نجد ابن هشام وقد ركز على توزيع الأبيات الشعرية بالدرجة الأولى ووضعها في مكانها المناسب من الحدث ، وكان إما يعيد ترتيبها من الرواية الأصلية للبكائي عن ابن اسحاق ، وأحيانا نجده في إضافاته يشير إلى بيت شعري على سبيل المثال ثم يرجئ عرض بقية الأبيات لموضع آخر يراه مناسبا .

من ذلك ما قاله عن قصيدة لأبي طالب في حديثه عن نسب الغيطلة أثناء كلامه عن الكهان من العرب :

---

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص 304 .**

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ✿✿✿ بني خلف قيضا بنا والغياطل

فقيل لولدها الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص وهذا البيت في قصيدة له **سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى**. »[1].

وفعلا أعاد ابن هشام رواية كل القصيدة في مكان آخر ، وتحديدا عند حديثه عن شعر أبي طالب [2] ، مما يدل على أن لابن هشام تصور آخر في إعادة ترتيب الأشعار المواكبة للأحداث .

ونذكر مثالا عن إعادة ترتيب أبيات من الشعر ، وجعلها في موضعها المناسب من وجهة نظر ابن هشام ، وقد أوردها ابن هشام رواية عن ابن اسحاق ، تحت عنوان : شعر طالب في وقعة الفيل ، « قال بن إسحاق وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ✿✿✿ وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره ✿✿✿ لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

قال بن هشام وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بـــدر **سأذكرها في موضعها إن شـــاء الله** » [3] ، وعاد ابن هشام في ... ليضع البيتين ضمن سياقهما :

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر:

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكباً ✿✿✿ تبكي على كعب وما إن ترى كعبا

ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا ✿✿✿ وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا

وعامر تبكي للملمات غدوة ✿✿✿ فيا ليت شعري هل أرى لهما قربا » [4] .

---

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 209 .**
[2] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 59 – 60 .**
[3] **المصدر السابق ، القسم الأول ، 83 .**
[4] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، 26 .**

إلى أن يقول :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ✿✿✿ وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره ✿✿✿ لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

فما إن جنينا في أقريش عظيمة ✿✿✿ سوى أن حمينا خير من وطيء التربا

(...)[1]

وبأكثر دقة نورد في ما يلي العبارتين اللتين استعانا بهما ابن هشام ، للغرض المذكور ، مع ايراد أصحاب الأبيات وقع عليها الإرجاء :

العبارة	صاحب القصيدة المنقولة لمكان آخر من السيرة
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	مطرود بن كعب الخزاعي
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	أبو قيس
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	طالب بن أبي طالب
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	كعب بن مالك الأنصاري
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	أبو طالب
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	حذيفة بن الغانم
سأذكرها إن شاء الله **في موضعها**	أبو طالب
سأذكرها إن شاء الله **في موضعها**	أبو طالب
سأذكرها في موضعها إن شاء الله	حسان بن ثابت

[1] المصدر السابق ، **2 / 27** .

سأذكرها إن شاء الله **في موضعها**	كعب بن مالك
سأذكرها إن شاء الله **في موضعها**	حسان بن ثابت

6 – الرواية بعدم الجـــــزم:

إن المتفحص لكلام ابن هشام في السيرة النبوية والذي أورده كإضافة أو شرح أو توثيق أو تعليق على كـــلام ابن اسحاق ، نجد في عشرات المواضع قد قرنه بقوله (**فالله أعلم**) أو (**والله أعلم**) ، وأحيانا يستعمل لفظ (**يُقال**) أو (**يزعمون**) أو (**فيما يزعمون**) للدلالة على عدم الجزم بالأمر .

مع الإشارة إلى أن هذا الكلام قد لا يكون كله لابن هشام ، لأننا لم نتبين مع تكراره عشرات المرات ، إن كان كله تعقيبا من ابن هشام ، أو أن بعضه لابن اسحاق ، إلا ما صدّره ابن هشام بقوله : (**قال ابن هشام**) .

وفي ذلك يقول ابن هشام بعدما أورد أبياتا لقتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث تبكيه : قال ابن هشام : فيقال **والله أعلم** : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه. »[1] ، مما يدل على أمانته العلمية البالغة ، وفي ما يلي جدول يضم مختلف العبارات التي أوردها ابن هشام للدلالة على أنه غير متيقن من الكلام :

عبارة الشك	**عدد تكرارها**
والله اعلم	48
فالله اعلم	14
يزعمون	45
فيما يزعمون	33

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، 43 .**

يزعمون والله اعلم	02
فيما يزعمون والله أعلم	02

7 – التـــزام جانب الأمانة :

لقد حاول ابن هشام أن يجعل لنفسه منجا خاصا في إعادة رواية السيرة النبوية مما سمعه من البكائي المروي عن ابن إسحاق – كما مر بنا – ، وأثناء تصفح سيرة ابن هشام كاملة ، نلاحظ أن ابن هشام قد التزم جانب الأمانة العلمية الملفتة للنظر ، فقد وثق الرواية العامة في مستهل سرده للسيرة النبوية بنسب الفضل لأصحابه ، بحيث نلحظ حرصه الكبير على رواية كلام ابن إسحاق عن طريق البكائي ، فكن يصدر كلامه لبيان خطإ ما أو شرح غامض أو معارضة بعض الروايات أو غير ذلك بعبارة (**قال ابن هشام**) .

لقد وردت عبارة (**قال ابن هشام**) : (421) مرة على مدار صفحات الكتاب ، وليدقق ابن هشام روايته أكثر ويلزم نفسه جانب الأمانة ، كرّر قوله في رواياته : (قال **ابن هشام** حدثنا **زياد بن عبد الله البكائي** عن **محمد بن إسحاق المطلبي** قال ...) .

وأحيانا كان ابن هشام يستهل بها الرواية مثل قوله لما تناول بالسرد أولاد إسماعيل عليه السلام ونسب أمهم : « **قال ابن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال**: ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيذر وأذبل ومبشا ومسمعا وماشي ودما وأذر وطيما ويطور ونبش وقيذما وأمهم بنت مضاض بن عمر الجرهمي ...» [1] ، مما يدل على التزام جانب الأمانة في نقله ، وتذكير المستمع أو القارئ بمصدر الخير .

وقد يكون في منتصف الرواية أو أثنائها مثل قوله لما تحدث عن أمر جرهم ودفن زمزم : « **قال بن هشام** وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم **ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن**

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، ص 05** .

إسحاق المطلبي قال: لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن اسماعيل ما شاء الله أن يليه ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي. »[1] .

وقد ينهي بها الرواية مثلما ورد أثناء حديثه عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم : في قوله : « قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي اسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد ويقال أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بني آدم أعطى النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم. **قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي** بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره. »[2] .

فبيْن بداية السرد بالتذكير أن ما سيقوله هو لابن اسحاق عن طريق زياد البكائي أو في منتصف رواية الأحداث أو في آخرها ، يبقى ابن هشام مثالا للتوثيق والحرص الشديد على الأمانة العلمية .

مـــن جهة أخرى استعمل روايـــة الخبر بتوظيف عبارة : (**قال ابن إسحاق**) دون بقية العبارة المذكورة سابقا : (**584**) مرة تقربا وهذا دليل على أمانته العلمية البالغة ، مثل قول

[1] **المرجع السابق ، ص : 111 .**
[2] **نفسه ، ص 1 / 03 .**

ابن هشام في إحدى رواياته : « **قال بن إسحاق** والحامي الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره ... » [1] .

وقد يتغير ترتيب الرواة من زياد البكائي وابن اسحاق كأن يتوسط الكلام صاحب السيرة الأصلي ابن اسحاق وراوي السيرة النبوية زياد البكائي ، مثل ذلك قوله : « **قال بن هشام** وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم **ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن** إسحاق المطلبي قال: لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي » [2] .

أما راوي السيرة **زيـــاد البكائي** فقد تواتر ذكر العبارة التي تؤكد سماع ابن هشام منه (**حدثنا زياد بن عبد الله البكائي**) بمعدل (15) مرة في كامل السيرة النبوية.

ونلخص في ما يلي منهج ابن هشام في توثيق عن طريق ذكر السند أثناء الرواية في السيرة النبوية كما يلي :

العبـــــــــارة	تكرارها في السيرة
قال ابن إسحاق	584
حدثنا زياد بن عبد الله البكائي	15
قال ابن هشام	421
فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق	01
حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق	01
فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق	01

[1] نفسه ، ص : **89** .
[2] نفسه ، ص **111** .

حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق	11
حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق	01

8 – الرواية بذكر الأنســـاب أو تصويبها

لا يخلو كتاب تاريخي من ذكر بعض الأنساب ، و لم تخرج سيرة ابن هشام عن هذا المألوف ، بحيث ضمت الكثير من الأنساب ، والذي استرعى انتباهنا ونحن نبحث عن مميزات الرواية عند ابن هشام ، أنه أشار في أكثر من موضع على أن النسب الذي رواه البكائي عن ابن اسحاق ليس صحيحا ، بمعنى أن ابن هشام ، حاول في السيرة أن يشير إلى الأنساب التي شك في صحتها ، وفي نفس الوقت يدلنا على الصواب ، وكان هذا ديدنه كلما وجد نسبا لم يبدو له صحيحا .

فقد جاء في نسب عضل والقارة أثناء الحديث عن نسب عضل والقارة على لسان ابن هشام :

« عضل والقارة ، من الهون بن خزيمة بن مدركة » [1] ، وحينما تحدث عن نسب بارق قال أيضا موضحا النسب بصفة دقيقة : « بارق : بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم في شنوءة . قال الكميت بن زيد :

وأزد شنوءة اندرؤوا علينا ✿✿✿ بجم يحسبون لهم قرونا

فما قلنا لبارق إذ أسأتم ✿✿✿ وما قلنا لبارق أعتبونا » [2] .

وفي موضع آخر حاول ابن هشام أن يطيل في ذكر النسب ويذكره كاملا بخلاف ما سمعه عن ابن إسحاق حينما تحدث عن نسب خزاعة « **قال ابن إسحاق** : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر ، من اليمن ، **قال ابن هشام** ك وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن

---

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ، ص 169 .**

[2] **المرجع السابق ، القسم الأول ، ص 104 .**

الأسد بن الغوث ؛ وخندف أمها ، فيما حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال خزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر ، وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها » [1] .

أما في مواضع أخرى ، فقد حاول ابن هشام تصويب النسب ، واللافت للانتباه هو استهلال ابن هشام لتصحيح النسب بقوله غالبا : تصويب نسب كذا ... مثل ذلك قوله تصحيحا لنسب عمرو بن غزية : « تصويب نسب عمرو بن غزية قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذي ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء » [2] ، وكذا قوله في تصحيح نسب خديج بن سلامة ، فقال : « تصويب نسب خديج بن سلامة قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُذَن بن سعد » [3] .

9 – الإشارة إلى التداخل والخلط في الأبيات والقصائد :

إن الشعر خاصة يعتبر وثيقة تاريخية مهمة حيث يعكس الحياة العقلية والاجتماعية ويصور المعارك ويبرز البطولات ، وهو في السيرة النبوية من أهم ما يرجع إليه لمعرفة ما أحاط بأحداث السيرة النبوية .

ومن حرص ابن هشام على هذا الأمر ، نجد قد نبه إلى الخلط والتداخل بين الأبيات في القصيدة الواحدة ، وبين القصائد المختلفة ، أو في نسبة الأبيات لغير قائليها وفي مواضيع كثيرة من السيرة النبوية .

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج 2 ، ص 123 – 132 .

[2] المرجع السابق ، ج 2 ، ص 132 .

[3] السابق ، ج 2 ، ص 162 – 163 .

منها على سبيل المثال تصحيح نسبة قصيدة كان ابن إسحاق قد نسبها لحسان بن ثابت وردها ابن هشام لكعب بن مالك ، وهي في الأصل رد على قصيدة لهبيرة بن أبي وهب في أحد والتي مطلعها[1] :

ما بال هم عميد بات يطرقني ✿✿✿ بالود من هند إذ تعدو عواديها

وبعد إيراد أبيات منها ، يقول ابن هشام :

« قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ✿✿✿ إلى الرسول فجند الله مخزيها

أوردتموها حياض الموت ضاحية ✿✿✿ فالنار موعدها والقتل لاقيها

... » [2] .

وكلها قد أوردها ابن هشام منسوبة إلى حسان على قول ابن إسحاق ثم علق عليها بعد ذلك بقوله : (أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك) [3] .

وفي موضع آخر أيضا نلقي قصيدة نسبها ابن إسحاق لعبد الله بن رواحة في رثاء حمزة بن عبد المطلب ، لكن ابن هشام يصحح نسبتها إلى كعب بن مالك بناء على رواية أبي زيد الأنصاري ومطلعها [4] :

بَكَت عَيني وَحَقَّ لَها بُكاها ✿✿✿ وَما يُغني البُكاءُ وَلا العَويلُ

---

[1] نفسه ، 2 / 123 – 132 .

[2] نفسه ، 2 / 132 .

[3] نفسه ، 2 / 162 – 163 .

[4] نفسه ، 2 / 162 – 163 .

وقد يحدث الخلط بطريقة أخرى مما أوجب تدخل ابن هشام مثل الخلط في نسبة الشعر بين حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ، مثل ذلك القصيدة التي وردت منسوبة إلى حسان ولكن ابن هشام استدرك على نسبتها بقوله : « وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان ومطلعها :

أَلَستُ خَيرَ مَعَدٍّ كُلِّها نَفَراً ✿✿✿ وَمَعشَراً إِن هُمُ عُمّوا وَإِن حُصِلوا » [1]

ونموذج آخر عن الاختلاط الذي أشار إليه ابن هشام في روايته لشعر السيرة النبوية ، وهو الخلط في إقران الأشعار بمناسبات بعينها فابن إسحاق روى قصيدة لعباس بن مرداس السلمي في مناسبة خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه إلى هوازن وأولها [2]:

أَصابَتِ العامَ رِعلاً غولُ قَومِهِمِ ✿✿✿ وَسطَ البُيوتِ وَلَونُ الغولِ أَلوانُ

وعقب عليها ابن هشام بقوله : (من قوله : (أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها) إلى آخرها في هذا اليوم وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ولكن ابن إسحاق جعلها واحدة » [3] .

كما أن الاختلاط في الأبيات ضمن القصيدة الواحدة كان مما أشار إليه ابن هشام أيضا ، على شاكلة ما أورده عن ابن إسحاق :

« عين بكي بالمسبلات أبا الحا ✿✿✿ رث لا تذخري على زمعة

وعقيل بن أسود أسد البأ ✿✿✿ س ليوم الهياج والدفعة

تلك بنو أسد إخوة الجو ✿✿✿ زاء لا خانة ولا خدعة » [4] .

---

[1] نفسه ، 2 / 554 – 556 .

[2] نفسه ، 2 / 241 .

[3] نفسه ، 2 / 242 .

[4] نفسه ، 2 / 33 .

ويعقب ابن هشام : « هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ، ليست بصحيحة البناء ، لكن أنشدني ابو محرز خلف الأحمر وغيره ، وروى بعض ما لم يرو بعض :

عين بكي بالمسبلات أبا الحا ✿✿✿ رث لا تذخري على زمعة

وعقيل بن أسود أسد البأ ✿✿✿ س ليوم الهياج والدفعة

تلك بنو أسد إخوة الجو ✿✿✿ زاء لا خانة ولا خدعة

(...) » [1] .

من ذلك أيضا أبيات نسبها ابن إسحاق إلى حسان وأوردها ابن هشام ثم عقب عليها بقوله : (وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلي) ، ثم أورد بيتا آخر زيادة على ما رواه ابن إسحاق وبعده ذكر أنها تروى أيضا لأبي أسامة الجشمي .

إذن ابن هشام حاول جاهدا أن يقف أمام كل ما علم أنه مختلط أو متشابك أو متداخل ، مما يعطي لشعر السيرة توثيقا أكبر ، ودقة أكثر ، وصداقية أعم .

10 – الرواية بالتفسير :

كثيرا ما كان ابن هشام ، يتدخل في الرواية الأصلية بالشرح ، خصوصا لبيان مفهوم المفردات الواردة في الآيات القرآنية والتي رآها صعبة وغير مألوفة ، يقول مثلا تفسيرا لمفردات سورة الفيل : « قال ابن هشام : **الأبابيل** : الجماعات ن و لم تتكلم لها العرب بواحد علمناه . وأما **السجيل** : فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال رؤبة بن العجاج :

ومسهم ما مس أصحاب الفيلْ ، ترميهم حجرة منن سجيلْ ، ولعبت بهم طير أبابيلْ *

(...) » [2] .

---

[1] نفسه ، 2 / 33 .

[2] المرجع السابق، ج 2 ، ص 55 .

ويقول أيضا تفسيرا لبعض مفردات سورة قريش : « (..)وَقَالَ مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخُزَاعِيُّ :

الْمُنْعِمِينَ إذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ ✿✿✿ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَالْإِيلَافُ أَيْضًا : أَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ أَلْفٌ مِنْ الْإِبِلِ ، أَوْ الْبَقَرِ ، أَوْ الْغَنَمِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . يُقَالُ : آلَفَ فُلَانٌ إيلَافًا . قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إلْيَاسَ ابْن مُضَرَ بْنِ نزَارِ بْنِ مَعَدٍّ :

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤْلِفُونَ ✿✿✿ هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُرْجِلُ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَالْإِيلَافُ أَيْضًا : أَنْ يَصِيرَ الْقَوْمُ أَلْفًا ، يُقَالُ آلَفَ الْقَوْمُ إيلَافًا . قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ :

وَآلُ مُزَيقياء غَدَاةَ لَاقَوْا ✿✿✿ بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤْلِفِينَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَالْإِيلَافُ أَيْضًا : أَنْ تُؤَلِّفَ الشَّيْءَ إلَى الشَّيْءِ فَيَأْلَفُهُ وَيَلْزَمُهُ ، يُقَالُ : آلَفْتُهُ إيَّاهُ إيلَافًا »[1] ، فنلحظ هنا كيف استوقفت هذه المفردات ابن هشام فجعل يشرحها ، ويوضح ومعناها بإيراد ما يدل على معانيها المختلفة ، ونجده استدل على التفسير بإيراد أبيات شعر أيضا .

11- حذف الأشعار المنحولة والموضوعة:

لقد طال الحذف أبياتا من غير الأسباب التي أجملنا ذكرها في العناوين السابقة ، بحيث كان الانتحال والوضع من أهم الأسباب التي حالت دون رواية شعر السيرة النبوية كاملا .

فقد عرفنا سابقا كيف مرّ الشعر من الرواية الشفوية إلى التدوين وتناقلته الرواة من جيل إلى جيل ، وهنا نطرح الإشكالات التالية :

هل سلم شعر السيرة النبوية من الانتحال ؟

ما مدى حجم الشعر المنحول ومن ثمة المحذوف ؟

ما هي الشواهد التي تثبت ذلك ؟

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج 1 ، ص 56 .

لكن الإجابة على هذه التساؤلات لن تكون إلا بعد الوقوف عند إشكالية النحل والانتحال في الأدب العربي، في الفصل الموالي.

الفصل الرابع

النحل والانتحال في الشعر الجاهلي
في السيرة النبوية

أولا: النحل والانتحال: (نظرة عامة)

إن الانتحال بكل معانيه الثانوية من تزوير أومحو أو إضافة أو نقل أو تقليد أو تحريف أو طمس ليس وليد حقبة متأخرة من التاريخ ، بل هو أسلوب من الأساليب التي انتهجتها الحضارات القديمة ، فهي ظواهر لم تسلم منها أمة من الأمم ، بما في ذلك تراثنا العربي ، فظاهرة التزييف والانتحال مسَّت العديد من جوانب التراث العربي والإسلامي ، لذلك علينا أن نبحث أولا عن منشأ الظاهرة ، وتجلياتها العامة في تراثنا ، قبل أن نفصل القول في قضية الانتحال والشك الخاصة بالشعر الجاهلي ، والتي أسالت حبر الباحثين ولا زالت ، لما يترتب عنها من نتائج تؤثر على الفهم العام لتراثنا الأدبي .

ونبدأ بالمعنى اللغوي والاصطلاحي للانتحال، جاء في لسان العرب : « نَحَله القولَ يَنْحَله نَحْلاً: نَسَبه إِليه. ونَحَلْتُه القولَ أَنْحَلُه نَحْلاً، بالفتح: إِذا أَضَفْتَ إِليه قولاً قاله غيره وادّعيتَه عليه »[1] ، فالنحل هنا له طرفين ، الشخص الذي يقوم بنسبة القول له ، والشخص الذي هو أصلا صاحبه ، والقول المأخوذ هو المنحول بطبيعة الحال ، ويقال أيضا : « نُحِلَ الشاعرُ قصيدة إِذا نُسِبَت إِليه وهي من قِيلِ غيره »[2] ، وها هنا يركز ابن منظور على أهم معنى وأكثره ارتباطا بمبحثنا .

بالمقابل يقول الزبيدي في تاج العروس عن الانتحال : « الانتحال وهو ادِّعاء ما لا أصل له »[3] ، وفي الحالتين فـــ (النحل) و(الانتحال) منحدرة من جذر لغوي واحد هو (نَحَلَ) ، وكل منها له معنى السطو على ملك معنوي للغير .

وكان العربي يجد في الانتحال عيبا ومعرة ، فهذا الأَعشى نافيا تهمة الانتحال: عن نفسه، وتأكيده على أنه لا يسطو على شعر غيره :

فما أنا أم انتِحالي القَوا ✿✿✿ فِ ، بَعدَ المَشِيب كفَى ذلك عارا

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نَحَلَ) ، ج **49** ، ص **4369** .

[2] المصدر السابق ، مادة (نَحَلَ) ، ج **49** ، ص **4369** .

[3] تاج العروس ، مادة (نَحَلَ) .

وقَيَّدَنِي الشِّعْرُ في بـــيتِه ✿✿✿ كما قَيَّد الآسراتُ الحِمارا »[1].

ونجد الفرزدق يذم من يتطاول على شعره حين يسرق قافية وينسبها إليه ، فنجده يقول:

إِذا ما قُلْتُ قافِيةً شَرُوداً ✿✿✿ تَنَحَّلَها ابنُ حَمْراءِ العِجانِ [2]

وقد يكون الانتحال بمعان أخرى بحيث نقول : « فلان يَنْتَحِلُ مذهبَ كذا وقبيلةَ كذا إذا انتسب إِليه »[3] .

لقد وقعت صور من التزييف والانتحال في التراث العربي والإسلامي عبر أزمانه ، من ظاهرة السطو على مؤلفات الغير بانتحال مؤلفات كاملة ، بحيث ينسب المؤلف عمل غيره وكأنه من تصنيفه ، أو يُنسب كتاب باطل لمؤلف لا يمت بصلة لما فيه من دعاوى باطلة ، وقد يتلاعب العابث بالنص بالتغيير أو التبديل أو الحذف ، من أجل أسباب ذاتية ، أو أنه ينسب لنفسه جزء من المؤلف بأن يكون بيت شعر مفرد أو أبيات شعر ، فينتحله ، ويجعله من تأليفه

وللانتحال علاقة بلفظة (**الوضع**) إلا أن الوضع ارتبط كلية بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما (**الانتحال**) يطلق على ما عاداه من كلام الأدباء أو الكتاب أو غيرهم من ممتهني صناعة الكتابة ، ويتقاطع اللفظان في كونهما يعبران عن نسبة الكلام للغير ، فمن انتحال الكتب كاملة ، إلى انتحال القصائد المفردة ، إلى انتحال الأبيات ...

---

[1] الأعشى ، الديوان ، ص : 53 .
[2] الفرزدق ، الديوان ، المحقق : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1407 هـ / 1987 م ، ص :
[3] محمد حسن عبد الله ، التراث في رؤية عصرية ، مصر ، ص : 01 .

ولعل نظرة موجزة عن انتحال المؤلفات ، تزيد من فهمنا ووعينا بخطورة الظاهرة ، وتمكننا من رسم صورة عامة لها من خلال نتاج التراث العربي – ولو بصفة محدودة موجزة –

إذن هناك من اشتهر بين الأقدمين بنسبة كتب غيره له والسطو على تصانيفهم والعبث بالمكتوب كيفما اتفق هواه ، وقد ذكرت لنا المصادر في مواطن عدة كيف اتهم بعض المؤلفين بنسبة بعض المؤلفات لهم .

وقد أفردت المصنفات لإثبات سرقة المؤلفات وانتحالها مثلما فعل جلال الدين السيوطي (849 – 911 هـ) حينما كتب مؤلفه : (الفارق بين المصنف والسارق) ، يتحدث فيه عن سارق سطا على كتابيه (المعجزات والخصائص) ، فسرق ما فيهما بعباراته ، فكتاب (الخصائص) هو نفسه (المواهب اللدنية) للعسقلاني وقد ثبت هذا بأدلة عقلية ونقلية لمن تناول الموضوع بالدراسة .

يقول السيوطي مدافعا عن ملكيته للكتاب ، « ولقد أبْهَمتُ نُقولا عن أئمة فأوْرَدها على إبهامها ولقد زِدْتُ على النسخة التي أعيرت له أكثر من مائتي خصيصة ولو رام الوصول إلى واحدة منها لم يجل منها بخر بصيصة »[1] ، والنص يؤكد نسبة الكتابين للسيوطي ، وكيف استطاع معرفة تصانيفه لما انتشرت بين الناس ، وإرجاع ما فيهما من فضل وعلم له .

ولكن الأمر قد يختلف مع مصنفات الذين غيبهم الثرى ، والذين نسبت إليهم أباطيل وأكاذيب لا تليق بمكانتهم العلمية ، فمن يعيد لهم حقوقهم أو على الأقل ينفي عنهم الأباطيل التي ضمتها المصنفات التي نسبت إليهم ؟

هذا النوع أيضا يدخل ضمن العنوان الواسع للنحل والتزوير ، هنا نجد من ألّف في الكشف عن هذه الاتهامات ، وعلى رأسهم كتاب (كتب حذر منها العلماء) الذي

[1] جلال الدين السيوطي ، الفارق بين المصنف والسارق ، تحقيق هلال ناجي ، ط 1 ، عالم الكتب ، مصر ، 1419 هـ / 1998 م ، ص : 34 .

أفرد فيه كاتبه أبو عبيدة مشهور آل سليمان ، الفصل الرابع [1] منه لدراسة الكتب المنحولة وفيه إشارة لـــ (50) عنوانا لمؤلفات مدخولة على مؤلفيها زورا وبهتنا وهم منها برآء ، معتمدا في ذلك على علماء ثقات مشهود لهم بالإنصاف .

ومن ذلك أيضا ما وقف عنده محمد ماهر حمادة ، الذي سلّط الضوء باحثا عن سرقة الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية[2] ، وسجل نماذج عديدة ، تكشف عن عمق الظاهرة في مجتمعنا الثقافي ، منذ القديم .

وحتى نعرف قدم هذه الظاهرة في التراث العربي والإسلامي ، نختار من النماذج التي عثرنا عليها كتاب (معراج ابن العباس) المنسوب لابن عباس رضي الله عنه زورا ، لأنه حوى أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصح منها نزر يسير ، وقد اتفق العلماء [3] على عدم صحة نسبة الكتاب لابن عباس رضي الله عنه .

يقول رمضان البوطي – على سبيل المثال لا الحصر – مدعما هذا القول : « احذر وأنت تبحث عن قصة الإسراء والمعراج إلى أن تركن إلى ما يسمى بـــ (معراج ابن عباس) فهو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند تناقض العلم ولا تتفق مع العقل ، وقد شاء ذلك الذي فعل فعلته هذه أن يلصق هذه الأكاذيب بابن العباس رضي الله عنه »[4] ، حبا في ترويجها وتلفيقها على العامة ، وقد أحسن المزور الاختيار ، إذ نراه انتقى قصة الإسراء والمعراج وهي قصة من أشهر ما روي في تاريخ السيرة النبوية مع ارتباطها بآيات قرآنية صريحة ، والتي لا نختلف أنها قصة حق وصدق ،

---

[1] ينظر : أبو عبيدة مشهور آل سليمان ، كتب حذر منها العلماء ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1995 م ، ص : ج 2 ، ابتداء من الصفحة : 223 .

[2] ينظر : محمد ماهر حمادة ، سرقة الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية ، عالم الكتب ، المجلد الثاني ، العدد : 04 ، 1402 هـــ / 1982 م ، 707 – 712 .

[3] ينظر على سبيل التمثيل : محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة (مع صور لتاريخ النبوية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ص : 168 ، و أبو عبيدة مشهور آل سليمان ، كتب حذر منها العلماء ، 257 – 259 .

[4] محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة (مع صور لتاريخ النبوية ، ص : 168

لكن نسبة الكتاب لابن عباس رضي الله عنه بما فيه من كذب وتلفيقات هو الذي نعترض عليه ، وقد كان هذا التلفيق بهدف تشويش أفكار المسلمين .

مثل ذلك أيضا كتاب (النصيحة الذهبية) التي تنسب للذهبي ، وقيل إنه وجهها لابن تيمية ، وقد صدرت حديثا مجموعة من الدراسات [1] التي تفند هذا النسب ، وتؤكد أن الذهبي بريء منها .

وقد يقع الانتحال والتزوير على المخطوطات أيضا بــ « المحو أو الكشط أو الإضافة أو النقل أوا لتقليد وزورت العناوين وأسماء مؤلفين وتواريخ التأليف والنسخ وعتقت الأوراق وأضيفت تقييدات وتملكات وقلدت خطوط »[2] ، وكل هذا من أجل مكاسب دنيوية مادية أو لأجل أهداف دنيئة أخرى ، من طرف ضعاف النفوس ، كالحسد والكيد للخصوم ، والضحية هو التراث العربي .

إذن من خلال النماذج التي أوردناها نلاحظ سطوا واضحا على الملكية الشخصية لهذه المؤلفات ، فمن المعلوم أن الملكية نوعان : ملكية ذهنية أو فكرية و ملكية مادية ، فأما الأولى فهي خاصة بالمصنفات الأدبية والفنية ، والثانية خاصة بالمنقول والعقار ، وما يهمنا هو النوع الأول منا لملكية ، وحق صاحبها في ما جاد به يراعه ، وأثمر به عقله .

ولقد اصطلح على تسمية حقوق المؤلفين على مصنفاتهم العلمية والأدبية بــ (**الملكية الفكرية**) ، فالأصل للحقوق المعنوية أن تُحفظ ، وتصان من عبث العابثين

---

[1] ينظر على سبيل التمثيل : أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي ، أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي (النصيحة الذهبية وتحقيق في صاحبها) ، دار المامون للتراث ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1423 هــ / 2002 م ، و: محمد بن إبراهيم الشيباني ، التوضيح الجلي في الرد على النصيحة الذهبية المنحولة على الإمام الذهبي ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، 1413 هــ / 2002 م

[2] عابد سليمان المشوخي ، التزوير والانتحال في المخطوطات العربية ، (أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 1422 هــ / 2001 م ، مصر ، ص : 13 – 14 .

وانتحال المنتحلين ، وليس هذا مجرد رأي عابر ، بل قنن باتفاقيات دولية [1] في هذا الشأن ومنذ القرن الماضي .

ثم إن الانتحالات كلها لا تخرج عن قضية حقوق الملكية الفكرية ، وهذا ما يؤدي بنا إلى إطلالة على جهود متميزة انفرد بها التراث العربي والإسلامي ، إذ أثيرت مباحث عديدة عن قضية الملكية الفكرية ناهيك عن السرقات والانتحالات ، وعدّد علمائنا مصطلحات لذلك ، نتناولها بوجه من الاختصار في ما يلي :

إن المتتبع لمسار النقد في الأدب العربي القديم لا يمكن له أن ينكر تناول النقاد العرب القدامى لهذه المسألة بمفهومات ومصطلحات نقدية ، أهمها : (**السرقة الأدبية**) [2] ، التي ينضوي تحتها كل انتهاك لحق ملكية البيت أو القصيد أو الكتاب .

و بناء على هذا المعنى العام ، فالسرقة « قديمة في تاريخ الفكر الإنساني وجدت عند اليونان و الرومان منذ عهد بعيد » [3] ، و من ثم فقد عرفها الأدب العربي عبر مراحل تطوره ، بدءا من الشعر العربي القديم الذي وصل إلينا من العصر الجاهلي ، و قد وقف الشاعر العربي في تلك الفترة إزاء السرقة موقفا يلخصه لنا طرفة بن العبد في أحد أبياته قائلا :

---

[1] من ذلك إنشاء الجمعية الأدبية والفنية الدولية في باريس 1878 م ، بهدف العمل على حماية المؤلفين في الدول المختلفة والتي أسفرت جهودها على عقد اتفاقية برن في 19 / 09 / 1986 م التي انضم إليها العديد من الدول ، ينظر : محمد محيي الدين عوض ، حقوق الملكية الفكرية ، (أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 1425 هـ / 2004 م ، ص : 30 .

[2] لقد شكلت (السرقات الأدبية) نواة صالحة لجذور نظرية تناصية ، أثـْرت الممارسات النقدية التطبيقية الحديثة ، بيد أنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما هو الحال في نظرية التناص رغم حظوتها باهتمام النقاد العرب القدامى الذين استفاضوا في الحديث عنها و في تعداد أنواعها .

[3] محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي ، ص : 04 .

« وَ لا أغِيرُ عَلَى الأشعَار أسْرِقُهـَـا ✿✿✿ عَنْهَا غَنِيت وَ شرّ النّاس مَن سَرَقا »[1] لكن هذا لم يمنع من انتشار السرقات الأدبية ، إلى أن اتسعت دائرتها في العصر العباسي إلى حد لم تبلغه في العصور السابقة[2] ، فأصبحت ميزة بينة في الآثار الأدبية .

إن آراء النقاد العرب القدامى تجاه قضية السرقات الأدبية لم تكن أحادية الاتجاه ، وبالتالي فإن النتائج التي توصلوا إليها كانت متباينة من ناقد لآخر ، باختلاف المصادر التي اعتمدها في إصداره لحكمه أو رأيه ، ومن ثم عولجت السرقات الأدبية في ضوء التوجهات المتفقة أحيانا والمتضاربة أحيانا أخرى ، ومن أهم من تطرق لمسألة السرقات في النقد العربي القديم : ابن الأثير (555 هـ / 1160 م - 630 هـ / 1233 م) في (المثل السائر) ، والمظفر العلوي (- 656 هـ / 1258 م) في (نضرة الإغريض في نصرة القريض) ، وابن رشيق القيرواني (390 هـ / 1000 م - 463 هـ / 1071 م) في (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ، والقاضي الجرجاني (322 هـ / 933 م - 392 هـ / 1001 م) في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ، والآمدي (- 370 هـ / 980 م) في (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري) ، وأبو هلال العسكري (- 395 هـ / 1005 م) في (الصناعتين) ، وغيرهم .

فالآمدي يرى أن سرقات المعاني لا تعد من كبرى المساوىء ، وقد اعتبرها « بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر »[3] ، ولا تكون إلا في البديع الذي يختص به الشاعر في المعاني المشتركة بين الناس ، ويشاطره العسكري في طرحه هذا إذ « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم »[4] ، فاستحالة العثور على عمل دون خلفيات فكرية أدبية تاريخية أو غير ذلك ، لكنه يشترط أن يتعرض له الآخذ للمعنى فيكسبه شيءا جديدا ليتميز بها ولتكن إضافته أحسن وأفضل من الأصل ، فيقول : « أن يكسوها ألفاظا من عندهم ويـــبرزوها في معارض من

---

[1] **طرفة بـــن العبد ، الديوان ، ص : 180 .**

[2] **ينظر : محمد مصطفى هدارة ، مشكـــلة السرقات في النقـــد العربي ، ص : 29 .**

[3] **أبو القاسم الآمـــدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، 1 / 290 .**

[4] **أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعـــتين ، ص : 202 .**

تألـــيفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى (...) فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها »[1] .

ويؤكد ابن الأثير نفس المعنى الذي ذهب إليه العسكري والآمدي معا بقوله : « واعلم أن الفائدة من النوع – السرقات – أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول »[2] ، فللسرقات فائدة إذا ما اختير الأخذ بعناية ، وهي أمر لا يمكن تجاهله ولا تفاديه .

فالسرقة من وجهة نظر الآمدي والعسكري وابن الأثير ، ضرورة فنية لا يمكن للمبدع الاستغناء عنها ، فتداول المعاني بين الناس ليس عيبا لكن يبقى على الآخذ أن يكون حاذقا في التعامل مع ما أخذه ، وذلك بتحويله وتعديله فتصبح حينئذ السرقة عملية شرعية ملازمة للإبداع ونحن نتحدث عن موقف النقاد العرب القدامى من موضوع السرقات ، يستوقفنا ابن رشيق القيرواني في عـــمدته باعتباره « قد نهج في دراسته للسرقات منهجا استوعب جل الأفكار التي سبقته في هذا المجال ، كما أضاف إليها نظرته الخاصة للموضوع ، وقد خص هذا الموضوع بابا مستــقلا في عمدته ، أسماه (باب السرقات و ما شاكلها) [3] ، فالنص الأدبي هو نتاج امتلاك المبدع خبرات معرفية وفنية سابقة ، وبمجرد ولادة النص وبــثـــــه للمتلقي تنتهي مهمة هذا المبدع لتبدأ مغامرة النص الحقيقية مع آفاق التلقي المتعددة ليولد النص من جديد ، وما تنوع القراءات إلا دليل على طاقة النص الأدبية، وهذه سمة من سمات بقائه وذهابه في الناس عبر المكان و الزمان .

[1] المرجع السابق ، ص: **202** .

[2] ابن الأثير ، المثل السائــر ،: **3 / 218** .

[3] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط **5** ، دار الجيل ، للنشر والتوزيع والطباعة ، **1401** هــ / **1981** م ، **2 / 280 – 293** .

في حين يقسم المظفر العلوي السرقات الأدبية إلى محمود ومذموم [1] ، لا سيما في الشعر ، وعدَّد سرقات مستقبحة ، كنقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير ، وسرقات مقبولة على أوجه ، كاستيفاء اللفظ الطويل في الموجز القليل .

أما ابن رشيق فقد قسم السرقات إلى (سرقة اللفظ مع المعنى وسرقة المعنى مع تغير بعض من اللفظ وسرقة تعتمد على تغير بعض من المعنى أو قلبه ، وتبعا لهذا فقد اقترح ابن رشيق مصطلحات عدة مدعما كل واحد منها بالشواهـــد والتي نختصرها فيما يلي : الإصطراف والإغارة والغصب والمرادفة أو الاسترداف والاهتدام أو النسخ والنظر أو الملاحظة والإلمام والاختلاس أو النقل والموازنة والعكس والمواردة والالتقاط أو التلفيق أو الاجتلاب والتركيب وكشف المعنى [2] ، وهي في مجملها مصطلحات « أقرب إلى علم البديع منها إلى النقد [3] ، وقد تطرق إليها غير واحد من النقاد لكن ابن رشيق توسع فيها.

ومهما اختلفت آراء النقاد العرب القدامى ، فإن النقد العربي القديم نظر للسرقات الأدبية على أنها[4] استقصاء للمعاني وردها إلى أصولها الأولى ما أمكن ، لوجود أدنى تشابه»، مهما كان مصدرها سواء أكان من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من أشعار العرب و كلامهم.

وبالتالي كان هدف هؤلاء النقاد هو « البحث عن الأصول وعن المصدر الأول للنص الأدبي (...) وليس باعتبار النص الأدبي فسيفساء من النصوص فيما بينها »[5] ، وتبقى

---

[1] المظفر بن الفضل العلوي ، نضرة الإغريض في نصرة القريض ، تحقيق : نهى عارف الحسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 203 – 238 .

[2] ينظر : المصدر السابق ، 2 / 280 – 293 .

[3] ينظر الدراسة التي قام بها : بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ،: 231 .

[4] محمد مصطفى هدارة ، مشكـــلة السرقات في النقـــد العربي ، ص : 239 .

[5] أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ، ص : 59 .

السرقات وجه من وجوه الانتحال[1] ، والأخذ مهما كانت الطريقة والهدف منه يتطور ليصبح نصا آخر يتلائم مع طبيعة الآخذ وأفكاره .

ونركز في ما يلي على قضية الشك والانتحال في أدب الجاهلية تحديدا ، فكيف التفت المشتغلون بالأدب والتراث لهذه القضية ؟

إن من أهم القضايا التي يثيرها الحديث عن الشعر في العصر الجاهلي [2] ، قضية عمر الشعر الجاهلي وأوليته ، إضافة إلى حقيقة شعراء الجاهلية المعروفين وما انتهى إلينا من أشعارهم ومقدار هذا الشعر ، أضف إلى ذلك قضية وضع الشعر ونحله وصحة ذلك من عدمه ، وهي مسائل متداخلة متشابكة .

ولعل ما يهمنا بالدرجة الأولى ونحن نتحدث عن رواية الأدب في التراث الأدبي العربي هي **مسألة الشك في روايته** ، وهي ليست وليدة اليوم ، وليست خاصة بشعوب دون غيرها أو بأجناس أدبية دون أخرى ولكنها ظاهرة عامة شملت كل الآداب الشفوية العالمية مثل الآداب الإغريقية القديمة والهندية وغيرهما [3] ، بحيث شكلت هذه القضية محورا هاما شغل الباحثين العرب والمستشرقين الذين يذهبون إلى حد التشكيك في وجود شعراء بعينهم مثل امرئ القيس مثلا على رأي المستشرق الانجليزي مارغليوث وتلميذه طه حسين [4] .

---

[1] النقاد العرب عالجوا في نقدهم النصوص وتفطنوا لظاهرة السرقات الأدبية وهي في جانب منها تتقاطع مع مفهوم (التناص) ، لأن الكثير من المفهومات النقدية القديمة تقارب في دلالتها أنواع التناص ، وكانت ثمرة جهود هؤلاء النقاد انبثاق مجموعة من المفهومات والمصطلحات أثْـرت ممارساتهم النقدية ، لكنها تميزت بتعدد التسميات وكثرة المفهومات وتداخلها مما يجعل فصلها صعبا وايرادها جميعا ضربا من التكرار .

[2] ينظر : محمود محمد شاكر ، قصة الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ، مطبعة المدني ، المؤسسة السورية بمصر، دار المدني ، جدة ، ص : 10 .

[3] ناصر الدين الأسد ، مصادر الأدب الجاهلي وقيمتها التاريخية ، 287 .

[4] ينظر : مصطفى الجوزو ، قراءة جديدة لقضية الشك في أدب الجاهلية ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ط 1 ، 2001 ، 28 ، 29 .

مثل ذلك الشعر الهوميري المتمثل في الإلياذة والأوذيسة إذ اختلف في صحة نسبتهما إلى هوميروس فغدا موضوعا « لم يصل الدارسون له برغم ما بذلوا من جهد خصب إلى نتيجة يستقرون عندها ، ويبدو أنهم لن يصلوا مهما بذلوا من جهد »[1] ، ويبقي الأمر مبهما بالنسبة لدارسي هذه الفترة من التاريخ الأدبي الغربي ، وليس هناك دليل قطعي على رأي من الآراء .

أما في أدبنا العربي القديم ، فالمشكلة التي تعترض الباحث أثناء توثيق أدب العصر الجاهلي هي « إنه ليس من نص مكتوب موثوق في الجاهلية إلا كتابات قليلة لا تفي شيئا»[2] ، وبالتالي لا نملك ، النص الأصلي الموثوق فيه والذي يمكن به أن نحاكم به أن نحكم على صحة النص الشفوي المشكوك فيه ، فلا مجال إذن للنتائج القطعية في هذا الباب .

على أنه لم يكن الوضع والنحل والانتحال مقصورا على القصائد المنزمة فحسب ، بل لقد « شمل كل ما يمت إلى الأدب العام بسبب كالنسب والأخبار – منذ الجاهلية نفسها »[3] ، وعند رجوعنا إلى تراثنا العربي نلفي في أكثر من موضع هذه الظواهر الأدبية ، حتى أننا نجد بيتا قاله مزرد بن ضرار ينفي صفة انتحال الشعر عـــن نفسه ونسبة شعر غيره له ردا على كعب بن زهير ، حينما قدم نفسه والحطيئة في أبياته المعروفة ، فقال [4] :

وباستك إذ خلفتني خـــلف شاعرٍ ✿✿✿ من الناس لم أكفىء و لم أتنحّل

فإن تجشبا أجتســـــب وإن تتنخّلا ✿✿✿ وإن كنت أفتى منكما أتنحل

ولست كحسان الحـــسام بن ثابت ✿✿✿ ولست كشماخ ولا كالمخبل

---

[1] ناصر الدين الأسد ، مصادر الأدب الجاهلي وقيمتها التاريخية ، **292** ، **293** .

[2] المرجع السابق ، **292 – 293** .

[3] ناصر الدين الأسد ، مصادر الأدب الجاهلي وقيمتها التاريخية ، **321** .

[4] ينظر : ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، **104 – 105** .

وأنت امرؤ من أهل أهل قدس أوارة ✿✿✿ أحلتك عبد الله أكتاف مبهل

أو كما ورد مثلا على لسان أبي عبيدة أنه كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان قليل الشعر جيده، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه فتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى هـــذه الأبيات [1] :

إِنَّ الرَزِيَّـــةَ لا رَزِيَّـــةَ مِثلَها ✿✿✿ ما تَبتَـــغي غَطَفانُ يَومَ أَضَلَّتِ

إِنَّ الرِكابَ لَتبتَـــغي ذا مِرَّةٍ ✿✿✿ بِجَنوبِ نَخلَ إِذا الشُهورُ أَحَلَّتِ

وَلَنِعمَ حَشوُ الدِرعِ أَنتَ لَنا إِذا ✿✿✿ نَهَلَت مَنَ العَلَقِ الرِماحُ وَ عَلَّتِ

يَبغونَ خَيرَ الناسِ عِندَ كَريهَةٍ ✿✿✿ عَظُمَت مُصيبَتُهُم هُناكَ وَجَــلَّتِ

كما نجد الكثير من الرواة قد تنبهوا لهذه الظواهر ، وأشاروا إليها بالتعميم ، بل« قلما نجد راوية عالما من القرن الثاني والقرن الثالث لا تذكر لنا الأخبار المروية عنه أنه نص صريحا على أن بيتا أو أبياتا بعينها موضوعة منحولة [2] ، نظرا لكثرتها ، وذيوعها وامكانية اكتشافها من طرف الراوية الحذق ، من ذلك قول الأصمعي « أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة »[3] ، وقول الأصمعي يؤخذ على أنه شهادة راوية عُرف بالتمكن من صناعته متقن لها .

كما أورد الجاحظ قول أبي عبيدة في خمسة أبيات للحارث بن حلزة دون غيرها قائلا « أنشدنيها أبو عمرو، وليست إلا هذه الأبيات ، والباقي مصنوع: من السريع

يا أيها المُزْمِعُ ثـــمَّ انثَنَى ✿✿✿ لا يَثنِك الحازي ولا الشّاحِجُ

ولا قـــعيدٌ أعْضـــبٌ قَرنـــُه ✿✿✿ هـــاجَ لَهُ مـــن مَرتَعٍ هائجُ

بينا الفَتَى يَسْعَى و يُسْعَى له ✿✿✿ تاحَ لهُ من أمره خَالِجُ

---

[1] المصدر الأسبق ، طبقات فحول الشعراء ، 105 – 106 .

[2] ينظر : ناصر الدين الأسد ، مصادر الأدب الجاهلي وقيمتها التاريخية ، 325 ، 326 .

[3] السيوطي ، المزهر ، 2 / 413 – 414 .

يترُكُ ما رَقَّـحَ مـن عَيـشِهِ ✿✿✿ يعيثُ فيه هَـمَـجٌ هـامِجُ

لا تَكْسَـع الشَّوْلَ بأغبارها ✿✿✿ إنّك لا تدري مَن النـاتـجُ »[1] .

وانطلاقا من هذه الشهادات التي تبناها الرواة في نسبة أبيات الشعر إلى قائليها أو عدمها ، عرض النقاد والمؤرخون المسلمون لخمسة أسباب [2] حملتهم على الشك ابستر القديم نلخصها في السبب الزمني المتصل بالقدم والذي يؤدي حتما إلى ضياع الشعر ثم سبب آخر متعلق بأخلاق الرواة الذين يعمدون إلى تعديل أو تحريف الشعر المروي ، والسبب اللغوي المتصل باختلاف لغتي الشمال والجنوب واختلاف اللهجات ، يضاف إليه أيضا السبب الأسلوبي المتصل بتفاوت القيمة الفنية والوحدة العضوية في النص الواحد ، وبني عدة قصائد منسوبة إلى شاعر واحد بعينه هذا إضافة إلى السبب المتصل بالاحتكام إلى المعطيات القرءانية وغيرها من المصادر الدينية .

يضاف إليها جملة من الأسباب المعاصرة التي دعت النقاد والمؤرخين إلى الشك بالأدب الجاهلي[3] على شاكلة الأمية والنسيان ، وطول القصائد ، وتعدد الروايات والطابع القصصي الفني للروايات ، وعجمة الرواة وكذا الحلقة لواصلة بين الجاهلية وعصر التسجيل ، الأمر الذي أدى إلى الاهتمام بهذه الظاهرة دراسة وتحليلا وتمحيصا ، فكيف تم ذلك ؟ ومن هم الذين أسَّسوا لهذه الظاهرة ؟

ثانيا: النحل والانتحال بين ابن سلام الجمحي ومارجليوث وطه حسين:

إن قضية النحل والانتحال في أدب الجاهلية تناولها علماء اللغة القدماء منذ القرن الثاني للهجرة ، وخصوصا في القرنين الثالث والرابع ، وتراوحت دراستها بين ابن سلام الجمحي قديما ثم مرجليوث من المستشرقين حديثا ليتلقف طه حسين أفكار هذا المستشرق ويدلي بدلوه في المسألة ، وهذا تفصيل للقضية :

[1] الجاحظ ، الحيوان ، ج 3 / 449 – 450 .

[2] ينظر : مصطفى الجوزو ، قراءة جديدة لقضية الشك في أدب الجاهلية ، 33 ، وللتفصيل أكثر : 33 / 117 .

[3] ينظر : ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، السفر الأول ، ابتداء من : ص : 03 ، من المقدمة .

لقد أثار ابن سلام الجمحي (150 هـ / 767 م - 232 هـ / 846 م) في مصنفه (**طبقات فحول الشعراء**) قضية انتحال الشعر وأطال الحديث فيها [1]، وقد تكون هذه القضية هي أهم القضايا التي دعته إلى تأليف كتابه المذكور وهو يرى أن وظيفة الناقد ومهمته الأولى هي الكشف عن صحيح الشعر من زائفه وجيده من رديئه .

وحاول ابن سلام أن يركز على أمرين اثنين ، أولهما : إعطاء إشارات خاطفة وأحكام مرسلة يُطلق فيها القول إطلاقا دون تخصيص ، وأكثر حديثه عن هذا القسم جاء عبر صفحات مقدمة كتابه مثل قوله: « وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة فى عربية ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية و لم يعرضوه على العلماء وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شئ منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي، وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه» [2].

وثانيهما ذكره للشعراء وإرساله القول في شعرهم من غير تخصيص أو تفصيل كشكه للشعراء في شعر عبيد بن الأبرص الذي يظهر في قوله : « ... وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب ✿✿✿ فالقطبيات فالذنوب

ولا أدري ما بعد ذلك .

وعلقمة بن عَبَدَة ، وهو علقمة الفحل – وعلقمة الخصي من رهط علقمة الفحل – ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ✿✿✿ و لم يك حقا كل هذا التجنب

---

[1] **ينظر : المرجع السابق ، ص : 119 ، وللتفصيل أكثر ، ص : 119 – 161 .**

[2] **ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص : 04 .**

والثانية :

طحا بك قلب فى الحسان طروب ✿✿✿ بعيد الشباب عصر حان مشيب

والثالثة :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ✿✿✿ أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

ولا شيء بعدهن يذكر » [1] .

وشك في الحمل عن حسان بن ثابت أيضا ، فقال عنه : « وهو كثير الشعر جيدة وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد لما تعاضهت قريش واستبت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى » [2] .

أما أسباب الانتحال فيُرجعها ابن سلام حسب ما وقفنا عليه من مقدمة كتابه إلى عوامل سياسية وعامل ديني وعامل الرواة ، فأما العوامل السياسية فمفاده أن بعض القبائل العربية شعرت بحاجتها إلى قصائد فخر تعزز بها مكانتها ، أما القبائل الأخرى ، فبحثت عن شعر لها فلم تجد منه إلا القليل فأدى ذلك بها إلى انتحال الشعر وتزويره وإلى هذا ذهب ابن سلام في قوله : « فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار التي قيلت. وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال » [3] ، ثم ما كان للرواة من دور مهم في لحن الشعر وتلفيقه مما أدى إلى اختلاط الشعر الجاهلي بالإسلامي .

---

[1] المرجع السابق ، ج **1** ، ص : **138 – 139** .
[2] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج **1** ، ص : **215** .
[3] المصدر السابق ، ج **1** ، ص : **46** .

على أن التشكيك في أدب الجاهلية أخذ منحى آخر مع المحدثين ، وتحديدا من المستشرقين، ولعل « مرجليوث D . S . Margoliouth [1] هو من أوائل من أثار منهم مسألة الشك في الشعر الجاهلي ، من خلال البحث الذي نشره في مجلة (الجامعة الآسيوية الملكية) الإنجليزية والمعنون بـــ The original Arabic poetry ، والمترجم في كتاب (أصول الشعر الجاهلي) ، وفيه يعتقد أن ما وصل إليه في بحثه «كاف لوضع كل ما يقال إنه شعر جاهلي وبما فيه أيضا كل الشعر السابق على العهد الأموي موضع الشك »[2] ، فبالنسبة لمرجليوث فالشعر الجاهلي والإسلامي ليس وليد فترة ما قبل الإسلام للشعر الجاهلي ، ولا العصر الإسلامي بالنسبة للشعر الإسلامي ، وبعبارة أخرى تختصر ما وصل إليه ، فـــ «الشعر الجاهلي والإسلامي ، اختراع متأخر ليس له ظل من الحقيقة »[3] .

ولقد كان للباحثين العرب المحدثين آراء في قضية وضع الشعر وانتحاله في العصر الجاهلي بدءا بمصطفى صادق الرافعي في ملفه (تاريخ آداب العرب) [4] ، والذي لم يتعد فيه أن دار مع الموضوع في الدائرة نفسها التي حصره فيها القدماء .

وجاء طه حسين ليفصل القول في مسألة الشك في أدب الجاهلية متتبعا خطى المستشرق مارجليوث ، وألف بذلك كتابه (في الشعر الجاهلي) [5] ، والذي طبع بعد ذلك بعنوان (في الأدب الجاهلي) [6] ، ونحاول بسط رأي طه حسين في ما يلي :

---

[1] سبقت ترجمته .

[2] أصول الشعر العربي ، ديفيد صمويل مرجليوث ، ترجمة وتعليق ودراسة د . إبراهيم عوض ، دار الفردوس ، 1427 هـــ – 2006 م ، ص 107 (08) (النص المترجم) .

[3] المرجع السابق ، ص : 117 (من نص الدراسة) ، وينظر دراسة للموضوع من وجهة نظر المستشرقين فيما جمعه عبد الرحمن بدوي من مقالات بعض المستشرقين : دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ، ترجمها عن الفرنسية والألمانية والانجليزية : عبد الرحمن بدوي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1979 م .

[4] خصص الرافعي الباب الثاني من الجزء الأول للكتاب للرواية والرواة ، ينظر : مصطفى صادق الرافعي ،

[5] ينظر : طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب ، المصرية بالقاهرة ، 1344 هـــ / 1926 م .

[6] ينظر : طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، مطبعة فاروق ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1352 هـــ / 1933 م.

من مصادر طه حسين في الانتحال : ابن سلام الجمحي ، فقد رجع إليه واستشهد به في أكثر من موضع ، فرجع إليه رجوعا مباشرا في كثير من مواضع الكتاب ، إضافة إلى أنه اعتمد عليه في رصد الأسباب التي دعت للانتحال ، بحيث يردد ما قاله ابن سلام الجمحي و لم يأت في هذه النقطة بجديد يُذكر ، خصوصا لما استشهد بالوضاع من الرواة على شاكلة حماد الرواية وخلف الأحمر .

وإلى هذا السبق أشار الأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، في كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) [1] ، وكذا محمد فريد وجدي في كتابه (نقد كتابفي الشعر الجاهلي) [2] بنقدهما لما وصل إليه طه حسين من نتائج والتي نسبها لنفسه :

فأما ضياع الشعر الجاهلي حتى لم يبق بأيدي الناس إلا أقله فقد أخذه مما قرأ في الطبقات في الصفحة العاشرة من قول عمر بن الخطاب وقول أبي عمرو بن العلاء .

وأما أثر العصبية ووضع الشعر فقد أخذ فكرته من ذكر ابن سلام في طبقاته من مراجعة العرب لرواية الشعر ، وما وجدته بعض القبائل من ضرورة اللحاق بركب القبائل التي عرفت بكثرة شعرائها ، وذلك بانتحال الشعر.

وأما أثر السياسة في وضع الشعر فقد أخذ ما كتبه في ذلك عن طريق التوليد من ذكر ابن سلام لقوله أن قريشا تزيد في أشعارها .

وأما ما كتب عن القصص ووضع الشعر فقد ولّده كله من ذكر ابن سلام من عبث بعض الرواة بالشعر على شاكلة ابن إسحاق صاحب السيرة .

فما كتبه طه حسين عن القضية ، من هذا الباب أكثره مأخوذ من ابن سلام مع خلطه بكثير من الباطل، وكله مأخوذ من القدماء عموما ، أما عند تتبعنا لما ذهب إليه المستشرقون ، فإن طه حسين يعد من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر

---

[1] **ينظر : محمد أحمد الغمراوي ، النقد التحليلي لكتاب : في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، المطبعى السلفية ومكتبتها ، 1347 هـ / 1929 م ، 268 – 273 .**

[2] **ينظر : فريد وجدي ، نقد كتاب في الشعر الجاهلي ، ط 1 ، 1926 م .**

إذا ما حاولنا تتبع مسار المستشرقين وآثارهم على المثقفين العرب ، وبشكل ملفت للنظر كذلك ، بحيث تؤكد مؤلفاته ووجهات نظره أنه جرى في أبحاثه المختلفة مجرى كتاب الغرب ، واعتمد أساليبهم ومناهجهم في دراسة أدب العرب وتاريخ الإسلام »[1] ، فالمطلع على آراء طه حسين في الكتاب المذكور يدرك أنه أعاد آراء مارجليوث الخاصة بالشعر الجاهلي بل ونسب هذه الآراء إلى نفسه ، « وليس له في الكتاب رأي جديد بنتيجة بحث علمي قام به أو تعب في سبيله »[2] ، حتى أنه ظهر خاضعا للاستشراق متأثرا به تابعا له ، ومن ثم أوهم طه حسين نفسه أنه خرج بنتيجة مفادها أن [3] كثرة الشعر الجاهلي بين مرفوض ومشكوك فيه ، وقلقه في حاجة إلى الدرس ، وما يضاف إلى الجاهليين من نثر لا قيمة له ولا غناء فيه ، وبعد هذا الرأي الأوضح المشكك في رواية الأدب الجاهلي ، وجد طه حسين من تصدى له ولأفكاره بالنقض الصريح والرد المفحم ، أو بالإشارة عموما ، من ذلك ما أشار إليه أيضا الأستاذ مالك بن نبي [4] الذي ذكر في كتابه (إنتاج المستشرقين) أن كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي) جاء على غرار بحث للمستشرق مارجليوت في دورانه في فلكه ونسجه على منواله ، وغيره .

أما الأثر الأكبر لما خرج به طه حسين من نتائج بالأساس ، فيعود إلى المستشرق مرجليوث حيث ذهب كثير من النقاد إلى أنه سرق نظريته ثم فلهاوزن مؤسس نظرية مصادر العهد القديم وهو المصدر الاستشراقي لمنهجية طه حسين في الانتحال .

يضاف إلى هذا : ديكارت حيث كانت نظرية طه حسين من أمر التجرد من الهوى واتباعه للخطوات العلمية الدقيقة في البحث والدرس الأدبي مما أدى به إلى أن ينهج منهج الشك عند ديكارت / René Descartes (1596 – 1650 م) ، الذي

---

[1] محمود مهدي الاستنبولي ، طه حسين في ميزان العملاء والأدباء ، أنور الجندي ، ط 1 ، المكتب الإسلامي ، 1403هـ / 1983 م ، 55 .

[2] ينظر : مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، دار الورق للنشر والتوزيع ، والمكتبة الإسلامية 09 – 10

[3] ينظر : طه حسين، الأدب الجاهلي ، ص : 355 .

[4] ينظر : مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ط 1 ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 1388 هـ / 1969 م ، ص : 06 – 07 .

عرف بـــ (الشك الديكارتي) [1]، هذا الفيلسوف الفرنسي الذي يعد من أوائل الذين مجدوا العقل ونادوا بارتياد الاتجاه العقلي حتى سمّي بـــ (أبو الفلسفة الحديثة) ، والشك عنده هو أول خطوة للتأمل الفلسفي وهي مرحلة أساسية عند ديكارت ، بل هي السبيل الأمثل للوصول إلى اليقين .

أما دوافع طه حسين في شكه في الشعر الجاهلي ، فهي أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية أو العقلية أو السياسية للعرب الجاهليين ، والشعر الجاهلي جاء بلغة واحدة هي العربية الفصحى رغم اختلاف اللهجات العربية ، وهو المنسوب إلى العدنانيين جاء بلغة واحدة ولهجة واحدة ، والقبائل التي جمع منها الرواة أشعارهم لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة ، ثم إن الشعر الجاهلي لم يصلنا إلا عن طريق الرواية الشفوية .

ثالثا: توثيق رواية الشعر وتضعيفها:

لقد كانت الرواية الشفوية هي الوسيلة المعتمد عليها في نقل التراث الأدبي العربي من جيل لآخر ، ونحدث وعد الحفظ الوسيلة الوحيدة الأكثر أمانا وثقة في انتقال الأشعار والأخبار والسير والمغازي ، ولهذا يقول ابن سلام متحدثا عن الشعر المنحول « ... وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي .»[2] ، اذن كان العربي يفضل أخذ العلم بالرواية على أخذه من الصحف المدونة ، لكن هل الرواية الشفوية كانت بمنئ عن التحريف ؟ وهل الرواة فعلا بعيدون عن الوضع أوا لكذب أو حتى التصحيف ؟

الواقع أن كل أداء جديد لقصيدة مروية – مثلا – يمكن له أن يغير في بعض الكلمات أو الأشطر ، ومن هنا « ليس للقصيدة الشفوية نص ثابت حتى تكون قد

---

[1] للتعرف على منهج ديكارت ينظر على سبيل المثال : مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1996 م .

[2] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص : 04 .

كتبت من إملاء الناظم »[1] ، في بعض تفاصيلها ، فنص القصيدة بعد أخذه من مصدره الأصلي « يدور من فم إلى فم ولم يعد قوله كلمة بكلمة ولا بيتا ببيت بنفس الطريقة بالضبط ويمكن أن تكون بعض عناصرها قد كتبت وأن عناصر جديدة أضيفت إلى القصيدة مع كل أداء »[2] .

فأصبح بذلك للديوان الواحد أكثر من راوية [3]، وليس أدل من ديوان الشاعر الجاهلي امريء القيس ، إذ « رواه الأصمعي وأبو عمرو الشيباني وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من الروايات السالفة ابن السكيت وأبو سعيد السكري وأبو عباس الأحول والعلم الشنتمري والبطليوسي وابن النحاس »[4] ، مما جعل الديوان عبارة عن قصائد اتفق عليها الجميع وقصائد أثبتها هذا العالم ولم تثبت عند الآخر ، وتلك المجموعة أضافها العالم الثالث[5] ، وهذا قليل مقارنة بحجم روايات الدواوين الشعرية ، وأكثر الرواة الذين أثير حولهم جدل كبير في القديم والحديث فيما يتعلق برواياتهم [6] أبو عبيدة وحماد الراوية وخلف الأحمر وابن الكلبي .

والكثير من المصادر العربية تؤكد[7] تلاعب بعض الرواة بما يروونه « فتتهمهم بالوضع والنحل وترميهم بالكذب والافتعال، وبالتالي فهؤلاء الرواة « يتفاوتون فيما بينهم صدق وأمانة ودقة .

---

[1] جيمز مونرو ، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي ، ص 27 .

[2] عبد السلام محمد هارون ، قطوف ادبية ، دراسات نقدية في التراث العربي ، مكتبة السنة ، الدر السلفية للنشر ، ربيع الخير ، 1409 هـ / نوفمبر 1984 م ، 02 .

[3] ينظر : عفيف عبد الرحمن ، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1404 هـ / 1984 م ، 167 .

[4] عفيف عبد الرحمن ، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، 167 .

[5] ينظر : المصدر السابق ، 203 .

[6] السابق ، 167 .

[7] أشار إلى هذا الأمر أكثر من باحث مثل : ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، 429 .

يطالعنا أبو الفرج الإصفهاني بحادثة تضعف حمادا الراوية فيقول على لسان المفضل الضبي : « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك. أيخطىء في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك! »[1] ، مما يؤكد على ضرورة تمحيص العديد مما جاءنا من رواة الشعر الجاهلي وعد توثيقهم جملة وتفصيلا .

وروايات أخرى تضعِّف حمادا وتتهمه بالوضع والنحل وبالموازاة مع حمادا الراوية، نسوق خبرا عن خلف الأحمر يتهم فيه بالوضع والانتحال ، وبالموازاة مع حماد الراوية نسوق خبرا عن خلف الأحمر يته فيه بالوضع والانتحال ، ذكر ابن عبد ربه الأندلسي

وكان خَلفٌ مع روايته وحِفظه يقول الشعر فيُحسن، وينَحله الشعراء. ويقال إن الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبّط شَرّاً، وهو:

إنَّ بالشِّعب الذي دون سَلْع ✿✿✿ لقتيلاً دَمُه ما يُطَلُّ

لخَلَف الأحمر، وإنه نَحله إياه. وكذلك كان يفعل حمّاد الراوية، يَخلط الشعر القديم بأبيات له. قال حماد: ما مِن شاعر إلا قد زِدْتُ في شعره أبياتاً فجازت عليه إلا الأعشى، أعشى بكر، فإني لم أزد في شعره قطٌّ غيرَ بيت فأفسدتُ عليه الشعر. قيل له: وما البيتُ الذي أدخلته في شعر الأعشى؟ فقال:

وأنكرتْني وما كان الذي نَكِرتْ ✿✿✿ من الحوادث إلا الشَّيبَ والصلعَا [2] .

---

[1] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1204/3.

[2] ينظر: ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق : محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلنية ، بيروت ، لبنان ، 1404 هـ / 1983 م ، 6 / 157 .

على أن الروايات التي تطعن في حماد الراوية وخلف مما نجدها في بطون الكتب فيها نظر حسب نظر العديد من الباحثين .

وقد يتخذ الراوية دور الناقد فيصلح من القصيدة عن حسن نية لأن الراوية قد تتكشف له بعض العيوب أثناء إنشاده وتكراره للقصيدة « فيصلح ما تراءى له ثم ينشد القصيدة منقحة حرصا منه على شاعره الذي يريد له المنزلة العالية والمكانة المرموقة عند من يكلفون شعره من المتذوقين »[1] .

إذا فقد استباح الرواة أن يغيروا ما يمكن تغييره إذا هو لم يتفق وتلك القواعد المتفق عليها بينهم [2] ومن ذلك قول الأصمعي : « نوارة ذابلة وليسوا بقدوة، على أن كلامهم راجع إلى ما قلناه ، إنما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس، وإنما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدي ، قال الأصمعي : قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، فلما بلغت إلى قوله:

وليل كإبهام الحباري محبب ✿✿✿ إلى هواه غالب لي بـــــاطله

رزقنا به الصيد الغرير و لم نكن ✿✿✿ كمن نبله محرومة وحبائله

فيا لك يوماً خيره قبل شره ✿✿✿ تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف: ويحه، ما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت: هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء، قال : صدقت ، وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح لألفاظه، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، قلت : فكيف يجب أن يكون قال : الأجود أن يكون " خيره دون شره" فاروه كذلك، وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الأوائل ، فقلت : والله لا

[1] مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ، في النقد الأدبي القديم ، ص : **49** .

[2] ينظر : إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط **2** ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص : **46**.

أرويه إلا كذا »[1] ، هذا النقل يفيد أن الرواة أجازوا في ما بنهما عدم رواية ما وجدوه مخالفا لما تعلموه ، فينقح ويغير ما يبدو في إشكال يخالف ما تعارفوا عليه .

ومن ثمة لا يمكننا أن نتخذ موقفا واحدا من الرواة من حيث الثقة أو عدمها ذلك لأن توثيقهم ونفيه مستند إلى آراء بعضهم في بعضهم في بعض وهم متخاصمون ، إن لم يكن بسبب عداوة المهنة فعلى الأقل بسبب الخصومة المدرسية بين البصرة والكوفة ، وأحيانا بسبب السلوك الديني »[2] .

ونشير هاهنا إلى أن الرواية قد حظيت بالمكانة الرفيعة على حساب الصحف فيقول [3]:

لا يهمُ الحاء في القراءة بالخا ✿✿✿ ء ولا لامــها مــع الألــف

ولا مضلاًّ سُــبْلَ الكــلامِ ولا ✿✿✿ يكون إسناده عن الصُّحُفِ

وكان ممن مــضى لــنا خلفاً ✿✿✿ فليس إذْ مات عنهُ مِن خلفِ

ولقد وقف النقاد على كثير من المقاييس لتوثيق النصوص الشعرية وتصحيحها وإثبات خللها أو فساد روايتها مستمدين هذه المقاييس من « علوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة ، ومن السياقات المعنوية للنصوص ، والأدوات الفنية التي دأب الشعراء على استعمالها في إبداعهم ، كطبيعة التعبير وأنواع الأساليب ، والعروض والقوافي »[4] ، وفي ما يلي تفصيـــل لأهم هذه المقاييس :

---

[1] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ص 248 .

[2] الشريف مريبعي ، توثيق رواية الشعر في النقد العربي ، مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، جمادى الأولى 1426 هـــ على الموقع الرسمي لاتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سورية العدد 98 ، السنة الخامسة والعشرون ، حزيران 2005 ، ينظر الموقع على شبكة الأنترنت :

http://www.awu-dam.org/trath/98/turath98-005.htm

[3] الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون ، ط 2 ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأرولاده ، مصر ، ج 3 / 494 .

[4] الشريف مريبعي ، توثيق رواية الشعر في النقد العربي .

إن أول هذه المقاييس التي اتبعها القدماء في ميزان نقد روايات الشعر قبولا أو رفضا كانت قواعد النحو ، وقد كانوا في ذلك معتمدين على ذوقهم الشعري الذي اكتسبوه من علم ودراية بالمرويات مدعوما بإجماع الرواة على القصيد أو رأي من صاحبه مما لا يمكن الخروج عنه على حد تعبير ابن سلام في قوله : « وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه »[1] .

من ذلك أن لعلماء النحو والرواية ردوا على سيبويه روايته لبيت منسوب للشاعر عقبة بن هبيرة الأسدي لمخالفته إحدى القواعد النحوية

مُعاويَ أَنَّنا بَشَرٌ فأَسجِح ✿✿✿ فَلَسنا بالجِبالِ وَلا الحَديدا [2]

يقول عبد القادر البغدادي « (...) وقد رد المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب وتبعه جماعة منهم وتبعه جماعةٌ منهم العسكري صاحب التصحيف قال: ومما غلط فيه النحويون من الشعر ورووه موافقاً لما أرادوه، ما روي عن سيبويه عندما احتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض. وقد غلط على الشاعر، لأن هذه القصيدة مشهورة، وهي مخفوضةٌ كلها. وهذا البيت أولها. وبعده:

فهبنا أمةً ذهبت ضياعاً ✿✿✿ يزيد أميرها وأبو يزيد (...) »[3] .

إذن فسبب رد رواية هذا البيت عدم الالتزام بالقاعدة النحوية التي تفيد « أن المعطوف والمعطوف عليه يشتركان في الحكم الإعرابي »[1] ، فالمعطوف عليه هذا البيت ليس تابعا لمعطوف جرا .

---

[1] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص : **04** .

[2] عبد القادر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام اهرون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، **2 / 260 – 261** .

[3] المرجع السابق ، ص : **2 / 260** .

وإلى جانب علم النحو ، فقد اتخذ علم العروض أساسا آخر لنقد روايات الشعر ، وعلم العروض هو علم أوزان الشعر أو ميزان الشعر يشتمل على القواعد والأصول التي وضعها الخليلي بن أحمد الفراهيدي (100 – 175 هـ) أحد أئمة اللغة والأدب في القرن الثاني الهجري ، بوضعه لخمسة عشر وزنا سمى كل منها بحرا تشبيها لها بالبحر الحقيقي ثم جاء تلميذه الأخفش فاستدرك على أستاذه الخليل بحرا سمي المحدث أو المتدارك فأصبح مجموع البحور ستة عشر بحرا عروضيا [2] ، وفي النموذج التالي مثال على ذلك ، قول المعري على لسان أبي الهندي :

سَيُغني أَبا الهِنديِّ عَن وَطبِ سالِمٍ ✿✿✿ أَباريقَ كالغُزلانِ بيضٌ نُحورُها

سيغني أبا الهنديّ عن وطب سالمٍ ✿✿✿ أباريـــق رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

ويردف المعري قائلا : « هكذا ينشد على الإقواء وبعضهم ينشد :

رقاب بنات الماء ريعت من الرعد

والرواية الأولى إنشاد النحويين. وأبو الهندي إسلاميٌّ، واسمه عبد المؤمن بن عبد القدُّوس، وهذان اسمان شرعيان، وما استشهد بهذا البيت إلا وقائله عند المستشهد فصيح، فإن كان أبو الهنديّ ممن كتب وعرف حروف المعجم فقد أساء في الإقواء، وإن كان بنى الأبيات على السكون، فقد صحَّ قول سعيد بن مسعدة ، في أن الطويل من الشعر له أربعة أضرب » [3] .

---

[1] **الطاهر خليفة القراضي ، الأسس النحوية والإملائية في اللغة العربية ، ط 2 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 145 .**

[2] **ينظر على سبيل المثال لا الحصر : أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، كتاب العروض ، تحقيق وتقديم : أحمد فوزي الهيب ، ط 2 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، 1409 هـ / 1989 م .**

[3] **أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ، ط 5 ، دار المعارف ، مصر ، 143 .**

فأما قوله (إذا كان أبو الهندي ... الإقواء) فهو لا يطمئن إلى أن أبا الهندي وقع في عيب الإقواء [1] ، وهذا ما لا يتفق وعلمه ومكانته الأدبية ؛ وأما قوله : (وإن كان بني الأبيات ... أضرب) فقد شذّ عن القاعدة العروضية المتعلقة بالبحر الطويل [2] .

إضافة إلى هذين المقياسين ، هناك مقياس آخر يستخدم لتوثيق الرواية ، إنه مقياس الأسلوب أو ما يطلق عليه مصطلح (style) ، الذي يعرفه ابن منظور على أنه « الطريق والوجه والمذهب »[3] ، وفعلا يعد الأسلوب الطريقة التي يستعملها الكاتب ناثرا أو شاعر في التعبير عن مواقفه المختلفة ، ويتفرد به للإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها ، إذ يختار ما يناسب من مفردات وتراكيب ملائمة ، فالأسلوب في الكتابة هو فن القول بدون منازع .

وقد دخل هذا المصطلح في الدراسات البلاغية والنقدية بوصفه نظاما وقواعد عامة [4]، وأصبحت الأسلوبية (stylistique) بذلك تسعى إلى تجاوز حدود الجملة لتصل إلى « تحليل مجموع الخطاب الأدبي تحليلا موضوعيا يركز على وصف الظواهر النصية أي الوقائع الأسلوبية وكيفية تشكيلها ثم تأويلها بما يتلائم وطبيعة النص »[5] ، بما في ذلك الناحية الكلية للنص ، وذلك بمراعاة طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي سيسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقل إلى سواه .

وعلى هذا الأساس رد الأصمعي بيتا منسوبا لابن الكميت الذي يقول فيه :

---

[1] الإقواء هو « اختلاف حركة الروي (المجرى) بين الضم والكسر في القصيدة الواحدة (...) وهو أكثر العيوب انتشارا في الشعر القديم » ، ينظر : إيميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 363 / 364 .

[2] أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، كتاب العروض ، ص : 63 .

[3] ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سلب) ، ج 24 ، ص 2058 .

[4] ينظر : أحمد درويش ، الأسلوب والأسلوبية ، مجلة فصول ، ص : 60 .

[5] نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 م ، 35 .

« أرعِدْ وأبْرِقْ يا يزيـــ ✿✿✿ ـدُ فَمَا وعيدُكَ لي بِضائرِ »[1] ،

وذكر « ليس قول الكميت بحجة، هو مولد واحتج ببيت المتلمس :

فَإذا حَلَلتُ وَدونَ بَيتي غاوَةٌ ✿✿✿ فَابرُق بِأَرضِكَ ما بَدا لَكَ وارعُدِ »[2]

ونلفي المعري في أكثر من موضع في غفرانه يشير إلى هذا النوع من المقاييس بتشكيكه في نسبة الأبيات إلى أصحابها مثل قوله : « وهذا البيت يتنازع فيه : فينّسبه إليك قومٌ، وينسبه آخرون إلى عدىّ بن زيدٍ، وهو بكلامك أشبه »[3] ، كما يدل على أن علماء اللغة والبايت اتفقوا على أنه ليس كل ما أوصله لنا الرواة صائب صحيح .

رغم كل ما ذكرناه ، فالأمر لا يمنع من أن البعض من رواة الشعر وعلمائه قد بلغوا من التدقيق في رواياتهم .

رابعا: موقف ابن هشام من قضية النحل والانتحال في شعر السيرة النبوية :

ونعود لنرى ظاهرة النحل والانتحال في شعر السيرة النبوية وكيف كان موقف ابن هشام مما وجدناه في سيرة ابن إسحاق:

إن ما تناولناه عن قضية النحل والانتحال في الشعر الجاهلي لا ينطبق تمام الانطباق على شعر السيرة النبوية ، فإذا كانت « وجوه من الاتفاق بينهما في بعض عواملهما ومظاهرهما إلا أن شعر السيرة تبقى له وجوه أخرى خاصة به » [4] ، تتعلق بأهميته لمرافقته أحداث السيرة النبوية بالدرجة الأولى .

ولكي لا نكرر الجهود السابقة سنذكر أمثلة بعينها في هذا الجزء من الدراسة ، لنستدل بها على أنواع الحذف وأسبابه ، ومن أهمها قصيدة أبي طالب التي يبلغ عدد أبياتها : 94 بيتا ،

---

[1] **المرجع السابق ، 35 .**

[2] **ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، (باب ما جاء مفتوحا فيكون له معنى) ، ج 1 ، ص : 193 .**

[3] **أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، تحقيق وشرح : عائشة عبد الرحمن ، ، ط 9 ، دار المعارف بمصر ،**

[4] **شوقي رياض أحمد ، شعر السيرة النبوية : ص 178 .**

وفيها يؤكد على عدم تسليمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه ، وقال في مستهلها [1] :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ✿✿✿ وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ✿✿✿ وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنه ✿✿✿ يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

ثم يعلق عليها ابن هشام قائلا : « قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة **وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها**. » [2] ، كما هو ملاحظ من التعليق فابن هشام ، يشكك في الأبيات أو لنقل في أكثرها حسب تعبيره ، فهو لا ينكر وجودها كاملة ولا نسبتها للشاعر ، بل يشكك في أبيات لم يعينها ، وبرجوعنا لسيرة ابن اسحاق نلفي أن ابن هشام قد نقل القصيدة كاملة [3] .

وهذا الرأي لم ينفرد به ابن هشام وحده ، بل يطالعنا ابن سلام الجمحي بــقوله : « وكان أبو طالب شاعر جيد الكلام ، وأروع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي:

وَأَبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ ✿✿✿ ثِمالُ اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ

وقد زيد فيها وطولت. ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة : وقد علمت أن **قد زاد الناس فيها** ، ولا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعي عنها، فقلت صحيحة جيدة ! قال: أتدري أين منتهاها ؟ قلت: لا ! » [4] .

[1] **ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 272 – 280 .**
[2] **المرجع السابق ، القسم الأول ، 272 – 280 .**
[3] **ينظر : السيرة النبوية لابن اسحاق ، 137 .**
[4] **ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، 1 / 244 – 245 .**

وابن اسحاق كثيرا ما تعرض للتجريح من بعض العلماء مثلما سبق ذكره ، لا سيما بسبب وضعه للشعر في ثنايا السيرة النبوية ، لكننا في واقع الأمر ، لا نتهمه بأنه هو الذي صنع تلك الأشعار الموضوعة وأضافها للسيرة النبوية ، بل: « كانت تعمل له الأشعار فيضعها في كتب المغازي »[1] ، ولعل من أهم الأسباب التي حدت بابن إسحق للاستشهاد بهذه الأشعار وإقحامها في السيرة النبوية ، هو كونها تنفع في تزيين القصة ، ولأن إدخال القصائد في الأخبار النثرية من الأمور المتبعة في الفن المأثور القديم عن القصاص العرب » [2] ، ومهما يكن من أمر فإننا لا ننكر جهد ابن إسحق المعتبر في جمع أخبار السيرة النبوية الشريفة وأشعارها مما جعل عمله أساسا أفاد منه العلماء من بعده ولا سيما ابن هشام .

وفي ما يلي رأي ابن سلام الجمحي ، والذي ارتأينا أن نورده كاملا نظرا للنقد الثاقب الذي تميز به ابن سلام ونظرته المميزة وخبرته في الشعر وأهله حينما ترجم لحسان بن ثابت الأنصاري : « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه، محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري : لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول: "فقطع دابر القوم الذين ظلموا " أي لا بقية لهم، وقال أيضاً: "وأنه أهلك عادا الأولى ، وثمود فما أبقى" ... » [3] ، والمتمعن في هذا الحكم النقدي ، يدرك أن ابن سلام الجمحي هاجم ابن اسحاق لما أدخله في كتاب السيرة من الشعر المنحول .

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2420 .
[2] شوقي رياض أحمد ، شعر السيرة النبوية ، 146 .
[3] ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، 1 / 07 – 08 .

وعند رجوعنا لسيرة ابن هشام نجده قد عبر الوضع بقوله في مستهل القصيدة أو المقطوعة أو في نهايتها (**ينكرها**) ، وقد تكررت هذه صيغة (22) مرة عبر كل صفحات السيرة النبوية ، للدلالة على أن الأبيات الشعرية منحولة ، ونلاحظ أن معظم الأبيات المنحولة منسوبة لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، بحيث بلغ عدد تكرار الإشارة إلى قصائد منسوبة له بـــ (05) مرات .

وهو نفس ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي في قوله عن حسان بن ثابت : « وهو كثير الشعر جيده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، لما تعاضدت قريش واستبت، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى. »[1] ، فقوله هذا يؤكد ما ذهب إليه ابن هشام ، وهو العارف بالشعر ، وكرره من بعده المشتغلين بالتراجم والسير ، ليصل إلى محقق الديوان والذي يفصح بقوله : الذي يتصفح ديوان حسان يرى من أول نظرة مدى التباين في الروح والأسلوب والموضوع ، مما لا يعلّل بتطور في عقلية الشاعر أو في طبيعة شعره ، ولا يلبث أن يتضح للقارئ أن هذه المجموعة من الشعر عمل أشخاص متعددين في أوقات مختلفة وظروف متباينة »[2] ، والمقصود من كل هذا أن الهوة الزمنية بين الأشعار المنسوبة لحسان بن ثابت ، جلية لا يكتنفها غموض وبمعنى آخر فأثر الوضع والانتحال واضح .

وتليه هند بنت عتبة بن ربيعة ، بقصائد بلغ عددها (04) قصائد ، ثم ضرار بن الخطاب الفهري بـــ (03) قصائد ، وتبقى قـــصيدة أبـــو طالب التي تحوي (94) بيتا أطول قصيدة أكثر أبياتها منحولة أشار إليها ابن هشام .

ويظهر ما قلناه في الجدول المفصل التالي ، الذي ملأناه وفق ما ورد في سيرة ابن هشام ، على لسان ابن هشام نفسه :

صيغة الدلالة على الانتحال	صاحب القصيدة	عدد الأبيات

[1] المرجع السابق ، 1 / 07 – 08 .
[2] حسان بن ثابت ، الديوان ، دراسة المحقق ، 20 .

بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان	حسان بن ثابت	05
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان	حسان بن ثابت	43
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان	حسان بن ثابت	03
وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان	حسان بن ثابت	05
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان	حسان بن ثابت	04
بعضهم ينكرها لهند والله أعلم	هند بنت عتبة بن ربيعة	04
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند	هند بنت عتبة بن ربيعة	05
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند	هند بنت عتبة بن ربيعة	07
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند	هند بنت عتبة بن ربيعة	06
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار	ضرار بن الخطاب الفهري	13
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار	ضرار بن الحطاب الفهري	14
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار	ضرار بن الخطاب الفهري	18
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له	عبد الله بن الزبعرى	14
أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعري	ابن الزبعري	12
غيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له	أعشى بني قيس	05
أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد	سعد بن أبي وقاص	06
أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها	حمزة بن عبد المطلب	17

بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة	عبيدة بن الحارث بن المطلب	10
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام	الحارث بن هشام	06
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو	عمرو بن العاص	10
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له	خبيب بن عدي	10
بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له	مساعف بن عبد مناف بن وهب بن حذافة	06
أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان	الزبرقان	09
أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه	أبو بكر الصديق	15
أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبي جهل	أبو جهل	15
بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم	مالك بن الدخشم	03
أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها	ميمونة بنت عبد الله	04
أكثر أهل العلم بالشعر (ينكر هذه الأبيات لها) وينكر نقيضتها لكعب بن الأشرف	كعب بن الأشرف	06
أكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له	مجهول	2
بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز	مكرز	03

بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها	أبو طالب	94

وأحيانا لا يذكر ابن هشام ما حذفه من شعر السيرة ، بل يعقب فقط على الأبيات غير المنحولة مثل قوله :

« فإن تك كعب من لؤي صقيبة ✿✿✿ فلا بد يوماً مرة من تزايل

قال بن هشام : **هذا ما صح لي من هذه القصيدة** وبعض أهل العلم بالشعر يـــنكر أكثرها »[1] ، وتكررت (**4**) مرات على النحو التالي :

صيغة الدلالة على صحة الأبيات	**صاحب القصيدة**	**عدد الأبيات**
هذا **ما صح** له منها	عبد المطلب	03
هذا **ما صح** لي من هذه القصيدة	عكرمة بن عامر بن هاشم	03
هذا **ما صح** له مما روى ابن اسحاق منها	أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي	11
هذا **ما صح** لي من هذه القصيدة	أبو طالب	94
هذه **أصح** أشعار أهل بدر	لشعراء متفرقين	95

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 280 .

الباب الثالث

السند / الإسناد

الجرح والتعديل

السند والجرح والتعديل في السيرة النبوية

الفصل الأول

السند / الإسناد

أولا : تعريف السند / الإسناد :

إن مختلف الأخبار التي وصلتنا ، بتنوعها ، ومنذ القرون الهجرية الأولى ، قد أولت الإسناد أهمية بالغة « تختلف من عصر إلى آخر ومن مؤلف إلى آخر ومن كتاب إلى آخر » [1] ، ولا يمكننا الحديث عن الرواية سواء في الحديث – خصوصا – أو في الأدب – بصفة أقل – دون الحديث عن السند والإسناد .

فأما مفهوم الإسناد اللغوي فيحمل جملة من المعاني التي تتعلق بمادة (**سند**) ، من ذلك ما جاء في لسان العرب أن السند هو : « ما ارتَفَعَ من الأَرض في قُبُل الجبل أَو الوادي ، والجمع أَسْنادٌ ، لا يُكَسَّر على غير ذلك . وكلُّ شيءٍ أَسندتَ إِليه شيئاً ، فهو مُسْنَد » [2] و« أَسنَد الحديثَ : رفعه . الأَزهري : والمُسْنَد من الحديث ما اتصل إِسنادُه حتى يُسْنَد إِلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والمُرْسَل والمُنْقَطِع ما لم يتصل » [3] ، وكل تعريف يفيد أن السند هو ما ارتفع بالشيء إلى نهايته .

وما يهمنا هو معنى الإسناد اصطلاحا ، فالإسناد هو « حكايةُ طريقِ المتن » [4] ، ويعرف أيضا بأنه « رفع الحَدِيث إِلَى قَائِله والمحدثون يستعملون السَّنَد والإسناد لشَيْء وَاحِد » [5] ، بمعنى أن السند هو طريق خبر المتن المتمثل في سلسلة من الرواة الذين قاموا بروايته ، ومن ثمة يكون إسناد الخبر « متصلا بين راويه وبين من أسند عنه » [6] ، على أن أكثر استعمالات السند

---

[1] محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي ، – دراسة في السردية العربية – ، ص 225 .

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 24 ، ص 2114

[3] المرجع السابق ، ج 24 ، ص 2114 .

[4] ابن حجر العسقلاني نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، 1 / 39 .

[5] أبو عبد الله الشافعي، بدر الدين ، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، تحقيق :محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دار الفكر – دمشق ، ط 2 ، 1406 هـ ، 1 / 30 .

[6] الخطيب البغدادي ، الكفاية في معرفة أصول الرواية ، تحقيق وتعليق : أبي إسحق الدمياطي ، ط 1 ، دار الهدى ، 1423 هـ / 2003 م ، 1 / 96 .

هو فيما أُسند عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث نبوية ، ثم نُسج على منوال علماء الحديث المتقدمين باقي المصنفين في سائر مجالاتهم العلمية الأخرى **كالتاريخ والتفسير والفقه والأدب وغير** ذلك [1] ، فأصبح السند يُجرّ على الأحاديث الأدبية مثلما يعتمد في معرفة الحديث النبوي ، وفي كل الأحوال ، اعتبر الاهتمام بالإسناد أسبق في الحديث النبوي ونشأته أعظم مما هو في الرواية الأدبية [2] ، ولذلك سنتناوله السند فسا رواية الأدبية فضلا عنه في الرواية في الحديث النبوي والرواية .

ثانيا : الإسناد في الخبر الديني :

1 – النشأة والتطور :

إنا ما يتمسك به المسلم هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا في مبحث سابق ، أن للسنة النبوية الشريفة حجية في التشريع الإسلامي ، وقد تابع هذا الدين القويم اكتماله في مدى سنوات قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس إلى الله ، حتى أكمل الله هذا الدين ، وارتضاه لعباده .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان الصحابة رضي الله عنهم يروي بعضهم عن بعض ما سمعوه عن نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وكان هذا حال التابعين أيضا الذين رووا بدورهم عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يكونوا يتوقفون في قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن بعدما قُتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحدثت الفتنة بين المسلمين ، بدأ المحدثون من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا من التلفيق وفشا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدس على السنة النبوية ، وأصبحوا لا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها واطمأنوا إلى ثقة رواتها وعدالتهم ، وذلك عن طريق ما اصطلح عليه المحدثون بـــ (الإسناد) ، فقد روى الإمام مسلم في مقدمة

[1] ينظر : أحمد عمر هاشم ، قواعد وأصول الحديث ، ص 26 .

[2] محمد القاضي ، الخبر في الأدب العربي ، ص 230 .

صحيحه عن ابن سيرين قوله : « لم يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ. فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ. فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ » [1] .

والمعروف عن رواية الحديث النبوي ، تميزها بالدقة والتحري الشديدين من قبل العلماء حتى عدت لها شروط وقواعد وأصول ، متفق عليها لا يخرج عنها ، ولقد كان من مميزات الرواية في الإسلام ومن خصائصها الهامة : الإسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين ، إذ عُدت الأسانيد « من الحاجات العظمى للحفاظ على السنة » [2] ، حتى رُوي عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ ، أنه كان يَقُولُ : « الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ » [3] ، وقال أيضا : « مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم » [4] ، وقال سفيان الثوري : « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح ، فبأي شيء يقاتل ؟ » [5] ، وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : « إِنَّ هٰذَا الْعِلْمَ دِينٌ . فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ » [6] ، وكان سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، يَقُولُ : « لاَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ

---

[1] مسلم ، صحيح مسلم ، ص 11 .

[2] صالح اللحيدان ، كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل ، ج 1 ، دار طويق للنشر والتوزيع ، ط ، 1415 هـ / الناصرية ، ص 25 .

[3] مسلم ، صحيح مسلم ، حال بعض الرواة ، باب بيان أن الإسنادَ من الدين ، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز ، بل واجب . وأنه ليس من الغيبة المحرّمة ، بل من الذبّ عن الشريعة المكرّمة ، ص 12 .

[4] شرف أصحاب الحديث ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، المحقق محمد سعيد خطيب أوغلي 1389 ه / 1969 م ، 42 .

[5] المرجع السابق ، 42 .

[6] مسلم ، صحيح مسلم ، حال بعض الرواة ، باب بيان أن الإسنادَ من الدين ، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز ، بل واجب . وأنه ليس من الغيبة المحرّمة ، بل من الذبّ عن الشريعة المكرّمة ، ص 11 .

(صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ الثِّقَاتُ » [1] ، فهده النصوص وغيرها تدل على اهتمام السلف بالإسناد وأنه وسيلة توثيقية تؤرخ للعلم وطريقة مثلى لحفظ الدين .

فالإسناد خصيصة فاضلة من الخصائص التي شرف الله بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم ، فقد أسند الخطيب البغدادي في كتابه (شرف أصحاب الحديث) إلى مُحَمَّد بن حاتم بن المظفر أنه قال: « ليس لأحد من الأمم كلها ، قديمهم وحديثهم إسنادٌ ، وإنما هِيَ صحف في أيديهم وَقَدْ خلطوا بكتبهم أخبارهم ، وليس عندهم تمييز بَيْنَ ما نزل من التوراة والإنجيل مِمَّا جاءهم بِهِ أنبياؤهم ، وتمييز بَيْنَ ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار الَّتِيْ أخذوا عن غَيْر الثقات . وهذه الأمة إنما تَنُصّ الْحَدِيْث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حَتَّى تتناهى أخبارهم ، ثُمَّ يبحثون أشد البحث حَتَّى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط والأطول مجالسةً لِمَنْ فوقه ممن كَانَ أقل مجالسةً . ثُمَّ يكتبون الْحَدِيْث من عشرين وجهاً وأكثر حَتَّى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عداً ، فهذا من أعظم نعم الله تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الأمة » [2].

وقد اهتم علماء المسلمين خصوصا المحدثين بالإسناد بدليل التراث الضخم الذي خلفوه لنا عن الإسناد ضمن الصناعة الحديثية.

ويفرق الحافظ بدر الدين ابن جماعة (- 733) بين (السند) و(الإسناد) في الحديث ، فالسند هو الإخبار عن طريق المتن[3]، وأما الإسناد فهو رفع الحديث إلى قائله ، والمحدثون

---

[1] المصدر نفسه ، حال بعض الرواة ، باب بيان أن الإسنادَ من الدين ، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز ، بل واجب . وأنه ليس من الغيبة المحرّمة ، بل من الذبّ عن الشريعة المكرّمة ، ص 11 – 12 ، والدارمي ، سنن الدارمي ، بابٌ في الحديثِ عن الثقاتِ ، ج 1 ، ص 396 (429) .

[2] ينظر : شرف أصحاب الحديث ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، المحقق محمد سعيد خطيب أوغلي 1389 هـــ / 1969 م ، 40 .

[3] أي : سلسلة رواة الحديث ، ويُقال : الطريق الموصلة إلى المتن ، ينظر : عبد الرحمن بن ابراهيم الخميسي ، معجم علوم الحديث النبوي ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، دار ابن حزم ، ص : 126 .

يستعملون السند والإسناد لشيء واحد[1] ، فالإسناد بهذا المعنى ، هو إحكام توثيق الخبر المنسوب أصلا للرسول صلى الله عليه وسلم ، عبر رواة هم الذين يكونون سلسلة السند .

، وبالتالي فالمتمعن في الحديث النبوي يدرك لأول وهلة ، أنه يتألف من شطرين ، أولهما سلسلة أسماء الرواة الذين نقلوا نص الحديث ، وهو ما أطلق عليه اسم (السند) ، ثم يأتي بعده مباشرة الشطر الثاني من الحديث ، وهو النص أو القول المروي المرفوع لمصدره الأول ، ويسمى المتن ، ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

الحديث الشريف

السند | **مـــثـــال :** | **المـــتن**

حدَّثنا الحُميدي **قال: حدَّثَنا** سُـــفيان قال: **حدَّثني** إسماعيلُ بنُ أبي خـــالدٍ ــــ على غير ما حدَّثَناهُ الــزُّهريُّ ــــ قال: سَمعتُ قَيسَ بنَ أبي حازمٍ قال :

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا حَسَـــدَ إلاّ في اثْنـــتـــينِ : رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلِّطَ عـــلى هَلَكَـــتِهِ في الحـــقِّ ، ورَجُـــلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي ويُعَلِّمُها »[2]

---

[1] ينظر : الحافظ بدر الدين ابن جماعة ، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، تحقيق : محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر بدمشق ، 29 ، 30 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الاغْتِباطِ في العِلمِ والحِكمةِ ، ج 1 ، ص 43 (73) .

فسند الحديث هو : (**حَدَّثَنَا** الحُمَيْدِيُّ ، قَالَ: **حَدَّثَنَا** سُفْيَانُ، **قَالَ: حَدَّثَنِي** إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَلَى غَيْرِ مَا **حَدَّثَنَاهُ** الزُّهْرِيُّ، **قَالَ: سَمِعْتُ** قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ، **قَالَ: سَمِعْتُ** عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ **قَالَ**) ، ثم متن الحديث بنسبة الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) ، ورواةا لحديث هم (الحُمَيْدِيُّ وسُفْيَانُ وإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ والزُّهْرِيُّ وقَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ ، و اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ) ، والفاظ أداء الحديث هي (**حَدَّثَنَا** ، **حَدَّثَنَا** ، **قَالَ** ، **قَالَ: سَمِعْتُ** ، **قَالَ** ، **سَمِعْتُ** ، **قَالَ**) ، وقد اهتم المحدثون بجمع أسانيد الحديث الواحد ، لإدراكهم أهمية ذلك في إطار التمييز بين الأسانيد ، قَالَ علي بن المديني : « الباب إذا لَمْ تجمع طرقه لَمْ يتبين خطؤه » [1]

ودراسة الأسانيد تعني دراسة سلسلة رجال الإسناد بالرجوع إلى ترجمة كل منهم[2]، بهدف[3]: معرفة القوي من الضعيف وكشف الاتصال من الانقطاع بين رجال الإسناد، ومعرفة تدليس بعض الرواة، والتمييز بين الحديث المرسل من الموصول، والموقوف من المنقطع، وعرفة الرواة من حيث المتفق والمفترق، والمتشابه والكنى والألقاب وغيرها، مع الاطلاع على اقوال أئمة الجرح والتعديل في تحقيق أحوال الرواة، وغير ما ذكرناه كثير، في دراسة الإسناد، وهذا كله سعيا للحكم على الحديث بقولنا مثلا: (هذا إسناد صحيح) و(هذا إسناد ضعيف) و(هذا إسناد موضوع).

---

[1] ينظر : الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، ج 2 ، ص 316 (1700) .

[2] ينظر : محمود الطعان ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، مكتبة المصارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط 3 ، 1417 هـ / 1996 م ، ص 137 .

[3] المصدر السابق ، ص 137 – 138 .

ومباحث علوم السند تنقسم إلى قسمين، نلخصها في ما يلي[1] :

مباحث علوم السند

- من حيث الإتصال
  1 - المتصل
  2 - المسند
  3 - المعنعن
  4 - المؤنن
  5 - المسلسل
  6 - العالي
  7 - النازل
  8 - المزيد في متصل الأسانيد
- من حيث الإنقطاع
  1 - المنقطع
  2 - المرسل
  3 - المُعلّق
  4 - المُعضَل
  5 - المُدلّس
  6 - المُرسل الخفي

[1] ينظر : الإمام الحافظ الذهبي ، الموقظة في علم مصطلح الحديث ، اعتنى به أبو غُدّة ، ط1 ، 1405 هـ / مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، دار البشائر الإسلامية للطباعة النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 24 – 60 وأبو عمرو عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، 1406 هـ / 1986 م ، ابتداء من ص : 256 ، و : نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، 344 – 390 .

ويفرق علماء الحديث بين الإسناد العالي والإسناد النازل ، ولكل منهما أقسامه[1] ، فأما الإسناد العالي – اصطلاحا – فهو الذي قل عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أكثر ، في حين يعد الإسناد النازل ما « كثر عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أقل .

ونشير إلى أن هناك علوم مشتركة [2] بين السند والمتن نشأت من مقابلة الحديث سندا ومتنا مع غيره من الأحاديث والروايات .

ونظرا لتطور علم الإسناد عبر السنين كان لا بد من علم في انتقاد الرجال وتمييز الثقات عن غيرهم ، فبدأ التصنيف في ما يسمى بـــ (علم الرجال) [3] ، وهو ما سنتناوله في الفصل الموالي .

وقد اتفق علماء مصطلح الحديث على أن الحديث الصحيح يقنن بخمسة شروط [4] يتم من خلالها دراسة الأسانيد هي : العدالة في الرواة والضبط في الرواة والاتصال في السند وعدم شذوذ وعدم العلة في السند والمتن ، وتتم دراسة أسانيد الأحاديث النبوية ، عبر خطوات نجملها في الخطاطة التوضيحية التالية :

---

[1] **محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص 141 .**

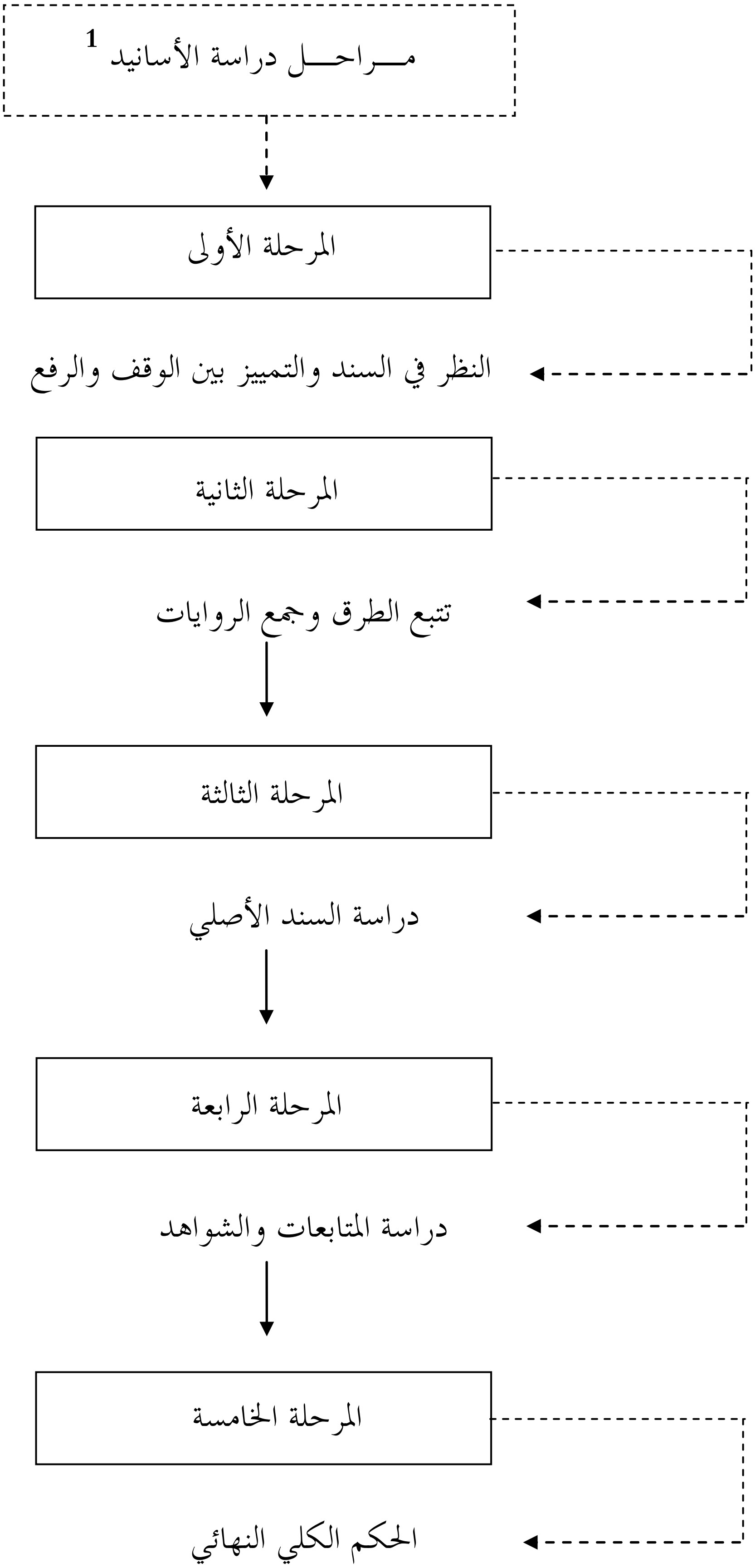
[2] **ينظر : نور الدين عتر ،منهج النقد في علوم الحديث ، ابتداء من ص : 394 .**

أبو عمرو عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، 1406 هـــ / 1986 م ، ابتداء من ص : 256 .

[3] **ينظر : محمد بن مطر الزهراني ، علم الرجال : نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع ، دار الخضيري .**

أبو عمرو عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، تحقيق وشرح : نور الدين عتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، 1406 هـــ / 1986 م ، ابتداء من ص : 256 .

[4] **محمود الطعان ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، ص 189 .**



---

[1] ينظر : عمرو عبد المنعم سليم ، تيسير دراسة الأسانيد ، دار الضياء ، طنطا ، مصر ، 9 – 10 .

هذا على أن هناك بعض الأحاديث « لسنا في حاجة إلى أسانيدها لأن الجهابذة من أئمة الحديث ونقاده قد بحثوا فيها بدقة وعناية تامتين » [1] ، مثلما هو الحال في صحيحي البخاري ومسلم ، أهم كتابين في الحديث ، الذين التزما بـــ « إخراج الأحاديث الصحيحة بأسانيد لا تحوي رجالا ضعفاء أو متروكين ، كما أنها خالية من العلل القادحة الخفية التي تقدح في صحة الحديث » [2] ، مما يستوجب التعريف بهذين العلمين ، قبل المضيي في تكملة بقية عناصر البحث.

الإمام البخاري[3] : قال ابن خلكان : وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ، وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة 194 . قال ابن العماد : الإمام ، حبر الإسلام ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، مولى الجعفيين ، صاحب الصحيح والتصانيف . ولد سنة 194 ، وارتحل سنة 210 ، فسمع مكي بن إبراهيم ، وأبا عاصم النبيل ، وأحمد بن حنبل ، وخلائق عدتهم ألف شيخ ، وكان من أوعية العلم ، يتوقد ذكاء ، و لم يخلف بعده ذكاء . قال : ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ، سنة 194 ، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر لغرة شوال سنة 256 ، وعاش 62 سنة إلا 13 يوما .

والإمام مسلم[4] : قال ابن خلكان : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القُشَيْرِيّ النيسابوري صاحب الصحيح ، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل وإسحق بن

---

[1] **محمود الطعان ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، ص 181 .**

[2] **المرجع السابق ، ص 181 .**

[3] **ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج 9 ، ص 113 – 114 ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 3 ، ص 252 – 255 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 188 – 191 .**

[4] **ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص 194 – 196 ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 3 ، ص 170 – 172 .**

راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم ، وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها ، وآخر قدومه إليها في سنة 259 ، وروى عنه الترمذي وكان من الثقات .

وقد كان الإمامان البخاري ومسلم أعلم أهل عصرهما ، وهما في الحفظ والضبط والإتقان والرواية ، وعلل الحديث والجرح والتعديل ، في الدرجة العليا ، كما شهد بذلك من عاصرهما ، ومن جاء بعدهما [1] .

وقد تحدث علماء الحديث عن رجال البخاري في مصنفات أعطت الثقة وأثبتتها للكتاب وكاتبه ، بعدما ناله من شهرة وقبول من أهمها على الإطلاق مصنف (رجال البخاري) المسماة (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسراد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه) للإمام أبو نصر الكلاباذي [2]، تحقيق عبد الله الليثي ، ونقل عنه العلماء اعترافا بأهميته .

كما حظي صحيح مسلم بنفس الاهتمام الذي حظي به صحيح البخاري من قبل الإمام المحدث أبو بكر بن منجويه الأصبهاني [3] .

2 – ألفاظ أداء الحديث (ألفاظ الأداء في سند الحديث) :

إن الحديث يلقى ويبلغ للطالب ، وعليه لا بد من وجود صور للأداء أو التحمل ، والمطلع على كتب الحديث يلاحظ تعدد صيغ الأداء تدل على كيفية تحمل الخبر المروي ، وقد لخصها السيوطي في ثمانية أقسام [4] ، كل قسم بدوره صيغ عديدة وهذه الأقسام هي : سماع

---

[1] ينظر : خليل إبراهيم مُلا خاطر ، مكانة الصحيحين ، ط 1 ، المطبعة العربية الحديثة ، 1402 هـ ، ص 11 .

[2] الكتاب في جزئين ، ينظر : للإمام أبي نصر الكلاباذي ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسّراد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه ، ط 1 ، 1407 هـ / 1987 م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

[3] أبو بكر بن منجويه الأصبهاني ، رجال صحيح مسلم ، تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .

[4] ينظر : جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، شرح ألفاظه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن عويضة ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ /1996 م ، 05 / 36 .

لفظ الشيخ والقراءة على الشيخ – العرض – والإجازة والمناولة والكتابة وإعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه مقتصرا عليه والوصية والوجادة .

واختصرها شمس الدين الذهبي في المصطلحات التالية[1] : **حدّثنا** ، **حدّثني** ، **سمعت** ، **أنبأنا** ، **ذكر لنا** ، **أخبرني** ، **كتب** ، **إلينا** ، **أخبرنا** ، **عن** ، **قال** ، ويضاف إليها : **قال** ، **قالت** ، **قال لنا** ، **قالُوا** ، **ذكر** ، **سمعت** ، **سمع** ، **أخبرنا** ، **أخبرتني** ، **رأيت** ، **عن** ، **عنها** ... ونسوق في ما يلي نماذج مناسبة للتمثيل على مختلف صيغ الأداء المذكورة ، في مختلف كتب الحديث :

ورد في صحيح البخاري : **حدَّثنا** أحمدُ بنُ شَبيبِ بنِ سعيدٍ **قال حدثني** أبي **حدَّثَنا** يونسُ قال ابنُ شهابٍ و**حدَّثني** عبدُ الرحمنِ الأعرجُ أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه **قال** : **قال** رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « من شهِدَ الجنازةَ حتَّى يُصلِّيَ فله قيراطٌ ، ومن شَهدَ حتَّى تُدفَنَ كان له قيراطانِ . قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثلُ الجَبَلينِ العظيمينِ » [2]

حدّثنا عليٌّ بن عبدِ الله **حدَّثنا** سُفيانُ **حدَّثنا** أيوبُ **قال** : **قال لنا** عِكرمةُ : « ألا أخبركم بأشياء قصار حدَّثنا بها أبو هريرة ؟ نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربةِ ، أو السِّقاء . وأن يَمنَع جارَه أن يَغرزَ خَشَبَه في داره » [3] .

حدثنا موسىٰ بنُ إسماعيلَ **قال حدَّثَنا** إبراهيمُ بنُ سعدٍ **قال** ذَكَرَ أبي **عن** أبي سَلَمَةَ عن عائشة رضيَ اللهُ عنها **قالت** : « ماألفاه السَّحَرُ عندي إلا نائماً » تَعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم [4] .

حدّثنا ابنُ أبي مريمَ **حدَّثنا** نافعٌ **سمعتُ** ابنَ أبي مُلَيكة **قال** : **قالت** عائشةُ رضي اللهُ عنها: « تُوُفِّيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في بَيتي . وفي نَوبتي ، وبينَ سَحْري ونحرِي ، وجمع اللهُ

[1] شمس الدين الذهبي ، الموقظة في علم مصطلح الحديث ، 55 – 59 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب مَنِ انتظرَ حتى تُدفَنَ ، ج 1 ، ص 407 (1325) .

[3] نفسه ، كتاب الأشربة ، باب الشربِ من فَمِ السقاء ، ج 4 ، ص 21 (5627) .

[4] نفسه ، كتاب التهجد ، باب مَن نامَ عندَ السَّحَر ، ج 1 ، ص 353 (1133) .

بينَ ريقي وريقهِ . قالت : دَخلَ عبدُ الرحمنِ بسِواكٍ فضَعُفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عنه فأخذْتهُ فمَضَغْتهُ ثُمَّ سَنَنْتهُ به » [1] .

حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ **أخبرنا** الفَضلُ بنُ موسى **عن** الجُعيدِ بنِ عبدِ الرحمن : « **رأيتُ** السائبَ بنَ يزيدَ ابنَ أربع وتسعينَ جلداً معتدلاً فقال : قد علمتُ ما متِّعْتُ به ـــ سمعي وبصري ـــ إلا بدُعاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . إنَّ خالتي ذَهبت بي إليه فقالت : يا رسولَ اللهِ إنَّ ابنَ أختي شاكٍ ، فادعُ اللهَ لهُ . قال فدعا لي صلى الله عليه وسلم » [2] .

حدّثنا مُسدَّدٌ **حدَّثَنا** عبدُ الواحدِ **حدَّثَنا** حَبيبُ بنُ أبي عَمرة **قال** : حدَّثَتْنا عائشة بنتُ طلحةَ عن عائشةَ أم المؤمنينَ رضيَ اللّهُ عنها قالت : « قلتُ يا رسولَ اللّهِ ألا نَغْزو ونُجاهِدُ معكم ؟ فقال : لَكَنَّ أحسنَ الجهادِ وأَجْمَلَهُ الحجُّ ، حجٌّ مبرور . قالت عائشةُ : فلا أدَعُ الحجَّ بعدَ إذ سمعتُ هذا مِن رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم » [3] .

وورد في صحيح مسلم : **حدّثني** إِسْحٰقُ بْنُ مُوسَى الأَنْصَارِيُّ : **حَدَّثَنَا** مَعْنٌ : **حَدَّثَنَا** مَالِكٌ . ح وَ**حَدَّثَنَا** مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ : **حَدَّثَنَا** شُعْبَةُ جَمِيعاً عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، بِهٰذَا الإِسْنَادِ . وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ ذِكْرُ الرِّبَاطِ . وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ ثِنْتَيْنِ « فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ . فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ » [4] .

---

[1] نفسه ، كتاب فرض الخمس ، باب ما جاءَ في بُيوتِ أزواجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وما نُسبَ منَ البيوتِ إليهنَّ ، وقولِ اللهِ تعالى : (وقَرْنَ في بيوتِكُنَّ) (الأحزاب: 33) ، و« وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ » و« لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ » (الأحزاب: 53) ، ج 2 ، ص 389 (3100) .

[2] نفسه ، كتاب المناقب ، باب كُنْيةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ج 2 ، ص 514 (3540) .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب جزاء الصيد ، باب حجِّ النِّساءِ ، ج 2 ، ص 19 (1861)

[4] مسلم ، صحيح مسلم ، كتـــاب الطهـــارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، ص 151 (251) .

حدّثنا مُحمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، **حَدَّثَنَا** سُفْيَانُ **عَنْ** عَمْرٍو **عَنِ** الزُّهْرِيِّ **عَنْ** سَالِمٍ **عَنْ** أَبِيهِ **أَخْبَرَتْنِي** حَفْصَةُ ، أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ ، إِذَا أَضَاءَ لَهُ الْفَجْرُ ، صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ [1] .

حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . قَالُوا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ ، سَمِعَ النَّبِيُّ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ : « الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ » [2] .

وورد في سنن الترمذي : **حدثنا** مُحمدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ أبي الشّوَارِبِ **حدثنا** بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ **حدثنا** حُمَيدٌ (وهُوَ الطَّوِيلُ) **قالَ** : حَدَّثَ الحَسَنُ عنْ عِمرَانَ بنِ حُصَين ، عنْ النبيِّ قالَ : « لاَ جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسْلاَمِ ، ومَنْ انتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا » [3] .

وورد في سنن النسائي : **أَخْبَرَنَا** يُوسُفُ بْنُ سَعِيدٍ **حَدَّثَنَا** حَجَّاجٌ **عَنِ** ابْنِ جُرَيْجٍ **قَالَ** : **أَخْبَرَنِي** أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ : **سَمِعَ** جَابِراً ، **يَقُولُ** : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهَا أَوْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ » [4] .

ونشير إلى أن علماء الحديث قد اختزلوا الكثير من ألفاظ الأداء ، شأنها في ذلك شأن أي علم من العلوم له مختصراته ، وقد كان المحدثون هم الرواد في هذا المجال وتبعهم فيه غيرهم ، بل أصبح هذا الاختزال أو الاختصار فنا قائما بذاته ، وهذا لأسباب كثيرة منها كثرة الأسانيد وسرعة قراءة الشيخ أو سرعة العرض عليه وقد يكون الاختصار تجنبا للإطالة ، وكذا قلة ذات

[1] نفسه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتي سنة الفجر ، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما . وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما ، ص 364 .

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان ، ص 40 (36) .

[3] الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب النكاح ، بابُ مَا جَاءَ من النَّهيِ عَنْ نِكَاحِ الشِّغَار ، الجامع الكبير ، ج 2 ، ص 416 (1123) .

[4] النسائي ، السنن الصغرى ، كتاب الجنائز ، باب البناء على القبر ، ج 4 ، ص 87 (2028) .

اليد بحيث كان متعذرا على من ينسخ الكتب الحصول على المداد اللازم والأوراق اللازمة للنسخ ، إضافة غلى ربحا لوقت أثناء الكتابة ، فكانت مكسبا من الناحيتين: المادية والمعنوية .

وقد اختصروا (**أخبرنا**) على عَلَى (**ثَنَا**) أَوْ (**نَا**) و(**دَثَنَا**) ، واختصروا (**حدثنا**) عَلَى (**أَنَا**) أَوْ (**أَرَنَا**) و (**أَبَنَا**) .

فنلاحظ كيف يكتب شطر من لفظ الأداء فقط ، وهي معلومة بالضرورة لدى من اشتغل بعلم الحديث أن هذا الرمز للمصطلح المعروف بكذا ، ويختصرها الحافظ العراقي (- 806 هـــ) في ألفيته المسماة بـــ : التبصرة والتذكرة في علوم الحديث ، تحت عنوان : الإِشَارَةُ بالرَّمْزِ ، فقال :

—وَاخْتَصَرُوْا فِي كَتْبِهِمْ (**حَدَّثَنَا**) *** عَلَى (**ثَنَا**) أَوْ (**نَا**) وَقِيْلَ: (**دَثَنَا**)

– وَاخْتَصَرُوْا (**أَخْبَرَنَا**) عَلَى (**أَنَا**) *** أَوْ (**أَرَنَا**) وَ (الْبَيْهَقِيُّ) (**أَبَنَا**) » [1] ،

نذكر من الصيغ المختصرة المشتهرة بين مصنفي كتب الحديث : قول أبي داوود : « حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، (**ثنا**) مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: « اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ » [2] ، فاستخدم (**حدثنا**) مرتين و(**ثَنَا**) مرة واحدة للدلالة على نفس اللفظ أي (حدثنا) .

وننظر لهذا السند الذي جمع فيه مصنفه أكثر من اختصار واحد ، ورد في ... للدارقطني :

---

[1] أبو الفضل زين الدين العراقي ألفية العراقي المسماة بـــ: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث قدم لها وراجعها: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ، تحقيق ودراسة: العربي الدائز الفرياطي ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1428 هـــ ، 1 / 146 .

[2] أبو داود سليمان الأزدي ، سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، 2 / 89 ، (1537) .

« (**حَدَّثَنَا**) عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُبَشِّرٍ ، (**نا**) أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ ، (**ح**) وَ(**حَدَّثَنَا**) الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، (**ثنا**) يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، قَالَا: (**نا**) أَبُو مُعَاوِيَةَ ، (**نا**) الْأَعْمَشُ ، عَنْ شَقِيقٍ ، قَالَ: (...) » [1] .

أما عند الانتقال من سند لآخر فنجد المصنفين الحديث قد اختصروها بــ (ح) ، وفي هذا يقول العراقي في الفيته :

- وَكَتَبُوْا عِنْدَ انْتِقالٍ مِنْ سَنَدْ *** لِغَيْرِهِ (ح) وَانْطِقَنْ بِهَا وَقَدْ
- رَأَى الرَّهَاوِيُّ بِأَنْ لاَ تُقْرَا *** وَأَنَّهَا مِنْ حَائِلٍ، وَقَدْ رَأَى
- بَعْضُ أُوْلِي الْغَرْبِ بِأَنْ يَقُوْلاَ *** مَكَانَهَا: الْحَدِيْثَ قَطْ، وَقِيْلاَ
- بَلْ حَاءُ تَحْوِيْلٍ وَقالَ قَدْ كُتِبْ *** مَكَانَهَا: صَحَّ فَحَا مِنْهَا انْتُخِبْ

مثل ذلك ما ورد في سند الحديث : « حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، ح وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنِ التَّيْمِيِّ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » [2] .

3 – التدليس في الأسانيد :

ولأن التدليس يكون تارة في الإسناد وتارة في الشيوخ [3] ، فإن الكثير من الرواة عمدوا إليه ، والمقصود بالتدليس هو أن « يأتي الراوي المدلس بعبارة توهم أنه سمعها من شيخه ، وليست صريحة بالسماع » [4] ، فيلجأ في هذه الحالة إلى التأكد من صحة سماعه ، وهي كأن

---

[1] أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني ، سنن الدارقطني ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله ، أحمد برهوم ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ – 2004 م ، 1 / 333 ، (684) .

[2] أبو داود سليمان الأزدي ، سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، 1 / 38 ، (150) .

[3] يتظر : بن حجر العسقلاني ، طبقات المدلسين ، أو تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تحقيق ، عاصم بن عبد الله القريوتي ، مكتبة المنار ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، ص 16 .

[4] أبو الحسن إسماعيل السليماني ، إتحاف النبيل بأجوبة أسئلة علوم الحديث والعلل والجرح والتعديل ، حققه أبو إسحق الدمياطي ، قدم له أبو عبد الرحمن الوادعي ، ج 1 ، مكتبة الفرقان بعمان ، ط 2 ، 2000 م ، 1 / 209 .

« يقول : " قال ط ، أو " عن " ، أو " ذكر فلان " ، و"يقول " و" قال لنا " ، و" ذكر لنا " أو " سمعت " ، أو " حدثني " ، فهذا يعتبر إيهاما منه وتغطية » [1] ، فالإسناد في الحديث إذًا لم يكن ليخلو من التدليس .

من جهة أخرى اهتم علماء الحديث بالحكم على الأسانيد وصحتها ، سواء بالنسبة لسلسلة الرواة أو بالنسبة للبلدان ، فتعددت اتجاهاتهم في هذا المنحى حتى كان « الذي انتهى إليه التحقيق عندهم وكان هو المذهب المختار ، أنه لا يجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقا من غير تقييد ، بل يقيد بصحابي ، أو بل مخصوص ، فيقال مثلا : أصح أسانيد أبي بكر ، وأصح أسانيد المدينة » [2] ، ومما جمعه علماء الحديث في بحثهم على الأسانيد [3] :

أصح الأسانيد عن أهل البيت : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي ، وأصح الأسانيد عن أبي بكر : إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبيي بكر ، وأصح الأسانيد عن عمر : الزهري عن سالم عن أبيه عن ابن عباس عن عمر ، وأصح الأسانيد عن عائشة : عبيد الله عن عمر عن القاسم عن عائشة ، وأصح الأسانيد عن أبي هريرة : الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، ومالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وغير ذلك .

أما أصح الأسانيد باعتبار البلدان ، فيطالعنا السيوطي برأي جامع لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فيقول : « اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث ما رواه أهل المدينة ، ثم أهل البصرة ، ثم أهل الشام » [4] ، وبهذا يتضح الاهتمام البالغ بالسند لدى علماء الحديث دراسة وفحصا واستحداثا للمصطلحات .

---

[1] نفسه ، 1 / 209 .

[2] محمد أديب صالح ، لمحات في أصول الحديث ، ص 116 .

[3] نفسه ، ص 116 ، 117 ، 118 ، 119 .

[4] جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، شرح ألفاظه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن عويضة ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ /1996 م ، 05 / 36 .

ونظرا لأهمية معرفة حال الراوي ، لم يتوقف علماء الحديث عن دراسة الأسانيد فحسب ، بل اجتهد علماء المسلمين في إيجاد علم يبحث في عدالة الراوي وضبطه ، فكان (**علم الجرح والتعديل**) ، وهذا ما نتناوله في الفصل الموالي .

ثالثا : الإسناد في الخبر الأدبي والتاريخي:

إننا لا نكاد نجد رواية واحدة يتصل سندها إلى الجاهلية في شيء من الشعر والخبر، وإنما كان الرواة يكتفون بالنسبة إلى أولئك فحسب لأنهم في أول تاريخ الرواية؛ ولأنهم جميعًا يزعمون أنهم أخذوا أكثر ما يروونه عن قوم أدركوا عرب الجاهلية أو نقلوا عمن أدركهم ، وزلا سبيل إلى رده ، لأنه كان كل ما في أيدي الرواة [1] .

فلم يكن الإسناد ظاهرة ذات بال في بداية عصر الرواية ، إلا بعدما أسّس لها مثلما ذكرنا ، وأصبحت محل عناية ، إلا أن الأمر يختلف بين الهدف المتوخى من طلب الأسانيد في الحديث ، مقارنة بالأدب « لا أن يطلب الرواية بذكر الإسناد حكاية ما يرويه على أنه معدل ، وإثبات ما يسنده على أنه إلى مقنع ، فإن اللغة ترجع إلى أقيسة معروفة ، وإن ما شذ عن هذه الأقيسة موضوع قطعًا إلا أن يحمل عن الثقة ، أو ينفرد به أهل الكفاية فيوردونه على أنه من الأفراد والنوادر » [2] .

إذن لولا الإسناد في علم الحديث ، لما كان الإسناد في الأدب ، رغم الاختلاف الظاهر في كثير من الأمور ، منها قصر صيغة السند الواحد في الخبر الأدبي ، وأقدمية السند في علوم الحديث مقارنة بالإيناد في الأدب ، إذ معظم الإسناد ينتهي إلى الطبقة الأولى .

لقد رأينا أن نفصل في مصطلحات الإسناد في علم الحديث حينما نتناول السند في الخبر الديني ، ونقتصر تحت عنوان (رواية الخبر الأدبي والتاريخي) على ذكر مصطلحات الإسناد «

[1] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، 1 / 188 .

[2] المرجع السابق ، 1 / 192 .

التي يشترك فيها رواة الأدب والمحدثون »[1] ، باعتبار أن العديد من القواعد التي وضعها المحدثون قد « **طبقها علماء الشعر القديم تطبيقا واسعا حتى ينفوا عنه الزيف والمنحول** »[2] ، ونسلط الضوء بكثير من التفصيل على الإسناد ، نوعه ، كيفيته ، صيغه .

1 – إسناد الرواية (الأسانيد العلمية) :

هو ما كان على طريقة أهل الحديث بأن يُروي الخبر من شعر أو نثر بسند من الرجال إلى أن نصل لمصدر الخبر أو قائله الأصلي ، ما أمكن ذلك .

وعن أول إسناد عُرف في الأدب يقول مصطفى صادق الرافعي[3] أنه كان علميا بحتا ، والمتمثل في إسناد نصر بن عاصم الليثي إلى أبي الأسود الدؤلي في كتابه الذي وضعه في العربية ثم كان العلماء يروُون المغازي .

ورجال الإسناد على طبقات بحيث نشأت الطبقة التي ابتدأ الإسناد في الأدب من رواة كان لهم الفضل في نقل المرويات الكثيرة وحفظها كحماد الراوية ، وأبي عمرو بن العلاء ، وغيرهما وبهذا صارت الرواية علمية محضة و تحقق معنى الإسناد في جانبه الاصطلاحي[4].

وبعد هذه الطبقة من الرواة التي أسّست للرواية المسندة ، ظهرت طبقة ثانية أخذت عن هؤلاء ، وكانوا جميعًا إنما يطلبون رواية الأدب من أجل تفسير ما تشابه من غريب القرآن والحديث النبوي الشريف ، فكان على الراوي أن يروي من لغة العرب ، لحاجتهم للاحتجاج بها أثناء شرح غريب الأثر ومتشابه الحديث[5] .

---

[1] شوقي ضيف ، البحث العلمي (طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره) ، ط 7 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1992 م ، ص 160 .

[2] شوقي ضيف ، البحث العلمي (طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره) ، ص 160 .

[3] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، 1 / 187 .

[4] المرجع السابق ، 1 / 187 .

[5] السابق ، 1 / 188 .

2 – إسناد الكتب :

هو تلقي الكتب العلمية وروايتها بالسند عن مؤلفيها ، فقد كان العلم قد نضج وكملت فنونه ، و لم تعد الرواية عنهم تجدي شيئا ، وكان سماع الكتب وروايتها عن مؤلفيها معروفًا من أول عهد التأليف ، ولكنه لم يكن مما يتباهى به إلا منذ بدأت الرواية تضعف في القرن الرابع [1] .

3 – ألفاظ الأداء :

وعند الرجوع لأمهات الكتب التراثية نجد ألفاظ الأداء لا تكاد تخرج عن : **حدثني** ، **حدثنا** ، **حدّث** ، **أخبرني** ، **أخبرنا** ، **سمعت** ، **أنبأنا** ، **قال** ، **قرأت** ، **أخبرنا قراءة** ، **ما أخبرنا به** ، **أجاز لي** ، **أخبرني إجازة** ، **دفع إليّ** ، **أعطاني** ، **كتب إليّ** ، **كتب إليّ إجازة** ، **أخبرني مكاتبة** ، **وجدت بخط فلان** ، **بلغني** ، **زعم** ، **حكى** ، **أنشد** .

ونأخذ مثالا عن رواية خبر أدبي بإسناده الكامل باستخدام اللفظ : (**حدثني**) ، والخبر كاملا : « **حدثني** عبد الرحمن عن الأصمعي عن رؤبة قال : دخل على ذو الرمة فسمع قولي :

يَطْرَحْنَ بالدِّوِّيَّةِ الأَمْلاسْ *** لكُلِّ ذئب قَفْرَةٍ وَلاَّسْ

مَوْتَى العظامِ حَيَّةَ الأَنْفَاسْ *** أَجِنَّةً في قُمُصِ الأغْراسْ

فخرج من عندي فبلغني بعد ذلك أنه يقول :

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّة الأَغْفالْ *** كُلَّ جَنينٍ لَثِقِ السِّرْبالُ

حَيِّ الشَّهِيقِ مَيِّتِ الأَوْصالْ *** فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقُ الأَقْفَالْ

منَ السُّرَى وجِرْيَةِ الحِبَال *** ونَغَصَانِ الرَّحْلِ من مُعَالْ

قال الأصمعي : فإذا رؤبة يرى أن ذا الرمة يسرق منه » [2] .

---

[1] ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، 1 / 194 .

[2] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 1 / 532 .

فالعبارة التي استهل بها ابن قتيبة الحديث والتي تُعد سندا للخبر جاء قصيرة مقتضبة مقارنة بأسانيد الحديث (حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن رؤبة قال : دخل على ذو الرمة فسمع قولي) ، متكونة من لفظ الأداء (**حدثني**) .

وحينما رصدنا مختلف عبارات أداء الخبر من مصادرها ، تبين لنا أن هذه العبارات قد لا تتعدى اللفظة الواحدة ، وقد تتنوع في السند الواحد ، كما أنها قد تتكرر أيضا ، وقد نجد عبارات أكثر استعمالا وأخرى أقل استعمالا ، وهذا كله نلفيه في أكثر المصادر التي اعتمدناها.

أما من جهة الرواة فأحيانا يكون الراوي واحدا ، وأحيانا يتعدد ، فتطول بذلك السلسلة من جهة الرواة .

كما أنه أحيانا ينسب المؤلف عبارة أداء الخبر لنفسه ، فيكون هو الذي تلقى الخبر من راويه الأول ، وأحيانا أخرى يورد المؤلف الرواية ويكون هو ثاني أو ثالث المتلقين للرواية من مصدرها الأول .

ولا يمكن أن نتخطى في هذا المجال ملاحظة شكّلت لنا عائقا أثناء البحث عن أسانيد الروايات في الكتب التراثية ، ففي حالات كثيرة لا نتمكن من التفريق بين نوع الخبر أهو خبر أدبي محض ، أو أدبي وتاريخي معا ، إذ نجد في المتن الواحد بوادر الأدب والتاريخ معا ، مثل ذلك ما ورد في أمالي القالي ، في الرواية التالية :

« حدثنا الأخفش قال : بلغني أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، ولى الثأر محكّم في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الرخاء أمن عادية الدّهر ، وقد جعلك الله فرق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن تأخذ فبحقّك ، وإن تعف فبفضلك ؛ ثم قال :

ذنبي إليك عظيم *** وأنت أعظم منه

فخذ بحقّك أولاً *** فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعلي *** من الكرام فكنه

فقال : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، وعفو الله بينهما ، وهو أكبر ما يحاول ؛ يا إبراهيم ، لقد حببّت إليّ العفو حتى خفت إلاّ أوجر عليه ، لا تثريب عليك ، يغفر الله لك . وعفا عنه وأمر بردّ ماله وضياعه ؛ فقال :

رددت مالي و لم تخل عليّ به *** وقبل ردّك مالي قد حقنت دمي

فأبت منك وما كافأتها بيد *** هما الحياتان من وفر ومن عدم

وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي *** مقام شاهد عدل غير متّهم

فلو بذلت دمي أبغي رضاك به *** والمال حتّى أسلّ النّعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عاريّة رجعت *** إليك لو لم تهبها كنت لم تلم » [1]

فهذا الخبر ، ينم عن خبرين اثنين ، أحدهما خبر تاريخي متمثل في موقف الخليفة المأمون من قضية إبراهيم بن المهدي وتعامله معه ، وإيثاره بشيمة العفو ، وفي نفس الوقت يضيف الخبر لدارس الأدب أبيات قيلت في مجلس الخليفة ، على لسان إبراهيم بن المهدي .

ونسوق المثال التالي للدلالة إجمالا على ما قلناه :

« **أخبـــرني** أحمد بن جعفرٍ جحظة **قال** : **حـــدثني** هارون بن الحسن بن سهل وأبو العبيس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فـــ**زعم** : (...) » [2] ، ونحلل ما ورد من السند في الخبر الأدبي والتاريخي في ما يلي :

الباث الأول للخبر	عبارة الأداء للباث الأول للخبر	الراوي الأول للخبر	عبارة الأداء للراوي الأول	الراوي الثاني للخبر – متعدد –	عبارة الأداء للراوي الثاني
الأصفهاني	**أخبرني**	أحمد بن جعفرٍ	**حدثني**	– هارون بن	**زعم**

---

[1] القالي ، أمالي القالي ، ص **199 – 200** .

[2] أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، **75/3**.

		جحظة	**قال**	الحسن بن سهل – أبو العبيس بن حمدون	

إذا ، نلاحظ تعدد عبارات السند في أداء الخبر ، وتعدد أسماء الرواة ، وتعدد مصادر الخبر ، ونأتي الآن على ذكر نماذج من ألفاظ الأداء في الخبر الأدبي المحض أولا ثم في الخبر الأدبي التاريخي ثانيا ، على سبيل المثال لا الحصر ، وذلك عبر الجداول التالية ، حسب كل صيغة بسندها والمصادر المنقولة منه [1] :

1 – الصيغة : **حدثني**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
حدثني إبراهيم بن شهاب قال (..)	1 / 159	المبرد الكامل في اللغة والأدب
حدثني بذلك التوزي ، في كتاب الأضداد (..)	1 / 331	
وحدثني التوزي ، عن أبي عبيدة والأصمعي (..)	2 / 912	
وحدثني الرياشي عن ابن عائشة (..)	2 / 799	
حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال (..)	1 / 18	الجاحظ البيان والتبيين
وحدثني محمد بن الجهم (..)	1 / 103	
حدثني مهدي بن ميمون (..)	1 / 103	
حدثني صالح بن خاقان (..)	1 / 112	

[1] ارتأينا أن ننوع المصادر التي أخذنا منها هذه الأمثلة لعبارات التلقي في أسانيد القطع الأدبية ، أما الكتب التي وثقنا منها سابقا فسنذكر الجزء والصفحة فقط ، أما الجديدة منها والتي لم نوثق منها سابقا ، فسنذكر معلوماتها كاملة في الهامش ، والاكتفاء بالجزء والصفحة بالجدول .

حدثني إبراهيم بن شهاب قال (..)	1 / 125	ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء
وحدثني أبو بكر عبد الله بن مصعب قال (..)	1 / 153	
حدثني مسمع بن عبد الملك ، وهو كردين (..)	1 / 160	

2 – الصيغة : **حدثنا**

السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
حدثنا غيلان بن جرير ، قال (..)	1 / 103	الجاحظ البيان والتبيين
وسمعه يقول **حدثنا** شعبة عن قتادة (..)	1 / 369	
حدثنا سهل بن محمد حدثنا الأصمعي ، حدثنا كردين بن مسمع (..)	1 / 60	ابن قتيبة الشعر والشعراء

3 – الصيغة : **أخبرنا**

السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
أخبرنا عامر بن عبد الملك (..)	1 / 61	ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء
أخبرنا ثمامة بن أشرس	1 / 301	الجاحظ البيان والتبيين
أخبرنا بذلك أبو العباس	1 / 49	المبرد الكامل في اللغة والأدب
أخبرنا أبو حاتم (..)	1 / 61	ابن قتيبة

أخبرنا أبو حاتم حدثنا الأصمعي قال (..)	1 / 61	الشعر والشعراء
4 – الصيغة : **سمعت**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
وأخبرني شعيب بن صخر ، قال : **سمعت** عيسى بن عمر (..)	1 / 52	ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء
قال : و**سمعتـــ**ـه يقول (..)	1 / 44	الجاحظ البيان والتبيين
أبي **سمعت** رسول الله صلى الله عليه وسلم (..)	1 / 172	
5 – الصيغة : **أنبأنا**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
أنبأنا محمد بن سلام (..)	2 / 488	ابن سلام طبقات فحول الشعراء
أنبأنا محمد بن عبد الملك (..)	62	ابن الجوزي أخبار الحمقى والمغفلين [1]
6 – الصيغة : **قال**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**

[1] **الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، أخبار الحمقى والمغفلين ، شرحه عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1410 هـــ / 1990 م .**

نا ابن سلام **قال** (..)	1 / 114	ابن سلام طبقات فحول الشعراء
قال ابن سلام (..)	1 / 109	
حدثني إبراهيم بن شهاب **قال** (..)	1 / 125	
قال وقال سعد بن أبي وقاص (..)	1 / 172	الجاحظ البيان والتبيين
و**قال** معاوية (..)	1 / 172	

7 – الصيغة : **قرأت**

السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
قرأت لأم جعفر توقيعات (..)	1 / 106 – 107	الجاحظ البيان والتبيين
قال قرأت على عمارة بن عقيل (..)	1 / 50	المبرد الكامل في اللغة والأدب

8 – الصيغة : **أجاز لي**

السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
وقد **أجاز لي** قراءة كتابه الموسوم بالعقد (..)	1 / 465	ياقوت الحموي معجم الأدباء

9 – الصيغة : **وجدت بخط**

السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**

وقال الصولي : **وجدت بخط** عبد الله بن أبي سعيد (..)	4 / 206	الحصري [1] زهر الآداب
10 – الصيغة : **قرأت بخط**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
قرأت بخط بعض المغفلين (..)	199	ابن الجوزي أخبار الحمقى والمغفلين
11 – الصيغة : **وجدت كتابا بخط**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
حدثنا الزبير قال : **وجدت كتابا بخط** الضحاك بن عثمان (..)	1 / 6	الزبير بن بكّار جمهرة نسب قريش وأخبارها [2]
12 – الصيغة : **وجدت هذا الخبر بخط**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
وحدث هلال بن المحسن : حدثني جدي أبو إسحاق : ثم **وجدت هذا الخبر بخط** المحسن (..)	1 / 142	ياقوت الحموي معجم الأدباء

---

[1] **أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م .**

[2] **الزبير بن بكّار ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمد محمود شاكر ، مكتبة دار العروبة ، 1381 هـ .**

13 – الصيغة : **بلغني**		
السند	**الجزء والصفحة**	**المصدر**
فقال أحدهما : **بلغني** أن الله عز وجل يعظم خلق الكافر (..)	145	ابن الجوزي أخبار الحمقى والمغفلين

الفصل الثاني

الجرح والتعديل

نظرا لأهمية معرفة حال الراوي ، لم يتوقف علماء الحديث عن دراسة الأسانيد فحسب ، بل اجتهد علماء المسلمين في إيجاد علم يبحث في عدالة الراوي وضبطه ، فكان (**علم الجرح والتعديل**) ، وكان أهم مباحث نقد السند، ونحاول بسط الحديث عن هذا العلم عبر صفحات هذا الفصل:

أولا : مفهوم الجرح والتعديل

1 – مفهوم الجرح والتعديل لغة :

الجرْح لغةً هو من الفعل « جرحه يجرحه جرحا : أثر فيه بالسلاح » [1] ، أي إحداث جرح وأثر بالحديد على الأبدان ، واستعير في المعنويات بمعنى النقصان والعيب والفساد فيقال : « جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره (...) جرح الرجل غض شهادته » [2] .

أما التعديل لغة فهو من الفعل عدّل ، يعدل فهذا « رَجُلٌ عَدْلٌ : رِضاً ومَقْنَعٌ في الشهادة » [3] ، بمعنى تعديل الشهود ، ويُقال : « عدَّلَ الحُكْمَ : أقامه ، وعدَّل الرَّجُلَ: زَكَّاهُ » [4] ، ومن هنا استعير المعنى اللغوي ليكون التعديل اصطلاحا مناسبا له لغة .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جرح) ، 2 / 422 .

[2] المصدر السابق ، 2 / 422 .

[3] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقب بـــ : بمرتضى، الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، 29 / 444 .

[4] أبو الحسن بن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 ، 1421 هـــ / 2000 م ، 2 / 13 .

2 – مفهوم الجرح والتعديل اصطلاحا :

الجرح اصطلاحا [1]، هو وصف الراوي بما يقتضي رد روايته ، بحيث يتم برد الحَافِظ المتقن رِواية الرَّاوي لعلَّة قادحة فيه أَو فِي رِوَايَته من فسق أَو تَدْلِيس أَو كذب أَو شذوذ أَو نَحْوهَا.

بينما **التعديل** اصطلاحا فهو « وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته » [2] ، بحيث يكون هذا المصطلح مقابلا للجرح ، فالمعدل غير المجروح .

بمعنى أن جرح الحافظ المتقن لراوٍ معين ، هو رد قبول روايته لعلة تقدح في ما رواه ، أما تعديل راوٍ بعينه فهو وصفه بما يقتضي قبول روايته .

ومن ثمة فعلم الجرْح والتعديل يُعول عليه في قَبول أو رد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه دراسة لمجموعة من الرجال يُكوّنون سند الحديث وهم الذين يتناقلون الحديث المروي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، والذي يحفظ جيلا عن جيل .

وإن أردنا فصل بين الجانب النظري منه والجانب التطبيقي ، كان علم الجرح والتعديل النظري هو[3]: القواعد التي تنبني عليها معرفة الرواة الذين تقبل رواياتهم أو ترد ومراتبهم في ذلك ، وأما علم الجرح والتعديل التطبيقي هو: إنزال كل راو منزلته التي يستحقها من القبول وعدمه ، وكان هذا شغل أئمة الجرح والتعديل عبر قرون مضت .

ثانيا : ظهور علم الجرح والتعديل والأسباب التي أدت إلى ظهوره

لقد تقدم القول في تحري صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين رضي الله عنهم جميعا ، واحتياطهم في نقل الأخبار حينما تحدثنا عن تناول العلماء للإسناد وأثر ذلك في حفظ

---

[1] الشريف حاتم العوني ، خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل ، ط 1 ، 1420 هـ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ص 06 ، و عبد المنعم السيد نجم ، علم الجرح والتعديل ، لجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الثانية عشرة – العدد الأول – محرم صفر ربيع أول 1400هـ ، 54 .

[2] حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني ، خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1421 هـ ، ص 06 .

[3] ينظر : المرجع السابق ، 06 ، 07 .

السنة النبوية من كل دخيل ، وما واكب تلك الفتن السياسية من ظهور لبعض أهل البدع والأهواء كالخوارج والشيعة ، والقدرية والمرجئة ، ومحاولات كل طائفة أن تدعم آرائها السياسية بأحاديث نبوية مكذوبة تخدم توجهها .

وقد تضافرت جهود الصحابة رضي الله عنهم والتابعين للتصدي لهؤلاء والتحذير منهم ومن بدعهم. روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يَعْمَر قال : قَالَ : «اَنَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ – أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ – فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي» ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ « لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»» [1] .

قال التابعي الجليل عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه ، قال : « إني لأسمع الحديث فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أن يسمع سامع فيقتدي به ، أسمعه من الرجل لا أثق به قد حدثه عمن أثق ، وأسمعه من الرجل أثق به قد حدث عمن لا أثق به » [2] .

هذا مما يبن لنا أن النواة الحقيقية لعلم الجرح والتعديل سابقة لعصر تدوين الكتب في الجرح والتعديل ، فالرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم عن المبتدعة ، كان ديدن التابعين ، لتصفية الصحيح من غيره والكذاب من غيره ، رغم قلة ما كان من القول عن الرواة في ذلك الزمان ، لأن الرواية تدور على الصحابة وكبار التابعين، والطبقة الوسطى منهم .

ثم نشط المحدثون في المائة الثانية وما بعدها في التنقيب عن أحوال الرواة ، وفارقوا الأهل والأوطان، وآثروا الترحال لمشافهة الرواة ، والتعرف على أحوالهم عن كثب، و لم يقتصروا على

---

[1] صحيح مسلم ، 1 / 36 .

[2] ابن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، 1 / 230 .

ذلك ، بل كانوا يسألون عن أحوال الرواة ويتناقلون الكلام فيهم ، ويروونه عن مشايخهم، كما يروون الأحاديث النبوية.[1]

وبهذه الجهود المعتبرة من قِبل علماء الحديث نشأ (علم الجرح والتعديل) ، وأصبح علماً قائماً بذاته ، له أئمته ومصطلحاته وضوابطه .

ثالثا – مشروعية علم الجرح والتعديل من الكتاب والسنة :

يستمد علم الجرح والتعديل مشروعيته من أدلَّة القرآن والسُّنة والإجماع [2]، ونختصرها في ما يلي :

من أدلة القرآن الكريم ورود الكثير من الآيات الكريمة التي تدعو للتمييز بين الحق والباطل ، وضرورة التبين والتثبت من الأخبار ، ويُقاس عليها العدالة والضبط في الرواة ، يقول عز وجل : « مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » [3] ، وقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » [4] .

أما أدلة السنة النبوية على مشروعية علم الجرح والتعديل فهي كثيرة نرصد منها ما اتفق عليه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا استأذن عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ » فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

[1] صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي ، عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، 29 – 30 .

[2] ينظر : علي بن نايف الشحود ، الخلاصة في علم الجرح والتعديل ، مكتبة المنارة ، غزة ، فلسطين ، 2008 م ، ط 1 ، 11 ، 15 .

[3] آل عمران: 179 .

[4] الحجرات: 6 .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»» [1] .

ووجه دلالته على مشروعية الجرح والتعديل هو أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – تكلَّم في ذلك الرجل على وجه الذمِّ لَمَّا كان في ذلك مصلحة شرعية، وهي التنبيه إلى سوء خُلقه ويبين للناس الحالة المذمومة تحذيرا للسامع ، لا أنه أراد الطعن عليه والثلب له ، وكذلك أئمة الجرح والتعديل ، إنما أطلقوا الجرح فيمن ليس بعدل لئلا يتغطى أمره على من لا يخبره ، فيظنه من أهل العدالة فيحتج بخبره ، فجرح الرواة إذن واجب عند الحاجة .

وفي هذه الحالة يعد الحديث عن الرواة من باب ما يُباح من الغيبة ، باعتبار الغيبة « تُباح لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها » [2] ، وقد عددها النووي في رياض الصالحين وهي : [3] التظلم إلى السلطان أو القاضي ، الاستعانة على تغيير المنكر ، الاستفتاء ، تحذير المسلمين الشر ونصيحتهم ، أو أن يكون مجاهرا بفسقه ، أو التعريف إذا كان الإنسان معروفا بلقب ، و« يلحق بها مما يناظرها ويشابهها ودلائلها في كتب الحديث مشهورة في كتب الفن مسطورة » [4] ، مما يزيح أي لبس حول جرح أو تعديل راوية ما في حضوره أو غيابه ، ويجعل الكلام في الرجال جرحا وتعديلا جائز ، صونا للشريعة والتثبت في أمور الدين .

---

[1] صحيح البخاري ، 8 / 13 (6032) .

[2] محيي الدين بن شرف النووي ، منهل الواردين شرح رياض الصالحين ، ضبط الأصل ووضع الشرح وصنع الفهارس : صبحي الصالح ، ط 3 ن دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1976 م ، 2 / 834 – 837 .

[3] نفسه ، 1 / 834 .

[4] أبو الحسنات اللكنوي الهندي ، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة ابن تيمية ، ص 11 .

رابعا – عدالة الرواة وضبطهم

عندما تكلم أهل الحديث في الرِّجال ، فإنهم بحثوا في صِفتين هما العدالة والضبط ، ونتناولهما بالتوضيح في ما يلي :

1 – العدالة :

لقد اختلفت أقوال العلماء في تعريف العدالة ، رغم المعاني المشتركة التي دونوها ، وأقام بذلك علماء الحديث ومن تبعهم شروطا تعرف بها العدالة وأعطوها ضوابط تعرف بها ، منها ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الله بن عتبة ابن مسعود قال سمعت عمر بن الخطاب يقول، رضي الله عنه يقول : « إن أناسا كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه و لم نصدقه ، وإن قال: إن سريرتي حسنة »[1] .

كما ذكروا وجوب توفر شروط في الرواة مثل أن يكونوا « أمناء في أنفسهم ، علماء بدينهم ، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت فيه، وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل، لا يشوبهم كثير من الغفلات، ولا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ووعوه ، ولا يشبه عليهم بالأغلوطات »[2] ، وقال الحاكم في عدالة من تقبل روايته : « وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلما لا يدعو إلى بدعة ، ولا يعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته، فإن كان مع ذلك حافظا لحديثه ، فهي أرفع درجات المحدثين »[3] ، ولخصها الخطيب البغدادي في قوله : « إنها اتباع أوامر الله تعالى ، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه مما يسقط العدالة »[4] ، وأورد : أن ابن المبارك لما سُئل عن العدل أجاب : « من كان فيه خمس خصال ، يشهد

---

[1] الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، 1 / 78 .

[2] الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، 1 / 5 .

[3] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 2 ، 1397هـ – 1977م ، 1 / 53 .

[4] الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، 80 .

الجماعة ، ولا يشرب هذا الشراب ، ولا تكون في دينه خربة ، ولا يكذب ، ولا يكون في عقـــله شيء » [1] .

وقال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، وخذوا ممن سوى ذلك؛ لا يؤخذ من سفيه معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من شيخ له عبادة وفضل إذا كان لا يعرف ما يحدث » [2] .

ولعل أشمل تعريف هو الذي قدمه ابن حجر العسقلاني بقوله عن أن المتصف بالعدالة هو « من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة ، والمراد بالتقوى : اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة » [3] .

من كل هذه النصوص نخرج بتعريف شامل للعدالة على أنها ملازمة الراوي للصدق في الحديث ، ومجانبة هوى النفس والسفه وخوارم المروءة ، ويخرج منها الكافر، والصبي والمجنون والمبتدِع والفاسق والمتَّهم بالكذب والكذَّاب ومخروم المروءة .

وليس معنى هذا البتة أن يكون الراوي معصوما من كل خطأ ، بل أن يكون أغلبية حاله على الطاعات ، يقول شمس الدين الذهبي في (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ما نصه « ما كل أحد فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يقدح فيه بما يوهن حديثه، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوما من الخطايا والخطأ، ولكن فائدة ذكرنا كثيرا من الثقات الذين فيهم أدنى بدعة أولهم أوهام يسيرة في سعة علمهم » [4] .

---

[1] المرجع السابق ، 1 / 79 . الشاملة

[2] أبو أحمد بن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال المؤلف ، 1 / 178 .

[3] ابن حجر العسقلاني ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير بالرياض ، ط 1 ، 1422 هـ ، 1 / 69 .

[4] شمس الدين الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1382 هـ – 1963 م ، 3 / 141 .

والقول الكافي لتزكية الراوي هو الوصف بالعدالة ، إذ يعد جامعا للخلال في صفة العدالة ، يروى أن عمر بن الخطاب ، قال لعبد الرحمن بن عوف: « أنت عندنا **العدل الرضا** ، فماذا سمعت؟ » ، وهذا القول كاف في التزكية ، لأن الوصف بالعدالة جامع للخلال التي قدمناها في باب صفة العدالة ، والقول بأنه رضا تأكيد ، وفيه بيان أنه من العدول الذين يرضون للشهادة»[1].

2 – الضَّبْطُ :

لقد قيَّد ابن حجر العسقلاني في كتابه (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) الضبط بأمرين يحصل بهما عند حامل الرواية : « ضبطُ صَدْرٍ : وهُو أَنْ يُثْبِت ما سَمِعَهُ بحيثُ يتمكَّنُ من استحضاره متى شاء وضبطُ كتابٍ : وهُو صِيانَتُهُ لديهِ مُنذُ سمِعَ فيهِ وصحَّحَهُ إِلى أَنْ يُؤَدِّيَ منهُ ، وقُيِّدَ بالتام إشارةً إلى الرتبةِ العُليا في ذلك »[2] .

3 – شروط المُعَدِّل والجارِح :

أجمع أهل علم الحديث أنه يجب توفر شروط للمُعَدِّل والجارِح على حد السواء ، وقد أشار إليها المصنفون ، كأن يكون عدلا ورعا متيقظا منصفا في حكمه بعيدا فيه عن هوى النفس ، عارفا بأدوات الجرح والتعديل متقنا لها .

يقول شمس الدين الذهبي في تذكرة الحفاظ ، « حق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكى نقله الأخبار ويجرحهم جهبذا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل :

فَدَعْ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا *** وَلَوْ سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بِالْمِدَادِ»[3] .

---

[1] ينظر : الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، 1 / 85 . الشاملة

[2] ابن حجر العسقلاني ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، 1 / 69 .

[3] شمس الدين بن قَايْماز الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط 1 ، 1419هـ / 1998 م ، 1 / 10 .

ثم يخاطب بكلام سديد كل من يجد في نفسه رغبة في سلوك طريق الجرح والتعديل : « قال الله تعالى عز وجل: " فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ " [1] ، فإن آنست يا هذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا وإلا فلا تتعن وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأى والمذهب فبالله لا تتعب وإن عرفت إنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فقد نصحتك فعلم الحديث صلف فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب »[2] .

فليس كل جارح يقبل جرحه ولا كل معدل يقبل تعديله ، يقول ابن حجر مشددا على هذا الأمر : « أن لا يقبل الجَرْحُ والتَّعْديلُ إلا من عدْل متيقظ ؛ فلا يُقْبل جرح من أفرط فيه؛ فجرح بما لا يقتضي رد حديث المحدِّث ، كما لا تقبل تزكية من أخذ بمجرد الظاهر؛ فأطلق التزكية »[3] .

بل ويشدد محذرا المتكلم في هذا الفن من التساهل في جرحه أو تعديله لرواة « فإنه إن عدّلَ بغير تثبت كان كالمُثْبِتِ حُكْماً ليس بثابت ، فيخشى عليه أن يدخل في زمرة من روى حديثا وهو يظن أنه كذب ، وإن جرح بغير تحرز أقدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك ، ووَسَمه بِمِيْسَمِ سوءٍ يبقى عليه عاره أبدا ، والآفة تدخل في هذا تارة من الهوى والغرض الفاسد »[4] .

وأخرج علماء الحديث من دائرة الجرّاح كل من ليس بمتمرس في الجرح ، يقول ابن جماعة : « من لا يكون عالما بالأسباب لا يُقبل منه جرح ولا تعديل لا بالإطلاق ولا بالتقييد »[5] .

وتثبت العدالة[1] بتنصيص عدلين عليها، أو بالاستفاضة ، يعرف ضبطه[2] بموافقته الثقات المتقنين غالبا ، ولا تضر مخالفته النادرة فإن كثرت اختل ضبطه، و لم يحتج به .

---

[1] النحل : 43 .

[2] شمس الدين بن قَايْماز الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، 1 / 10 .

[3] ابن حجر العسقلاني ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، 1 / 177 .

[4] المرجع السابق ، 1 / 178 .

[5] محمد الأنصاري اللكنوي الهندي ، أبو الحسنات ، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط 3 ، 1407 هـ ، 1 / 105 .

والذين قبل الناس قولهم في الجرح والتعديل على ثلاثة أقسام[3] ، قسم تكلموا في أكثر الرواة وقسم تكلموا في كثير من الرواة وقسم تكلموا في الرجل بعد الرجل كابن عيينة (107 – 198 هـ / 725 – 814 م) والشافعي (150 – 204هـ / 767 – 820م) ، والكل أيضا على ثلاثة أقسام ، قسم متعنت في الجرح متثبت في التعديل ، فلا يوثق الراوي إلا إذا أحرز الدرجة العليا من العدالة والضبط ، ويلين الحديث لأدنى خطأ ، ومنهم ابن معين (158 – 233 هـ / 775 – 848 م) والجُوْزَجاني (؟ – 259 هـ / ؟ – 873 م) ، وقسم متساهلون كأبي عيسى الترمذي (209 – 279هـ / 824 – 892 م) ، وأبي بكر البيهقي (384 – 458 هـ / 994 – 1066 م) ، وقسم معتدلون منصفون كأحمد بن حنبل (164 – 241هـ / 780 – 855م) .

ويذكر شمس الدين الذهبي[4] أن أول من زكّى وجرّح بعد الصحابة رضي الله عنه هو الشعبيّ عامر بن شراحيل الكوفي ثم محمد بن ابن سيرين البصري (33 – 110 هـ / 653 – 729 م) ، ونحوهما ، وعنهم حُفظَ عنهم توثيق أناس وتضعيف آخرين .

وساق الذهبي اثنين وعشرين طبقة لمن إذا تكلم في الرجال قُبل قوله ، ورُجع إلى نقده ، صنفهم إلى سبعمائة وخمسة عشرة إمامٍ [5] .

---

[1] جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، 1 / 353 .

[2] المرجع السابق ، 1 / 357 .

[3] شمس الدين الذهبي ، ذكر ما يُعتمد قوله في الجرح والتعديل ضمن (أربع رسائل في علوم الحديث) ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، مكتبة النهضة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 5 ، بيروت ، لبنان ، 171 / 172 .

[4] المرجع السابق ، 172 / 173 .

[5] السابق ، 175 / 227 .

خامسا : طريقة الحُكم على الراوي :

لقد استخدم أئمة الجرح والتعديل وسائل دقيقة في سبيل الحكم على الراوي ، تتناول جميع جوانب الراوي تثبتا لحاله ، ومن الطرق التي سلكها علماء الحديث[1] : التأمل في أفعال الراوي وتصرفاته ، والنظر في سيرته ، ليستدل في دلك على ما وراءها من صدق أو كذب .

وكذا إلقاء الأسئلة على الراوي لاختبار صدقه وتثبته في ما حمل ، ومن أجوبتهم يتبين صدقهم من كذبهم ، مثل تاريخ الولادة ، وتاريخ السماع وصفة من سمع عنه وغير ذلك ، يروى عن حسان بن زيد أنه قال : « لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : سنة كم ولدت ؟ فإذا أخبر بمولده عرفنا كذبه من صدقه » [2] ، ويعتبر الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي أن هذه الطريقة كشفت من يدعي السماع ممن لم يلقه ، ويضيف : « لهذه العلة قَيَّدَ الناس مواليد الرواة ، وتاريخ موهم ، فوجدت روايات لقوم عن شيوخ قصرت أسنانهم عن إدراكهم » [3] .

ومن الطرق المهمة في معرفة عدالة الراوي وضبطه ودرجة ذلك هو اختبار الراوي وامتحانه ، عن طريق وسيلتين مشهورتين أولاهما تلقين الراوي بحيث تدفع إليه أحاديث ليست حديثه أصلا أو تم التصرف فيها ، فيختبر مباشرة في مروياته ، يقول ابن حجر في مسألة قلب الأحاديث : « وممن كان يفعل ذلك لقصد الامتحان كان شعبة يفعله كثيرا لقصد اختبار حفظ الراوي ، فإن أطاعه على القلب عرف أنه غير حافظ وإن خالفه عرف أنه ضابط » [4] .

وثانيها المذاكرة بحيث يطرح موضوع فقهي أو حديثي أو لغوي أو نحوي أو نحو ذلك للبحث بين اثنين أو أكثر ، وللمذاكرة أهميتها البالغة لدى حفاظ الحديث وعلمائه ، فقد روى

---

[1] ينظر : إبراهيم بن عبد الله اللاحم ، الجرح والتعديل ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م ، مكتبة ناشرون ، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 43 / 99 .

[2] الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق : محمود الطحان، 1 / 131 .

[3] المرجع السابق ، 1 / 131 .

[4] ابن حجر العسقلاني النكت على كتاب ابن الصلاح ، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي ، 2 / 866

الأوزاعي عن الزهري قال « إنما يُذهب العلم النسيان، وترك المذاكرة » [1] ، فهي طريقة مثلى لاختبار ضبط الراوي وعدالته .

ثم نجد علماء الحديث قد جعلوا من النظر في أصول الرواة وكتبهم ، فنظروا فيها وتأكدوا من صحتها وسلامتها من كل تغيير وزيادة مما يمكن من تمييز الراوي المتقن الذي يحفظ كتاب شيخه من غيره ، من ذلك ما ورد في الضعفاء الكبير ، من نتائج النظر في الأصول وما يترتب عن ذاك من تعديل الراوي أو جرحه ، قال محمد بن يحيى بن سعيد القطان : « نظرت في أصول شريك فإذا الخطأ في أصوله » [2] ، وقال أبو زرعة في سويد بت سعيد : « أما كتبه فصحاح، وكنت أتتبع أصوله، فأكتب منها، فأما إذا حدث من حفظه، فلا » [3] ، مما يدل على تتبع الأصول عند الرواة .

أما الطريقة الخامسة فهي النظر والتأمل والنقد والتمحيص في أحاديث الراوي ومروياته لمعرفة عدالته وضبطه ، وهناك عدة محاور يدور حولها النظر في أحاديث الراوي ومروياته وتكشف حاله منها اعتداله أو مجازفته في الرواية بحيث يروي أشياء يمكن تصديقه فيها كأن يروي عمن يحتمل سنه إدراكهم ، كما في حديث ابن معين وتزكيته روح بن عبادة بقوله : « صدوق، ليس به بأس، حديثه يدل على صدقه ، يحدث عن ابن عون، ثم يحدث عن حماد بن زيد، عن ابن عون » [4] .

ومن أسس هذه الطريقة أيضا تتبع الراوي من حيث مشاركته لغيره أو تفرده ، فكلما كان متفردا في روايته كان ذلك ادعى للشك والريبة ، ثم مما يستدل به على صدق الراوي

---

[1] شمس الدين بن قَايْماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، 5 / 337 .

[2] أبو جعفر بن حماد العقيلي المكي ، الضعفاء الكبير ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1404هـ – 1984م ، 2 / 194

[3] شمس الدين بن قَايْماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، 11 / 414 .

[4] المرجع السابق ، 9 / 404 .

ثباته على صفة واحدة أو اضطرابه فيما برويه ، وكذا موافقته أو مخالفته لغيره لمن شاركوه في الرواية عن شيوخه .

سادسا – أحكام النقاد على الرواة

(ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل)

علم الجرح والتعديل قائم على نقد الرجال توثيقا وتجريحا ، ومن أجل ذلك لا بد من معرفة قواعد الحكم على الرواة ، حتى يفهم قول المعدل أو الجارح على الوجه الصحيح ، وقد مر بنا مجموعة من الوسائل يحكمها الناقدون من أجل الحكم على الراوي ، من هذه الأحكام ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد بحالة من حالات الراوي ، ومن هذه الأحكام ما فيه مقارنة[1] الراوي بغيره .

إن أحكام النقاد على الرواة تتخذ أشكالا متعددة لبيان حال الراوي عدالة وضبطا ، منها الأحكام النظرية[2] ، بذكر الناقد لرأيه في الراوي ، باستخدام ألفاظ وعبارات محددة خاصة يُعبر بها اصطلاحا على مرتبة الراوي ضمن مراتب الجرح أو مراتب التعديل ، أو درجة حديثه ، وهي معروفة في علوم الحديث باسم (**ألفاظ الجرح والتعديل**) .

وتكون إما مفردة ، مثل قولنا بلفظة واحدة (**ثقة**) أو (**ضعيف**) أو(**صدوق**) أو(**شيخ**) أو(**عدل**) أو (**ضابط**) ، أو(**واه**) أو (**مجهول**) وغيرها ، أو ما يكون مضافا ومضافا إليه مثل : (**صالح الحديث**) أو (**منكر الحديث**) أو (**ذاهب الحديث**) ، (**لا أعرفه**) أو [3] ، ويعد الإفراد من أكثر الأنواع استعمالا في بيان حال الرواة .

وكل لفظ أخذ نصيبه من التعريف ، اللغوي والاصطلاحي عند أصحاب المعاجم ، وعند أصحاب الحديث ، ونأخذ مثالا واحدا لتتم الفائدة ، ونتتبع لفظ التعديل (**ثقة**) .

---

[1] ينظر : إبراهيم بن عبد الله اللاحم ، الجرح والتعديل ، 223 .

[2] المرجع السابق ، 224 .

[3] ينظر : ينظر مختلف كتب الجرح والتعديل عند المتقدين .

الثقة من الفعل (وَثَقَ) ، ذكر ابن منظور : « مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَثِقَ بِهِ يَثِقُ ، بالْكَسْرِ فِيهِمَا ، وِثَاقَةً وثِقَةً ائْتَمَنَهُ » [1] ، وهي كلمة تدل على « عَقْدٍ وَإِحْكَامٍ ، وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ : أَحْكَمْتُهُ (...) وَهُوَ ثِقَةٌ ، وَقَدْ وَثِقْتُ بِهِ » [2] ، ففي كلى التعريفين ، فالثقة لغة هو الائتمان .

وانتشر لفظ (**ثقة**) بين المحدثين ، يقول الذهبي : « الثقة في عرف أئمة النقد كانت تقع على العدل في نفسه ، المتقن لما حمله ، الضابط لما نقل ، وله فهم ومعرفة بالفن، فتوسع المتأخرون » [3] ، ومن أمثلة استخدامها من طرف أهل الجرح والتعديل ، قول الرازي عن أبيه عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال : « مالك بن أنس **ثقة** » [4] ، وهذا كله يندرج ضمن ألفاظ تعديل أو جرح الرواة المفردة .

وننبه إلى أن كتب الجرح والتعديل لم تكن لتخلو من هذه الألفاظ مكررة ، بحيث يعاد اللفظ أو العبارة أكثر من مرة ، ويعد التكرار من سُنن العرب ، يقول ابن فارس : « التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر » [5] .

ولعل من أهم فوائد التكرار هو التأكيد على الأمر ، مما لا يدعو للشك فيه أو التحذير منه أو الترغيب فيه وما إلى ذاك ، وفي الأحاديث النبوية أمثلة تؤصل لهذا الأسلوب التعبيري ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر اللفظ الواحد أو العبارة أو الأداة أو الصيغة الواحدة أيضا ، قالَ النبي صلى الله عليه وسلم: « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ » ثَلاَثًا ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ

---

[1] ابن منظور ،لسان العرب ، مادة (وثق) **10 / 371** .

[2] أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، **1399هـ / 1979م** ، مادة (وثق) **6 / 85** .

[3] شمس الدين بن قَايْماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، **16 / 70** .

[4] الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط **1** ، **1271 هـ 1952** م ، **1 / 16** .

[5] أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، محمد علي بيضون ط **1** ، **1418هـ/ 1997** م ، **1 / 158** .

الزُّورِ» ، قَالَ: **فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا** حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ » [1] ، وقد كرر الرسول صلى الله عليه وسلم اللفظ تأكيدا منه على خطورة قول الزور ،

ومن أمثلة تكرار ألفاظ التعديل ما ذكره ابن أبي حاتم معدلا حنظلة بن أبي سفيان : « حدثنا حنظلة بن أبي سفيان وكان **ثقة ثقة** » [2] .

وقد يزيد التكرار عن مرتين ، يروى عن ابن عيينة قال: « نا عمرو بن دينار وكان **ثقة ثقة ثقة** » [3] ، بل يكرر اللفظ الواحد أربع مرات مثل ذلك قول سفيان بن عيينة في عمرو بن دينار : « هو ثقة ، ثقة ، ثقة ، ثقة ، أربع مرات » [4] .

وكما وقع تكرار ألفاظ التوثيق ، فأنه وقت من علماء الحديث تكرار ما كان من ألفاظ الجرح ، مثل قول أبي زرعة لما سئل عن أبي إسحاق الكوفي فقال « هو عبد الله ابن ميسرة، وقال: هو واهي الحديث ضعيف الحديث » [5] .

وإلى جانب الألفاظ المفردة ، هناك بخلافها عبارات دالة على الجرح والتعديل ، وهي ما دلت على جملة أو أكثر ، مثل (**يُكتب حديثه**) ، أو(**لا يحتج به**) ، أو (**ليس بحجة**) ، أو (**لا بأس به**) أو (**يضع الحديث**) أو (**لا أرى بحديثه بأسا إذا روى عنه ثقة أو صدوق**) أو (**أوثق من برأ الله**) [6] .

---

[1] صحيح البخاري ، باب ما قيل في شهادة الزور ، 3 / 172 (2654)

[2] الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1271 هـ 1952 م ، 1 / 228 .

[3] الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1271 هـ 1952 م ، 1 / 49 .

[4] أبو زكريا بن شرف النووي ، تهذيب الأسماء واللغات عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 2 / 27 .

[5] الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1271 هـ 1952 م ، 5 / 178 .

[6] ينظر : أحمد معبد عبد الكريم ، ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل ، ص 7 ، 8 .

فقد تكرر قول علماء الحديث مثلا (**ليس بحجة**) ، مثل ذلك قول ابن عدي في الضعفاء عن يحيى بن معين : « عمرو بن أبي عمرو **ليس بحجة** » [1] .

وقد نجد أيضا إضافة إلى الألفاظ والعبارات المفردة ، ألفاظ وعبارات مركبة ، بحيث يتم فيها الجمع بين لفظين أو عبارتين في وصف الراوي [2]، فقد أورد ابن أبي حاتم عن أبيه قوله « الحسن بن صالح **ثقة متقن حافظ** » [3] ، فقد جمع بين الألفاظ الثلاثة في حكم واحد عن شخص بعينه .

وقد رتب أبو محمد بن أبي حاتم الرازي هذه الألفاظ المستعملة في علم الجرح والتعديل في مصنفه (الجرح والتعديل) [4] ، والذي يعد من أقدم ما وصلنا في هذا العلم .

وألفاظ الجرح والتعديل على مراتب ، كان لابن أبي حاتم فضل السبق في ترتيب مراتبها ، وزاد أهل العلم بعده ألفاظًا لم يذكرها [5].

---

[1] **ابن عدي الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة ، الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418هـ-1997م ، 6 / 335 .**

[2] **ينظر : أحمد معبد عبد الكريم ، ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل ، (بين الإفراد والتكرير والتركيب ودلالة كل منها على حال الراوي والمروي) ، 99 .**

[3] **الرازي ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1271 هـ 1952 م ، 3 / 18 .**

[4] **خليل بن محمد العربي ،كتاب السلسبيل في شرح ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل ، دار الإمام البخاري ، ط 1 ، 1428 هـ / 2007 م ، الدوحة ، قطر ، 43 .**

[5] **ذكرنا المراتب التي أوضحها ابن ابي حاتم (المتوفى 327 هـ) لقدم مصنفه الجرح والتعديل ، بينما يرى شمس الدين بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) في ميزان الاعتدال في نقد الرجال أن فأعلى العبارات في الرواة المقبولين : ثبت حجة ، وثبت حافظ ، وثقة متقن ، وثقة ثقة ، ثم ثقة صدوق ، ولا بأس به ، وليس به بأس ، ثم محله الصدق ، وجيد الحديث ، وصالح الحديث ، وشيخ وسط ، وشيخ حسن الحديث ، وصدوق إن شاء الله ، وصويلح ، ونحو ذلك .**

وأردى عبارات الجرح : دجال كذاب. أو وضاع يضع الحديث. ثم متهم بالكذب ، ومتفق على تركه ، ثم متروك ليس بثقة ، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث. وفيه نظر، وهالك ، وساقط ، ثم واه بمرة، وليس بشئ، وضعيف جدا ، وضعفوه ، ضعيف وواه [ومنكر الحديث] ونحو ذلك، ثم يضعف، وفيه ضعف ، وقد ضعف ، ليس بالقوي، ليس بحجة ، ليس بذاك ، يعرف وينكر ، فيه مقال ، تكلم فيه ، لين ، سيئ الحفظ ، لا يحتج به ، اختلف فيه ،

ويصنفها ابن أبي حاتم إلى أربعة منازل[1] فأما الجرح ، فأولها (ثقة) أو (متقن ثبت) وهو ممن يحتج بحديثه ، وثانيها (صدوق) أو (محله الصدق) أو(لا بأس به) فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه ، وثالثها (شيخ) فهو بالمنزلة الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية ، ورابعها (صالح الحديث) فإنه يكتب حديثه للاعتبار.

وأما التعديل فأولى درجاته (لين الحديث) فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا ، ثم (ليس بقوي) فهو بمنزلة الأولى في كتابة حديثه إلا إنه دونه ، ثم (ضعيف) الحديث فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به ، ثم (متروك الحديث) أو (ذاهب الحديث) أو (كذاب) فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة .

فذكر ابن أبي حاتم الدرجات الأربعة ، وجعل من توفر الصدق والضبط في الراوي سببا في الاحتجاج به ، وجعل الترك لمن سقطت عدالته أو وصف بما يدل على وهائه الشديد آخر مراتب التجريح ، وأما المراتب بين هاتين المرتبتين ، فجعل نوعا من التفاوت بينها .

ونورد ما تقدم مختصرا في الجدولين التاليين ، أولهما مراتب علم التعديل وثانيهما مراتب علم الجرح .

علم التعديل		
ألفاظ التعديل	**مرتبة التعديل (منزلته)**	**الموقف من الراوي**
ثقة متقن	المنزلة الأولى	يحتج بحديثه

=صدوق لكنه مبتدع ، ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على إطراح الراوي بالأصالة، أو على ضعفه ، أو على التوقف فيه ، أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه ، ينظر : أبو محمد بن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، 1 / 4 .

[1] ينظر : أبو محمد بن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل 2 / 37 .

ثبت		
صدوق محله الصدق لا بأس به	المنزلة الثانية	يكتب حديثه وينظر فيه
شيخ	المنزلة الثالثة	يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية
صالح الحديث	المنزلة الرابعة	يكتب حديثه للاعتبار

علم الجرح		
ألفاظ الجرح	**مرتبة الجرح (منزلته)**	**الموقف من حديث الراوي**
لين الحديث	المنزلة الأولى	هو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا
ليس بقوي	المنزلة الثانية	هو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا إلا أنه دون سابقه
ضعيف الحديث	المنزلة الثالثة	لا يطرح حديثه بل يعتبر به
متروك الحديث ذاهب الحديث كذاب	المنزلة الرابعة	لا يكتب حديثه

		ساقط الحديث

وقد حاول المحدثون من علماء الحديث ضبط مراتب الجرح والتعديل أيضا على شاكلة ما فعله الشريف حاتم العوني في كتابه (خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل) ، والذي جمع فيه ما تشتت من أصول هذا العلم في مصنفات المتقدمين ، نوضحه في ما يلي [1] :

مراتب القبول
1 – مراتب التصحيح :
– ما دل على مبالغة في التوثيق : كأمير المؤمنين في الحديث ، لا يُسأل عن مثله ، أوثق الناس ، ثقة ثقة (مكررة) .. ونحوها . – ثقة ، ثبت ، مأمون ، حجة ، حافظ ، ضابط (بشرط أن لا يعارض الثلاثة الأخيرة جرحٌ في العدالة) .
2 – مراتب التحسين :
– صدوق ، لا بأس به ، وسط ، جيد الحديث . – صالح ، مقارب ، أرجو أنه لا بأس به ، صدوق إن شاء الله . – صويلح ، شيخ ، محله الصدق .
ألفاظ متجاذبة بين القبول والرد :
– رووا عنه ، روى الناس عنه ، احتمله الناس ، يُكتب حديثه ، يُجمع حديثه ، يُعتبر به ، يُنظر في حديثه ، اختُلف فيه .

[1] الشريف حاتم العوني ، خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل ، 35 ، 36 ، 37 .

مراتب الردّ
مراتب الضعف الخفيف (التي يُعتبر بحديث أصحابها) :
– لين الحديث ، فيه نظر ، فيه ضعف ، كذا وكذا ، تعرف وتنكر ، فيه أدنى مقال ، فيه مقال . – ليس بالقوي ، ليس بذاك ، ليس بحجة ، ليس بعُمدة ، ليس بالمرضي . – ضعيف ، سيء الحفظ ، مضطرب الحديث ، مردود الحديث .
مراتب الضعف الشديد (التي لا يُعتبر بحديث أصحابها) :
– متروك ، ذاهب الحديث ، مُطَّرح ، ارم به ، لا يُعتبر بحديثه .
– لا يُتابع على حديثه ، مطروح الحديث ، ساقط ، هالك ، ضعيف جدا ، تالف ، واهٍ بمرة ، منكر الحديث ، سكتوا عنه ، ليس بشيء ، لا يساوي شيئا ، فاسق ، لا يُكتب حديثه . – مُتّهم بالكذب ، متهم بالوضع ، يسرق الحديث ، مجمع على تركه ، خبيث . – كذاب ، دجّال ، وضاع . – أكذب الناس ، دجال الدجاجلة ، ركن من أركان الكذب .

وقد أفرد بعض العلماء مصنفات لعدّ أسماء المدلسين حفاظا على صحة رواية الحديث من غير تدليس ، من ذلك كتاب أسماء المدلسين للسيوطي ، الذي جمع فيه قرابة (71) مدلسا [1]

[1] **ينظر : جلال الدين السيوطي ، كتاب أسماء المدلسين ، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1412 هـ / 1992 م .**

، وكذا سبط ابن عجمي الشافعي ، في كتابه : (التبيين لأسماء المدلسين) [1] ، أو على شاكلة ما فعل النسائي في مصنفه : (ذكر المدلّسين) [2] ، والحافظ أبو زرعة العراقي في كتابه : (المدلسين) [3] ، وغيرهم .

ولهذا الغرض أيضا ألفت كتب لترجمة رجال الأسانيد ، أهمها ترجمة رجال الأسانيد لرواة الأئمة الستة : البخاري ، مسلم ، أبو داوود ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجة ، ونجدها في كل من (تهذيب الكمال) للمزي ، و(الكاشف) للحافظ الذهبي ، و(تهذيب التهذيب) و(تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر ، والتي تعد من أهم كتب تراجم الرواة ، بل هي أول ما يرجع إليها الباحث في تراجم الرواة [4] .

سابعا – مراتب الرُواة

ذكر ابن أبي حاتم أنهم على أربعة مراتب[5] : أولاها : الثبت الحافظ الورع المتقن الجهبذ الناقد للحديث ، فهذا الذي لا يختلف فيه ، ويعتمد على جرحه وتعديله ، ويحتج بحديثه وكلامه في الرجال. وثانيها : العدل في نفسه ، الثبت في روايته ، الصدوق في نقله ، الورع في دينه، الحافظ لحديثه ، المتقن فيه ، فذلك العدل الذي يحتج بحديثه ، ويوثق في نفسه، ورابعها الصدوق الورع الثبت الذي يهم أحيانا وقد قبله الجهابذة النقاد ، فهذا يحتج بحديثه ، وخامسها الصدوق الورع المغفل الغالب عليه الوهم والخطأ والغلط والسهو ، وهذا يكتب من حديثه

---

[1] ينظر : سبط ابن عجمي الشافعي ، التبيين لأسماء المدلسين ، تحقيق : يحي شفيق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ / 1986 م .

[2] ينظر : النسائي ، تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الذين سمع منهم وذكر المدلسين ، اعتنى به : الشريف حاتم بن عارف العوني ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ .

[3] ينظر : الحافظ أبو زرعة العراقي ، المدلسين ، تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب ، وناقد حسين حماد ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، 1415 هـ / 1995 م .

[4] ينظر : عمرو عبد المنعم سليم ، تيسير دراسة الأسانيد ، دار الضياء ، طنطا ، مصر ، ط 1 ، 2000 م ، ص 112 .

[5] أبو محمد بن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، 1 / 10 .

الترغيب والترهيب والزهد والآداب ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام ، وسادسها من قد ألصق نفسه بهم ودلسها بينهم ممن ليس من أهل الصدق والأمانة ، ومن قد ظهر للنقاد العلماء بالرجال أولى المعرفة منهم الكذب ،فهذا يترك حديثه ويطرح روايته.

وبعد هذا التدقيق في مختلف تتبين لنا أهمية علم (الجرح والتعديل) وفوائده الجمة ، منها معرفة ما صحَّ من الوقائع التاريخية خصوصا ما تعلق منها بالأحداث المصاحبة لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم ، والكشف عن أهل البدع والوضاع ، وكل هذا يتم بالتثبت القطعي ، بالبينة وعدم التساهل في قبول الأخبار ، وأهل الجرح هم كما وصفهم ابن أبي حاتم « أمناء الله في أرضه على كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم هؤلاء أهل العدالة، فيتمسك بالذي رووه، ويعتمد عليه، ويحكم به، وتجري أمور الدين عليه، وليعرف أهل الكذب » [1] .

بين (الجرح والتعديل) و(علم الرجال):

هناك نقاط تقاطع بين الجرح والتعديل وعلم الرجال ، ففي حين يعد الجرح والتعديل معرفة بقواعد الجرح والتعديل وألفاظهما ، وصولا إلي الحكم على الراوي ، فإن علم الرجال يُعنى بمعرفة الرواة من حيث أحوالهم عدالة وجرحاً ، ويعرف تواريخ مرتبطة بحياتهم ، كأسمائهم وأنسابهم وكناهم وألقابهم ومواليدهم ووفياتهم وطبقاتهم ، مثلما يطالعنا ابن حجر في إحدى التراجم قائلا : « زهرة بضم أوله ابن معبد ابن عبد الله ابن هشام القرشي التيمي أبو عقيل المدني نزيل مصر ثقة عابد من الرابعة مات سنة سبع وعشرين ويقال خمس وثلاثين » [2] ، فقول الذهبي (ثقة عابد) هو من قبيل التعديل ، وما تبقى من الكلام هو في علم الرجال ، فالحكم بالتعديل جاء مقتضبا وبألفاظ خاصة .

---

[1] المرجع السابق ، 1 / 6 .

[2] ابن حجر العسقلاني تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد – سوريا ، ط 1 ، 1406 – 1986 م ، 1 / 217 .

وقد تَّبع المصنفون الأوائل في علم الرجال أساليب متعددة في تآليفهم مما أدى إلى تنوع مصنفاهم[1] ، منها : كتب الطبقات وكتب معرفة الصحابة ، كتب الجرح والتعديل وكتب تواريخ المدن التي اقتصرت على تراجم الرواة في بلدة معينة ، وكتب الرجال المذكورين في مصنف أو مصنفات معينة ، كلها من المصنفات التي ظهرت في الفترة الواقعة ما بين أواخر القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث الهجري تقريباً ثم كثرت وتوسعت بعد ذلك .

والسيرة النبوية لم تصلنا إلا لما تناقلها الرواة ، وفيهم من اختلف في تجريحهم وآخرون اختلف في تعديلهم ، ولأجل هذا لم تكن السيرة بمنئ عن الروايات الضعيفة ، خصوصا كتب المغازي التي حوت بين دفتيها الغث والسمين من مرويات السيرة النبوية ، وهذا ما سنركز عليه في المبحث الموالي :

السيرة النبوية بين صحيح الروايات وضعيفها:

(تمهيد نظري للفصل التطبيقي)

تبقى السيرة النبوية هي الينبوع الثر الذي لا ينضب ولا يتحول رغم مرور السنون عليه ، وتبقى المعتمد الأول للباحثين عن القدوة ، والقاصدين الهداية والرشاد ، فمنها يستقي الكبير والصغير ، الداعي والواعظ ، الدارس والمدرّس ...

فالسيرة النبوية وإن أعطيت حقها في التحقيق ، بظهورها لنور الحياة العامة سواء تحقيقا ودراسة لسيرة ابن هشام ، فإنها لم تعن بتحقيق أسانيد النصوص ، و لم يستخرج منها الضعيف ، و لم تذكر درجة عدالة رواتها بالدقة المطلوبة ولا بالكم المطلوب أيضا

لقد كانت الحاجة ماسة لكتاب يجمع صحيح السيرة النبوية ، خوفا من انتشار أقوال أو مواقف من السيرة تنسب للرسول صلى الله عليه وسلم دون وجه حق ، الأمر الذي حدا ببعض الدارسين إلى إفراد مؤلفات للصحيح من السيرة النبوية وهي على قلتها خطوة محمودة في طريق تنقية السيرة النبوية مما علق بها من موضوعات ومكذوبات .

---

[1] ينظر : أبو ياسر الزهراني ، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1417 هـ / 1996 م ، 35 – 36 .

فمما ينبغي التنبيه إليه ونحن نتحدث عن الصحيح و الضعيف في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـــو أن « كتب السير ومثلها كتب التاريخ تسوق كل ما ورد في الباب مما صح أو لم يصح » [1] ، إذ ثبت لنا أن « سائر الذين كتبوا في السيرة اهتموا بجمع ما أمكنهم من الروايات وتدوينها دون أن يشترطوا الصحة فيما يكتبونه »[2] ، فكثيرة هي الروايات التي ضمتها كتب المغازي والسير بأسانيد مرسلة ومنقطعة بعكس ما يرد في كتب الحديث ، وعليه فإن الحذر واجب والتحرز مطلوب أثناء نقل ما نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذن هي أسباب حدت ببعض علمائنا إلى التفكير في ضرورة كتابة السيرة من وجهة نظر المحدثين لما عُرف عنهم من عدم التساهل في الروايات من أجل تمييز الروايات الصحيحة من غيرها ، وتبنوا القاعدة التي مفادها أن كل ما جاء في كتب الحديث الصـــحيحة من روايات تتعلق بالسيرة النبوية لهو مقدم على ماجاء في كتب المغازي والسير .

لكننا نشير هاهنا إلى أن ما ذكرناه آنفا من عدم اعتماد كُتاب السير والمغازي على الروايات الصحيحة دون غيرها ، لا يحط من قيمة السيرة حتما ولا يطعن في أصحابها خصوصا إذا علمنا أن سبب إحجام كتاب السير والمغازي عن رواية الصحيح دون غيره لا يعكس قلة ثقافتهم في معرفة أحوال الرجال وإنما « كان المتخصصون في القرون الأولى يعرفون الرواة وأحوالهم والأسانيد وشروط صحتها فكان بوسعهم الحكم على الروايات وتمييزها لـــكن هذه المعرفة بالرجال والأسانيد لم تـــعد من أسس الثقافة في القرون المتأخرة »[3] ، فما بالنا بعصرنا الحالي الذي شحت فيه المعرفة واقتصرت على النخبة ، وكثير ممن يُسر لهم من الكُتاب والمؤرخين العمل على الروايات التاريخية عموما « يترسمون مناهج (النقد التاريخي) الذي ظهر ونما في الغرب خلال القرنين الأخيرين » [4]

[1] فاروق حمادة ، مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، 104 .

[2] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية ، مركز بحوث السيرة والسنة ، جامعة قطر ، 1411 هـــ / 1991 م ، 11 .

[3] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية – ص : 12 .

[4] نفسه ، : 12 .

إضـــافة إلى أن « الوقائع التاريخية لا يمكن الاقـــتصار على الروايات الصحيحة فيها » [1] ، دون أن نغفل بأن ذكر الروايات المختلفة من صحيح وضعيف يدل على « ما امتاز به العلماء المسلمون من حرية البحث وسعة الأفق ويشهد على حرصهم في تحري الحقيقة مما جعل سيرة الرسول ﷺ أصح وأدق ما كُتب عن العظماء والأبطال » [2] ، على مر الأزمان.

في هذا الصدد يقول أحد إبراهيم العلي صاحب كتاب (صحيح السيرة النبوية) وأحد الذين تصدوا للكشف عن الصحيح من الضعيف في السيرة النبوية : « إن المطلوب هو اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها في بناء الصورة الناصعة لسيرة النبي ﷺ ثم الروايات الحسنة ثم ما يعضدها من الضعيف ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائما ، أما الروايات الضعيفة فيمكن الاعتماد عليها في إثبات حوادث تاريخية لا ينبني عليها أي حكم شرعي أو أمر في جانب العقيدة ، لأن الأحكام الشرعية والأمور العقدية لا تثبت إلا بالأحـــاديث الصحيحة » [3] .

وقـــد قام فـــتحي مجدي السيد أحد الذين حققوا سيرة ابن هشام بتصنيف كـــتاب (صحيح السيرة النبوية لابن هشام) [4] ، لنفس الغرض المذكور ، ولم تختلف منهجيته كثيرا عن المنهجية التي اتبعها إبراهيم العلي في مصنفه المذكور آنفا * ، بحيث أبقى على الصحيح وحذف الأحداث التي لم يصح فيها أحاديث أو آثار ، أو لم يأت المصنف فيها بآيات قرآنية [5] .

كـــما كانت هناك دراسات وأبحاث أخرى لم تدرج تحت نفس المسمى المتـــداول (**صحيح السيرة النبوية**) الذي يعني باستخلاص الصحيح من السيرة النبوية والإشارة للضعيف

---

[1] **عمر أحمد عمر ، أولو العزم من الرسل : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط1 ، دار حسان ، دمشق ، سورية ، 1409 هـ / 1988 م ، المجلد 2 ، ج5 ، ص : 375 .**

[2] **نفسه : المجلد 2 الجزء 5 ص : 375 .**

[3] **إبراهيم العلي ، صحيح السيرة النبوية ، ط1 ، النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1415 هـ / 1995 م ، ص : 11 .**

[4] **ينظر : مجدي فتحي السيد ، صحيح السيرة النبوية لابن هشام ، ط 1 ، الصحابة للتراث بلد النشر :طنطا ، مصر سنة الطبع : 1416 هـ / 1995 م .**

* **لم نتمكن من معرفة أيهما أسبق تأليفا من الآخر ، لأن أول طبعة للكتاب صدرت في نفس السنة (1995 م) .**

[5] **ينظر منهج الكاتب في تصنيف الصحيح : ص : 07 .**

من رواياتها ، لكنها أخذت نفس المنحى ، بحيث لم تخرج عن الإطار العام الذي رُسم أول مرة حين كانت البغية هي تصفية السيرة النبوية من كل ضعيف أو موضوع .

مثل ذلك نجد كتاب (**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**) [1] لمهدي رزق الله أحمد ، وذلك في أكثر من 900 صفحة .

وكتاب (**ماشاع ولم يثبت في السيرة النبوية**)[2] لمحمد بن عبد الله العوشن ، الذي أفرده للكثير من الروايات التي لمن تثبت قطعا في السيرة النبوية ، فتداول الخبر وانتشاره وشهرته ، لا يعني أبدا أنه ثابت ، رغم أنه يحمل من الحقيقة شيئا ومن الواقع حوادثا فالخبر المشاع أو الإشاعة « تشمل دائما على فتات متخلف من الأخبار تشمل على جانب من الحقيقة ولكن هذا الفتات تطغى عليه شطحات أخيولية » [3] ، والتفريق بين الحدث الحقيقي وما أُضيف إليه من موضوع ليس سهلا ، إلا إذا تصدى لهذا العمل من ذوي الاختصاص .

ومن ضمن الكثير مما شاع ولم يثبت قطعا من الضعيف والواهي هو[4] : ما رافق ليلة مولد خير الأنام عليه الصلاة والسلام من انشقاق ايوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة منه وخمود نار فارس وكانت لم تخمد قبل ذلك بألف عام وغيض بحيرة ساوة المتواجدة في بلاد فارس ورُؤى الموبذان كبير حكام الفرس ، فرغم ذكر هذه الأخبار من طرف الكثير من علماء السير والتراجم ، إلا أنها لم تثبت .

---

[1] مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، الطبعة : 1 ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

[2] ينظر : محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، دار طيبة .

[3] كامل محمد محمد عويضة ، علم نفس الإشاعة ، مراجعة : محمد رجب البيومي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1416 هـ / بيروت ، لبنان ، 55 .

[4] ينظر : علي القاري الهروي المكي ، المصنوع في معرفة المصنوع (وهو الموضوعات الصغرى) حققه وراجع نصوصه وعلّق عليه عبد الفتاح أبو غدّة ، ط5 ، مكتب المطبوعات ، حلب ، بيروت ، ودار البشائر الإسلامية لبنان ، 1414 هـ / 1994 م ، 18 .

من ذلك أيضا ، قضية عمر خديجة رضي الله عنها عند زواجه صلى الله عليه وسلم منها « فالمشهور في كتب السيرة أن عمرها رضي الله عنها لما تزوجها رسول الله كان أربعين سنة وأنها لما توفيت كانت بنت خمس وستين » [1] ، وغير هذه الأخبار مما يدخل في دائرة الضعيف المشكوك فيه .

كما أُفردت كتب أخرى لروايات ضعيفة بعينها مثل قصة الغرانيق [2] على سبيل المثال لا الحصر ، والتي أبطلت من جهة النقل أو السند كما من جهة المتن أيضا والتي إضافة إلى إثباتها في الكتب التي أشارت للضعيف من الروايات ، فإنها عنيت بتخريجها من طرف محمد ناصر الدين الألباني في كتابه (**نصب المجانيق لنسف قصة المجانيق**) [3] .

إذن أن تكون بين يدي الدارسين والعوام على حد السواء سيرة نبوية صحيحة من شأنه أن يجعل الآخذ ينهل منها بكل تفاصيلها المتنوعة وهو مطمئن لصحة النصوص الواردة فيها ، دون شك في ما يقرأ وما ثبت عن رسول الله صلى الله عله وسلم ، لذلك وجب التركيز أكثر على تنقية السيرة النبوة من الضعيف والموضوع وذلك بـــ « الجمع بين معطيات منهج المحدثين ومنهج النقد الغربي يعطي أمـــثل النتائج إذا حَكمت الأخير معايير التصور الإسلامي » [4] ، فيصير اليقين في معلوماتنا والأخذ من سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام .

ونتساءل أخيرا لماذا لم يتم اعتماد مثل هذا المنهج ؟ ولعل الإجابة لا تكون إلا لما يحمله هذا المنهج من « صعوبة وجهد في معرفة الرجال وأحوالهم والتفتيش عنهم وفي إتقان علوم

---

[1] محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، 18 .

[2] محمد بن عبد الله العوشن ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، 61 ، مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، 199 وما بعدها

[3] محمد ناصر الدين الألباني ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، المكتب الإسلامي ، ط3 ، 1417 هـــ / 1996 م .

[4] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية – ص : 14 .

الحديث والتمرس على تطبيقها في النقد التاريخي »[1] ، ويبقى هو المعول عليه في كل الأحوال لضمان نتائج طيبة تخدم السيرة النبوية لخير خلق الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما وجدناه في مصنفات تعد على الأصابع سطرناها في الجدول التالي الذي يضم ما صُنف في صحيح سيرة ابن هشام ، وأمكننا الوصول إليه :

1 – ما عنونت بـــ (الصحيح)		
المؤلف	**عنوان الكتاب**	**معلومات التوثيق**
محمد بن مرزوق بن طرهوني	**صحيح** السيرة النبوية المسمى : السيرة الذهبية	**دار النشر** : ابن تيمية للطباعة والنشر **بلد النشر** : القاهرة **الطبعة** : 1 **سنة الطبع** : 1410 هـــ .
مجدي فتحي السيد	**صحيح** السيرة النبوية لابن هشام	**الطبعة** : **1** **دار النشر** : الصحابة للتراث **بلد النشر** : طنطا ، مصر **سنة الطبع** : **1416 هـــ / 1995 م**
إبراهيم العلي	**صحيح** السيرة النبوية	**الطبعة** : 1 **دار النشر** : النفائس للنشر والتوزيع **بلد النشر** : الأردن

---

[1] أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية ، ص : 70 .

		سنة الطبع : 1415 هـ / 1995 م

2 – ما اختلف عنوانه وجاء مضمونه متناولا للصحيح من السيرة

محمد بن عبد الله العوشن	ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية	**دار النشر** : طيبة
مهدي رزق الله أحمد	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية	**الطبعة** : 1 **دار النشر** : مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية **بلد النشر** : الرياض المملكة العربية السعودية **سنة الطبع** : 1412 هـ / 1992 م
محمد ناصر الدين الألباني	نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق	**الطبعة** : 3 **دار النشر** : المكتب الإسلامي **بلد النشر** : الأردن **سنة الطبع**: 1417 هـ / 1996 م

إن ما يميز هذه الأعمال الجادة هو أن مؤلفيها حاولوا تنقية السيرة النبوية من كل ما هو ضعيف وموضوع ، واقتصروا على الصحيح من الروايات ، لأن المؤرخين يتساهلون في

مناهجهم مع الروايات التي يوردونها ، فلا يدققون في عدالة الرواة ممن يروون عنهم ، ولا يعتمدون على الإسناد كشرط لقبول الرواية مثلما يفعل المحدثون ، ومن ثمة لم يستخدموه لتصحيح الخبر والرواية التاريخية ، فكانوا يروون بذلك عن رواة لم تثبت عدالتهم من الضعفاء ، أما المجال التطبيقي فسيوضح لنا كيف تعامل الرواة مع روايات السيرة النبوية جرحا لواتها وتعديلا لهم .

الفصل الثالث

السند والجرح والتعديل
في السيرة النبوية

سيكون هذا الفصل دراسة تطبيقية للسيرة النبوية من حيث الأسانيد وجرح تعديل رواتها ، بعدما قمنا بدراسة تطبيقية شاملة حول رواية ابن هشام للسيرة النبوية[1] ، وسنبدأ بدراسة الأسانيد باعتبار الجرح والتعديل الركيزة التي يستند عليها نقد السند ، فهو أسبق في الدراسة ، فعلم الحديث ما هو إلا نقد السند ونقد المتن ، وأهم مباحث نقد السند هو علم الجرح والتعديل .

أولا: السند في سيرة ابن هشام:

لقد سبق وأن تناولنا عنصر الإسناد بطريقة مفصلة في مباحث سابقة [2] ، ونحاول في هذا المبحث من الدراسة تناول الإسناد في رواية ابن هشام للسيرة النبوية بطريقة تطبيقية نرتكز فيها على نماذج من السيرة النبوية .

نذكر أن السيرة النبوية قد تعرض لها أكثر من مؤلّف في أكثر من مصنف ، ولا سيما المحدّثون الذين نلفيهم وقد تمسكوا بالسند ورجاله وأولوا لذلك الأهمية البالغة ، ونجد ذلك في المؤلفات الأولى للحديث النبوي على شاكلة موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم ، وهذا لأن السيرة النبوية عُدّت من الحديث النبوي فهي على هذا « ليست رواية منقطعة مسترسلة ولكنها روايات متفرقة مقيدة بجمعها لموضوع واحد » [3] ، مما يجعل رواتها يركزون على الصحة والصدق في الخبر ، ويعمدون إلى التنبيه على ما يصحك منها ، في كثير من الأحايين .

---

[1] الشريف حاتم العوني ، خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل ، ط 1 ، 1420 هـ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ص 06 .

[2] ينظر : الفصل الأول من الباب الثالث .

[3] إحسان عباس ، فن السيرة ، 15 .

أما السيرة النبوية ، فأثناء تصفحنا لها كاملة نلاحظ أن ابن هشام قد التزم جانب الأمانة العلمية الملفتة للنظر ، فقد وثق الرواية العامة في مستهل سرده للسيرة النبوية بنسْب الفضل لأصحابه ، بحيث نلحظ حرصه الكبير على رواية كلام ابن إسحاق عن طريق البكائي ، فكان يُصدر كلامه لبيان خطإ ما أو شرح غامض أو معارضة بعض الروايات أو غير ذلك بعبارة (**قال ابن هشام**) ، وقد سار على هذا المنوال في جميع أحداث السيرة النبوية ، فكـــان إيراد السند من أهم ما يميز منهج ابن هشام ، ونفصل هذا الأمر في ما يلي :

إن أول ما يشدّ انتباهنا أثناء دراستنا لظاهرة الإسناد في رواية ابن هشام للسيرة النبوية ، هو تكرار عبارة (**قال ابن هشام**) ، لأنها تمثل نقطة البداية في سرد جميع أحداث السيرة النبوية.

لقد وردت هذه العبارة : (421) مرة على مدار صفحات الكتاب ، وليدقق ابن هشام روايته أكثر ويُلزم نفسه جانب الأمانة ، كرّر قوله في رواياته : (قال **ابن هشام** حدثنا **زياد بن عبد الله البكائي** عن **محمد بن إسحاق المطلبي** قال ...) ، أي بإضافة راوي السيرة النبوية (زياد البكائي) ، وصاحب السيرة النبوية الأصلية (ابن اسحاق) الذي روى عنه البكائي .

وتفصيلا نقول : كان ابن هشام أحيانا يستهل بها الرواية مثل قوله لما تناول بالسرد أولاد إسماعيل عليه السلام ونسب أمهم : « **قال بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال:** ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثني

عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيذر وأذبل ومبشا ومسمعا وماشي ودما وأذر وطيما ويطور ونبش وقيذما وأمهم بنت مضاض بن عمر الجرهمي ... . » [1] .

وقد يكون في منتصف الرواية أو أثنائها مثل قوله حينما تحدث عن أمر جرهم ودفن زمزم : « **قال بن هشام** وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم **ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال:** لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن اسماعيل ما شاء الله أن يليه ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي » [2]

وقد ينهي بها الرواية مثلما ورد أثناء حديثه عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي اسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد ويقال أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بني آدم أعطى النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم. **قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا**

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، القسم الأول ، 04 – 05 .

[2] المرجع السابق ، القسم الأول ، 111 .

زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره. » [1] .

فبيْن بداية السرد بالتذكير أن ما سيقوله هو لابن اسحاق عن طريق زياد البكائي أو في منتصف رواية الأحداث أو في آخرها ، يبقى ابن هشام مثالا للتوثيق والحرص الشديد على الأمانة العلمية .

مـــن جهة أخرى استعمل روايـــة الخبر بتوظيف عبارة : (**قال ابن إسحاق**) دون بقية العبارة المذكورة سابقا : بعدد (**584**) مرة تقريبا وهذا دليل على أمانته العلمية البالغة أيضا ، مثل قوله في إحدى رواياته : « **قال بن إسحاق** والحامي الفحل : إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره ... » [2] .

وقد يتغير ترتيب الرواة بين (زياد البكائي) و (ابن اسحاق) كأن يتوسط الكلام صاحب السيرة الأصلي ابن اسحاق وراوي السيرة النبوية زياد البكائي ، مثل ذلك قوله : « **قال بن هشام** وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم **ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن** إسحاق المطلبي قال: لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن اسماعيل ما شاء الله أن يليه ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي » [3] .

---

[1] **السابق ، القسم الأول ، 03 .**

[2] **نفسه ، ج 1 ، ص 89 .**

[3] **نفسه ، ص : 111 .**

أما راوي السيرة **زيـــاد البكائي** فقد تواتر ذكر العبارة التي تؤكد سماع ابن هشام منه على النحو التالي : (**حدثنا زياد بن عبد الله البكائي**) بمعدل (15) مرة في كامل السيرة النبوية .

ونراه أحيانا يورد النسب كاملا في السند على شاكلة : (**قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي**) .

وقد لفت انتباهنا ونحن نركز على الإسناد في السيرة النبوية ، غلبة صيغتي (**حدثني**) و(**حدثنا**) كما تعود الأقدمون لإثبات السند ، وهي من أشهر الصيغ وأكثرها انتشارا ، وهذا يدل على اتصال الإسناد وهي مثل قولنا (أخبرنا) ، فالصيغة المذكورة في الأداء وما يعادلها تعد من شروط صحة الحديث عند المحدثين .

إن غلبة صيغة (**حدثني**) في جل الكتاب تأصلت نظرا لتكرارها (**185**) مرة ، وينسبها لمختلف الرواة .

بينما كرر (**حدثنا**) في السيرة (**31**) مرة ، انفرد بنسبتها لزياد البكائي بـــ (**14**) مرة ، ونسبتها لابن اسحاق بـــ (**3**) مرات ، بينما اقترنت باسمه أي بنسبة القول لـــه (**9**) مرات ، في ما تـــوزعت الحـــالات الباقية (**13**) مرات على جمع من الرواة الآخرين .

ونلخص في ما يلي منهج ابن هشام في التوثيق عن طريق ذكر السند أثناء الرواية في السيرة النبوية كما يلي :

• العبـــــــــارة	• تكرارها في السيرة	• صيغة الأداء
1 – ذكر السند الثلاثي كاملا		
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي	08	قال + جدثنا + عن
2 – ذكر صاحب السيرة الأصلي :		
قال ابن اسحاق	مئات المرات	قال
3 – فصل ابن هشام بين كلام ابن اسحاق عن كلامه بـــ :		
قال ابن هشام	مئات المرات	قال
4 – توثيق رواية ابن اسحاق عن طريق زياد البكائي بـــ :		
حدثنا زياد بن عبد الله البكائي	15	حدثنا
فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق	01	حدثنا
حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي	01	حدثنا

عن محمد بن إسحاق		
فحدثني زياد بن عبد الله البكائي **عن محمد بن إسحاق**	01	حدثني
قال زياد بن عبد الله البكائي **عن محمد بن اسحاق**	17	قال

والملاحظة المهمة الأخرى التي ينضيفها ها هنا ، ونحن نتحدث عن السند هي وجود رواية أسانيد تتخللها مجاهيل إذ لم يخل السند في السيرة النبوية من إدراج ابن هشام لأسانيد مجاهيل ، لم يذكر أسماءهم و لم يعرف بهم ، وقد وردت بصيغ مختلفة على رأسها قوله (**حدثني بعض أهل العلم**) ، منها : (**وقد حدثني محدث**) مرة واحدة فقط ، وقوله أيضا : (**حـــدثني بعض من أثق به من أهل العلم**) مرة واحدة أيضا وكـــذلك : (**حدثني بعض أهل العلم**) بعدد (**12**) مرة .

وبالموازاة مع هذا ، فإن ابن هشام أورد أسانيد مجهولة ذكرها ابن اسحاق نفسه كاستهلاله للسند بقوله : قال ابن اسحاق : (**وقد حدثني بعض من لا أتهم**) أو (**وقد حدثني بعض لا أتهم**) .

وقد يضيف ابن هشام مؤكدا ومفصلا نوع العلم فنجده يقول مثلا : (**حدثني بعض من أثق به من أهل العلم بالشعر**) وقد أوردها مرة واحدة ، وكذا : (**حدثني بعض لا أتهم**) مرة واحدة أيضا .

لكن هذا لا يطعن في اتباع ابن هشام لمنهج الأمانة العلمية ، فهو صورة للمؤرخ الذي تقيد بالإسناد ، بخضوع رواياته عموما لها ، فالسند الذي تخللته مجاهيل ، مقارنة بما ذكره من السند المتصل الواضح أقل عددا ، وهذا جدول ميسر يبين لنا الصيغ الدالة على وجود مجاهيل تتخلل الأسانيد :

• العبـــــــارة	• تكرارها في السيرة
حدثني محدث	01
حدثني بعض أهل العلم	11
حـــدثني بعض من أثق به من أهل العلم	01
حدثني بعض من أثق به من أهل العلم بالشعر	02

ثانيا: جرح وتعديل الرواة في السيرة النبوية:

لقد سبق وأن تناولنا عنصر الجرح والتعديل بطريقة مفصلة في مباحث سابقة [1] ، ونحاول في هذا المبحث من الدراسة تناول جرح وتعديل الرواة في رواية ابن هشام للسيرة النبوية بطريقة تطبيقية نرتكز فيها على نماذج من السيرة النبوية .

[1] ينظر : الفصل السابق .

مقتطفين النماذج من أهم كتب السيرة النبوية ، بدءا من سيرة ابن اسحاق[1] (151هـ) ، ثم سيرة ابن هشام [2] (- 213 هـ) ، التي تعتمد أكثر من غيرها للأسباب المذكورة سابق ، مغازي الواقدي[3] (- 207 هـ) ، والسيرة النبوية لابن كثير[4] (- 774 هـ) ، مراعين الترتيب الزمني في العرض .

ثالثا: ألفاظ الجرح والتعديل المستخدمة من قبل رواة السيرة النبوية :

أ – ألفاظ التعديل :

يقول الواقدي حين تحدثه عن غزوة الفتح : « قال أبو عبد الله : وقد سمعنا وجها من أمر خزاعة لم أر عليه الناس قبلنا ولا يعرفونه ، وقد **رواه ثقة** ، ومخرجه الذي رد إليه **ثقة مقنع** ، فلم أر أحدا يعرف له وجها ! إلا أن الناس قبلنا ينفونه ويقولون: لم يكن ، وذكرته لابن جعفر ومحمد بن صالح ولأبي معشر وغيرهم ممن له علم بالسرية فكلهم ينكره ولا يأتي له بوجه » [5] .

كما هو موضح اقتطفنا من سيرة الواقدي النصوص التي استخدم فيها لفظ التعديل (**ثقة**) ، فوجدناها لا تتجاوز ثلاث مرات .

---

[1] **محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر – بيروت ، ط 1 ، 1398هـ / 1978م .**

[2] **سبق ووثقنا منها .**

[3] **محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني أبو عبد الله، الواقدي ، المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، ط 3 ، دار الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، 1409 هـ / 1989 م .**

[4] **أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ،1395 هـ – 1976 م**

[5] **محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني أبو عبد الله، الواقدي ، المغازي ، 2 / 786 .**

أما ابن كثير فقد أورد لفظ (**ثقة**) إحدى عشر مرة ، كان ينوع في العبارة مرة بقوله (فلان **ثقة**) أو (قال **ثقة**) أو (وهو **ثقة**) أو (كان **ثقة**) ، منها ما ورد في قوله « المنهال بن عمرو ثقة » [1] .

ووصف قيس بن ربيع بالثقة فقال : « كان قيس بن الربيع **ثقة** في نفسه إلا أنه كان رديئ الحفظ ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها » [2] .

و لم يسمّ الرجل الثقة في قوله : « قال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق حدثني بقية – أو قال **ثقة** من أهل المدينة – عن عروة بن الزبير أنه قال: ما من نبي إلا وقد حج البيت ، إلا ما كان من هود وصالح » [3] ، وهو نفس منهجه في قوله أيضا : « حدثنا ممن لم أسم ، أهل **ثقة** ، فكل قد حدثنا بطائفة من هذا الحديث ، وبعضهم أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل ما قد حدثوني به » [4] .

بينما لم نعثر على لفظ (**ثقة**) في سيرة ابن هشام كاملة ، مما يدل على عدم اهتمام ابن هشام بذكر من كان ثقة في رواية أحداث السيرة .

في حين استخدم لفظ (ثَبْت) في مغازي الواقدي ثلاث مرات ، مرتين بالايجاب ومرة بنفي صفة الثبت ، فقال : « عن زرعة بن عبد الله ابن زياد بن لبيد أن الرجلين ثبت » [5] ، وقال حين سمّى من شهد بدرا من قريش والأنصار : « والحارث بن قيس بن هيشة

---

[1] ابن كثير ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، **1** / **432** .

[2] المرجع السابق ، ، **1** / **104** .

[3] السابق ، **1** / **172** .

[4] محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني أبو عبد الله، الواقدي ، المغازي ، **3** / **885** .

[5] المرجع السابق ، **1** / **172** .

بن الحارث بن أمية، ليس ثَبْت » [1] ، بينما لم ترد اللفظة في السيرة النبوية لابن هشام ولا في السيرة النبوية لابن كثير .

أما لفظة (صدوق) ، فلم ترد في مغازي الواقدي للواقدي ولا في سيرة ابن اسحاق ، ولا في سيرة ابن هشام ، وتفرد بذكرها ابن كثير خمس مرات ، مثل ذلك ما أورده عن الأمام أحمد بن حنبل : « حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ - هُوَ ابْنُ أَبِي أَيُّوبَ - حَدَّثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ سَيْفٍ الْمَعَافِرِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بصر بإمرأة لَا يظنّ أَنَّهُ عَرَفَهَا، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الطَّرِيقَ وَقَفَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ؟ " فَقَالَتْ: أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا الْبَيْت فَتَرَحَّمت إِلَيْهِمْ مَيِّتَهُمْ وَعَزَّيْتُهُمْ. قَالَ: " لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى " قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُهَا مَعَهُمْ وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِي ذَلِكَ مَا تَذْكُرُ. قَالَ: " لَوْ بَلَغْتِيهَا مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ. » [2] ، ثم نجد ابن كثير يعلق على راوي الحديث ربيعة بن سيف بسرد كل من وثقه أو جرحه ، ومما استخدمه لفظة (**صدوق**) ، قائلا : « ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المعافرى الصنمى الاسكندرى ، وقد قال البخاري عنده مناكير ، وقال النسائي: ليس به بأس قال مرة : **صدوق** ، وفي نسخة ضعي ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان يخطئ كثير ،. وقال الدارقطني : صالح. وقال ابن يونس في تاريخ مصر: في حديثه مناكير » [3] ،

---

[1] السابق ، **1** / **131** .

[2] ابن كثير ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، **1** / **238** .

[3] المرجع السابق ، **1** / **238** .

ووصف الواقدي بالصدوق أيضا ، لما تناول خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم : « الواقدي عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالبا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار » [1] ، ووصف موسى بن يعقوب الزمعي بالصدوق فقال : « قال ابن جرير : حدثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء ، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، وهو صدوق » [2] .

أما لفظة (**لا بأس به**) فقد انفرد ابن كثير بإدراجها في السيرة النبوية ، مع ملاحظة أنه تعمد ربطها بالسند ، فكان يكرر (**إسناده لا بأس به**) في ثماني مرات ، بينما قرنها كصفة للتعديل وصفا لبعض الرواة ثلاث مرات ، يقول مثلا يقول واصفا إسناد الحديث الذي أورده : « هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد » [3] .

ب – ألفاظ الجرح :

أثناء بحثنا في كتب السيرة النبوية عن أحكام الجرح التي أصدرها كتاب السيرة أو أشاروا إليها ، وجدنا بعضها ، نعددها في ما يلي ، ونعلق عليها بعد ذلك :

في السيرة النبوية لابن كثير ، أورد المصنف قول علي بن المديني في العلاء بن صالح الأزدي الكوفي : « هو **ضعيف الحديث** » [4].

---

[1] السابق ، **2 / 340** .

[2] المرجع نفسه ، **4 / 423** .

[3] نفسه ، **4 / 29** .

[4] نفسه ، **1 / 432** .

وأورد قول الدارقطني في السري بن عاصم : « كان **ضعيف الحديث** » [1] ، وقال أيضا في حديثه عن سنة خمس عشرة : « فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد ، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف وشيخه **متروك الحديث** » [2].

«الحافظ البيهقي: وهذه الأحاديث وإن كان في رواتها من لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضا، ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع » [3].

« دار على رجل مبهم ، و**مثله لا يحتج به،** ولا سيما وقد خالفه غيره ممن يعتد به ، فقالوا : لما قدم معاذ من الشام كذلك » [4].

ونجد ابن كثير يستقصي حال الراوية ، ويورد أحكام أهل الجرح والتعديل فيه ، خصوصا ما تعلق بالجرح ، فنجده مثلا يورد عشرة أحكام في الراوية حماد بن عمرو بن أبي إسماعيل النصيبي ، استنادا لأحكام اهل الجرح والتعديل ، فيقول[5] :

قال يحيى بن معين : هو **ممن يكذب ويضع الحديث.**

وقال عمرو بن علي الفلاس وأبو حاتم : **منكر الحديث ضعيف جدا.**

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : **كان يكذب.**

وقال البخاري : **منكر الحديث.**

---

[1] نفسه ، **4** / **696** .

[2] نفسه ، **4** / **221** .

[3] نفسه ، **1** / **194** .

[4] نفسه ، **4** / **194** .

[5] نفسه ، **4** / **502** .

وقال أبو زرعة : **واهي الحديث.**

وقال النسائي: **متروك.**

وقال ابن حبان : **يضع الحديث وضعا.**

وقال ابن عدي : **عامة حديثه مما لا يتابعه أحد من الثقات عليه.**

وقال الدارقطني : **ضعيف.**

وقال الحاكم أبو عبد الله : **يروي عن الثقات أحاديث موضوعة ، وهو ساقط بمرة.**

ونشير أن هناك بعض الألفاظ المفردة والتراكيب التي لم نجد لها اثرا في ما تتبعناه من كتب السيرة ، مثل ذلك (محله الصدق) و(شيخ) و(صالحا لحديث) .

الباب الثالث

السرد / الحكي / القص

في سردية السيرة النبوية (المنثورة)

في سردية السيرة النبوية (المنظومة)

الفصل الأول

السرد / الحكي / القص

لقد تعدَّدت الاتجاهات النقدية التي تناولت الأعمال الأدبية بالتقويم والحكم ، ومبعث هذا التعدد راجع إلى طبيعة الأعمال الأدبية والاتجاهات التي تحكمها وتوجهها من ذلك نلفي المقاربة السردية أو التحليل السردي .

في هذا الفصل سنحاول الإبانة عن أهم المصطلحات السردية والمصطلحات المقاربة لها والتي لا تخرج عن (**السرد**) و(**الحكي**) و(**القصّ**) ، ونتبين أهم مميزات كل مصطلح ، ثم الخطوات اللاّزمة لتحقيق مدارسة للنصوص التي تم انتقائها من السيرة النبوية ، في الفصليين الموالين .

أولا : – السَّرْدُ

(narration)

– المفهوم اللغوي :

السّرد من الفعل (سرد) يقول ابن منظور : « تَقْدِمَةُ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ تأْتِي بِهِ متَّسقاً بعضُه فِي أَثر بَعْضٍ مُتَتَابِعًا ... وسَرَد الشَّيْءَ سَرْداً وسرَّده وأَسْرَده : ثقبه» [1] ، لكن هذا المعنى تطور ليصبح من أهم المصطلحات الحداثية التي طرقت باب الأدب ، ولا سيما النقد الأدبي ، وإن كانت له جذور تمتّ للمعنى الاصطلاحي بصلة دقيقة .

– المفهوم الاصطلاحي :

عرف العرب (السّرد) منذ القديم بمعناه الاصطلاحي البدائي المبسط ، إذ يُقال في هذا الصدد : « سَرَد الْحَدِيثَ وَنَحْوَهُ يَسْرُدُه سَرْداً إذا تَابَعَهُ ، وَفُلَانٌ يَسْرُد الْحَدِيثَ سَرْدًا إذا كَانَ جَيِّد السِّيَاقِ لَهُ » [2] .

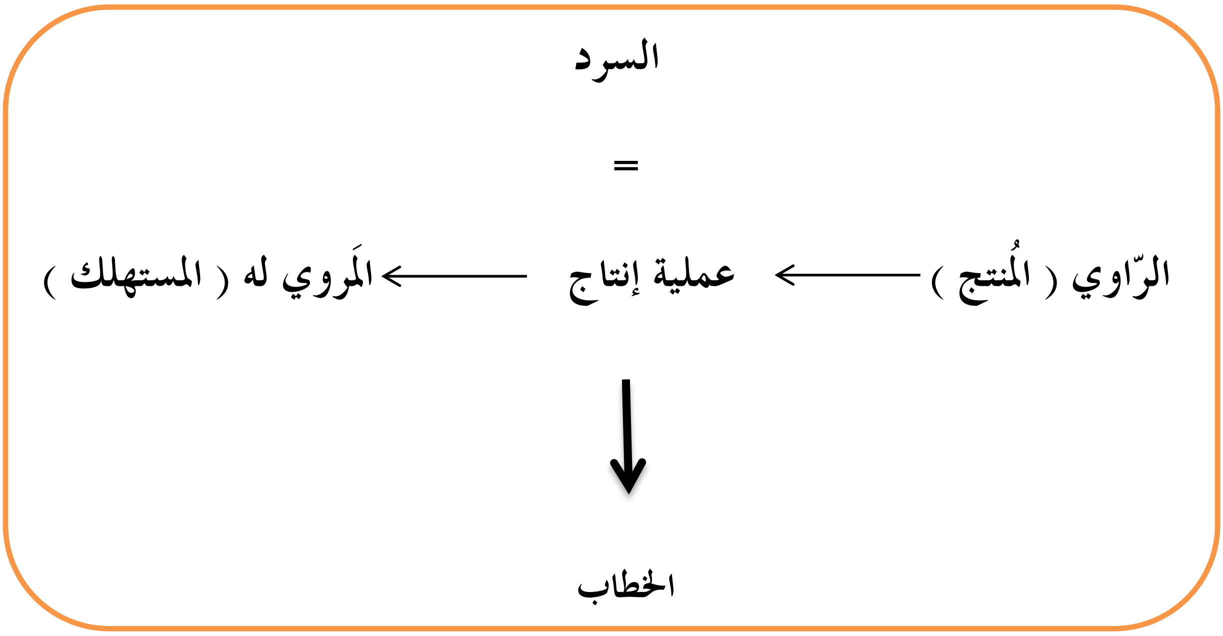
---

[1] لسان العرب (سرد) ، ج 22 ، ص 1987 .

[2] المرجع السابق ، 22 / 1987 .

أما في النقد الحديث فالسرد مصطلح أدبي نقدي ، له مقوماته وملامحه التي تميزه ، أخذ حيزا كبيرا من النقد الغربي بالدرجة الأولى ، ثم في النقد العربي الحديث ، خصوصا لما تطور المصطلح السردي بجهود الكثير من الباحثين في مجال تحليل الخطاب والسرديات ، سواء من خلال الترجمات أو الدراسات الخاصة ، وكان ذلك بتأثير من المناهج النقدية الحديثة .

والسرد في مفهومه الاصطلاحي العام هو « فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب، ويشمل السرد مجمل الظروف المكانية والزمنية الواقعية والخيالية التي تحيط به ، فالسرد عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المُنتج والمروي له دور المستهلك والخطاب دور السلعة المنتجة » [1] ، فكأنها حلقة محكمة لا تخرج عن الراوي والمرويّ والمروي له ، ويمكن أن نمثل هذا ، بالنموذج الموضح التالي :



[1] لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات الرواية والسرد (عربي انجليزي فرنسي) مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، 105 .

كما أننا لا نستطيع حصر أنواع السرد ، لتنوع الأجناس التي لا تصلح أن تكون مسرحا للتطبيق ، فالسرد يمكن أن تحتمله « اللغة المنطوقة شفوية كانت أم مكتوبة ، والصورة ثابتة كانت أم متحركة ، والإيماء مثلما يمكن أن يحتمله خليط منظم تقريبا حاضر في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة وفي كل المجتمعات » [1] ، فالسرد في كل مكان من حولنا ، ولا يقتصر على الرواية أو الكتابة التاريخية [2] لذلك فالسرد متّسع المجالات[3] مفتوح على الأجناس الأدبية ناهيك عن اللغة الشفهية التي تتجسد في الحكي المباشر والقص التلقائي ، وقد يجمع بين أكثر من رافد، في العمل الأدبي الواحد .

أما أنماط السرد فتتعلق بالكيفية التي يعرض لنا بها السارد القصة ، ويقدمها لنا بها ، وأهم نمطين يتحكّمان فيها هما[4] : التمثيل (représentation) والحكي (narration) ولعلهما يقابلان بطريقة ما كل من (الخطاب) و(القصة) .

ولهذين النمطين مصدران مختلفان[5] أولهما القصة التأريخية (la chronoque) والدراما (la drame) ، وما يرتبط ببحثنا هو النوع الأول لأنها حكي خالص يكون فيه المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع ويخبر عنها ، مما ينطبق على أحداث السيرة النبوية وقصصها وطريقة سردها.

---

[1] رولان بارت ، التحليل البنبوي للسرد ، تر : حسن بحراوي ، بشير القمري وعبد الحميد عطار ضمن (طرائق تحليل السرد الأدبي) ، 09 .

[2] من ترجمة الباحثة:

(Narative is all around us not just in the novel or in historical writings)

ينظر: Monika Fludernik , an introduction to naratology , Translated from the German , by Patricia Häusler-Greenfield and Monika Fludernik , Routledge, London ,2009. , 01 .

[3] لذلك أصبح السرد بعد تقديمه في النقد الأدبي ، مادة صالحة لكثير من الطروحات خارج حقل الدراسات الأدبية ، إذ بدأ العلماء ينظرون لوظيفة السرد في مختلف المجالات اعتمادا على الرؤية الشمولية السابقة .

[4] ينظر : تزفيطان تودوروف ، مقولات السرد الأدبي، تر : الحسين سحبان وفؤاد صفا ، ص : 61

[5] المرجع السابق ، ص : 61

ولقد حظيت الأشكال السردية بمختلف أنواعها في النصف الثاني من القرن الماضي من العناية والاهتمام الشيء الذي جعلها تحتل مكان الصدارة داخل ميدان السيميائيات الذي أصبح منذ فترة قصيرة من أغنى الميادين داخل العلوم الإنسانية [1] ، ولعلم لسرد متقابلات باللغة الأجنبية ، ففي اللغة الفرنسية ، نجد (narration) و(narrative) و(narratologie) إضافة إلى شيوع مصطلح (recit) .

وقد تطور المصطلح السردي[2] مع الشكلانية الروسية والبنيوية ، وتبعته جهود (باختين) [3] الذي اتخذ من الرواية مساحة لتطبيق مستويات السرد ، فقد حلّت نظرية السرد محل نظرية الرواية بوصفها موضوعا يحظى باهتمام مركزي في الدراسة الأدبية [4] .

غير أن هذه الممارسة لم تبقى حكرا على الدراسات الغربية ، بل كان للنقد العربي الحديث دور في تجليها وإبراز دورها على مستوى النقد الأدبي الحديث سواء بترجمة المؤلفات من اللغات الأجنبية ولا سيما الفرنسية ، إلى اللغة العربية ، وإضافة الجديد في حقل الدراسات السردية أيضا .

وكان (كلود ليفي ستروس) [5] رائدا للبحث السردي حين درس الأسطورة من خلال المنظور البنيوي ، الذي وضع أسسه اللغوي (دي سوسير) [6] ، واستمر البحث على خط مشابه عند الشكلانيين الروس بريادة فلاديمير بروب حين شمل بسرده للحكايات الخرافية الشعبية .

---

[1] سعيد بن كراد ، السيميائيات السردية (مدخل نظري) ن منشورات الزمان ، 2001 م ، ، 16 .

[2] ينظر : ميجان الدويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2002 م ، 174 – 177 .

[3] Mikhaïl Bakhtine: ناقد روسي : (1895 – 1975 م) .

[4] (Wallace martin , recent theories of narrative) والاس مارتن ، نظريات السرد الحديثة ، ترجمة حياة جاسم محمد ، ، 15 .

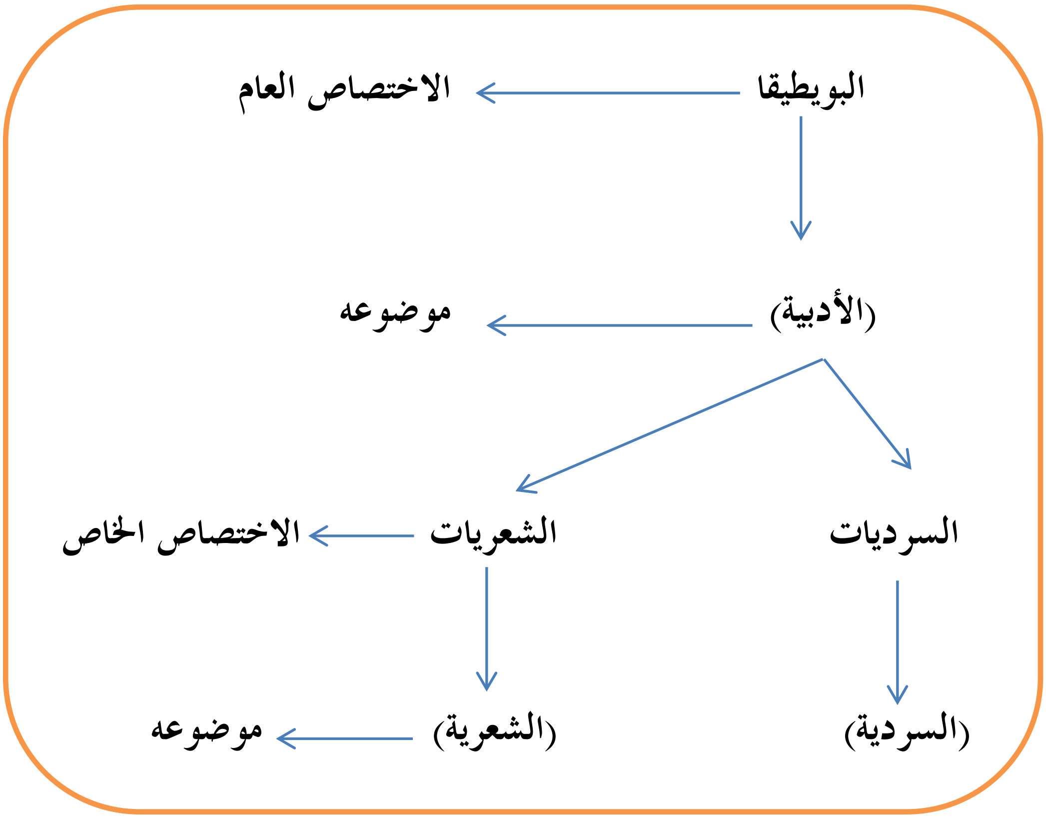
[5] Claude Lévi-Strauss: عالم اجتماع فرنسي : (1908 – 2009 م) .

[6] Algirdas Julien Greimas : عالم اجتماع فرنسي : (1917 – 1992 م) .

وأما التطور الملحوظ والنوعي للسرديات فكان على يد الناقد الفرنسي (جريماس)[1] ، الذي عدّ (الفاعل) / (actant) وحدة بنوية صغرى يقوم عليها السرد ، الذي هو « الاستخلاص الأول الذي يحاول القارئ القيام به على قاعدة البنى الخطابية »[2] ، ...

بالإضافة إلى جريماس سعى نقاد آخرون إلى تطوير نظام شامل ودقيق لكيفية بناء النص السردي ومن أولئك (تودوروف)[3] الذي يركز في دراساته على ما هو مسرود ، و(جيرار جينيت)[4] الذي يسر على عملية السرد نفسها .

وتندرج السرديات ضمن علم كلي هو (البويطقيا)[5] التي تعنى بأدبية الخطاب الأدبي بوجه عام ، وهي بذلك تقترن بالشعريات التي تبحث في شعرية الخطاب الشعري على هذا النحو :



[1] Ferdinand de Saussure: عالم لغويات سويسري : (1857 – 1913 م) .

[2] أمبرتو ايكو ، القارئ في الحكاية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط 1 ، 1996 م ، المركز الثقافي العربي ، 134 .

[3] Tzvetan Todorov : ناقد بلغاري : من مواليد : 1939 م .

[4] Gérard Genette : ناقد أدبي فرنسي : من مواليد 1930 م .

[5] ينظر : سعيد يقطين ، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1997 م ، 23 .

ويكون السرد من صميم الواقع أو نسخ الخيال أو من كليهما معا في إطار زماني ومكاني بحبكة فنية متقنة ، فهي إذن طريقة تقنية مستخدمة في إعداد وإخراج النص القصصي وغيره بغية تحقيق غاية المرسل منه ، ويغلب عليه الزمن الماضي وكثرة الروابط الظرفية والأسلوب الخبري وهو من أكثر أنواع الفنون الأدبية جذبا للقارىء وتشويقا له.

ثانيا : – الحكي

(narrative)

– المفهوم اللغوي :

الحكي من الفعل (حكى) يقول ابن منظور : « تَقْدِمَةُ شَيْءٍ إِلى شَيْءٍ تأْتي بِهِ متَّسقاً بعضُه فِي أَثر بَعْضٍ مُتَتَابِعًا ... وسَرَد الشَّيْءَ سَرْداً وسرَّده وأَسْرَده : ثقبه »[1]، ويقول : « (حَكَى) عَنْهُ الْكَلَامَ يَحْكِي (حِكَايَةً) وَحَكَا يَحْكُو لُغَةٌ » [2] ، فالحكي هو ما تتابع من الشيء وهو ما يرد على لسان الشخص من كلام له هدف محدد .

– المفهوم الاصطلاحي :

عرف العرب (الحكي) منذ القديم بمعناه الاصطلاحي المتمثل في فعل (الحكي) نفسه ، باعتباره فعلا بدائيا درج عليه العرب كما غيرهم ، فالحكي يرتبط بحياتنا اليومية بشكل شامل وفي أبسط أشيائها، وإن لم نشعر بذلك .

أما من منظور النقد الأدبي فإن الحكي هو « مادة الرواية في العالم الذي يقدّمه النص الروائي ، أي الأحداث والشخصيات والمكان والزمن » [3] ، فإن تجسد الحيز المكاني والزماني

[1] لسان العرب (حكى) ، ج 12 ، ص 954 .

[2] الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: 5، 1420هـ / 1999م ، مادة (حكى) ، 78 .

[3] لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، 77 .

ضمن إطار من الأحداث التي تحركها الشخصيات ، فنحن إذن أمام قصة أو حكاية تحمل في معانيها الإخبار عن حادثة أو مجموعة من الحوادث .

ويقوم الحكي عامة على دعامتين « أولهما أن يحتوي على قصة ما ، تضم أحداثا معينة وثانيتهما أن يعين الطريقة التي تُحكى بها القصة وتسمى هذه الطريقة سردا » [1] ، ويتشكل من خلالها الوعي بالوظائف الإبداعية التي حاول الكاتب تجسيدها ، وإبانتها من خلال عرضه للقصة .

ويمكن أن يظهر الحكي في مختلف النماذج الأدبية من خلال « اللغة المتمفصلة المكتوبة أو الشفاهية ، كما يمكن أن يظهر من خلال خليط منظم من كل هذه المواد ، فهو حاضر في الأسطورة وفي الخرافة وفي حكاية الحيوانات والحكاية الشعبية والقصة القصيرة والملحمة والتراجيديا والدراما والكوميديا والتعبير الجسدي كما لو أن كل مادة صالحة لأن يودها الإنسان حكاياته » [2] .

فكل هذه الأنواع الأدبية ، لا تخلو من حكي يصور أحداثا متوالية ، سواء كانت منطوقة أم مكتوبة ، من الأدب الفصيح أو الأدب العامي ، مما يفيد أن مجال الحكي متسع ، وإطاره ليس مضبوطا بشكل ما أو طريقة ما .

ولقد قام الناقد الروسي فلاديمير بروب[3] بعمل رائد في تأسيس مبادئ الحكي في مؤلفه (مورفولوجيا الحكاية الشعبية) أو : (Morphology of Folktale) ، ويعد (فلاديمير بروب) من الشكلانيين الذين بشروا ومهدوا الطريق للحركة البنائية في النقد، ويتميز بأنه ـــ في المقام الأول ـــ خصص كل أبحاثه لدراسة جنس أدبي شعبي هي الحكاية الخرافية أو حكايات

---

[1] **حميد لحميداني ، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، 45 .**

[2] **سعيد بن كراد ، السيميائيات السردية (مدخل نظري) ، 17 . عن :**

. Roland Barth introduction à l’analyse structurale du récit , seuil , 1977 , 07

[3] **فلاديمير بروب (Vladimir Propp) ، ناقد روسي (1928 – 1970 م) .**

. Roland Barth introduction à l’analyse structurale du récit , seuil , 1977 , 07

الجن ، وترجع أهمية هذه الأبحاث إلى أنها ربما كانت الأولى لوضع قواعد عامة لقص الخرافي الجمعي الذي يعد بالنسبة إلى القص الفردي بمثابة اللغة بالنسبة للكلام على حد تعبير دي سوسير ، باستخراجه للوحدات الأساسية المكونة لمائة حكاية شعبية أسماها وظائف (functions) [1] ، ومن ثم كان له الفضل في تتبع الدارسين لمنهج نقد الحكي بعده .

ومن المعلوم أن الأدبيات السردية عرفت العديد من التطورات انطلاقا من الأبحاث التي أبرزها مشروع الشكلانيين الروس في دراساتهم للظاهرة الأدبية ، وعلى رأسهم بروب .

ثالثا : – القصّ

(narrative)

– المفهوم اللغوي :

القصّ من الفعل (قصّ) يقول ابن منظور : « القَصُّ: أَخذ الشعر بالمِقَصّ ، وأَصل القَصِّ القَطْعُ ، يقال: قصَصْت ما بينهما أَي قطعت » [2] ، ويأخذ معنى الحكي في معناه الآخر ، إذ يعرف القَصُّ هو « فعل القاصّ إذا قَصَّ القِصَصَ، والقصّة معروفة ، ويقال: في رأْسه قِصّةٌ يعني الجملة من الكلام، ونحوُه قوله تعالى: (نحن نَقُصُّ عليك أَحسنَ القصص) ، أَي نُبَيِّن لك أَحسن البيان. والقاصّ: الذي يأْتي بالقِصّة من فَصِّها » [3] ، فالمعنى اللغوي لكلمة (قص) أخذ بعين الاعتبار المعنى المتداول من ذكر أحداث متسلسلة .

---

[1] ينظر : فلاديمير بروب ، مورفولوجيا القصة ، ترجمة عبد الكريم حسن ، سميرة بن عمو ، ط 1 ، 1416 ه / 1996 م ، شراع للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية .

. Roland Barth introduction à l’analyse structurale du récit , seuil , 1977 , 07 .

[2] لسان العرب (قصص) ، ج 41 ، ص 3650 .

[3] المرجع السابق ، (قصص) ، ج 41 ، ص 3650 .

– المفهوم الاصطلاحي :

القصّ هو سرد الأحداث ، ومنه (القصة) التي تُعرف أنها « سرد وقائع ماضية متماسك من حيث الموضوع ، ومؤثر من حيث طريقة العرض الفنية »[1] ، فالأمر يتعلق إذن بأحداث سابقة تتجدد أحداثها بالقص في الزمنا لحاضر ، لاستحضارها ، سواء كانت حقيقية أو وهمية من نسج الخيال .

إذن تعددت وتنوعت المفهومات التي طرقت باب الثقافة النقدية العربية المعاصرة بما تحمله من تميز عن المقولات السابقة ، فنتجت عن ذلك رؤى معاصرة جديدة تنظر للنص بصفة مختلفة ، وتعددت المصطلحات كما رأينا من (سرد وقصّ وحكي) وفي كل هذا كانت البنية الأدبية مركز اهتمام ومحل استقطاب ، وهي المحددة لعلاقة النص بغيره من النصوص .

ولعلنا نتسائل ما علاقة (السرد) بـــ (القص) و(الحكي) ؟ وما الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة ؟

قد يكون انتشار لفظة (السرد) في الدراسات النقدية الأدبية الحديثة ، أكثر فيه من (الحكي) و(القص) ، وبالتالي قد يكون أشمل منهما معا ، لأن الحكي غالبا ما يكون نقلا عن مصدرها ، بينما السرد فأعم من ذلك ويشمل النقل والإبداع معا ، لكن التداخل بين هذه المصطلحات ظاهر جلي ، فالمبدع من خلال محاولته لإنتاج خطاب موجه للآخر ينتبه إلى خصائص النص الأدبي ، وما يميز جنسا أدبيا عن آخر ، ويعد السرد أهم ما يشكل هذا النص الأدبي مهما كان ، لكن السرد من الناحية الأدبية « لا يتشكل في نوع أدبي معين ، فالملحمة قصّ والمقامة قصّ ، والقصة القصيرة قصّ والرواية قصّ كذلك»[2] ، ويتشكل هذا الخطاب السردي « ضمن أنواع نصية و ضمن أنواع أدبية »[3] ، إذا ما عرفنا أن السرد هو « الكيفية التي تروى بها القصة ، وما تخضع له من مؤثرات ، بعضها متعلق بالراوي و المروي له ،

---

[1] **لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، 133 .**

[2] **جمال كديك ، السيميائيات السردية بين ا لنمط السردي والنوع الأدبي ، مجلة السيميائية والنص الأدبي ،: 278.**

[3] **المرجع السابق ، 289 .**

والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها » [1] ، وكثيرا ما يكون الغاية من وراء تحليل الخطاب السردي هي « تحديد المميزات اللسانية والسيميائية وذلك بدراسة وحداته الخارجية المشكلة » [2] ، لهذا الخطاب العام ، بجوانبه المختلفة .

ثم إن وظيفة الحكاية هي قص قصة [3] ، وهنا يبدو تداخل (الحكي) و(القص) ، وكيف أن فعل القص هو جزء لا يتجزأ من بنية الحكاية أيضا .

يبقى أن نتسائل عن طريقة التعامل مع السرديات ستوجه مسارنا وتبين طريقة التعامل مع النصوص التي اخترناها من السيرة النبوية ، فكيف كان منهجنا في التعامل مع النصوص والخطابات الموجودة في السيرة النبوية من حيث التحليل السردي ؟

تختلف الممارسة النقدية عن المنطلقات المنهجية ، ولا تُعتمد حرفيا في الممارسة التطبيقية ، فإذا كان الخطاب هو« طريقة تقديم المادة الحكائية » [4] ، فإن هذا الخطاب يمكن أن يتشكل في اجناس أدبية مختلفة ، بحث نجد أن البناء المعماري له ، يُعتبر الضابط و الموحد لمختلف أجزاء الفعل الإبداعي في مساره العام ، إذ المقصود منه هو : « هندسة النص الداخلية (...) وتعلق كل أجزاء النص بالمناخ العام الذي يطبعه » [5] ، باختلاف نص آخر أو بالأحرى اختلاف جنس أدبي عن آخر ، فالناقد على حد سواء يَنْظُران إلى النص الأدبي بوصفه « أجناسا أدبية أي قوالب عامة فنية » [6] ، بحيث يكون لكل جنس أدبي طابع عام وأسس فنية تميزه عن غيره يتقيد بها المبدع ولا يخرج عن أطرها ولا عن الخيط الرابط بين أجزائها رغم أنها « قد تتغير قليلا في

---

[1] حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،: 45 .

[2] نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ج 2 ، دار هــومة لــلطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 م ، المجلس الأعلى للثقافة ، 155 .

[3] ينظر : جيرار جنيت ، خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، ترجمة : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي ، ط 2 ، 1997 م ، 77 .

[4] سعيد يقطين ، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1997 م ، 28 .

[5] عبد الله راجع ، القصيدة المغربية المعاصرة ، بنية الشهادة و الاستشهاد ،: 1 / 167 .

[6] محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ،: 136 .

اعتباراتها الفنية من عصر إلى عصر ومن مذهب إلى مذهب أدبي آخر » [1] ، وتبقى لها ميزات عامة مشتركة لا تتغير .

فللكاتب الحرية المطلقة في انتقاء موضوعه ، لكنه بمجرد ما يتم اختياره ويبدأ في الممارسة « يتأطر ويشرط نفسه بمستلزمات الجنس الأدبي ويصبح أسيرا له » [2] ، حتى يتم إبداعه ، فلقد أصبح المنهج السائد في دراسة الأدب هو اعتبار العمل الأدبي كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في الاتجاهين الأفقي والرأسي في نظم متعدد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل[3] ، وبناء عليه ، فإن تتبع الناقد لعمل أدبي ما ينتج عنه محاولة الكشف عن الإطار المشترك والموحد لنسيج النص ، بحيث « يحاكي فيه مؤلفه كيفية كتابة معلم فيه » [4] ، وهذا ما نطلق عليه مصطلح (الجنس الأدبي) الذي سننطلق منه للدراسة السردية .

ثم إن طبيعة النص السردي وتعدد النظريات السردية واختلاف الموضوع والمنهج ، أدى إلى تنوع التيارات النقدية ، وتشعبها ، لكن التياران المنافسان في السردية هما : الشعرية السردية والسيمياء السردية [5] .

وإن ما نودّ التأكيد عليه أن أوّل خطوة نحو دراسة سردية الخطاب هي تفكيك وحداته ، بحيث علينا أوّلا « تقطيع السرد وتحديد مقاطع الخطاب السردي بحيث نتمكن من توزيعه إلى عدد قليل من الأقسام » [6] ، وتشريح النص يمكننا من التركيز على المقاطع السردية بصفة تسمح لنا من تحليلها تحليلا دقيقا ، على أن هذا التقسيم لا يكون عشوائيا ، بل ينبغي أن يكون

---

[1] المردع السابق ،: **138** .

[2] **محمد مفتاح ، دينامية النص ،: 163 .**

[3] **ينظر : صلاح فضل ، علم الأسلوب والنظرية البنائية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، 1428 هـ / 2007 م ، 2 / 546 .**

[4] **محمد مفتاح ، إستراتيجية التناص ،: 121 .**

[5] **لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، 108 .**

[6] **رولان بارت ، التحليل البنبوي للسرد ، تر : حسن بحراوي ، بشير القمري وعبد الحميد عطار ضمن (طرائق تحليل السرد الأدبي) ، منشورات إتحاد كتاب المغرب ، ط 1 ، الرباط ، 1992 م ، 14 .**

المعنى هو معيار تلك الوحدة ، ويُعتبر الحافز(motif) وحدة موضوعاتية صغرى مكونة للوحدة السردية الواحدة ، ومنها تتكون شبكة أدوات النص المختلفة ، كما لابد من تحديد الوحدات الوظيفية السردية التي يتكون منها النص إلى غاية أصغر وحدة[1] وهذا ما سنطبقه على النماذج التي اخترناها في السيرة النبوية لاحقا .

أما نقد أي نص من النصوص فيحتاج إلى أدوات منهجية وفق مفاهيم معينة تختلف باختلاف منهج القراءة وتتمَنهج بعدها الرؤيا العام للنص ، لكن التطبيق في كل الأحوال « لا يفي عملا آليا أو تطبيقا حرفيا لهذا المفهوم أو ذاك بل يعني الاستعانة بمعارف مفهومية تضيء سبل البحث » [2] ، لهذا فلن يكون التطبيق حرفيا لما أشرنا إليه نظريا حول السرديات خصوصا وأننا لن نتعامل مع نص واحد ولا جنس أدبي واحد من السيرة النبوية ، مما يجعل عملا مستحيل التحقيق بطريقة متشابهة بالنسبة لكل نصوص السيرة النبوية .

وسنبدأ النصوص المقترحة للتطبيق (النماذج العملية) بدراسة الافتتاحية ، فما من نص إلا وله بداية (استهلالية) تمكننا من الدخول إلى مضمون النص وهذه البدايات « تختلف وفق اختلاف الأجناس الأدبية » [3] ، وهي في كل الأحوال تضيء لنا اللاحق من النص وتمهد لنا الأرضية للانتقال لصلب العمل ، وكثيرا ما يُعنى الكاتب بمطلع عمله الأدبي فيكون بداية معلنة للشروع في سرد تفاصيل منامه ، و من ثم فقد يعمد إلى توجيه انتباه المتلقي .

ثم ندقق في بداية العمل السردي ، خصوصا إن كان من جنس الحكي أو القصة ، وتبدأ القصص في العادة بـــ« عرض الحالة البدئية (situation Initiale) ، هذه الحالة لا تعد

---

[1] **Roland barth , and lionel duidit , an introduction to the strurtucal analysis , of native , new letterary history , vol 6 , n° : 02 .**

[2] **يمنى العيد ، الراوي الموقع والشكل ، بحث في السرد الروائي– مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، 17 . .**

[3] **صدوق نور الدين ، البداية في النص الروائي ، ، ط 1 ، 1994 م ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ص 17 .**

وظيفية إلا أنها تمثل عنصرا مورفولوجيا مهما » [1] ، علما أن الوظائف تمثل العناصر الأساسية في القصة [2]، أي أنها العناصر التي تشكل الحدث .

ثم نقوم باستخراج جميع الوظائف من النص السردي المختار ، والمنتقى من مجموع النصوص السردية في السيرة النبوية ، حسب الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه ، فإن كان قصة ، فإننا نلتزم بالتركيز على العناصر التي لا يخلو منها حكي ، كالحيز المكاني الذي يُعتبر عنصرا رئيسا يلتحم مع مكونات الفعل الأدبي ، فالحدث ينتظم خارج حدود الحيز المكاني وقد « يحيل على موقع جغرافي بعينه من الأرض ، كأن يكون بلدا أو مدينة أو قرية أو حيا أو شارعا أو بناية أو جبلا أو حقلا ... » [3] ، و قد يكون أيضا « مفهوما مكانيا دون أن يكونه على الحقيقة بالمفهوم الجغرافي الصميم » [4] ، ومن هذا المنطلق حاولنا حصر الأمكنة في النماذج المدروسة من السيرة النبوية .

إضافة إلى الزمن الذي يُعد « ضابطا للفعل ، وبه يتم وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه» [5] ، وعند دراسة هذه الخاصية السردية يمكننا « الوقوف ما أمكن على الكيفيات التي يعرض بها السرد انتظامها داخل مجرياتها » [6] ، نظرا لكون الزمن الأدبي نفسه ، و إلى يومنا هذا لم يستطع النقاد والمحللون الحداثيون وضع نظرية زمنية تضبط حركته فلا يعدوها ، وإنما اقتصرت على اجتهادات متقدمة لمحاولة مدارسة الأعمال السردية من حيث زمنها الذي تشمله أحداثها [7] .

كما نولي اهتماما للشخصيا أيضا ، فتشكل النص السردي مهما كان توجهه مرتبط بالشخصية ، فوظيفة الحدث لا تؤتى به وحده ، « وإنما بإيجاد العلاقة بينه وبين الشخصية

---

[1] فلاديمير بروب ، مورفولوجيا القصة ، 43 .
[2] المرجع السابق ، 88 .
[3] عبد الملك مرتاض ،: الأدب الجزائري القديم ،: 166 .
[4] نفسه ، 166 .
[5] محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث ، : منشأة المعارف بالإسكندرية . 113 .
[6] عبد الجليل مرتاض ، البنية الزمنية في النص الروائي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993 م .،: 34 .
[7] ينظر : عبد الملك مرتاض ،: الأدب الجزائري القديم ، 182 .

التي يسند إليها الحدث » [1] ، بل تتعدى ذلك إلى جميع العناصر المجسدة للفعـــل الأدبي فـــ « المكان هو مكان الشخصية والزمن هو زمن الشخصية ، وكل فضاء النص هو فضاء الشخصية » [2] .

فالشخوص « هم الذين تدور حولهم الأحداث ، و هم الذين يقومون بها » [3] ، وليس من السهل على الناقد إدراكها ، فهي تمثل أمامه « جهازا ضخما من الأفكار والعواطف والهواجس واللّواعج والتطلعات والمطامح والقابلية العجيبة للصيرورة في أي مسار غير منتظر ولا مألوف » [4] .

ولا بد لكل نص سردي من خاتمة سردية [5] (narrative closure) تعطي الانطباع بأن السرد أو المتتالية السردية قد انتهت وتمنحها وحدة وتماسكا نهائيين تولد عند المتلقي شعورا بالاكتمال والغائية .

ولك هذه السمات لا تخرج عما يسمى بـــ (الحدث) ، إن النص مهما كان توجهه ، فإن مؤلفه يعتمد على الحدث باعتباره المادة الخام التي تشكل نقطة البداية في خلق عمله الأدبي ، والذي يكون مجسدا في فكرة أساسية ، تلخص اتجاها أو تنم عن هدف ، يظهر للمتلقي عن طريق القص الذي يوسم بأنه « عملية أداء و رواية » [6] ، للحدث نفسه ، الذي يلخص في كونه « اقتران الفعل بالزمن ، وهو عنصر الحركة والتشويق » [7] ، فيتشكل حينئذ المسار الحكائي للفعل الأدبي .

---

[1] عبد الحميد بورايو ، منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1994** م : **62** .

[2] سعيدي محمد ، حركة الشخصية في الرواية ، مجلة الحداثة ، العدد : **03** ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، يونيو **1994** م ،: **151** .

[3] محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث،: **113** .

[4] تحليل الخطاب السردي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، **1995** م ،: **11** .

[5] جيرالد برنس ، قاموس السرديات ، ط **1** ، **2003** م ، ترجمة السيد إمام ، ميريت للنشر والمعلومات ، **126** .

[6] روبرت شولز ، السيمياء و التأويل ،: **07** .

[7] محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث ،: **111** .

ثم إن النص يعتبر فعلا أدبيا يشمل مختلف المعارف الإنسانية يحاول من خلاله المبدع أن يحقق « عملية الإبلاغ التي يتم من خلالها تبادل المفاهيم من متحدث ينتج خطابا موجها إلى متحدث إليه » [1] ، مع فارق في السمات التي تميز جنسا أدبيا عن آخر ، وبالتالي ينتج تواصل فكري يتجسد بين المتلقي و موضوع القراءة.

فبعدما يختار الأديب فنا أدبيا بعينه لا بد له من أن ينتقي طريقته في ممارسة الكتابة للتعبير عن المعاني المقصودة من أجل الإيضاح و التأثير وتبرز هذه الطريقة في « اعتماده على أسلوب محدد وعوالم خاصة يقوم بإنتاجها ويتميز بها » [2] ، سواء أعاد التجربة الكتابية نفسها أو خاض في تجربة أخرى .

وبالتالي يسعى كل مبدع أن يوصل مفهوما أو فكرة للمتلقي بتعبير راق وجميل ما أمكنه ذلك ، ويستخدم لهذا الغرض طرائق تقنية توسم بالأساليب البلاغية « وهي في علم البلاغة العربية تندرج في إطار علوم المعاني والبيان والبديع » [3]، وهو ما يمنح العبارة قوة وتأثيرا حسنا ، ويكون انتقاءها حسب مواطن الكلام .

ثم حينما يرتضي المؤلف نصه الأدبي ويجيزه ، فإنه يصبح قابلا لعملية التلقي من طرف القارئ ، ولن تتم عملية الإرسال والتلقي دون لغة ، فهي وسيلة التفاهم والتخاطب وتبادل مختلف الأفكار ، هنا ، يجد القارىء نفسه أمام جمل لغوية مكونة من مفردات ، فـــ« الكلمة ـــــ الاسم والفعل والصيغة والحرف ـــــ هي المادة الأساسية لبناء أي خطاب لغوي » [4] ، ومن منظور أدق يكون القارئ أمام معجم لغوي وتركيب نحوي أيضا ، بحيث يقوم فيه

---

[1] بشير أبرير ، السيمياء و تبليغ النص الأدبي ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،: **10** .

[2] سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،: **123** .

[3] إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط **2** ، **1996** م : **66** .

[4] محمد مفتاح ، مشكاة المفاهيم – النقد المعرفي و المثاقفة – ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط **1** ، **2000** م ،: **162** .

المعجم « بدور مهم في تركيب الجمل وفي معناها » [1] ، ولهذا كله ، سنحاول العمل على استنباط بعض الخصاص اللغوية العامة للسرد في السيرة النبوية .

دون أن نغفل الحوار الذي إحدى السمات البارزة في العمل القصصي إذ « يتصل برسم الشخصيات » [2] ، ويعبر عنها ، والحوار يكون سمة بارزة في أي حكي ، وهو سبب من أسباب حيوية السرد في الخطاب ، إضافة إلى مساهمته في رسم الشخصيات ويعمل على إبراز أحاسيسها الدفينة وغير الظاهرة وخلق نوع من الاندماج بين الشخصيات التي تسيّر الأحداث ، ويساهم إلى حد بعيد في تطويرها .

وعليه نتناول الآن نظرة عامة عن السرد العام في السيرة النبوية ، بحيث سنعمد إلى توضيح كيفية عرض الرواة والمصنفين لأحداث السيرة النبوية ، وطريقة سردها العام ، فمعلوم أن موضوع السيرة الجوهري هو تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن طريقة تناول هذه السيرة تختلف ، وبالتالي سنبدأ بعرض إجمالي لطريقة سرد الرواة لأحداث السيرة النبوية ، ثم في الفصول الفصليين المواليين ، سنتناول طريقة سرد حدث ننتقيه من السيرة النبوية ونقارن بين مختلف كتب السيرة التي ورد فيها ، وأخيرا نختار نماذج من السيرة النبوية لنطبق عليها المنهج السردي إلى تقسيمه ثلاثة أقسام :

1 – طريقة سرد الرواة لأحداث السيرة النبوية (إجمالا) .
2 – طريقة سرد الرواة لحادثة من سيرة الرسول صلى الله ةعليه وسلم (تفصيلا) .
3 – السرد في الأحناس الأدبية التي ضمتها السيرة النبوية .

[1] محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص – ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1999 م ،: 68 .

[2] إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1996 م : 66 .

رابعا : – طريقة سرد الرواة لأحداث السيرة النبوية :

لقد قيظ الله للسيرة النبوية رواة تناقلوا أحداثها ، ومدونين حفظوا لنا تفاصيلها ، فإذا تتبعنا كتب السيرة النبوية نجدها تختلف من حيث ما تقدمه ، وتسرده من وقائع وأحداث ، فهناك مصنفات اهتمت بالسرد التاريخي لحياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ ولادته حتى وفاته ، مع مراعاة التسلسل الزمني في سرد تلك الأحداث ، وليس من مثال أقرب من ابن اسحاق وسيرة ابن هشام والسيرة النبوية لابن كثير .

ونوع ثان اهتم بسرد الأوصاف الخَلقية والخُلقية للنبي صلى الله عليه وسلم أو ما يطلق عليها اسم (الشمائل المحمدية) مثل كتاب (الشمائل) للترمذي .

وقسم ثالث تناول دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات معجزاته على شاكلة كتاب دلائل النبوة للبيهقي ودلائل النبوية لابن نعيم .

ونوع رابع اهتم بسرد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع إضافة أخبار الصحابة رضي الله عنهم ، ومن هذه الكتب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني ، و(أسد الغابة) لابن الأثير الجزري و(الطبقات الكبرى) لابن سعد .

وقسم اهتم بسرد ما تميز به الرسول صلى الله عليه وسلم عن غيره مثل (كتاب الخصائص الكبرى) للسيوطي . كما تناول هذا النوع من التصنيف حقوق المصطفى مثل كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض اليحصبي ، ونفصل في ما يلي :

1 – السرد التاريخي :

أثناء اطلاعنا على كتب السيرة النبوية للمتقدمين وجدنا أن هناك من اعتمد السرد التاريخي لعرض أحداث السيرة النبوية ، فقام بسرد الأحداث وفق تسلسل تاريخي محكم ، على شاكلة السيرة النبوية لابن هشام ، بحيث نجد ابن هشام قد بدأ بسرد النسب النبوي (ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزَّكِيِّ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم انتقل إلى المولد (وِلَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضَاعَتُهُ) ، معرجا على بقية الأحداث وفق نظام عرض تاريخي متدرج إلى أن وصل إلى سرد (شِعْرُ حَسَّانَ بْنِ ثَابتٍ فِي مَرْثِيَّتِهِ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم) .

يقول في مستهل سرده في بداية السيرة النبوية : « هَذَا كِتَابُ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، وَاسْمُ هَاشِمٍ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ: الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ، (وَاسْمُ قُصَيٍّ: زَيْدُ) بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ » [1] ، وهي بداية منتاسبة للعرض الكرونولوجي للأحداث ، وفق التسلسل المنهجي لها .

2 – السرد الموضوعي :

أ – سرد الأوصاف الخَلقية والخُلقية :

تُعتبر كتب الشَّمائل مصدرا من مصادرِ السيرة النبوية – كما أسلفنا الذكر في مباحث سابقة – ، مع الإشارة أن معظم الأحاديث المتعلقة بشمائلِ الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مبثوثة في ثنايا كتب الحديث النبوي الشريف إذ أفرد لها بعضُ أهلِ الحديثِ كُتُباً وأبواباً في مُصنَّفاتِهم للشمائل المحمدية ، مثلما ورد في صحيح البخاري مثل (كتاب الأدب) و(كتاب الاستئذان) و(كتاب اللباس) وغير ذلك .

أما المصنفات التي أفردت كلية للشمائل وبالتالي قام مؤلفوها بسرد الأوصاف الخَلقية والخُلقية للرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فكانت : (الشمائل) الإمامُ التِّرمذيّ ، وهو من أشهر ما صنف في هذا الباب ، و(الأنوار في شمائل النَّبيِّ المختار) للبغوي ، وغيرهما .

فنحد مثلا الإمام الترمذي (– 279) يأتي على سرد أوصاف للرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الخَلقية والخُلقية في (55) بابا بدءا من (ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم (ما جاء في خاتم النّبوة) وبعده (ما جاء في شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى يصل الترمدي إلى سرد (ما جاء في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

يبدأ سرده بقوله : « حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس

[1] سيرة ابن هشام ، 1 / 1 .

بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض » [1] ، فبدأ الترمذي بالسند أتبعه بالوصف ، وهكذا يواصل سرده إلى نهاية ما وصله من أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم .

ب – سرد الدَّلائل

هذا النوع من كتب السيرة النبوية يتناولُ المعجزات والدَّلائل التي تبين صدقَ نبوة الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، من علاماتِ النُّبوةِ وآياتها ودلائلها وخصائص الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وهي بدورها مصنفة ضمن كتب الحديث في أبواب مخصوصة ، إلا أن المصنفين خصوزها بكتب منفصلة على شاكلة ، ودلائل النبوة لابن نعيم (– 430 هـــ) و (دليل النبوة) للبيهقي (– 458 هـــ) .

فابن نعيم قد سرد علامات النبوة على شكل فصول تضم أحاديث نبوية على شكل أحاديث نبوية ، يقول في مسرد علامات النبوة في الفصل الثالث عشر ذاكرا فيه ما خصه الله عز وجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس واحتيالهم عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَقَوْلُهُ: فَأَسْلَمَ: اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ فَلَيْسَ يَأْمُرُنِي بِشَرٍّ قِيلَ: أَسْلَمَ: أَيْ آمَنَ فَيَكُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخْتَصًّا بِإِسْلَامِ قَرِينِهِ وَإِيمَانِهِ » [2] .

ج – سرد السيرة النبوية مع إضافة أخبار الصحابة

هذا النوع من كتب السيرة النبوية يسرد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع إضافة أخبار الصحابة رضي الله عنهم ، ومن هذه الكتب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (– 230) ، و(أسد الغابة) لابن الأثير الجزري (– 690 هـــ) و(الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني (– 852 هـــ) .

---

[1] **محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، الشمائل المحمدية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 15 .**

[2] **أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق : محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت ، ط 2 ، 1406 هـــ – 1986 م .**

ففي الطبقات الكبرى أفرد ابن سعد القسم الأول من مصنفه للسيرة النبوية ، ثم أعقبها بقسم ثان يشمل معظم الكتاب ، ويضم تراجم للصحابة والتابعين ، مصنفين على خمس طبقات ، وقد اتبع في عرض السيرة النبوية عرضا تاريخيا متعاقبا .

د – سرد الخصائص

هذا القسم اهتم بسرد ما تميز به الرسول صلى الله عليه وسلم عن غيره مما انفرد به من خصائص صلى الله عليه وسلم ، وهو ما اختص بها في ذاته في الدنيا ، ومنها ما اختص بها في ذاته في الآخرة ، ومنها ما اختصت به أمته في الدنيا ومنها ما اختصت به أمته في الآخرة ، مثل (كتاب الخصائص الكبرى) للسيوطي (- 911 هـ) ، أو كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض اليحصبي (- 544 هـ) .

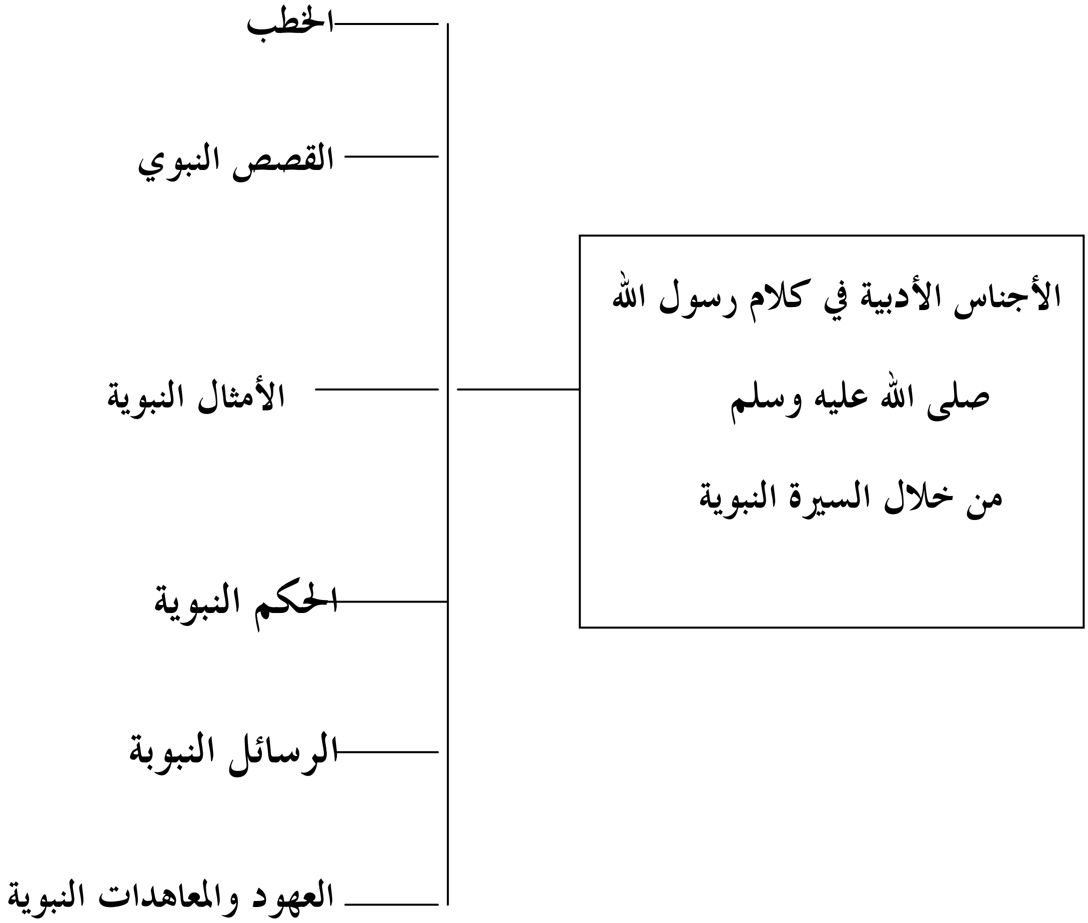
الفصل الثاني

في سردية السيرة النبوية المنثورة

لقد تعددت المصطلحات النقدية وتنوعت وأبانت البحوث والدراسات على وجود مناهج مختلفة يُدرس بها النص الأدبي ويحلل ، ومبعث تعدد هذه الاتجاهات النقدية التي تتناول الأجناس الأدبية بالتقويم ، هو طبيعة هذه الأعمال ، ونسعى في هذا الفصل إلى تطبيق النظريات السردية على الخطابات المختلفة التي نتبينها لاحقا .

ويعد السرد (narration) من أكثر المناهج شيوعا بين الأوساط الأدبية بعد دخول المصطلحات السردية للنقد القصصي والروائي ، ليس هذا فحسب ، بل إن بنية المرويات السردية العربية القديمة عموما تمثل « شبكة تجميعية معقدة من الوحدات السردية ذات الجذور المختلفة وأنها بدورها تتناسل وتتكاثر وتتبادل المكونات في ما بينها ، ويقترض نوع من نوع » ، سواء تحدثنا عن المؤلفاتا لكتابية الفصيحة أو تلك المروية.

وبالتالي سنسعى في هذا الفصل أن نختبر على محك نصوص الأجناس الأدبية الموجودة في السيرة النبوية ، مختلف مقولات الخطاب السردي من أجل رصد البنى السردية التي تحكمها ، ومن أهم الأسباب التي حملتنا على ذلك أن الأقلام الأكاديمية لم تتجه نحو السيرة النبوية من هذا الباب ، إذ لا توجد – حسب اطلاعنا — دراسة مستقلة تعرضت للأجناس الأدبية الموجودة في السيرة النبوية بالتحليل السردي ، في حين كان الاهتمام مركزا على الاستنباطات الدينية وما شاكلها ، ومن ثم حاولنا في البدء تحديد مختلف الأجناس الأدبية من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي لم نجدها تخرج عن الأنواع التالية:



كما مرّ بنا فإن السرد هو عملية إنتاج لنص مروي ، وفي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أجناس أدبية تتفاوت طريقة تحليلها بالمنهج السردي ، فمثلما هناك القصة التي تقترب أكثر من مبادئ التحليل السردي ، فإن هناك أجناس أدبية أخرى لا تحتمل كل المنهج على شاكلة الأمثال والحكم النبوية.

ومن ثمة يمكن النظر إلى بناء هذه النصوص في سياق الإجراء السردي بحيث نتناول كل جنس أدبي بما يناسبه من الأدوات الإجرائية ، ويكون هذا من خلال التوقف عند المستويات المختلفة بالنظر إلى مميزات الجنس الأدبي المختار.

كما سيقتصر التطبيق على انتقاء جملة من النصوص النبوية تنوب واحدة عن مثيلاتها من نفس النوع الأدبي ، وبما أن المنهج السائد في دراسة الأدب هو اعتبار العمل الأدبي كلا مكونا من عناصر مختلفة متكاملة في ما بينها على أساس مستويات متعددة تمضي في الاتجاهين الأفقي

والرأسي في نظام متعدد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل » ، ثم إن اللغة الأدبية لا يمكن بأي حال من الأحوال تحليلها منفردة عما يحيد بها لأن « الاقتصار على مستوى واحد سيعمل على تغييب العديد من عوالمها الفنية الجمالية » ، وبهذا الطرح ، فإننا سنقف على أهم القوالب الشكلية التي تمظهرت فيها لغة خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال سيرة ابن هشام .

ومن ثمة سنقوم بالتحليل وفق الإطار الداخلي والخارجي للنص المنتقى على حد سواء ، والبدء يكون من : الإطار الخارجي للنص ، والبيئة التي ولد فيها والمناسبة التي قيل فيها ، فكل نص وليد حادثة معينة أو نتاج ظروف محددة وهي خطوات من شأنها أن تحيلنا إلى المرحلة الموالية بوضوح أكثر وهي التحليل الداخلي للنص.

فمن الخطب انتقينا (خطبة الوداع) ، ومن القصص النبوي اتقينا (...) ، ومن الرسائل النبوية فضلنا (...) ، أما الحكم والأمثال فاخترنا جملة منها لأنها مختصرة ولا يمكن الاقتصار على مثال واحد منها.

ولأن كلام النصوص المطبق عليها ليست إبداعا عاديا ، إنما هي وحي يوحى ، فكان لا بد من تناول فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلاغته ، وأن نفرد عنوانا لهذا الجانب باعتباره سيساعدنا في فهم البنى الداخلية للنصوص المدروسة.

أولا: بلاغة رسول الله ﷺ

إن الرسول ﷺ لا يتحدث إلا بما أمر بتبليغه وقوله ، يقول تعالى في هذا الجانب من شخصية رسول الله ﷺ « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) » [1] .

[1] النجم : 1 – 4 .

ولقد كانت بلاغة رسول الله ﷺ مضرب المثل ومحل إعجاب من سمع كلامه أو قرأه فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم ، وهو القائل ﷺ: « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي » [1] .

فإن كان العرب معروفون على مر التاريخ بمكانتهم في فنون القول وحسن التبليغ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فاقهم جميعا، فتصدر فصحاء العرب بحسن اللفظ وتناسق الكلام ودقة التعبير، و لم يكن ﷺ يهتم بالشكل دون المعنى بل كان يجمع بينهما.

يقول الجاحظ عن فصاحة رسول الله ﷺ وطريقته في الكلام دون تكلف « ...عابَ التشديق ، وجانب أصحاب التعقيب ، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيَّ، ورغِبَ عن الهجين السُّوقيّ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ، و لم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويُسِّرَ بالتوفيق، وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زَلّت به قَدَم، ولا بارَتْ له حجَّة، و لم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق، ولا يستعين بالخِلابة ، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمِز ولا يَلْمِز، ولا يُبْطِيءُ ولا يَعْجَل، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر، ثم لم يَسْمع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً، ولا أقصَدَ لفظاً ، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أكرَم مطلباً، ولا أحسنَ موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوَى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً » [2] ، هكذا كان ولا يزال كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مفخرة اللغة العربية في كل زمان ، مما جعله موضع دراسة مستفيضة ، تناولها العلماء والأدباء والدارسين ، بالبحث والتحليل والتعليق .

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، 4 / 54 .

[2] الجاحظ ، البين والتبيين ، 2 / 13 .

ثانيا: السرد الأجناس الأدبية في السيرة النبوية

1- السرد الخطابة [1] النبـــوية:

لقد أثبت القرءان الكريم كون رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم والمبشر والهادي لطريق الحق ، يقول تعالى : « ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ » [2] ، فهديه عليه الصلاة والسلام شمل الكبير والصغير ، المرأة والرجل ، كل فئات المجتمع ، فنعم المربي ونعم القدوة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ومن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم التعليمية أنه كان رءوفا رحيما « لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ » [3] ، والرأفة تستوجب توجيه الخطاب بحكمة ورحمة ، بطريقة تستميل الغير ولا تكون أمرا صريحا ينفر ولا نهيا لاذعا يبعد المتلقي عن قصد الباث .

إنها وسائل الدعوة إلى الله بمختلف صورها ، شهدناها مع معلم البشرية عليه الصلاة والسلام ، ولعل عبد الفتاح أبا غدة قد أجمل أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم [4] وعدّها أربعين أسلوبا ناجحا .

ومن الأساليب التي استخدمها عليه الصلاة والسلام في دعوته ، توصيل الفكرة للناس عن طريق الخطابة ، التي تعد « خير ما يستعين به الدعاة والأنبياء والمصلحون في الدعوة إلى

---

[1] تعريف الخطابة ، تحدثنا عنه في فصل سابقة .

[2] الجمعة : 02 .

[3] التوبة : 128 .

[4] ينظر : الرسول المعلم صلى الله وعليه وسلم ، وأساليبه في التعليم ، عبد الفتاح أبو غدة .

مذاهبهم وعقائدهم لكونها الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات والتأثير فيها واستمالتها » [1] ، كما لها شأن جليل في الإسلام ، فقد اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة لنشر الدين الإسلامي وتبليغه بين المشركين ، وأصبحت في ما بعد أداة لتوضيح الدين القويم وتعاليمه ، وهنا نشير إلى أنه من المؤسف كثيرا أن « جل خطب الرسول عليه السلام قد فقد ولم يصلنا إلا أجزاء من بعض خطبه » [2] ، وما بقي منها نجده مبثوثا في كتب الحديث والسير والمغازي .

وفي ما يلي مختلف الخطب التي ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر سنوات دعوته للإسلام وتثبيت المسلمين على دينهم ، وهي مما وصل إلينا:

التسلسل الزمني للخطب	الخـــطبـــة
1	أول خطبة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
2	خطبة يوم فتح مكة
3	خطبة عامة
4	خطبة عامة
5	خطبة عامة
6	خطبة عامة
7	خطبة بالخيف
8	خطبة عامة
9	خطبة أول خطبة له صلى الله عليه وسلم بالمدينة

[1] إحسان النص ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، دار المعارف ، مصر ، **40** .

[2] نفسه ، **30** .

10	خطبة في أول جمعة جمعها بالمدينة
11	خطبته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في خطبة الوداع
12	خطبته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في مرض موته

وقد تناول رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم في الخطب المشار إليها شتى أمور الحياة اليومية للمسلم ، وهذه الخطب مبثوثة في كتب الحديث النبوي الشريف وكتب المغازي والسير [1] .

ولقد انتقينا من مجموع خطبه عليه الصلاة والسلام خطبة الوداع لنطبق عليها المقولات السردية المذكورة سابقا ، ونورد النص الكامل للخطبة المأخوذة من سيرة ابن هشام ، كما وردت ولكننا لم نجد افتتاحية ولا ختاما للخطبة في سيرة ابن هشام ، فعدنا للبحث عنها في المصادر العربية القديمة ، ووجدناهما في البيان والتبيين للجاحظ وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، وقد اعتمد عليها أحمد زكي صفوت [2] في جمعه لمختلف خطب العربية في عصورها المختلفة .

أما ما ورد في سيرة ابن هشام فكان كما يلي :« قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : « ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى حَجّهِ فَأَرَى النّاسَ مَنَاسِكَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجّهِمْ وَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ الّتِي بَيّنَ فِيهَا مَا بَيّنَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ :

---

[1] قام أحمد زكي صفوت ، بجمع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن كتابه : (جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة) ، 1352 هـ / 1933 م ، ج 1 ، العصر الجاهلي – عصر صدر الإسلام ، ط 1 .

كما قام مجدي محمد الشهاوي بجمع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم منفصلة باسم (خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتبة التوفيقية .

[2] ينظر : أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، / 57 – 58 – 59 .

أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا ؛ أَيّهَا النّاسُ إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلّغْت ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللّهُ أَنّهُ لَا رِبَا ، وَإِنّ رِبَا عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ وَأَنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنّ أَوّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيّةِ . أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ أَيّهَا النّاسُ إنّ النّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلّونَهُ عَامًا وَيُحَرّمُونَهُ عَامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللّهُ فَيُحِلّوا مَا حَرّمَ اللّهُ وَيُحَرّمُوا مَا أَحَلّ اللّهُ وَإِنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ ، الّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ . أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّا ، وَلَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ وَعَلَيْهِنّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وَكُسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنّهُنّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنّ شَيْئًا ، وَإِنّكُمْ إنّمَا أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَاتِ اللّهِ فَاعْقِلُوا أَيّهَا النّاسُ قَوْلِي ، فَإِنّي قَدْ بَلّغْت ، وَقَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيّنًا ، كِتَابَ اللّهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ . أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ تَعَلّمُنّ أَنّ كُلّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَأَنّ الْمُسْلِمِينَ إخْوَةٌ فَلَا يَحِلّ لِامْرِئِ مِنْ أَخِيهِ إلّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَلَا تَظْلِمُنّ أَنَفْسَكُمْ اللّهُمّ هَلْ بَلّغْت ؟ فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اللّهُمّ اشْهَدْ» [1] .

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، **2** / **603** .

وهذه مقدمة خطبة الوداع : « إن الحمد للهِّ نَحمده ونَستغفره ونَتوب إليه؛ ونعوذ بالله من شرُور أنفسنا، ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهْد اللّه فلا مُضِلِّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له وأَشهد أن لا إله اللّه وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه. أُوصيكم عبادَ اللهّ بَتْقوى اللّه، وأَحثُّكم على طاعته، وأَسْتَفْتح بالذي هو خير. » [1] .

وهذه خاتمة خطبة الوداع والتي جاءت كما يلي: «والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته » [2] .

- **طريقة العمل على الخـــطبة :**

كل خطبة تحكمها مجموعة من الأطر لا تفهم إلا بتوضيحها ولا تدرس إلا بالرجوع إليها ، والمقصود بالإطار في بحثنا هذا هو المعارف المستنبطة من الخطبة ، وتختلف الأطر التي تدرج تحتها الخطبة الواحدة وتتعدد من الإطار الإنساني والسياسي والاجتماعي والكوني والديني وكلها تحت مسمى السمات الفكرية للخطابة .

وكل خطبة مؤطرة بزمان ومكان ولها مناسبة ارتبطت بها ويعد الحديث عن هذه الأطر تمهيدا منهجيا لفهم الخطبة وحيثياتها ، أما السمات الفنية فهي التي تعبر عن فصاحة الخطيب أو الوصي والمتمثل في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

- **الإطار العــــــام :**

1 – مناسبة النص / المكان / الزمان / جو الخطبة :

ألقى الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته في حجة الوداع يوم عرفة من على جبل الرحمة بعد نزول الوحي بتمام الدين واكتمال الرسالة ، « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأِسْلاَمَ دِيناً » [1] ، في غمرة انتصار المسلمين بفتح مكة .

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، 2 / 22 .

[2] المرجع نفسه ، 2 / 24 .

في هذه الأجواء الإيمانية يوم الحج الأكبر وجه الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته الخالدة الجامعة لجوانب الحياة الإنسانية مادة وروحا ، وكأنها كانت لقاء توصية ووداع لقاء رسول بأمته .

- **دراسة نص خطبة الوداع :**

في ما يلي دراسة مستفيضة لعناصر الخطبة من المقدمة والعرض فالخاتمة :

النـــــــص

1 – المقدمة (الاستفتاح)   2 – العرض (الموضوع)   3 – الخاتمة

وهذه الوحدات المقترحة حينما نطبقها على الخطبة نخرج بالتقسيم التالي :

القسم الأول : _(الاستفتاح / المقدمة / الافتتاحية)

إن الحمد للّه نَحمده ونَستغفره ونَتوب إليه؛ ونعوذ باللّه من شرُور أنفسنا، ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهْد اللّه فلا مُضِلِّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له وأَشهد أن لا إله اللّه وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه. أُوصيكم عبادَ اللّه بَتْقوى اللّه، وٍ أَحثُّكم على طاعته، وأَسْتَفْتح بالذي هو خير .

القسم الثاني : – المتـــــــن / العرض / الموضوع –

ويتكون هذا القسم من تسع وحدات جزئية تمثلت في :

الوحدة الأولى :

أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا

الوحدة الثانية :

---

[1] المائدة ، 103 .

أَيّهَا النّاسُ إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلّغْت .

الوحدة الثالثة :

فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللّهُ أَنّهُ لَا رِبَا ، وَإِنّ رِبَا عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ وَأَنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنّ أَوّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيّةِ .

الوحدة الرابعة :

أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ

الوحدة الخامسة :

أَيّهَا النّاسُ إنّ النّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلّ بَهْ الّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلّونَهُ عَامًا وَيُحَرّمُونَهُ عَامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللّهُ فَيُحِلّوا مَا حَرّمَ اللّهُ وَيُحَرّمُوا مَا أَحَلّ اللّهُ وَإِنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ ، الّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

الوحدة السادسة :

أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّا ، وَلَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ وَعَلَيْهِنّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وَكُسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنّهُنّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنّ شَيْئًا ، وَإِنّكُمْ إنّمَا

أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَاتِ اللّهِ فَاعْقِلُوا أَيّهَا النّاسُ قَوْلِي ، فَإِنّي قَدْ بَلّغْت .

الوحدة السابعة :

وَقَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيّنًا ، كِتَابَ اللّهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ .

الوحدة الثامنة :

أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ تَعَلّمُنّ أَنّ كُلّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَأَنّ الْمُسْلِمِينَ إخْوَةٌ فَلَا يَحِلّ لِامْرِئِ مِنْ أَخِيهِ إلّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَلَا تَظْلِمُنّ أَنَفْسَكُمْ اللّهُمّ هَلْ بَلّغْت ؟

الوحدة التاسعة :

(فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ)

اللّهُمّ اشْهَدْ

القسم الثالث : **(الخاتمة / القفل السردي)**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن أول ما نحاول رصده هنا هو حجم الوحدات السردية الأساسية في الخطبة ، فبالنظر لحجم المقدمة والعرض والخاتمة ، نجد أن العرض قد حظي بالنصيب الأوفر وهو الأمر المنطقي ، ثم تليه المقدمة ، فالخاتمة.

تحليل القسم الأول (الاستفتاح – المقدمة – الافتتاحية) :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مستهلا خطبته : « إن الحمد للّه نَحمده ونَستغفره ونَتوب إليه؛ ونعوذ بالله من شرُور أنفسنا، ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهْد اللّه فلا مُضِلِّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له وأَشهد أن لا إله اللّه وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه. أُوصيكم عبادَ اللّهْ بَتْقوى اللّه، و أَحثُّكم على طاعته، وأَسْتَفْتح بالذي هو خير . » .

وكما هو ملاحظ فهذا القسم يضم بنيتين سرديتين ، هما :

البنية السردية 1 : إن الحمد للّهِ نَحمده ونَستغفره ونَتوب إليه؛ ونعوذ بالله من شرُور أنفسنا، ومن سَيئات أعمالنا، مَن يَهْد اللّه فلا مُضِلِّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له وأَشهد أن لا إله اللّه وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه.

البنية السردية 2 : أوصيكم عبادَ اللّهِ بَتْقوى اللّه، و أَحثُّكم على طاعته، وأَسْتَفْتح بالذي هو خير.

ففي هذه المقدمة ، وبدأ بالبنية السردية الأولى لها ، أثنى الرسول ﷺ على رب العباد وطلب منه العون ورجا منه المغفرة واستعاذ به مما توسوس به النفس وما تعمله من الخطايا فإنه تعالى إذا هدى عبده فلا سبيل إلى إضلاله ومن فقد هداية ربه فلن يجد من يهديه سبيل الرشاد والاستقامة ، ثم أقر بوحدانية الله ناطقا بالشهادة ، وأقر أنه عبد الله ورسوله.

ثم انتقل الرسول ﷺ من الدعاء والثناء على الله والشهادة بوحدانية الله عز وجل إلى التوجه نحو السامعين ابتداء ولكل المسلمين من بعد ذاك الموقع بتقوى الله والمواظبة على طاعته والابتعاد عن المعاصي والمحرمات .

والافتتاح كما هو معلوم « أول ما يلقى الخطيب به الجماعة فإن وقع من نفوسهم موقع القبول كانت الخطبة غالبا على قراره ، واستطاع أن يصل إلى قلوبهم ، وإن لم يصادف قبولا صعبت الحال واحتاج الأمر إلى خبير بأحوال النفوس ، » [1] ، وللخطباء مذاهب في افتتاحياتهم للخطب ، بتنوع خصائصهم البيانية والنفسية وحتى باختلاف العصور .

ومن ثمة فقد « سار جماعة من الخطباء على صيغة محددة لافتتاح خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء فجعلوا افتتاح خطب الجمع بالحمد والثناء وجعلوا افتتاح العيدين بالتكبير وافتتاح

[1] **محمد أبو زهرة ، الخطابة (أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ط1 ، 1353 هـ / 1934 م ، 108 .**

الاستسقاء بالاستغفار » [1] ، وهذا ما نهج عليه حتى الخطباء في العصر الحديث ، حتى وإن صغر حجم الافتتاحية ، باختلاف نوع الخطبة .

والرسول ﷺ اختار ما يناسب هذه الخطبة الجامعة وما يناسب ذاك التجمع الإسلامي الأخير الذي جمعه بالمسلمين .

○ وقفات مع البنية السردية لافتتاحية الخطبة :

تستوقفنا خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنستنبط منها لمسات متفرقة لا يخلو منها الخطاب المحمدي وهو صاحب البيان المشهود له بالتميز ، ومما أثار انتباهنا ، تصريحه عليه الصلاة والسلام باسمه في قوله (أشهد أن محمدا رسول الله) مما يشعر المتلقي بتواضع خير خلق الله وابتعاده عن الزهو بالنفس والافتخار بالمكانة ، وفي نفس الوقت توجيه الأمة كافة لهذا الأمر العظيم ، مثل ذلك أيضا ، تقديمه للفظ (عبد) على لفظ (رسول) حين قال (أشهد أن محمدا عبده ورسوله) تأكيدا منه عليه الصلاة والسلام على بشريته وإذعانه وانقياده لخالقه ، وبين السطور نقرأ توجيها نبويا لعدم الافتتان به عليه الصلاة والسلام ، وهو القائل: « لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ» [2] ، فلا ينبغي الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه مثلما ادعى النصارى الألوهية لعيسى عليه السلام .

وكما يبدو لنا أن الافتتاحية قد حملت تشويقا لما يأتي بعدها في المتن ، فحينما يقع في سمع المتلقي عبـــارة (أوصيكم عباد الله) فإنه يتشوق لم سيُلقى عليه ، وكذا في قوله (أحثكم على طاعته) يضاف إليها توظيفه عليه الصلاة والسلام لعبارة (استفتح بالذي هو خير) .

---

[1] الشامل في فقه الخطابة والخطيب ، سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم ، دار الوطن للنشر ، ط 1 ، 1423 هـــ / 2003 م

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) [مريم: 16] ، (3445) ، 4 / 167 .

كما أن رسول الله ﷺ لم يعرض نبرة الأمر والنهي إلا في نهاية البنية السردية الثانية ، احتـــراما للتدرج المنطقي الذي يفرض التمهيد للكلام قبل النصح والإرشاد ، وتوجيه الكلام أمرا ونهيا .

وفي إطار آخر فعلى الخطيب أن يكون على قدر من الفصاحة وحسن البيان ، فلا إفراط ولا تفريط ، وهذا ما نجده في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً، وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةَ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ » [1] ، ويذكر أبو حامد الغزالي في أثناء سرده لآفات اللسان « التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات ، وما جرى به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ، وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت » [2] ، وليس أدل على فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الخطبة التي سجلت حضورها بين الخطب التراثية .

تحليل القســـــم الثاني – العـــــرض –

الوحدة السردية الأولى : أَيُّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا.

الوحدة السردية الثانية : أَيّهَا النّاسُ إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلّغْت.

الوحدة السردية الثالثة : فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللّهُ أَنّهُ لَا رِبَا ، وَإِنّ رِبَا عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ وَأَنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنّ أَوّلَ دِمَائِكُمْ

[1] الترمذي ، جامع الترمذي ، (2018) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلَاقِ ، 4 / 370 .

[2] الإمام أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا سماراغ ، إندونيســيا ، ج3 / 116 .

أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ .

الوحدة السردية الرابعة : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ

الوحدة السردية الخامسة : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهْ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

الوحدة السردية السادسة : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكُسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي ، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْت .

الوحدة السردية السابعة : وَقَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيِّنًا ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ .

الوحدة السردية الثامنة : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ تَعَلَّمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَلَا تَظْلِمُنَّ أَنَفْسَكُمْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْت ؟

الوحدة السردية التاسعة : (فَذُكِرَ لِي أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

يبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام موضوع الخطبة بتوجيه الكلام للمجتمعين بعرفة وعن طريقتهم رسالة موجهة لكافة المسلمين في كل مصر وعصر ، هذا النداء أثار به الانتباه ليستميل المستمعين ، فقد يكون آخر لقاء .

ثم بين حرمة الدماء والأموال ، موضحا ضرورة رد الودائع إلى أصحابها وإلغاء الربا ، ووضع ما سفك من دماء قبل الإسلام .

بعدها يخاطب الرسول ﷺ المجتمعين مبينا كيف يئس إبليس وجنوده من السيطرة على المسلمين ، ومحذرا في نفس الوقت من الصغائر التي كثيرا ما يحتقرها الناس .

ثم يتوجه الرسول ﷺبالحديث عن تحايل العرب في تأخير حرمة الشهر الحرام إلى شهر آخر للاستمرار في القتال مما يدخل في دائرة تحليل ما حرم الله تعالى ، ثم ذكر بثبوت الشهر الاثني عشر منها أربعة حرم .

وأفرد الرسول ﷺ حيّزا من خطبته لتقرير حقوق النساء على الرجال وواجباتهن فإن خالفنها فلا مناص من علاجها بالهجر والضرب غير المبرح ، فإن استقامت أمورهن فعلى أزواجهن النفقة والكساء ، ويجدد الرسول صلى الله عليه وسلم التوصية على النساء خيرا .

ثم يأتي الرسول ﷺ للتأكيد على ضرورة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن اعتصم بهما فلن يضل أبدا ، لينتقل بعدها عليه الصلاة والسلام للتشديد على رابطة الإسلام التي تجمع المسلمين مع التأكيد على حرمة مال الفرد المسلم ما لم يكن بمحض الإرادة ، لينهي الرسول صلى الله عليه وسلم موضوع الخطبة بـــدعاء يسأل الله فيه أنه قد بلغ أمانته .

إذن ، لقد جرت هذه الوحدات السردية وفق أقسام يمثل كل منها موضوعا شبه مستقل عن الآخر ، ولا رابط بينها ، كوننا يمكن أن نتوسع في كل فكرة دون أن تتداخل مع الأخرى.

والملاحظ أيضا أن القسم الأكبر من الوحدات السردية تعلق بالمرأة وحقوقها في الإسلام والتوصية عليها ، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي سما بالمرأة وأعلى قدرها ومكانتها وأعطاها

كامل حقوقها ورد لها كرامتها بعدما أشرف الجاهليون في كراهيتها والنيل منها واعتبارها عارا يجب التخلص منه .

ومما يسترعي الانتباه مخاطبة الرسول ﷺ الجمع في عرفة بقـــوله (أيها الناس) وعدم توظيف لفظ آخر مثل (أيها المسلمون / المؤمنون / الحاضرون /...)

مما يفيد أن الكلام موجه للبشرية جمعاء برسالة إنسانية سامية .

وميزة أخرى نخلص إليها ، هي أن السمة التي تطبع أسلوب الخطبة هي انضوائه تحت ما يسمى (النثر الفني) بتوفر الأدوات الفنية من لغة منتقاة واستعانة بالتصوير الفني ، ومن ثمة فقد نجحت عملية التواصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المخاطبين ، فالباث والمتلقي شريكان في عملية التواصل ، كما أن استمالة المتلقي تعتمد على تميز قطبين أساسيين « يمكن تسميتهما بالقطب الفني artistic والقطب الجمالي aesthetic ، فالقطب الفني هو نص المؤلف والقطب الجمالي المتحقق الذي ينجزه القارئ » [1] .

تحليل القســـــــم الثالث – الخاتمـــــة –

لقد ذيل الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته بقوله: (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، وهي خاتمة مناسبة باعتبارها تحية الإسلام التي نبدأ بها الكلام وننهيه ، وهي صفة ميزت معظم الخطب النبوية ، بل غالبية الخطب حتى في عصرنا الحديث ، لأنها تحية الإسلام التي من المفروض أن نبدأ بها الكلام وننهه .

فهذه الوحدة السردية إذن مختصرة مناسبة كخاتمة للخطبة ولهذا المقام الذي جمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من خلال مخاطبة الحجاج يوم الحج الأكبر .

[1] سوزان روبين سليمان ، إنجي كروسمان ، ترجمة : حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، مارس 2007 م ، 129 .

خصائص بلاغية عامة لخطبة الوداع :

وهذه بعض الميزات البلاغية في متن خطبة الوداع للرسول ﷺ، إذ لنا مع بيان رسول الله ﷺ وقفة بحيث سنتلقف مختلف الصور البيانية ، التي تكون صورا مبتدعة نجدها وقد « عقدت صلة بين أمرين قد لا تكون بينهما في الواقع أية صلة ، وهذه الصور تتمثل في خيال المنشئ مرتبطة بثقافته ورؤاه وتجاربه » [1] ، مثل ما وجدناه ماثلا في خطبة الوداع ، من استعارة مكنية في ﷺ : (اللّهُ وَإِنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ) فالزمان لا يستدير ، وإنما شبهه ﷺ بالانسان الذي يدير وجهه أو رأسه ، للدلالة على عودة ما كان منتشرا أيام الجاهلية ، وقال أيضا (كُلّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ) على سبيل التشبيه البليغ ، بحيث شبّه المسلم بعلاقته مع المسلم كالأخوة من النسب.

ومن الخصائص البلاغية التي تميزت بها مقدمة الخطبة تنوع الأساليب بين الخبري والإنشائي ، ومعلوم أن البلاغيين قد أجمعوا على أن في اللغة العربية أسلوبا خبريا وآخر إنشائيا، ووجه الحصر بينهما [2] أن الكلام إذا احتمل الصدق والكذب لذاته ، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب ، سمي كلاما خبريا ، والمقصود بالصادق في هذا التعريف هو مطابقة الخبر أو الكلام للواقع والكاذب ما كان عكس ذلك ، أما الأسلوب الإنشائي فهو الأسلوب الذي « لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ولا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به، والأساليب الإنشائية لا تكاد تخرج عن تسعة أقسام هي الأمر والنهي والاستفهام والدعاء والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنداء.

ويمكننا التمييز في هذه الخطبة النبوية بين نوعين من التكرار ، تكرار بسيط والمتمثل في تكرار اللفظ أو الكلمة في السياق مما يعبر عن جو الخطبة مثلما ما مر بنا أعلاه .

---

[1] محمد مصطفى هدارة ، في البلاغة العربية (علم البيان) دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، 1409 هـ / 1989 م ، بيروت ، لبنان، 06.

[2] **ينظر : عبد السلام هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ، مكتبة الخانجي ، 2001 م ، 13 .**

ونمط آخر نلحظه تمثل في تكرار مركب، شمل تكرار جمل بعينها سواء تكرار حرفي للعبارة مثل ، وفي مرات أخر تكرار العبارة مع صياغتها عن طريق التقديم والتأخير أو الحذف والإضافة.

وقد تمكن الرسول ﷺ من إقناع السامعين في خطبته ووصل بذلك الهدف أو الغاية التي تلتمس الخطابة تحقيقها

ونستدل على ما دكرنا بالأمثلة التالية:

خصائص التعبير النبوي	من نص الخطبة		تكرارها	السر البلاغي في التوظيف
البدء بالجمل الاسمية	الحمد لله نحمده		/	الرتابة والتأكيد على الكلام
التكرار البسيط	لفظ الجلالة (الله)		6 مرات	التعبير عن جو الخطبة ومراعاة المقام
	الضمير العائد على لفظ الجلالة		9 مرات	
	أشهد		مرتين	
استخدام طريقة القصر	لا إله إلا الله وحده		01	دفع الشك وإثبات اليقين بوحدانية الله بقصر صفة الألوهية على الذات الإلهية
الإثبات بالمؤكدات (إن)	أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله		02	لترسيخ الفكرة في النفوس
أحرف العطف	الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه …		10	لاشتراك ما بعدها بما قبلها في الحكم وخصوصا الواو الذي أدى وظيفة الاشتراك المطلق بين المتعاطفات .
الحقل المعجمي (ديني)	الله ، الحمد ، الاستغفار ، التوبة ، الطاعة ، التقوى .		18	التأكيد على مراقبة الله والعودة إليه في كل شيء .
ألوان البديع	طباق إيجاب (معنوي)	يهد ، يضلل	01	تحسين المعنى وتوضيح الدلالة

	جناس الاشتقاق (لفظي)	يهد ، هادي مضل ، يضلل	02	
	مقابلة (معنوي)	من **يهده** الله فلا **مضل** له ، من **يضلل** فلا **هادي** له	01	
	فاصلة سجعية (لفظي)	من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له	01	تحسين اللفظ وزخرفة المبنى (التحسين الشكلي)
الأساليب الخبرية		كل الافتتاحية خبرية	/	
الأساليب الإنشائية	النداء	(يا) عباد الله	01	جلب انتباه السامعين لما يأتي من كلام

2- السرد في الرسائل [1] النبـــوية

بعد انتشار الإسلام ، راح الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ينشر الدين الإسلامي ويقوي الصرح الإسلامي ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والرقة واللين ، حيث بدأت هذه السلسلة من الرسائل والعهود قبل الهجرة ثم بعدها ، فأرسل إلى القبائل والأشخاص وإلى الملوك والقياصرة على شاكلة هرقل وكسرى أبرويز والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس عظيم القبط وغيرهم .

[1] **مفهوم الرسائل ، يراجع في الفصول السابقة .**

وسجلت المظان القديمة الكثير منها ، مثل كتب السيرة النبوية ، وقد وقفنا على كتابين حاول فيهما الباحثان أن يجمعا هذه الوثائق النبوية ، أولها : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة[1] ، لمحمد حميد الله، وكذا جمهرة رسائل العرب[2] لأحمد زكي صفوت .

ونورد مجموع الرسائل والعهود النبوية ، في الجدول التالي مستعينين بالمرجعين المذكورين ، ومثبتين وجود العهد من عدم وجوده في السيرة النبوية لابن هشام :

التسلسل الزمني للكتاب	الرسـالة / العهـد	وجوده في سيرة ابن هشام
1	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين واليهود بالمدينة	غير مثبت
2	كتاب الصلح بينه عليه الصلاة والسلام وبين قريش عام الحديبية	مثبت
3	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم	غير مثبت
4	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس	غير مثبت
5	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة	غير مثبت
6	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط	غير مثبت
7	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين	غير مثبت

---

[1] **محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط 5 ، جار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1405 هـ / 1985 م .**

[2] **أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي / عصر صدر الإسلام) ، المكتبة العلنية ن بيروت ، لبنان ، وقد وردت رسائل وعهود الرسول صلى الله عليه وسلم في الصفحات : ج 1 / 31 – 88 .**

8	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق	غير مثبت
9	رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر	غير مثبت
10	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين	غير مثبت
11	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر	غير مثبت
12	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة	غير مثبت
13	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد الخزاعي	مثبت
14	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد النبي الجلندي ملكي عمان	غير مثبت
15	عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل أبلة بالأمان	مثبت
16	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل أذرج وجرباء بالأمان	غير مثبت
17	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة	غير مثبت
18	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني كلب	غير مثبت
19	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقيف	مثبت
20	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لملوك حمير	مثبت
21	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى همدان	مثبت
22	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني نهد	غير مثبت
23	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضرموت	غير مثبت

24	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي	غير مثبت
25	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرد) على خالد بن الوليد	مثبت
26	عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم الأنصاري حين ولاه الشام	مثبت
27	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل	غير مثبت
28	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجاعة بن مرارة	غير مثبت
29	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرد) على مسيلمة بن حبيب	مثبت
30	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكثم بن صيفي	غير مثبت
31	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ضميرة	غير مثبت
32	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة	غير مثبت
33	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للدارين وهو بمكة	غير مثبت
34	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة	غير مثبت
35	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران	غير مثبت
36	عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران	غير مثبت
37	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران	غير مثبت
38	كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات	غير مثبت
39	كتاب آخر للرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات	غير مثبت

وهذه الوثائق السياسية التي حفل بها العهد النبوي والتي تنوعت ما بين العهود والمواثيق والرسائل أو المكاتيب عموما ، والت دونتها مختلف المظان التي تعنى بالسيرة النبوية ، شملت مجموعة من الموضوعات نجملها في النقاط التالية [1] :

1 – المعاهدات الجديدة أو تجديد ما سبق من المعاهدات .

2 – الدعوة إلى الإسلام .

3 – تولية العمال وذكر واجباتهم وكيف ينبغي لهم أن يتصرفوا في أمر من الأمور .

4 – العطايا من الأراضي أو الغلات وغيرها .

5 – كُتُب الأمان والتوصية .

6 – ما ذُكر فيه من استثناء بعض الأوامر في حق أناس معينين .

7 – المتفرقات مثل المكاتيب التي جاءت في جواب ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم .

- **نص كتاب الرسول ﷺ:**

ورد في سيرة ابن هشام رسالة ضمن الخبر الذي أورده ابن هشـــام نفسه تحت عنوان (**قُدُومُ رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ الْجُذَامِيّ**) ، في ما يلي نصه :

« وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ، قَبْلَ خَيْبَرَ ، رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْجُذَامِيّ ثُمّ الضّبَيْبِيّ فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ غُلَامًا ، وَأَسْلَمَ ، فَحَسُنَ إسْلَامُهُ وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابًا إلَى قَوْمِهِ . وَفِي كِتَابِهِ :

(بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ لِرِفَاعَةِ بْنِ زَيْدٍ . إنّي بَعَثْته إلَى قَوْمِهِ عَامّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَفِي حِزْبِ اللّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ)

[1] **محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، 28 .**

فَلَمّا قَدِمَ رِفَاعَةُ عَلَى قَوْمِهِ أَجَابُوا وَأَسْلَمُوا ، ثُمّ سَارُوا إلَى الْحَرّةِ : حَرّةِ الرّجْلَاءِ ، وَنَزَلُوهَا » [1]

الإطار العـــــام : – مناسبة النص / المكان / الزمان / جو الراسلة :

واضح مما أوردناه من الخبر الكامل لهذه الرسالة أنها موجهة لرفاعة بن زيد رضي الله عنه لما أسلم وحسن إسلامه ، ومن ورائه إلى قومه كافة ، دعوة منه عليه الصلاة والسلام للدخول في الإسلام .

- **دراســة نص الكتاب / الرسالة :**

في ما يلي دراسة مستفيضة لعناصر الرسالة من المقدمة والعرض فالخاتمة :

النـــــص

1 – الافتتاح 2 – المرسل والمرسل إليه 3 – متن الرسالة 4 – الخاتمة 5 – الختم

(صدر الكتاب) (حاشية الكتاب)

وهذه الوحدات المتبعة في كل الرسائل ، حينما نطبقها على الرسالة النبوية المختارة ، نخرج بالتقسيم التالي :

القسم الأول : (الافتتاح) بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

القسم الثاني : نوع المكتوب + المرسل والمرسل إليه

هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ لِرِفَاعَةِ بْنِ زَيْدٍ

القسم الثالث : موضوع الرسالة / صدر الكتاب

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، 2 / 596 .

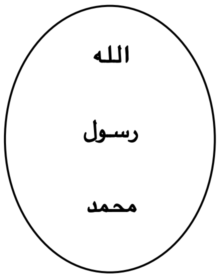
الوحدة السردية الأولى : إنّي بَعَثْته إلَى قَوْمِهِ عَامّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ .

الوحدة السردية الثانية : فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَفِي حِزْبِ اللّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ .

الوحدة السردية الثالثة : وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ .

القسم الرابع (الخـــاتمة / الحاشية): محذوفة

القسم الخامس :الختم النبوي



وإن لم يكن مثبتا في سيرة ابن هشام ، إلا أنه مثبت في الوثائق الرسمية الأصلية [1] التي اعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في كل رسائله وعهوده .

ومحاولة منا لرصد حجم الوحدات السردية في العهد النبوي الموضح أعلاه، نحاول التوضيح بالرسم البياني التالي ، الذي يوضح أن القسم الأكبر من الرسالة كان من نصيب صدر الكتاب ويليه توضيح نوع الكتاب والمرسل والمرسل إليه ، وأخيرا الختم ، مع انعدام وجود الخاتمة في الرسالة الخاتمة :

قراءة في الوحدات السردية الخاصة بالكتاب / رسالة القسم الأول :

(الافتتاح)

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

---

[1] **محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، .**

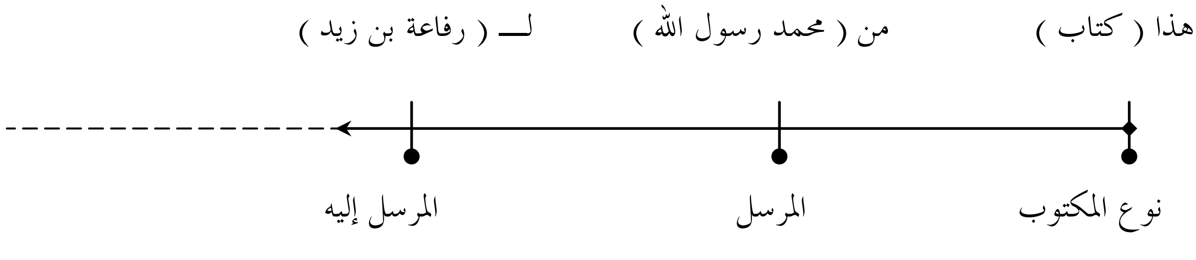
لقد جرت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتتح رسائله بالبسملة ، الأمر الذي لم تخرج عنه هذه الرسالة ، والبسملة مستحبة في كل أمر ، فهي تعني البدأ ببسم الله أو أفتتح ببسم الله ، استجلابا للخير ، وقد وردت البسملة في مستهل جميع السور القرآنية باستثناء سورة سليمان ، كما وردت البسملة في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : « وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » [1] ، وقد ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ – أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ – » [2] ، وهذا ما سار على نهجه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في سائر خطاباته ، وتبعه المسلمون في جميع تجمعاتهم وخطاباتهم .

القسم الثاني : المرسل والمرسل إليه

هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةِ بْنِ زَيْدٍ

إذن ، بعد الافتتاحية نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوضح نوع المكتوب ومصدر الرسالة أو المرسل ، والمرسل إليه ، والرسالة في عرف القدامى هي (كتاب) وهذا ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسائله ، (هذا كتاب) .

ثم أوضح أن الرسالة منه عليه الصلاة والسلام (**من محمد رسول الله**) ليبين بعدها مستقر الرسالة أو المرسل إليه (**لرفاعة بن زيد**) ، وقد استعان عليه الصلاة والسلام بروابط لفظية تميز بين نوع المكتوب والمرسل إليه (**هذا**) و (**من**) و (**لـ**) .



[1] هود ، 41 .

[2] الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، 14 / 329 .

القسم الثالث :متن الرسالة / صدر الكتاب :

صدر الكتاب أو متن الرسالة وموضوعها ، جرى وفق ثلاثة أقسام متلازمة مختصرة ومركزة :

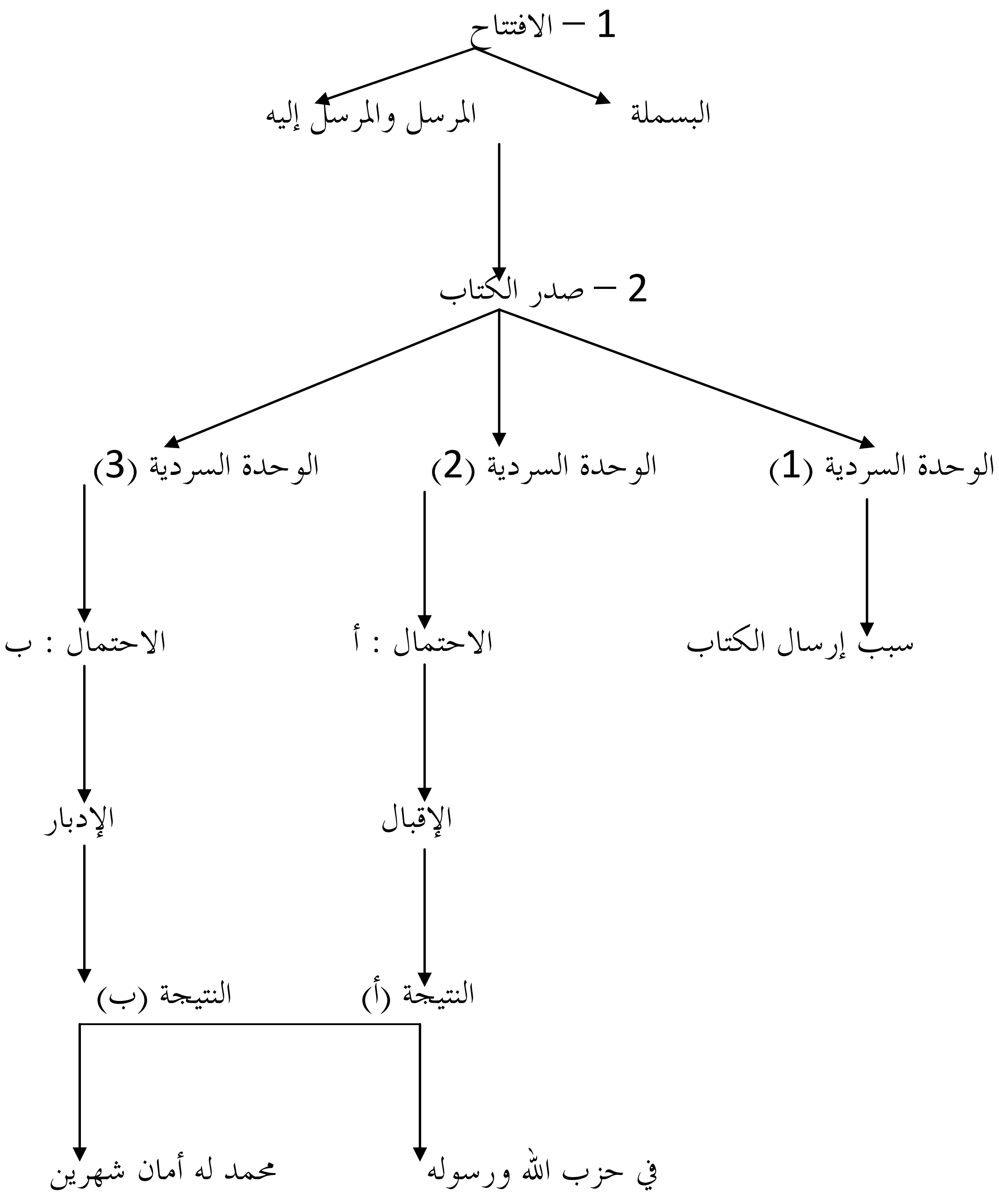
الوحدة السردية الأولى إِنّي بَعَثْته إلَى قَوْمِهِ عَامّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ .

الوحدة السردية الثانية :فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَفِي حِزْبِ اللّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ .

الوحدة السردية الثالثة : وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ .

بدأها عليه الصلاة والسلام بإبراز الهدف من إرساله الكتاب لرفاعة بن زيد إلى قومه ومن والاهم ، وهو الدعوة لله ورسوله مثلما كان يفعل مع بقية الأقوام والقبائل وحتى الملوك والعظماء ، ثم انتقل إلى نتيجة الاحتمالين الواردين بعد دعوة رفاعة بن زيد قومه ، والتي لا تخرج عن القبول والدخول في الإسلام أو الرفض ، فأما الفريق الأول فقال عنه عليه الصلاة والسلام : (فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَفِي حِزْبِ اللّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ) ، وأما الفريق الثاني فأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيرهم بقوله : (وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ) .

فالسرد في هذا الكتاب رسم صورة مختصرة لأسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الموقف لا يحتاج الاستفاضة في الحديث ، فقد تساندت إذن هذه الوحدات السردية وتآزرت ، فكونت معمارا كليا متوافقا .



3 – السرد في العهود النبوية :

لقد تنوعت الأسماء التي حظيت بها مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم ، و لم تخرج عن (كتاب ، مراسلة ، عهد) ، وبما أننا تناولنا أنموذجا عن مراسلاته عليه الصلاة والسلام وألحقناها بالرسائل ، ننتقي بعدها عهدا له ﷺ.

و العهود في ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أقل من الرسائل ، إلا أنها تأخذ الكثير من ميزات الرسائل ، وقد رصدناها جميعا في الجدول الأول الذي أوضحنا من خلاله مجموع المكاتيب النبوية .

لكن الذي يجمعها هو عبارة (الوثائق السياسية) لأنها تتعلق كلها بسياسية الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء الراشدين تجاه المسلمين وغيرهم ، فهو نظام إداري يرتكز على الأسس الإسلامية ، هذه السياسة الحكومية التي « أُلقيت أساساها قبل الهجرة إلى المدينة في بيعات العقبة الثلاث » [1] .

ومن المعلوم أنه لم يكن الاقتصار على الرواية الشفوية في أوائل الإسلام ، ولم تكن هي الوجه الوحيد للحفاظ على الموروثات الإسلامية ، بل نجد أن المسلمين « قد أمروا أن يكتبوا جميع ما فيه من حقوق العباد ويستشهدوا عليه فإن « ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ » [2] . ، ومن ثم كتب صلى الله عليه وسلم جميع المحالفات والمعاهدات مع القبائل والملوك سوى ما كتب إليهم من المراسلات » [3] .

و العــــهد ورد في خبر (الصّلْحُ بَيْنَ الرّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَيُحَنّةَ) ، ومفاده : أنه « لَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى تَبُوكَ ، أَتَاهُ يُحَنّةُ بْنُ رُؤْبَةَ ، صَاحِبُ أَيْلَةَ ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ ، فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ فَكَتَــــبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَهُمْ كِتَابًا ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ » [4] .

وكتاب العهد جاء بالصيغة التالية : « كِتَابُ الرّسُولِ لِيُحَنّةَ : فَكَتَبَ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ ، مُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللّهِ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ ، سُفُنُهُمْ وَسَيّارَتُهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ

---

[1] محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،**21** .

[2] البقرة ، **282** .

[3] محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،**24** .

[4] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، **2 / 525** .

الشّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ. وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ » [1] .

• الإطار العـــــام :

– مناسبة النص / المكان / الزمان / جو العهد :

واضح مما أوردناه من الخبر الكامل لهذا العهد أنه صلح بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويحنة بن رؤبة ، ومن خلال يحنة فالعهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أهل أيلة ، وذلك لما انتهى عليه الصلاة والسلام إلى تبوك .

دراســـة نص الكتاب / الرسالة : القسم الأول : (الافتتاح)

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

القسم الثاني : نوع المكتوب + المرسل والمرسل إليه

هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ ، مُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللّهِ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ سُفُنُهُمْ وَسَيّارَتُهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ.

القسم الثالث : موضوع العهد / صدر الكتاب

لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ . وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ .

وارتأينا أن نقسمه إلى وحدات سردية حسب موضوع العهد ، فكانت أربعة نوردها في مايلي:

الوحدة السردية الأولى :لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ

---

[1] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، 2 / 526 .

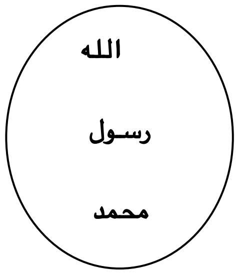
<u>الوحدة السردية الثانية</u> :وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ

<u>الوحدة السردية الثالثة</u> :فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ . وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ.

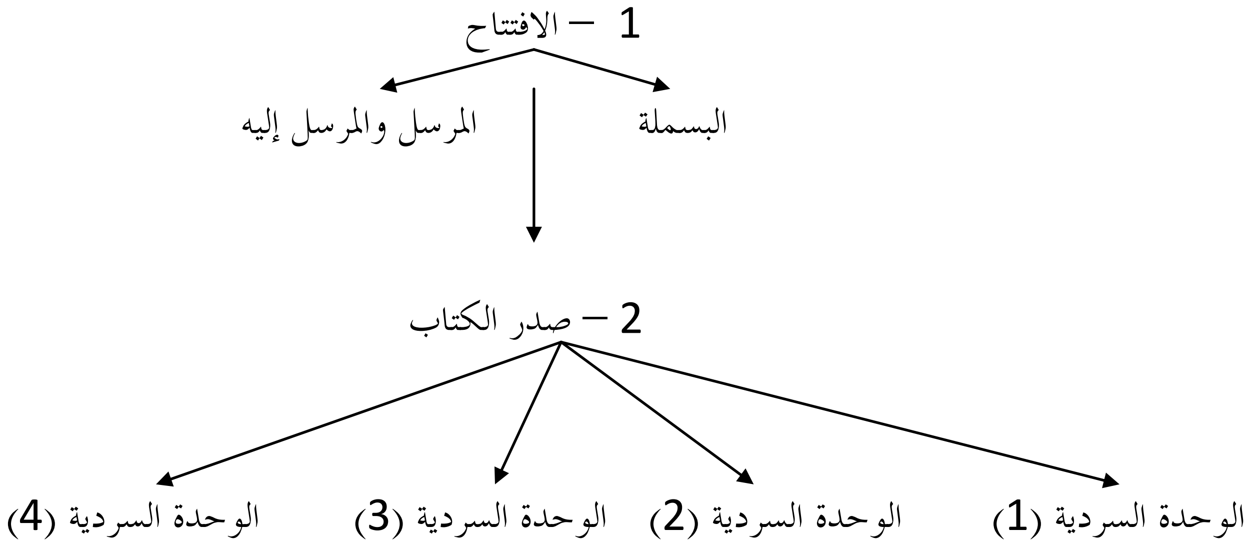
<u>الوحدة السردية الرابعة</u> :وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ.

<u>القسم الرابع</u> (**الخــــاتمة / الحاشية**) محذوفة.

<u>القسم الخامس</u> :الختم النبوي.



لقد كان القسم الأكبر من الرسالة من نصيب صدر الكتاب، مع انعدام وجود الخاتمة في الرسالة، فالسرد في هذا العهد النبوي مشابه للسرد في الرسالة التي وقفنا عليها في ما سبق، فقد ركز الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجب أن يفهم من الطرف الآخر ويُطبق، كونها معاهدة توجب العمل بها، نوضحها في ما يلي:



سبب إرسال الكتاب ← الأمان لأهل أيلة

توسيع الأمان لشمل فئات أخرى ← أهل الشام/اليمن /البحر

نتيجة خيانة العهد ← استحلال المال

التأكيد على أحد حقوق المعاهدة ← حريتهم في ورود الماء وقطع طريق البر والبحر

كما جرت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في افتتاح مكاتبته إذ لم يخرج هذا العهد عن البقية ، بحيث افتتح بالبسملة ، التي لم تخلو منها مكاتيبه .

كما مر علينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله كان يوضح بعد البسملة نوع المكتوب فالمرسل والمرسل إليه ، وهو ما نلفيه في العهود أيضا ، فالعهد وسمه عليه الصلاة والسلام بـــ (**الأمنة**) في قوله (هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ) ، لكل الفرق هو اقتران اسمه عليه الصلاة والسلام بلفظ الجلالة الله ، بحيث نسب الأمان من الله ورسوله بخلاف الرسائل التي كان يحدد مصدرها منه عليه الصلاة والسلام ، وهذا يدل على أهمية العهد ومدى تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بتطبيقه .

وهذا العهد موجه ليحنّة بن رؤبة وأهله ، ووضح عليه الصلاة والسلام أن العهد للسفن والقوافل معا ، في البر والبحر وهو الذي يوضحه قوله عليه الصلاة والسلام (... وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ) ، وركز عليه الصلاة السلام على نتائج خيانة العهد (... فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ . وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ) .

أما الخاتمة فخلا منها العهد على شاكلة الرسالة التي تناولناه سابقا ، بينما ظهر الختم الذي لازم كل مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

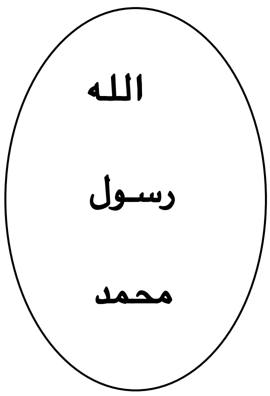
فكانت وحدات سردية مختصرة مركزة تفي بالغرض المطلوب من كتابة العهد ، شأنه في ذلك شأن العهود الأخرى ، مع ملاحظة ، البعد عن التصنع اللفظي لتكون مفهومة للجميع ، مع دخول المصطلحات الإسلامية الجديدة فيها ، على شاكلة : الله ، ذمة الله ، محمد ... وكذا سهولة ألفاظها وسلاسة عبارتها .

• قراءة في شكل الرسائل والعهود النبوية

لقد جرت الرسائل والعهود النبوية من حيث الشكل على نفس النسق ، بحيث نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بالكتابة من الأعلى إلى الأسفل على ملئ الورقة ، في سطور أفقية ، السطر تلو الآخر ، وكان عليه الصلاة والسلام يذيل رسائله بعلامة الختم دائما ، وهذا نموذج رسائله عليه الصلاة والسلام ، ويمثل مراسلته للمقوقس[1] :



وكما هو موضَّح في الشكل أعلاه ، فالختم النبوي موجود في أسفل يمين المكتوب ، يعلوه لفظ الجلالة (**الله**) ، فكلمة (**رسول**) ، ثم كلمة (**محمد**) ، وإن لم يكن ظاهرا بالشكل المطلوب فهو مثل ما نوضحه ها هنا :



[1] محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،147 .

ويقرأ الختم من الأسفل إلى الأعلى ، تصاعديا ، ليبقى لفظ الجلالة هو الأعلى فتكون العبـــارة : (محمد رسول الله) ، فعن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أنه قال : «كانَ نَقْشُ خَاتَمِ النبيِّ ثَلاَثَةَ أسْطُرٍ: محمدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولٌ سَطْر: والله سَطْرٌ » [1] ، مثلما نوضح هاهنا :

الله

رسول

محمد

واستمرت هذه الطريقة في الأختام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، فعن أنس رضي الله عنه « أن أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنه لما استُخْلِفَ كتبَ له ، وكان نَقشُ الخاتم ثلاثةَ أسطُر: محمد سطر، ورسولُ سطر، والله سطر » [2] ، مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي صفة الخاتم النبوي ، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يقول : «كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللّهِ مِنْ وَرِقٍ. وَكَانَ فَصُّهُ حَبَشِيّاً » [3] ، وهناك تفصيل وأحكام للختم النبوي ، يمكن مراجعتها في المصادر والمراجع التي تحدثت عنه [4] .

ثانيا : سرد قصة الطائف بين مختلف الروايات في كتب السيرة النبوية

لقد ارتأينا أن تكون قصة (ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم للطائف) هي المجال الذي نحاول أن نقارن فيه طريقة رِواته بين مختلف الرُواة ، فكانت النقاط التالية :

1 – الملامح العامة لروايات قصة الطائف في كتب مصادر السيرة النبوية :

[1] الترمذي ، سنن الترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي نَقْشِ الخَاتَمِ ، 4 / 229 .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، (5878) ، بَابٌ: هَلْ يُجْعَلُ نَقْشُ الخَاتَمِ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ ، 7 / 158 .

[3] مسلم ، صحيح مسلم ، بَابٌ فِي خَاتَمِ الْوَرِقِ فَصُّهُ حَبَشِيٌّ ، 3 / 1658 .

[4] محمد عبد الحي الكشاني الإدريس الحسني الفاسي ، نظام الحكومة النبوية المسمى : التراتيب الإدارية ، ط 2 ، منقحة باعتناء وتحقيق عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم .

تحت هذا العنوان سنجمل الحديث عن قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، من مختلف المصادر التي روت القصة محترمين التسلسل الزمني للروايات آخذين من مصادر السيرة النبوية لتسلسلها المعتمد لدى علماء الحديث ، وسنعرض مختلف هذه الروايات وبعدها نعلق عليها ، وهذ ملامح عامة لها :

أ – ما ورد في القرآن الكريم :

لم نعثر على آية توثق ما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم في الطائف ن بينما وجدنا ما تعلق بما حدث في طريق العودة من الطائف إلى مكة [1] .

ب – رواية عائشة رضي الله عنها في صحيحي البخاري ومسلم :

– رواية صحيح البخاري

[1] نشير هنا إلى أن القرآن الكريم قد وثق لما حدث بعد مغادرة الرسول صلى الله عليه وسلم للطائف ، حين استمع إليه نفر من الجن ، يقول تعالى : قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17) » [1] : الجن / 1 – 17 .

ورد في صحيح البخاري : « حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم:

هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » [1] .

– رواية صحيح مسلم

ورد في صحيح مسلم : « وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، وحرملة بن يحيى، وعمرو بن سواد العامري، وألفاظهم متقاربة، قالوا: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، حدثني عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ:

" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ "، قَالَ: " فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ

[1] صحيح البخاري ، (3231) ، 4 / 115 .

سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ "، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [1] .

– رواية ابن هشام وابن كثير عن ابن اسحاق

لقد وردت تفاصيل عديدة لقصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، تحت عناوين مختلفة : ولطول النص سنحيل لأرقام الصفحات فحسب [2] ، وكذا في سيرة ابن كثير ، تحت عنوان جامع : (فصل في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى) ، وفيه تناول الكثير من تفاصيل الرحلة وما كان لرسول صلى الله عليه وسلم مع عداس النصراني ، ولطول النص أيضا نحيل للصفحات فحسب [3] ، وفي ما يلي تفصيل :

2 – عقد المقارنة بين سرد القصة في الروايات المذكورة :

– المشترك بين الروايات :

تبدأ الرواية التي أثبتها البخاري ومسلم في الصحيحين بسند رجال سمعوا الحديث عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بسؤال وجهته عائشة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم وما كان من جوابه ، دون التعرض لكثير من التفاصيل التي حملتها روايات أخرى سنأتي إليها في حينها .

وهذا الحديث مشترك بين مختلف الروايات ، وإن كانت رواية ابن هشام ورواية ابن كثير فيها إضافات أخرى ، لذلك نركز على المشترك أولا ، لندلف بعدها لما انفردت به رواية ابن هشام ورواية ابن كثير .

[1] صحيح مسلم ، (1795) ، 3 / 1420 .

[2] سيرة ابن هشام ، 1 / 419 – 421 .

[3] السيرة النبوية لابن كثير ، 2 / 149 – 153 .

فكان السرد مقسَّم لثلاث وحدات :

سند ————→ سؤال ————→ جواب

أ – السند :

لم تخل روايات قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف داعيا إلى الله ، من سلسلة من رجال رواة أقاموا السند مع اختلاف في عددهم ، بحيث لاحظنا أن أطول سند يروي الحديث انفرد به البخاري ، بذكره لخمسة رواة عن عائشة رضي الله عنها ، وأما مسلم فروى عن ثلاثة من شيوخه بثلاثة أسانيد عن عائشة رضي الله عنها ، ويتقلص عدد رواة القصة في كتب السيرة النبوية ، إذ يقتصر ابن هشام على روايتين عن ابن إسحاق[1] .

ب – السؤال :

السؤال صيغة لغوية تفيد معنى طلب الجواب ، ووسيلة تخاطب بين اثنين فأكثر ، ويُعدّ أسلوب (السؤال والجواب) من أحسن وأفضل ما تُبث به المعلومة وينقل به الخبر ، لما يحققه من إثارة الانتباه وتجميع التركيز فرغبة السائل في جواب عن استفساره توقظ فينا – كقُراء – نفس الشعور ، فكيف إن كان السؤال موجها للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وقد كان السؤال في هذا الحديث سببا في استرسال الرسول صلى الله عليه وسلم مجيبا عائشة رضي الله عنها ، قالت عائشة سائلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

« هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ »

.بمعنى : هل مر بك يوم عانيت فيه وقاسيت وتحملت الصعاب كيوم أحد ؟

[1] لم ترد أية إشارة عن قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف في سيرة ابن اسحاق التي بين أيدينا بمختلف النسخ التي توصلنا إليها .

ومعلوم أن المسلمين لما انتصروا في معركة بدر وأوقعوا بين المشركين العشرات ، أرادت قريش أن تثأر لقتلاها فكانت غزوة أحد ، والتي لم يلتزم فيها بعض المسلمين بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهوجم عليه الصلاة والسلام وصارت الدماء تسيل من وجهه الشريف وكسرت رباعيته ، وشهدت أحد استشهاد سيدنا حمزة رضي الله عنه ، كل هذه المصائب كانت كفيلة بشد انتباهنا عند قراءتنا للسؤال (أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟) .

الجواب :

يتأمل جواب الرسول صلى الله عليه وسلم ردًّا عن سؤال أمنا عائشة رضي الله عنها ، ندرك من الوهلة الأولى أنه فعلا هناك ما كان أشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حدث بأحد بدليل قوله : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ (...) » وهذه البداية تجعلنا نركز على ما بعدها لما كان من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للموقف المراد بالجواب ، ويشعرنا بوجود وجوه أذى أخرى أقسى مما لقيه عليه الصلاة والسلام بأحد ، وذكر قصته عليه الصلاة والسلام بالطائف .

وهذه بعض الملامح العامة للسؤال والجواب :

السائل (السؤال) :

– طرح السؤال بأدب بالغ .

– طرح السؤال بطريقة مختصرة .

– إلقاء السؤال من باب المعرفة .

– سؤال حصل به نفع .

المجيب (الجواب) :

– الحرص على سماع سؤال السائل .

– الحرص على إجابة السائل .

– وضوح الجواب .

– سهولة لغة التخاطب وأسلوب الجواب .

– تعظيم الموقف المراد الحديث عنه .

أحداث القصة :

تختلف أحداث القصة بين مختلف المصادر التي انتقينا منها الخبر، فأما في الصحيحين فكان فيهما توصيف مدى الألم والمعاناة التي لحقت بالرسول صلى الله عليه وسلم في إجمال بذكر خبر قدومه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف وحديثه مع جبريل عليه السلام ، وجمعت هذه الأحداث متسلسلة في حديث واحد مكوّن من سؤال وجواب ، وفيه ملامح سرد واضحة من حكي وزمان ومكان وشخصيات وحوار .

في حين تختلف رواية ابن هشام ورواية ابن كثير عمّ ورد في الصحيحين بالزيادة الواضحة في القصة ، إذ بدأها برواية خبر نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أشراف الطائف وسادتها ... ، داعيا إياهم لعبادته ، فما كان منهم إلا الصد والتهكم ، فيئس الرسول صلى الله عليه وسلم من ثقيف ونصرتها له .

في الصحيحين :

1 – ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

2 – حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سادة ثقيف (عبد يَالَيْلَ بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف) .

3 – استهزاء سادة ثقيف بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم .

4 – توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى (قرن الثعالب) .

5 – تنزل جبريل عليه السلام وحواره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في سيرة ابن هشام :

1 - سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة .

2 - نزول الرسول بثلاثة من أشرافهم، وتحريضهم عليه .

3 - توجهه صلى الله عليه وسلم إلى ربه بالشكوى .

4 - قصة عداس النصراني معه صلى الله عليه وسلم .

في سيرة ابن كثير :

1 – ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

2 – قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع عداس النصراني .

3 – إثبات نص حديث البخاري في صحيحه .

وهذه نظرة شاكلة عامة عم شرحنا سابقا :

المصدر	الراوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم	أحداث قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف	أجزاء من أحداث القصة

		كاملة	
صحيح البخاري	– عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم – عروة بن الزبير – ابن شهاب – يونس بن يزيد – عبد الله بن وهب – عبد الله بن يوسف	/	ج 2 ، ص 428 – 429 (3231)
صحيح مسلم	– عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم – عروة بن الزبير – ابن شهاب – يونس بن يزيد – عمرو بن سواد العامري – حرملة بن يحيى – أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح	/	ص 992 (1795)
سيرة ابن هشام	– محمد بن كعب القرظي – يزيد بن زياد – ابن إسحاق	الأحداث كاملة	/

سيرة ابن كثير	– محمد بن كعب القرظي – يزيد بن زياد – ابن إسحاق – مجهول (فيما ذكر لي)	الأحداث كاملة	/
	– عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم – عروة بن الزبير – ابن شهاب – يونس بن يزيد – عبد الله بن وهب	/	– حديث البخاري – حديث مسلم

الشخصيات الإشارات الزمانية والمكانية :

إن الشخصية الرئيسة في هذه القصة هي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما ورد في الصحيحين يشير أن الكلام هو كله من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما جاءت شخصيات أخرى في الروايات الأخرى من غير الصحيحين ، فكانت داعمة للأحداث التي ذكرها الرواة والتي كانت لا تخرج عن ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الطائف.

وهذه الشخصيات انحصرت في شخصية عائشة رضي الله عنها (السائلة) وشخصيات أخرى شاركت في الحدث وذكرت في الروايات وهي: جبريل عليه السلام وعبد يَالَيْلَ بن عمرو بن

عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعداس النصراني.

وكان من الطبيعي أن تتعدد الإشارات إلى الزمن والمكان في مختلف روايات القصة بسبب تعدد محطات الحدث ، فمنها ما اشتركت فيه جميع الروايات ، (الطائف) ، ومنها ما انفردت به رواية ابن هشام وابن كثير ، نظرا لتوسعهما في رواية القصة مقارنة بالحديثين النبويين اللذين

وردا في الصحيحين، ويمكننا حصرها فيما يلي: صحيح البخاري (قرن الثعالب، الأخشبين)، صحيح مسلم (قرن الثعالب، الأخشبين)، سيرة ابن هشام (الطائف)، سيرة ابن اسحاق (الطائف، ثقيف، نينوى، الكعبة، قرية، قرن الثعالب، العقبة، الأخشبين).

أما الأزمنة ، فكان أقل من الإشارات المكانية، بحيث اقتصر على التذكير بيوم أحد ويوم العقبة.

الفصل الثالث

في سردية السيرة النبوية المنظومة

في الفصل الأولى من هذا الباب ، أعطينا مجملا ما توصل إليه المنظرون في الغرب للنظرية السردية ، وما كان من دراسات جادة في النقد العربي الحديث ، وفي الفصل الثاني أولينا الحديث عن اختلاف روايات السيرة النبوية معتمدين على قصة الطائف نموذجا ، ثم انتقينا نماذج من الأجناس الأدبية التي حفلت بها السيرة النبوية ، وطبقنا عليها الإجراء السردي ، ونحاول الآن أن نفرد هذا الفصل للحديث عن سردية السيرة النبوية المنظومة ، ونجيب عن الإشكالات التالية :

- هل عرف العرب القصائد الحكائية ؟
- هل اتسمت بمظاهر سردية ؟
- هل كان للسيرة النبوية حظ من النظم ؟
- وهل يمكننا استقراء بعض الملامح السردية فيها ؟

أولا : نبذة عن القصائد الحكائية في تراثنا الأدبي :

إن علاقة السرد بالنظم تعود لعصور خلت ، فقد خلف لنا التاريخ البشري ملاحم شعرية أثرت الأدب العالمي وعلى رأسها ملحمتي الإلياذة والأوذيسا في الأدب اليوناني .

وقد شهد الأدب العربي وفي مراحل متقدمة حكايات قصيرة فيها بعض من ملامح السرد ، وإن كانت بصفة محدودة ، ومن أجل تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة ، نجد الشعراء القدامى قد أقدموا على استلهام البناء القصصي وتوظيفه في قصائدهم .

ولعل في ديوان امرئ القيس ما يفي بالغرض ، من خلال حكايته مع ابنة عمه عنيزة [1] ، التي مطلعها :

وَيَومَ دَخَلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ **** فَقالَت لَكَ الوَيلاتُ إِنَّكَ مُرجِلي

[1] امرؤ القيس ، الديوان ، ص : 125 .

ولنا في شعر الخنساء مثال آخر حين وصفت مشهد سباق بين أبيها وأخيها حين قالت[1] :

جارى أَباهُ فَأَقبَلا وَهُما *** يَتَعاوَرانِ مُلاءَةَ الفَخرِ

أَولى فَأَولى أَن يُساوِيَهُ *** لَولا جَلالُ السِنِّ وَالكِبرِ

أما الحطيئة فيطالعنا بحكاية شعرية كاملة ، عن كرمه وجوده في أبهى صورة وبكثير من الملامح السردية ، والتي مطلعها :

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ *** ببيداءَ لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ رَسما[2]

والتي يحكي فيها عن قصة أعرابي جواد ، وكيف أقبل ضيف إلى بيته وليس معه زاد يمكّنه من تأدية حق ضيفه ، وكيف هم بذبح فرسه ليرسم صورة وضاءة للكرم العربي .

ثانيا : السيرة النبوية نـــظما

إن كتابة السيرة لم تكن حكرا على أقلام الناثرين ، فنُظام الشعر لم يفوتوا فرصة دخول عالم كتابة السير والتراجم نظما لا نثرا إذ « لجؤوا إلى تدوين بعض السير عن طريق الكلام المنظوم الذي يقيده الوزن والقافية معا ، كما في القصائد التاريخية أو يقيده الوزن فقط مع تنوع القافية كما في الأراجيز التاريخية » [3] .

وقد حظيت السيرة النبوية بنظم الكثير من أصحاب الملكة الشعرية على مر العصور ، بحيث اهتدى بعض ناظمي الشعر إلى وضع السيرة النبوية في ثوب جديد يتلاءم ومواهبهم الشعرية فنظمها كل من أبي محمد عبد العزيز بن محمد بن سعيد الدميري الدّيرينيّ (– 607 هـــ) وأبو نصر الفتح بن موسى بن محمد نجم الدين المغربي الخضراوي بـــ (– 663) وأبو

---

[1] الخنساء ، الديوان ، شرحه ثعلب أبوا لعباس الشيباني النحوي ، تحقيق أنور أبو سليمان ، دار عمار ، الأردن ، ط 1 ، 1409 هـــ / 1988 م ، ص : 235 .

[2] الحطيئة ، الديوان ، اعتنى به حمجو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـــ / 2005 م ، ص : 133 .

[3] محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، 35 .

بكر محمد نب إبراهيم بن النابلسي المعروف بابن الشهيد (- 793 هـ) في كتابه الفتح القريب وكذا أبو إسحاق الأنصاري التلمساني .

فهذا زين الدين العراقي (- 725 هـ) قد أضاف إلى مكتبة السيرة النبوية قصيدة طويلة هي ألفية السيرة النبوية المسماة (نظم الدّرر السَنية في السير الزكية) [1] ، والذي أتى فيها على السيرة النبوية نظما بخلاف ما كان متداولا من سردها نثرا ، مجملا على أحداث السيرة النبوية ، وتظهر أهميّة هذا النظم الجليل بكثرة اعتناء أهل العلم به ، فقد قام علماء أجلّة بالعناية به شرحا وتحشية؛ لإظهار فوائده، وإيضاح فرائده، وتزيين قلائده ، ومن أشهر الشروح نجد [2] العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي .

في الألفية نجده يعدد أسماؤه الشريفة ونسبه الزكي ومولده وإرضاعه وكفالة أبي طالب له ، إلى بدء الوحي وتأييده من الله بمعجزة القرآن العظيم ، إلى أن يذكر عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام بقوله [3] :

---

[1] أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية ، دار المنهاج – بيروت ، ط 1 ، 1426 هـ ، 10 .

[2] تم شرح الألفية من طرف زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ، تحت مسمى : العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق سعد عبد الغفار علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ / 2004 م .

[3] تم شرح الألفية من طرف : الشّيخ محبّ الدّين محمّد بن أحمد بن محمّد بن الهائم (ت 798 هـ) ، «الغرر المضيّة في شرح نظم الدّرر السّنيّة » والإمام العلّامة شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن علي ابن أرسلان الرملي الشافعي (ت 844 هـ) ، «شرح ألفية العراقي في السيرة » ، العلّامة المحدّث عبد الرؤوف بن تاج الدّين علي المناوي (ت 1031 هـ) ، «الفتوحات السّبحانية في شرح نظم الدّرّة السّنيّة» ، طبع بعنوان «العجالة السّنيّة على ألفيّة السّيرة النّبويّة» ، وهو أشهر شروح «الدّرر السّنيّة » ، شيخ المالكيّة الإمام نور الدّين علي بن محمّد بن عبد الرّحمن الأجهوري (ت 1066 هـ) ، «شرح الدّور السّنيّة في نظم السّيرة النّبويّة » ، الفقيه الشّيخ ياسين بن محمّد الخليلي، المعروف بابن غرس (ت 1086 هـ) ، «الفوائد البهيّة على الدّرر السّنيّةُ في نظم السّيرة الزّكيّة » ، الشّيخ محمّد بن أحمد البرلّسي المالكي (ت 1097 هـ) ، «البدر المنير في شرح سيرة البشير النّذير» ، الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم بن مرعي بن عطية الشّبرخيتي المالكي (ت 1106 هـ) ، «شرح ألفيّة العراقي في السّيرة» ، العلّامة أبو

سبعا وعشرين اعددنّ الغزوا **** أوّلها ودّان وهي الأبوا

ثمّ بواط بعد، فالعشيرا *** فبدر الأولى، فبدر الكبرى

فقينقاع، فالسّويق، غطفان *** وهي فذو أمر، فغزو بحران

فأحد بعد، فحمراء الأسد *** ثمّ بنو النّضير، ثمّ في العدد

ذات الرّقاع، ثمّ بدر الموعد *** فدومة، فالخندق، اذكر واعدد

ويواصل عرض أحداث السيرة النبوية حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه المنظومة هي التي سنركز عليها في استخراج بعض من ملامح السرد فيها .

والمكتبة العربية غنية بما يسمى بالمدائح النبوية والتي تعرف بأنها « لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع » [1] ،كونه يستعرض شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته ومزاياه ، وأكثر المدائح النبوية « قيلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم » [2] ، بعدما سرى الحنين يدفع كل من لم يراه عليه الصلاة والسلام ، ولم يحض برفقته وصحبته والكلام إليه .

ومن المدائح النبوية تفرع فن آخر يشيد بخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويخدم اللغة العربية في آن واحد ، أطلق عليه اسم البديعيات وهي « مجموعة من القصائد ظهرت في القرن الثامن الهجري واستمرت حتى القرن الرابع عشر ، غرضها المديح النبوي ، وغايتها جمع

الصّفاء إبراهيم بن مصطفى الحلبي، عرف بالمداري (ت 1190 هـ) ، «شرح نظم السّيرة النّبويّة» ، الشّيخ أبو عبد الله محمّد الطّيّب بن عبد المجيد بن عبد السّلام بن كيران (ت 1227 هـ) ، «شرح ألفيّة العراقي في السّيرة» ، الشّيخ علي بن الحسين السعاوي، كان حيّا سنة (1292 هـ) ، «الغرر العليّة في شرح الدّرر السّنيّة في نظم السيرة النبوية» ، العالم عبد الله بن إيبيه الديماني (ت 1328 هـ) ، «جامع السّيرة في شرح ألفيّة العراقي» الشّيخ أحمد بن محمّد بن أحمد الحسني الشّنقيطي (القرن الرابع عشر) ، «شرح ألفيّة زين الدّين العراقي في السّيرة» . ينظر :

[1] **زكي مبارك ، المدائح النبوية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، 15**

[2] **محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، 35 .**

أنواع (البديع) ضمن أبياتها ، نوع في كل بيت ، يصب ذلك كله في قالب من البحر البسيط [1] ، وروي الميم المكسورة » [2] ، فكان الجمع بين المدح واستعراض الملكة الأدبية.

ولعل بردة البوصري الذي عاش في القرن السابع الهجري ، لهي من أهم ما يذكر حين يفتح هذا الباب من الحديث ، فمكانتها لا تُجهل من ذي لب وأثرها لا يخفى على دارس ، فقصيدته المديحية تلك التي انطلقت تجوب الآفاق كانت بمثابة الشرارة التي حفزت المُدّاح ومصدر وحي لهم لنظم المدائح النبوية بعده ، وفيها يقول أحمد شوقي :

المادِحونَ وَأَربابُ الهَوى تَبَعٌ *** لِصاحِبِ البُردَةِ الفَيحاءِ ذي القَدَمِ [3]

وهي التي يقول فيها البوصري [4] :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيران بِذِي سَلَمٍ *** مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتْ الريحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ *** وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَلْماءِ مِنْ إضَمِ

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفاهَمَتا *** وَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ *** ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ

لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعَاً عَلَى طَلَلٍ *** ولا أَرِقْتَ لِذِكِرِ البَانِ والعَلَمِ

---

[1] تفعيلات بحر البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن *** مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

[2] علي أبو زيد ، البديعيات في الأدب العربي – نشأتها ، تطورها ، أثرها – عالم الكتب ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1403 هـ / 1983 م ، 06 .

[3] أحمد شوقي ، الشوقيات ، ص 122 .

[4] البوصري ، البردة ، شرح : الشيخ إبراهيم الباجوري ، ضبط وتعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة الآداب ، 02 .

فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ *** بهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وقد كانت « البداية الحقيقة لهذا الفن هي قصيدة صفي الدين الحلي (ت 750) التي عارض بها البوصيري » [1] ، وتقع هذه القصيدة في 145 بيتا ، في كل بين من أبياتها محسن بديعي ، والتي مطلعها [2] :

سَلعاً فَسَل عَن جَيرَةِ العَلَمِ *** وَاقرَ السَلامَ عَلى عُربٍ بِذي سَلَمِ [3]

ويضيف :

فَقَد ضَمِنتُ وُجودَ الدَمعِ مِن عَدَمِ *** لَهُم وَلَم أَستَطِع مَع ذاكَ مَنعَ دَمي [4]

أَبيتُ وَالدَمعُ هامٍ هامِلٌ سَرِبٌ *** وَالجِسمُ في إِضَمٍ لَحمٌ عَلى وَضَمِ [5]

مِن شَأنِهِ حَملُ أَعباءِ الهَوى كَمَداً *** إِذا هَمَى شَأنُهُ بِالدَمعِ لَم يُلَمِ

إلى أن يقول :

هُوَ النَبِيُّ الَّذي آياتُهُ ظَهَرَت *** مِن قَبلِ مَظهَرِهِ لِلناسِ في القِدَمِ

مُحَمَّدُ المُصطَفى المُختارُ مَن خُتِمَت *** بِمَجدِهِ مُرسَلو الرَحمَنِ لِلأُمَمِ

فَذِكرُهُ قَد أَتى في هَل أَتى وَسَبا *** وَفَضلُهُ ظاهِرٌ في النونِ وَالقَلَمِ [6]

---

[1] محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1 ، 1991 م ، 136 .

[2] صفي الدين الحلي ، الديوان ، مطبعة أغندي خالد ، رجب ، 1367 هـ ، 497 .

[3] هنا يظهر التصريع في قوله : (العَلَمِ – سَلَمِ) .

[4] هنا يتجسد الجناس الناقص بين : (وُجودَ – عَدَمِ) .

[5] هنا يتضح طباق السلب بين اللفظين : (لَحمٌ – وَضَمِ) .

[6] صفي الدين الحلي ، الديوان ، مطبعة أفندي خالد ، رجب ، 1367 هـ ،

ويطالعنا يوسف بن إسماعيل النبهاني بموسوعته الشاملة لجملة معتبرة من قصائد المديح النبوي ، والتي اعتمد فيها على أولى قصائد المديح النبوي حتى عصره وأسماها (المجموعة النبهانية في المدائح النبوية) ، ويقول في مقدمتها : « هذه رسالة سميتها (الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية ومقدار ما لكل واحد منهم فيها من المدائح النبوية) وقد ذكرت الصحابة منهم بحسب ذكرهم فيها من غير ترتيب وأرخت وفاة من أرخ وفاته منهم ابن الأثير في كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة فأما غير الصحابة فكما رتبت مدائحهم في المجموعة على حروف المعجم رتبت ذكرهم هنا على الحروف بحسب ما اشتهروا به من أسمائهم أو ألقابهم أو نسبهم لتسهيل مراجعة من يراد مراجعة اسمه منهم »[1] ، وتقع هذه الموسوعة في أربعة أجزاء كاملة .

وليس غريبا أن تبقى شخصية رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ملهمة للأدباء إلى غاية يوم الناس هذا ، ولن تنضب القرائح في مدح خير البرية لا حاضرا ولا مستقبلا ، فالإقبال على المدائح النبوية شاهد على حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتعلق الكبير به ، ولم يكن العصر الحديث بمنأى عن هذه القاعدة ، فالمتفحص لدواوين الشعراء المحدثين يجد العديد من القصائد المدحية التي لم تخلو من عواطف الحب والحنين ، والإعجاب والتقدير .

من هؤلاء الشعراء المحدثين الذين أفردوا لمدح الرسول ﷺ قصائد بعينها نلفي محمود سامي البارودي و أحمد شوقي ، فالبارودي مثلا عارض بردة البوصري بقصيدة سماها على طريقة القدماء : (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) ، وقد بلغ عدد أبياتها 450 بيتا ، أرخ فيها لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم غلى يوم انتقاله إلى جوار ربه ويصدح البارودي بقوله : « وقد بنيتها على سيرة ابن هشام »[2] ، ومطلعها :

[1] **يوسف بن إسماعيل النبهاني ، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، دار الفكر ، بيروت ، ص : 04**

[2] **محمود سامي البارودي ، كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، مطبعة الجريدة بسراي البارودي ، مصر ، 1327 ه ، ص 02 .**

يا رَائِدَ البَرقِ يَمِّمِ دارَةَ العَلَمِ *** وَاحدُ الغَمامَ إِلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ [1]

وفيها لم يخرج البارودي عن تقليد البوصيري وغيره من المداحين النبويين بتتبع مراحل حياة رسول الله ﷺ كما وردت في كتب السيرة ، بدءا بولادته [2] :

وَحِينما حَمَلَت بِالمُصطَفى وَضَعَت *** يَدُ المَشيئَةِ عَنها كُلفَةَ الوَجَمِ

وَلاحَ مِن جِسمِها نُورٌ أَضاءَ لَها *** قُصُورَ بُصرى بِأَرضِ الشَّأمِ مِن أمَمِ

وَمُذ أَتى الوَضعُ وَهوَ الرَّفعُ مَنزِلَةً *** جاءَت بِرُوحٍ بِنُورِ اللَهِ مُتَّسِمِ

ضاءَت بِهِ غُرَّةُ الإِثنَينِ وَاِبتَسَمَت *** عَن حُسنِهِ في رَبيعٍ رَوضَةُ الحَرَمِ

ثم كيف أرضعته حليمة السعدية ، فيقول [3] :

وَأَرضَعَتهُ وَلَم تَيأَس حَليمَةُ مِن *** قَولِ المَراضِعِ إِنَّ البُؤسَ في اليَتَمِ

فَفاضَ بِالدرِّ ثَدياها وَقَد غَنِيَت *** لَيالياً وَهيَ لَم تطعَم وَلَم تَنَمِ

وَاِنهَلَّ بَعدَ اِنقِطاعٍ رِسلُ شارِفِها *** حَتّى غَدَت مِن رَفِيهِ العَيشِ في طُعَمِ

ويستمر البارودي في عرض أحوال الرسول ﷺ وما مر به خلال حياته الشريفة ، فتميزت أمامنا سيرة كاملة بطريقة نظمية فريدة .

أما أحمد شوقي فلم يخرج عن هذا النهج ليعارض بدوره البردة في قصيدته الشهيرة (نهج البردة) وبلغ عدد أبياتها مائة وتسعين بيتا استهلها بقوله [1] :

---

[1] نفسه ، ص 03 ، والقصيدة لم تثبت في ديوان البارودي ، ينظر : محمود سامي البارودي ، الديوان ، حققه وضبطه وشرحه : علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت .

[2] محمود سامي البارودي ، كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، ص : 06 .

[3] المرجع السابق ، ص : 07 .

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَداً *** يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ

إلى أن يقول [2] :

مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ *** وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ

وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ *** مَتى الوُرودُ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي

سَناؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِعَةً *** فَالجِرمُ في فَلَكٍ وَالضَوءُ في عَلَمِ

ولأحمد شوقي أرجوزة في السيرة النبوية أدرجها في ديوانه (دول العرب وعظماء الإسلام) وفيها يستعرض السيرة النبوية ، والتي يقول في بدايتها [3] :

محمد سلالة النبوة *** ابن الذبيح الطاهر الأبوة

العــــربي طـــينة نبيلة *** القـــرشي الباذخ الـــقبيلة

ولم يقف الأمر عند أحمد شوقي بل استمرت المدائح النبوية التي تعرفنا بسيرة رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم حتى انفرد أحمد محرم – 1877 – 1945 م - من بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظم ملحمته النبوية المسماة بـــ "مجد الإسلام" أو "الإلياذة الإسلامية " في ثلاثة آلاف بيت صور فيها سيرة وحياة النبي محمد النبي صلى الله عليه وسلم بواقعية بعيدا عن الخيال الواهم والأحداث المفتعلة

---

[1] أحمد شوقي ، الشوقيات ، 2 / 506 .

[2] المرجع السابق ، 2 / 508 .

[3] أحمد شوقي ، دول العرب وعظماء الإسلام ، دار العودة ، 1981 م ، 22 .

التي تطبعا لملاحم حافظ فيه على التسلسل الزمني ونظمها على وزن واحد متضمنة أربعة أقسام ، وهي التي بدأها بقوله [1] :

املأ الأرض يا محمد نورًا *** واغمر الناس حكمة والدهورا

حجبتك الغيوب سرًا تجلى *** بكشف الحجب كلها والستورا

عب سيل الفساد في كل واد *** قتدفق عليه حتى يغورا

جئت ترمي عبابه بعباب **** راح يطوي سيوله والبحورا

كما أن شعراء الشيعة فد اتخذوا من السيرة النبوية موضوعا لهم مثلهم في ذلك مثل أهل السنة فكان لهم دور أيضا في المدائح النبوية ، نظرا لكثرة الشعر الذي يرثون فيه الحسين بن علي رضي الله عنه ومن ثم البيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان لزاما عليهم الإشارة إلى مواقف من سيرة الرسول النبي صلى الله عليه وسلم وشيمه ، ومن أشهر شعراء السيرة الذين نظموا في المديح الكميت بن زيد الأسدي ، وقد انفرد بأحد عشر قصيدة في مدح الرسول النبي صلى الله عليه وسلم والإشادة بخصاله الشريفة عُرفت بالهاشميات جمعت على حدة وقام بتفسيرها أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، منها بائيته الشهيرة والتي مطلعها [2] :

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ *** ولاَ لَعِباً أَذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

و لم يُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ و لم يَتَطَرَّبنِي بَنضانٌ مُخَضَّبُ

---

[1] محرم ، ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، أشرف على تصحيحه ومراجعته : محمد إبراهيم الجيوشي ، 03

[2] الكميت بن زيد الأسدي ، الديوان ، جمع وشرح وتحقيق : محمد نبيل طريفي (ذيل ديوان الكمبت) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000 م ، 512 ، و: شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تحقيق : داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، ط2 ، عالم الكتب ، دار النهضة العربية ، 1406 هـ / 1986 م ، 43 .

إلى أن يقول [1] :

وَلكِن إِلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى *** وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

إذن هذه الظاهرة الشعرية ساهمت بطريقة أو بأخرى في إثراء مكتبة السيرة النبوية وهي قادرة مثلها مثل النثر على تجلي أحداث السيرة النبوية وتقديمها للقارئ على أحسن وأكمل وجه ، ولعلها من جهة الحفظ أيسر لطلبة العلم وأرسخ في أذهان القراء ، وحياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم معين لا ينضب على مر الأزمان .

ثالثا : في سردية السيرة النبوية المنظومة :

ألفية السيرة النبوية المسماة (نظم الدّرر السَنية في السير الزكية) نموذجا

قليلة هي الظواهر السردية في أدبنا العربي المنظوم وأقل منها وجود أثر واحد منثور ومنظوم مثلما هو الحال مع السيرة النبوية .

فماذا عن شعرية السرد في منظومة السيرة النبوية ؟

السيرة النبوية المنظومة هي قصيدة حكائية تسرد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمتتبع لسير المنظومة يلمس أن ناظمها ضمنها (استهلالية – متن – خاتمة) ، حاول من خلالها الناظم أن يخلق عناصر حكائية من واقع السيرة النبوية .

– الوحدات السردية :

1 – الاستهلالية :

– الاستهلالية بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ

---

[1] الكميت بن زيد الأسدي ، الديوان ، 514 ، وشرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، 45 .

يستهل الحافظ العراقي منظومته بالبسملة أولا ثم بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه فقال :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم [1]

– الاستهلاية نظما :

بدأ العراقي ألفيته بسبعة أبيات يمهد فيها لبقية نصه ، فالناظم يلفت انتباه القارئ لأمور ثلاثة متتابعة نرصدها في ما يلي :

أ – التعريف بالقائل / الناظم / السارد :

يقولُ رَاجي مَن إليهِ المَهرَبُ *** عبدُ الرحيمِ بنُ الحسينِ المُذنبُ [2] :

وهو يقصد نفسه (أبو الفضل زين الدين العراقي) ، بوصف تفسه بـــ (الراجي) و(المذنب) وبقوله أيضا (عبدُ الرحيمِ بنُ الحسينِ) .

ب – الحمد والثناء على الله والتسليم ورجاء :

أحمدُ ربّي بأتمّ الحَمدِ *** وللصّلاة والسّلام أُهدِي

إلى نبيّهِ وأَرجو الله *** في نُجْحِ ما سئلتُهُ شِفَاها [3]

حمد الناظم الله في بداية البيت وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمنى أن يقضي الله حاجته في نظم السيرة النبوية في ألف بيت .

ج – تنبيه للقارئ :

---

[1] أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية ، دار المنهاج ، بيروت ، ط 1 ، 1426 هــ ، ص 29 .

[2] المرجع السابق ، ص 29 .

[3] نفسه ، ص 29 .

وليعلمِ الطالبُ أنَّ السِّيَرَا *** تَجمَعُ ما صحَّ وما قدْ أُنْكِرَا
والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السِّيَرْ *** بهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ
فإنْ يكنْ قدْ صحَّ غيرُ ما ذُكِرْ *** ذكرتُ ما قد صحّ منه واستطر [1]

لقد أفاد في هذا المقطع من الاستهلالية أن ما سيذكره من أخبار عن السيرة النبوية تتراوح بين الصحة والضعف في الإسناد .

2 – متن السيرة المنظومة :

بعد الاستهلالية ، نجد الناظم قد أتى على جميع أحداث السيرة النبوية ، ما تعلق منها بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته ، والأحداث التي رافقت الدعوة الإسلامية إلى غاية ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد استغرق منه المتن (988) بيتا ، بدءا بسرد أسمائه عليه الصلاة والسلام[2] :

محمدٌ، معَ المُقفّي، أحمَدا *** الحاشرُ، العَاقِبُ، والمَاحي الرّدى
وهْوَ المسمَّى بنبيّ الرَّحمةِ *** في «مُسلمٍ» ، وبنبيّ التوبةِ
وفيه أيْضًا: بنبيّ المَلْحَمَهْ *** وفي رِوايةٍ: نبيّ المرحمه
طه، وياسين، مَعَ الرَّسولِ *** كذاكَ عبدُ الله في التَّنْزيلِ
والمُتَوَكّلُ، النبيُّ الأمّي *** والرَّؤُفُ، الرَّحيمُ أيُّ رُحْمِ
وشاهِدًا، مُبَشّرًا، نَذيرَا *** كذا سِرَاجًا، صِلْ بِهِ منيرا
كذا به المزّمّل، المدّثّر *** وداعيا لله، والمذكّر
ورَحْمَةً، ونِعْمَةً، وهادي *** وغَيْرَها تَجِلُّ عن تَعدادِ

وانتهاء بذكر مرضه ووفاته صلى الله عليه وسلم :

وَدفنُه في بقعةِ الوَفاةِ *** بِخَبرِ الصّدّيق بالإثبات
«ودخل القبر الألى في الغسل *** وقيل: لا، أُسامةٍ وخولِي

---

[1] نفسه ، ص **29** .

[2] نفسه ، ص **30** .

زَادَ ابنُ سعدٍ أيضًا: ابنَ عوفِ *** معَ عقيلٍ أَمِنُوا من خوفِ

«وَفُرِشَت فِي قَبْرِه قُطَيْفَةُ *** وَقِيل: أُخْرِجَتْ، وَهَذَا أَثْبَتُ

وَلَحَدوا لَحْدًا له، ونُصِبَتْ *** عَلَيْه تِسْعُ لَبِنَاتٍ أُطْبِقَتْ

وَسَطَّحُوا مَعْ رَشّهم بالماءِ *** واشترَكَ الأَنامُ فِي العَزَاءِ

«وَذَاكَ فِي ليلةِ الاربعاءِ *** أَو قَبلَها بِليلةٍ لَيلاءِ

وَقِيلَ: يومَ الموتِ بالتعجيلِ *** صحَّحهُ الحاكمُ في «الإكْلِيلِ»

محمدٌ، معَ المُقفّي، أحمَدا *** الحاشرُ، العَاقِبُ، والمَاحي الرّدى [1]

3 – الخاتمة :

خاتمة المنظومة جزءان ، جزء يتمّم المنظومة ، وجزء يعنون المنظومة ، لتقفل الحكاية بآخر عرض تفصيلي لها .

أ – الإشارة إلى رؤيا عائشة رضي الله عنها :

وَفَسَّر الصّديقُ للصّديقَةِ *** منامها أن سقطت في الحجرة

حجرتها ثلاثة أقمارا *** ها خير الاقمار أتاك الدَّارَا

صَلَّى عَليه رَبُّنا وسَلَّمَا *** وَصَاحِبَيْهِ نُعّمَا وَأَنعَمَا

هُما الضَّجيعانِ منَ الأَقْمارِ *** قَد جَاوروا في اللَّحْدِ خَيرَ جَارِ

ثُمَّ عَلَى عثمانَ مع عليّ *** وسائر الأصحاب والوليّ [2]

وفي القول إشارة إلى رؤيا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، إذ ورد في المستدرك على الصحيحين للحاكم ، من رواية سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها قالت :

---

[1] نفسه ، ص 30 .

[2] نفسه ، ص 155 – 156 .

« رَأَيْتُ كَأَنَّ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حُجْرَتِي، فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنْ تَصْدُقْ رُؤْيَاكِ يُدْفَنُ فِي بَيْتِكِ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَ، قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ: يَا عَائِشَةُ، هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكِ، وَهُوَ أَحَدُهَا « هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَقَدْ كَتَبْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مُسْنَدًا » [1] .

ب – التوقيع : قفل الناظم :

ختم العراقي نظمه للألفية في آخر ملمح لها ، بقوله « كتبها ناظمها عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي بالمدينة الشريفة، وبعضها بالروضة بجوار الحجرة الشريفة » [2] .

إن آخر ما ختم به الناظم السيرة النبوية هو ما يفعله جل الكتاب والناظمين ، والمتمثل في التذكير باسم الناظم ومكان نظمه للسيرة النبوية .

– الحركية السردية :

وتقوم الكتابة السردية التي تجسدها القصيدة على حركة سردية تاريخية متتابعة ، تجسد السيرة النبوية شعرا ، إذ يذكر الناظم أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه ومولده وإرضاعه وكفالة أبي طالب له ، ليسرد بعدها ما كان من بداية الوحي ثم ما مر من أحداث مختلفة إلى غاية الهجرة النبوية ، ليذكر بعدها خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وخُلقه ومعجزاته وخصائصه التي تفرد بها إلى أن يصل لذكر مرضه ووفاته صلى الله عليه وسلم .

– إيقاع السرد :

لقد كان الإيقاع كغيره من تقنيات السرد الأخرى حاضرا في منظومة العراقي بحيث تنوع ما بين إيقاع اللغة وإيقاع النظم .

أ – إيقاع اللغة :

---

[1] الحاكم النيسبوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج 3 ، ص 66 – 67 .

[2] نفسه ، 156 . ،

لقد تشكل إيقاع النص من حيث اللغة حسب الحالة الوجدانية الفكرية التي مر بها الناظم ، بحيث حاول مراعاة أحداث السيرة النبوية كما نُقلت إليه ، وفي نفس الوقت ، التعبير عنها بلغة تناسب النظم ، ولا ننكر صعوبة ذلك ، مقارنة مع النثر الذي يعد أكثر مرونة في الحكي والسرد ، فالموسيقى الداخلية لهذه المنظومة نابعة نبعت من اختيار الشاعر .

ب – إيقاع الوزن والقافية (المدلول العروضي) :

تنتظم القصيدة الألفية ضمن بحر الرجز في قراءة عروضية لها ، بحيث تتابعت النماذج العروضية (التفعيلات) في بحر شعري واحد ، وضابطه :

في أبحر الأرجاز بحر يسهل *** مستفعلن مستفعلن مستفعلن

أما القافية باعتبارها عنصر عروضي ، فقد تنوعت ما بين مقاطع الألفية فتنوعت بذلك الأصوات الداخلية للقصيدة .

وأصبح كل مقطع يملك إيقاعا مختلفا عن بقية المقاطع المجاورة ، فأحيانا (..) :

وأحيانا (..) :

الشخصيات :

تعد الشخصية أحد أهم أعمدة السرد التي تقوم عليها الحكاية ، وفي هذه المنظومة فإن

هو نموذج حقيقي متمثل في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرة حياته

إن كتابة السيرة لم تكن حكرا على

وهي التي يقول في مطلعها [1] :

مِنْ نظمِ سيرةِ النَبيّ الأمْجَدِ *** ألفيةً حاويةً للمَقصِدِ

[1] **زين الدين عبد الرحمن بن الحسين العراقي ، ألفية السيرة النبوية المسماة (نظم الدّرر السَنية في السير الزكية) تحقيق وفهارس : أحمد بن محمد بن علوي المالكي ، دار المنهاج ، 29 .**

إلى أن يصل العراقي لذكر وفاته عليه الصلاة والسلام [1]

وليسَ ذَا متَّصِلَ الاسنَادِ *** عن مالكٍ في كُتُبِ النُّقّادِ

وَدفنُه في بقعةِ الوَفاةِ *** بِخَبرِ الصّدّيق بالإثبات

ودخل القبر الألى في الغسل *** وقيل: لا، أُسامةٍ وخوْلِي

زَادَ ابنُ سعدٍ أيضًا: ابنَ عوفِ *** معَ عقيلٍ أَمِنُوا من خوفِ

وَفُرِشَت فِي قَبْره قُطَيْفَةُ ... وَقِيل: أُخْرِجَتْ، وَهَذَا أَثبَتُ

وَلَحدوا لحْدًا له، ونُصِبَتْ *** عَلَيْه تِسْعُ لَبِنَاتٍ أُطْبِقَتْ

وَسَطَّحُوا مَعْ رَشّهم بالماءِ *** واشتَركَ الأَنامُ فِي العَزَاءِ

وَفَسَّر الصّديقُ للصّديقَةِ *** منامها أن سقطت في الحجرة

حجرهما ثلاثة أقمارا *** ها خير الاقمار أتاك الدَّارَا

صَلَّى عَليه ربُّنا وسَلَّمَا *** وَصَاحِبَيْهِ نُعّمَا وَأَنعَمَا

هُما الضَّجِيعانِ منَ الأَقْمارِ *** قَد جَاوروا في اللَّحْدِ خَيرَ جَارِ

ثُمَّ عَلَى عثمانَ مع عليّ *** وسائر الأصحاب والوليّ

قراءة في العنونة :

إن عناوين النصوص تحمل في طياتها مخزونا دلاليا يختلف من إبداع لآخر ، ومن مبدع لآخر ، وهو يعد أولى العتبات التي تفضي إلى عالم النص نثرا كان أو شعرا .

والعنوان الذي اختاره الناظم كان : (ألفية السيرة النبوية – نظم الدّرر السَنية في السير الزكية) إنه بمجرد قراءة أولية لهذا العنوان فإننا نشعر باختصا العراقي لمنظومته في العنوان ، فهو يحتوي المضمون بطريقة جمالية .

---

[1] **زين الدين عبد الرحمن بن الحسين العراقي ، ألفية السيرة النبوية المسماة (نظم الدّرر السَنية في السير الزكية) ، 155 – 156 .**

وقد تركب العنوان من جزئين (ألفية السيرة النبوية) و (نظم الدرر السنية الزكية) وكان الجزء الأول من العنوان كافيا ليتفاعل القارئ مع النص بتمثله للمعنى المراد من النظم .

الزمن :

الزمن هو أحد المكونات الأساسية للبناء السردي ، وقد انتظمت هذه الألفية ضمن إطار من الزمن يبدأ بولادته عليه الصلاة والسلام وينتهي بوفاته ﷺ.

الخاتمة

بعد أربعة أبواب تناولنا فيها السيرة النبوية من حيث الرِّواية الشَّفوية والسَّرد، خلصنا إلى نتائج نلخِّصها في :

- كانت العربية في عصر ما قبل الإسلام المرتع الطبيعي الأوَّل للرِّواية الشَّفوية، خصَّت الشعر والأخبار والأنساب والقصص.

- تدرَّجت الرِّواية الشَّفوية وتطوَّر معناها بعدما بدأ اللُّغويون يرتادون البادية لمشافهة الأعراب حيث أخذوا اللُّغة عن أفواه الذين استوطنوا البادية.

- لقد تغلَّبت رواية الشعر على النثر بسبب أن الشعر يتناقل بين الناس بصفة أسهل، فكان الشعر ديوان علمهم الذي تتَّبعه الرواة وحفظوه واعتنوا به، فعد الشعر بهذا عمود الرواية.

- - إن فضل الرُّواة وجهدهم في حمل الشعر الجاهلي ثابت —مع تفاوت دقة ما وصلنا— ومن أعلام الرُّواة حمَّاد الرَّاوية وخلف الأحمر وأبو عبيدة بن المثنى والأصمعي والمفضَّل الضبي.

- من أهم مصادر جمع اللُّغة العربية الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي في صدر الإسلام وما بعده.

- لقد مرَّ جمع اللُّغة العربية وتدوينها وترتيبها بثلاث مراحل تاريخية متَّصلة ببعضها، أوَّلها جمع الكلمات بدون طريقة محدَّدة، فجاءت المدوَّنات الأولى عشوائية لأن الغاية كانت

تتَّجه أوَّلا إلى الجمع والتدوين خوفا على اللُّغة العربية، أما المرحلة الثانية فاتَّسمت بجمع الكلمات بموضوع واحد في موضع واحد، ثم مرحلة ثالثة وأخيرة متمثلة في جمع الكلمات العربية على طريقة اللَّفظ ومعناه.

- لقد كان اللَّحن من أهم أسباب عكوف علماء العربية على جمع اللُّغة ومن ثمة تدوينها.

- تعدَّدت مصادر جمع اللغة العربية ولم تخرج عُموما عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي في صدر الإسلام وما بعده.

- رأينا أن رواية الحديث النبوي، تميَّزت بالدِقَّة والتحرِّي الشديدين من قِبل العلماء، حتى غدت لها شروط وقواعد وأصول متَّفق عليها لا يخرجون عنها، ومن أهم هذه الخصائص الإسناد الصَّحيح المتَّصل برواية العدول الضابطين.

- إنَّ إدراك علمائنا لضرورة وجود قيد يحفظ العلم ويجعل حظوظه في البقاء أطول وأسلم، جعلهم يدوِّنون التراث الأدبي واللُّغوي تدريجيّاً.

- مرَّ جمع القرآن وتدوينه بمرحلتين أوَّلها ما يعرف بالجمع الأول على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث أصبح القرآن الكريم مجموعا في نسخة واحدة، أعقبها جمع ثان على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسْخ مصحف أبي بكر رضي الله عنه في عدَّة مصاحف لتوزيعها على العواصم الإسلامية.

- لقد اعتبرت حركة تدوين الحديث الشريف أهمَّ حركة استقطبت اهتمام العلماء بعد تدوين القرآن الكريم، وذلك بجمع الأحاديث الصَّحيحة وتدوينها بعد التأكد من نسبتها إلى رسول الله ﷺ.

- ارتبط الخط العربي بتوسُّع استعمال اللغة العربية، كما كان للإعجام دور في ضبط اللغة وتدوينها وكان لأبي الأسود الدؤلي السَّبق في وضع النحو، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ليدخل الحركات على حروف اللغة العربية.

- عرف الأدب العربي فن التراجم والسِّير والذي يحمل في طياته ثروة ضخمة من النصوص مختلفة المشارب، تناول مؤلفوها الحديث عن أعلام في مختلف مجالات الحياة.

- تنوعت مصادر السيرة النبوية منها الأصلية، أوَّلها القرآن الكريم وما صاحبه من تفاسير، ثم كتب الحديث والشَّمائل والدَّلائل وبعدها كتب المغازي والسِّير، ومنها مصادر فرعية (تكميلية) مما لا تختصُّ بالسِّيرة أو التاريخ بل تتناول موضوعات أخرى مثل كُتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرِّجال والتَّراجم وكتب الفقه ومعاجم اللُّغة وغيرها.

- لقد لقيت السيرة النبوية اهتماما منقطع النظير من قبل علمائنا، جمعا وتدوينا وشرحا وتهذيبا واختصارا.

- اقترن ذكر السِّيرة النبوية بابن هشام المعافري الذي تلقَّى السيرة عن زياد البكائي الذي نقلها عن ابن إسحاق راوي السِّيرة الأول، وتعد سيرة ابن هشام أوثق مصدر قديم تحدَّث عن السِّيرة النبوية.

- لم يعتمد كُتَّاب السِّير والمغازي على الروايات الصَّحيحة فحسب في كتابة السيرة النبوية، بل نجد الكثير من الروايات الضَّعيفة، وسبب إحجامهم عن رواية الصحيح دون غيره هو قُدرتهم على معرفة أحوال الرُّواة والأسانيد، وبالتالي قُدرتهم على التمييز بين الروايات، في حين شحَّت المعرفة بهذه الأسُس في القرون التي تلتهم.

– كان ابن هشام ملتزما لجانب الأمانة العلمية في روايته عن ابن إسحاق، فقد أخضع الرواية للإسناد وتوثيق إضافات الشَّخصية، والتنبيه إليها.

– لقد اختلفت الرؤية الاستشراقية للسِّيرة النبوية بين مُنصف ومشكِّك طاعن فيها.

– لقد تنوَّعت طريقة سرد الرُّواة للسيرة النبوية حسب منهج كل راوٍ، ولكن الهدف كان موحَّدا بينهم جميعا.

– كان للسيرة النبوية حظ من الكتابة نَظما، ولمسنا فيها بعض المعالم السردية.

– في الشعر رُويت المعلَّقات ورُويت أشعار الصَّعاليك، وتنوَّعت الأغراض الشعرية في القصيدة الجاهلية التي وصلتنا عن طريق الرِّواية من مدح وفخر وهجاء وغزل ورثاء ووصف، أما في النثر، فقد استوعبت ذاكرة الرُّواة فنونا نثرية أهمّها سجع الكهان والخطابة والقصص والوصايا والأمثال والحكم.

– لقد عني المسلمون بتحصيل الحديث النبوي الشريف وروايته والذي اشتمل على مبحثين رئيسين علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية، ورأينا أن الأحاديث النبوية قد وصلتنا عن طريق الرُّواة بدءا من الصَّحابة رضي الله عنهم، فالتابعين والمخضرمين إلى غاية صغار الآخذين عن تُبَّع الأتباع.

– رأينا أن العداء للسنة النبوية ليس جديدا، بل ألفينا فِرقا تقفُ موقفا عدائيا للسنة النبوية، فهناك من ينكر الأحاديث ويطعن في رواتها، وهناك من يُشكِّك في حُجيِّة السنة، مثل موقف الخوارج والمعتزلة قديما، وفئة من المستشرقين وتابعيهم حديثا.

– للخبر وشائج تشدُّه إلى التاريخ والأنساب والقصص والأيام.

– اعتمد ابن هشام في روايته لسيرة ابن إسحاق على منهج تتبَّعناه فلم يخرج عموما عن الرواية بالحذف كحذف الأشعار المقذعة البذيئة التي تسيء للإسلام وحذف الأشعار المنحولة والموضوعة، الرواية عن غير ابن إسحاق والرواية بالشرح والرواية بالترتيب والتوزيع والرواية بعدم الجزم والرواية بذكر الأنساب أو تصويبها والرواية بالإشارة إلى التداخل والخلط في الأبيات والقصائد والرِّواية بالتفسير.

– ظهرت الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة والإسرائيليات في الأحاديث النبوية، وانتشرت بين أوساط المسلمين، وتعدَّدت بواعثها منها الخلافات السياسية والمذهبية والزندقة والطَّعن في الإسلام وطلب المال وغير ذلك.

– اختلف الاهتمام بالإسناد من عصر لآخر، ومن كتاب لآخر، وعرفنا أن الرواية في الإسلام خصَّت الأسانيد الصحيحة الأهمية البالغة، وعُدَّت من أساسيات الحفاظ على السنة النبوية، واجتهد علماء المسلمين في ايجاد علم الجرح والتعديل الذي يبحث في عدالة الراوي وضبطه ، وأوجدوا ألفاظ أداء دالة على حال الراوي.

– في مواضيع عِدَّة من السيرة النبوية أظهر كُتابها ألفاظا تُعدِّل الرُّواة أو تجرحهم .

– اختلفت طريقة سرد الرواة لأحداث السيرة النبوية من سرد تاريخي إلى سرد موضوعي.

– اشتملت السيرة النبوية على أجناس أدبية، لم تخرج عموما عن الخطب والقصص والأمثال والحكم والرسائل والعهود النبوية ويختلف كل نوع عن الآخر في المميِّزات.

– لقد شمل النَّحل والانتحال الأدب العام منذ الجاهلية، وقد تناوله علماء اللغة القدماء بالدرس منذ القرن الثاني للهجرة، وشمل الشعر بصفة خاصة، والكثير من المصادر العربية

تؤكد تلاعب بعض الرواة بما يروونه من وجود تفاوت في ما بينهم في الصِّدق والأمانة والدقَّة، ونجد ابن هشام قد تنبه لهذه الظاهرة، وأشار إليها أثناء كتابته للسيرة.

– نعتقد أن السيرة النبوية بحاجة لإعادة كتابتها من جديد باعتماد الرِّوايات الصحيحة، ويمكن استخدام الأحاديث الضعيفة في إثبات حوادث تاريخية لا ينبني عليها حُكم شرعي، آخذين بعين الاعتبار الجهد الذي يلزم لتحقيق مثل هذا المشروع العلمي.

ملحق الرسالة

في هذا الملحق سنتناول بالتفصيل بعض القضايا التي أشرنا إليها في صفحات الرسالة ، وأجملنا القول فيها أو تناولناها بصفة محددة بإطار من عنوان فرعي ببحثنا ، وهي كالتالي :

1 – مخطوطات ومطبوعات السيرة النبوية لابن اسحاق.

2 – تحقيقات السيرة النبوية لابن هشام.

3 - الشروحات والاختصارات والتهذيبات في تراثنا العربي.

4 – شروحات واختصارات وتهذيبات السيرة النبوية.

5 – المؤلفات التي عنيت بسرد السيرة النبوية.

1 – مخطوطات ومطبوعات السيرة النبوية لابن اسحاق

أ – مخطوطات السيرة النبوية لابن اسحاق :

برجوعنا لسيرة ابن اسحاق باعتبارها أول سيرة مخطوطة وصلتنا ، نجد أن لها أكثر من نسخة، عثرنا عليها مبثوثة في مقدمات تحقيقات سيرة ابن اسحاق، ونوضح هذا في الجدول التالي:

الرقم	النسخة	مكان الحفظ	رقم المخطوطة
1	نسخة كربسيك	مكتبة كوبريلي التركية	1140
2	نسخة دار الكتب المصرية	دار الكتب المصرية ، مصر – أحمد تيمورباشا	/

ب – مطبوعات السيرة النبوية لابن اسحاق :

المحقق	سنة الطبع	تقديم / مراجعة / تعليق	عدد المجلدات	مكان الطبع
/	1225 هــ	/	3	بولاق المصرية
/	1229 هــ	/	3	المطبعة
/	1900 م	/	/	طبعة ليبزج
/	1332 م	(على هامش الروض الأنف) للسهيلي	/	طبعة الجمالية مصر
/	/	(على هامش زاد المعاد لابن القيم)	/	طبعة القاهرة
/	1355 م	/	/	طبعة مصطفى
/	1375 هــ	/	/	طبعة مصطفى
/	1356 هــ	/	/	طبعة التجارية
/	1998	/	/	طبعة الأخبار
محمد حميد الله	1396 هــ / 1976 م	/	1	فاس ، المغرب
فريد المزيدي	1424 هــ / 2004 م	/	1	دار الكتب العلمية

وقد اعتمدنا على النسخة المذكورة كان على حساب النسخة الأخرى [1] التي قام بتحقيقها والتعليق عليها وتخريج أحاديثها أحمد فريد المزيدي في جزئين مجموعين فـــي (735) صفحة ، والذي اعتمد فيه على ما عُثر من مخطوطة ابن إسحاق مفردة ، وهذا في القسم الأول من التحقيق ، بينما اعتمد في القسم الثاني على سيرة ابن هشام بحيث اقتصر على رواية ابن إسحاق فيها ليتم ويكمل الكتاب.

بينما هناك تحقيق آخر للكتاب قام به الدكتور سهيل زكار، لكننا لم نعثر عليه رغم جديتنا في البحث عنه.

2 – تحقيقات السيرة النبوية لابن هشام

لسيرة ابن هشام أكثر من تحقيق، وسبق وأشرنا إلى اعتمادنا على سيرة ابن هشام من تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، وهذا جدول موضِّح لمختلف الطبعات والتحقيقات التي عثرنا عليها.

المحقق	عمل المحقق	معلومات التوثيق
مصطفى السقا إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي	**تحقيق / الدارس الضابط / الشارح واضع الفهارس**	**دار النشر** : دار إحياء التراث العربي **بلد النشر** :بيروت ، لبنان
نفسه	نفسه	**سلسلة** : تراث الإسلام

[1] **ابن إسحاق ، السيرة النبوية لابن إسحاق ، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه : أحمد فريد المزيدي – 1 – 2 – ، دار الكتب العلمية ، 1424 هــ / 2004 م ، بيروت ، لبنان .**

مجدي فتحي السيد	**تحقيق ودراسة**	**دار النشر** : الصحابة للتراث **بلد النشر** : طنطا ، مصر
صدقي جميل العطار	**تقديم / مراجعة**	**إشراف مكتب التوثيق والدراسات** **دار النشر** : الفكر للطباعة والنشر والتوزيع **بلد النشر** : **الطبعة** : 01 **سنة الطبع** : 1426 هـــ - 1427 هـــ / 2006 م .
محمد محي الدين عبد الحميد	**راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها**	**دار النشر**: مكتبة حجازي **بلد النشر**: القاهرة
عبد السلام دمري	**علّق عليها وخرَّج أحاديثها وصنع فهارسها**	**دار النشر**: دار الكتاب العربي.
فردناند وستنفلد	**تحقيق ودراسة**	Das Leben Ibn Ishaq bearbeitet von abd el-MALIK Ibn Hicham , zweiterband , ein leitung , armerkungen und register , Gottingen , dieterichsche universitats – buchhandlung , 1860

3 – الشروحات والاختصارات والتهذيبات في تراثنا العربي

أ – الشروحات والاختصارات والتهذيبات في تراثنا العربي

كثيرة هي أمهات الكتب التي لا غنى للدارس عنها ، وفي كل الاختصاصات والمجالات ، مما جعل أنظار علمائنا تتجه صوبها شرحا لتسهيل الأخذ منها أو لكثرة الغامض فيها واختصارا وتهذيبا لها جلبا للفائدة وحصر المهم منها .

– الشروحات :

قد يكون كتاب الجامع الصحيح المسند من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه أو ما يختصر اسمه بـــ (صحيح البخاري) أو (الجامع الصحيح) من أوائل الكتب التي لقيت مثل هذه العناية باعتباره أول مُصنف في الصحيح من السُنة وأول كتب الحديث الستة ، بحيث تصدى للكتاب علماء أفذاذ لشرحه على شاكلة ما فعله أبو الفضل أحمد بن علاء الدين المعروف بــــ : ابن حجر العسقلاني المصري في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري)[1] .

كما شرحه شهاب الدين أحمد القسطلاني ، وبهامشه متن صحيح مسلم وشرح الإمام النووي في كتابه : (إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري)[2] ، في عشرة أجزاء .

إضافة إلى أن صحيح البخاري حظي بالتلخيص أيضا مثلما حظي بالشرح ، ونلفي ذلك في كتاب : مختصر صحيح الإمام البخاري لناصر الدين الألباني[1] .

---

[1] ينظر : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز وعبد الرحمن بن ناصر البراك ، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ،

[2] ينظر : شهاب الدين أحمد القسطلاني ، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، بهامشه متن صحيح مسلم وشرح الإمام النووي ، ط 7 ، المطبعة الكبرى الأميرية ، البولاق ، مصر ، 1323 ه .

ونشير إلى أن هناك مصنفات أخرى حديثية وتاريخية كثيرة لاقت نفس الاهتمام كصحيح مسلم مثلا وغيره كثير .

وللتمثيل ظاهرة الشرح في صحيح البخاري نعمد إلى المقارنة بين نص ورد في الصحيح ومثيله أثناء الشرح :

نص البخاري – الأصلي – :

« ـــــ حدَّثنا الحُمَيْديُّ عبدُ اللّهِ بنُ الزُّبَيرِ قال: حدَّثَنا سُفْيَانُ قال: حدَّثَنا يحيى بنُ سَعيدٍ الأنْصاريُّ قال: أَخبرَني محمدُ بنُ إبراهيمَ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بنَ وقَّاصٍ اللَّيْثيَّ يقولُ: سمعتُ عمرَ بنَ الخَطّابِ رضي اللّهُ عنه على المِنْبَرِ قال: سَمعْتُ رَسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ « إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إِلى دُنْيا يُصِيبُها، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إِلى ما هاجَرَ إِلَيه » [2]

نص ابن حجر العسقلاني – في شرح نص البخاري – :

« **قوله: (حدثنا الحميدي) هو**: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى، منسوب إلى حميد بن أسامة، بطن من بني أسد بن عبد العزي بن قصي، رهط خديجة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– يجتمع معها في أسد، ويجتمع مع النبي –صلى الله عليه وسلم –في قصي.، وهو إمام كبير مصنف، رافق الشافعي في الطلب عن ابن عيينة وطبقته، وأخذ عنه الفقه ورحل معه إلى مصر، ورجع بعد وفاته إلى مكة إلى أن مات بها سنة تسع عشرة ومائتين ، فكأن البخاري

---

[1] ينظر : مختصر صحيح البخاري ، ناصر الدين الألباني ، ط 1 ، 1422 ه / 2002 م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ،

[2] البخاري ، كتاب الجامع الصحيح المسند من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدءُ الوَحْي إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ج 1 ، ص 13 (1) .

امتثل قوله – صلى الله عليه وسلم –" قدموا قريشا " فافتتح كتابه بالرواية عن الحميدي، لكونه أفقه قرشي أخذ عنه.

وله مناسبة أخرى: لأنه مكي كشيخه، فناسب أن يذكر في أول ترجمة بدء الوحي، لأن ابتداءه كان بمكة، ومن ثم ثنى بالرواية عن مالك، لأنه شيخ أهل المدينة، وهي تالية لمكة في نزول الوحي وفي جميع الفضل، ومالك وابن عيينة قرينان، قال الشافعي: لولاهما لذهب العلم من الحجاز.

قوله: **(حدثنا سفيان)** هو: ابن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو محمد المكي، أصله ومولده الكوفة، وقد شارك مالكا في كثير من شيوخه، وعاش بعده عشرين سنة، وكان يذكر أنه سمع من سبعين من التابعين.

قوله: **(عن يحيى بن سعيد)** في رواية غير أبي ذر: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري ، اسم جده: قيس بن عمرو وهو صحابي، ويحيى من صغار التابعين، وشيخه محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي من أوساط التابعين، وشيخ محمد علقمة بن وقاص الليثي من كبارهم، ففي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق ، وفي المعرفة لابن منده، ما ظاهره أن علقمة صحابي، فلو ثبت لكان فيه تابعيان وصحابيان، وعلى رواية أبي ذر يكون قد اجتمع في هذا الإسناد، أكثر الصيغ التي يستعملها المحدثون، وهي: التحديث والإخبار والسماع والعنعنة والله أعلم وقد اعترض على المصنف في إدخاله حديث الأعمال هذا في ترجمة بدء الوحي، وأنه لا تعلق له به أصلا، بحيث أن الخطابي في شرحه، والإسماعيلي في مستخرجه، أخرجاه قبل الترجمة، لاعتقادهما أنه: إنما أورده للتبرك به فقط، واستصوب أبو القاسم بن منده صنيع الإسماعيلي في ذلك .

وقال ابن رشيد: لم يقصد البخاري بإيراده سوى بيان حسن نيته فيه في هذا التأليف، وقد تكلفت مناسبته للترجمة، فقال: كل بحسب ما ظهر له ، انتهى.

وقد قيل: إنه أراد أن يقيمه مقام الخطبة للكتاب، لأن في سياقه أن عمر قاله على المنبر بمحضر الصحابة، فإذا صلح أن يكون في خطبة المنبر، صلح أن يكون في خطبة الكتب.... » [1] ، وللشرح تكملة ، إلا أننا اكتفينا بما أوردناه للدلالة على مدى أهمية الشرح ولو كان النص الأصلي قصيرا .

- **التلخيصات والتهذيبات** :

كثيرة هي التلخيصات والتهذيبات والتذييلات حينما نتصفح كتب التراجم والسير فقد لاقت ظاهرة تلخيص كتب التراجم والسير انتشارا واسعا فـــ « كثيرا ما نصادف في ميدان التراجم الإسلام كتبا كثيرة تلخص كتبا سابقة أو تهذبها أو تذيل عليها امتدادا لعصر أو استكمالا لزمن أو استدراكا لزمن أو استدراكا لوفاة » [2] .

ويكون الاختصار أو التهذيب لأسباب عدة منها بدافع حذف الأسانيد بغية تسهيل الأمر على المتلقي للمادة العلمية في الكتاب وحسن استيعابها ...

من ذلك كتاب صحيح البخاري الذي أشرنا إليه آنفا بحيث لُخص محتواه ، في كتاب (مختصر صحيح البخاري) [3] لسعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري .

---

[1] الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 15 – 16 .

[2] محمد عبد الغني ، التراجم والسير ، 102 .

[3] سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري ، مختصر صحيح البخاري ، دار إشبيلية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1423 ه / 2002 م .

وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان الذي اختصره « جماعة من الرجال منهم ابنه موسى وابن حبيب الحلبي المتوفى سنة 779 هـــ ، ونرى كتاب ابن عساكر في تاريخ دمشق وتراجم أعيانها يختصره ابن منظور الأفريقي » [1] .

وعلى هذا المنوال أيضا نجد عمـــل (سير أعلام النبلاء) [2] لشـــمس الدين الذهبي(– 748 – 1374 م) الذي شد انتباه الكثير من المصنفين القدامى منهم والمُحدثين ، بعد أن جمع مؤلفه طبقات التراجم من أوائل القرن الهجري ويعد بذلك الدارسون هذا السفر المميز من أهم كتب السير والتراجم في الحضارة العربية والإسلامية بضمه للآلاف من تراجم الشخصيات ، فأصبح من أكثر التصانيف تداولا وقبولا .

من هذا المنطلق رصدنا كتبا عديدة تلقفت هذا العمل الجاد بالشرح أو التركيز على مسألة تميز بها أو الاختصار ، من ذلك كتاب : (تهذيب سير أعلام النبلاء) [3] لأحمد فايز الحمصي في ثلاثة أجزاء عوض ثلاث وعشرون جزء الأصلية ، والذي استهل التهذيب مبرزا أهميته في خدمة طلبة العلم والدارسين قائلا : « وقد أردنا أن نخرج من هذا الكتاب بمختصر يفيد الباحثين والمختصين الذين يحتاجون لترجمة بسيطة تفي بالغرض ، وحتـــى تتعرف على فعلناه ، يكفي »[4] .

---

[1] **محمد عبد الغني ، التراجم والسير ، 102 .**

[2] **ينظر : شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1405 هـــ / 1985 م .**

[3] **شمس الدين الذهبي ، تهذيب سير أعلام النبلاء ، تهذيب أحمد فايز الحمصي ، مراجعة عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1412 هـــ / 1991 م .**

[4] **نفسه : ج1 / 05 .**

و نطالع كتابا آخر موسوم بـــ (الفوائد الغراء من **تهذيب** سير أعلام النبلاء)[1] للشريف فهد بن أحمد الفهدلي ، وهو شبيه بالعمل الأول ، بحيث قام مؤلفه باختصار الكتاب الأصلي حتى يكون سهلا طيعا لقارئه وباغي الفائدة منه .

كما نُظر للكتاب من وجهات نظر متباينة باستخلاص واستخراج جوانب معينة من كتاب الذهبي ، فهناك من ركز على تراجم النساء مثلا وألف (جامع أخبار النساء من سير أعلام النبلاء) [2] وهناك من ركز على جانب الأمثال في مثل : (منجد الخطيب : روائع القصص والأمثال مأخوذة من سير أعلام النبلاء) [3] .

وعلى نفس الوتيرة من استنباط ما ورد في كتاب الذهبي ألّف جمال بن أحمد بن بشير بادي (الآثار الواردة في أبواب الإعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي) [4] ، وكَتب ماجد بن محمد العسكر (الجواهر من سير أعلام النبلاء) [5] .

---

[1] الشريف فهد بن أحمد الفهدلي ، الفوائد الغراء من تهذيب سير أعلام النبلاء ، (جمع وترتيب) ، قدم له : محمد عائض غرامة الأسمري ، ط1 ، 1428 هــ / 2007 م .

[2] مصطفى بن العدوي ، جامع أخبار النساء من سير أعلام النبلاء ، (جمع وترتيب وتعليق) ، تقريض صالح بن فريح التميمي ، ط1 ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1425 هــ / 2004 م .

[3] أحمد بن صقر السويدي ، منجد الخطيب : روائع القصص والأمثال مأخوذة من سير أعلام النبلاء ، (جمع وترتيب) ، ط1 ، دار ابن حزم ، 1421 هــ / 2000 م .

[4] جمال بن أحمد بن بشير بادي (الآثار الواردة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي) ، دار الوطن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

[5] ماجد بن محمد العسكر ، الجواهر من سير أعلام النبلاء ، ط1 ، شوال 1429 هــ .

وكُتب أخرى أخذت على عاتقها رصد درر هذا الكتاب ، وغيره من المؤلفات التراثية الأخرى ، لا يسعنا في هذا التقديم ايرادها كلها ، والأهم هو أن التلخيص والتهذيب وجد على نطاق واسع في ثقافتنا العربية والإسلامية ولمظان توسم بالجدية والأهمية .

4 – شروحات واختصارات وتهذيبات سيـــرة ابن هشام

هذا جدول يضم شروحات وتهذيبات سيرة ابن هشام ، والتي وصلْنا إليها بعد جهد مضني وتحر بين الكتب:

1 – الشروحـــــــات :		
أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي (508-581 هـــ)	الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري	**تحقيق وتعليق وشرح** : عبد الرحمن الوكيل **الطبعة** : 1 . **دار النشر** : الكتب الإسلامية **بلد النشر** : مصر **سنة الطبع** : 1387 هـــ / 1967 م .
أبو ذر بن محمد بن مسعود الخُشَني	شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام) آثار اللغة العربية (مجموعة لبولس برونله)	**استخرجه وصححه** : بولس برونله **مطبوع بإرادة أصحاب الجلالة** : امبراطور ألمانيا وملم بروسيا وملك ورتمبرغ **دار النشر** : مطبعة هندية بالموشكى . **بلد النشر** : مصر . **سنة الطبع** : 1329 هـــ

2 – التهذيبـــــــات :		
المؤلف	**عنوان الكتاب**	**معلومات التوثيق**
أبو زكريا النووي الدمشقي (– 676 هـــ)	تهذيب السيرة النبوية	**الرعاية لـــ: رابطة العالم الإسلامي** **(البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ)** **تحقيق وتعليق** : خالد بن عبد الرحمن بن حمد الشايع **الطبعة** : 5 . **سنة الطبع** : 1429 هـــ /
عبد السلام محمد هارون	تهذيب سيرة ابن هشام	**دار النشر** : البحوث العلمية ومؤسسة الرسالة . **بلد النشر** : الكويت وسوريا **الطبعة** : 14 . **سنة الطبع** : 1406 هـــ / 1985 م
عبد السلام محمد هارون	تهذيب سيرة ابن هشام	**تنقيح وضبط** : نبيل عبد السلام هارون **دار النشر** : الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير **بلد النشر** : القاهرة ، مصر . **سنة الطبع** : 2006 م .

5- المؤلفات التي عنيت بسرد السيرة النبوية

في هذا الملحق سنجمع مختلف المؤلفات التي عنيت بسرد السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، فقد حاول الكثير من المؤلفين إفراد مؤلفات لجوانب بعينها في سيرة رسول ﷺ، وقفنا عند كثير منها، وأثبتناها في هذا الجدول التالي:

الجانب المختار من سيرة رسول الله ﷺ	الكتـــاب	المـؤلـف	التـوثـيـق
أخلاق رسول الله ﷺ	كتاب أخلاق النبي ﷺ	الحافظ أبو محمد الأصبهاني	**دراسة وتحقيق:** السيد الجميلي. **الطبعة** : 1 **دار النشر** : الكتاب العربي. **بلد النشر** : بيروت ، لبنان . **سنة الطبع** : 1405هـ / 1985م
حج رسول الله ﷺ	حجة النبي ﷺ وأحكام الحج والعمرة في الإسلام والديانات الأخرى	أحمد عبد الغفور عطار	**دار النشر** : وزارة الحج والأوقاف. **بلد النشر** : مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ودمشق ، سوريا

			الطبعة : 1 **سنة الطبع**: 1496 هـــ/ 1976 م
أسماء رسول الله ﷺ	أسماء النبي ﷺ	عاطف قاسم أمين المويلحي	**دار النشر** : الفكر للطباعة والنشر. **بلد النشر** : مصر **الطبعة** : 1 **سنة الطبع**: 1419 هـــ / 1999 م
لباس رسول الله ﷺ	لباس الرسول ﷺ والصحابة والصحابيات أجمعين	أبو طلحة محمد يونس عبد الستار	**دار النشر** : مطابع الوحيد **بلد النشر** : مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية **الطبعة** : 1 **سنة الطبع** : 1424 هـــ.
أسماء رسول الله ﷺ	موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ	صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن محمد بن الملوح	**دار النشر** : الوسيلة **بلد النشر** : المملكة العربية السعودية **الطبعة** : 1

			سنة الطبع: 1418 هـ / 1998 م
أخلاق رسول الله ﷺ	الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية	أبو عيسى محمد الترمذي	**دار النشر** : الكتب العلمية **بلد النشر** : بيروت ، لبنان **الطبعة** : 2 **سنة الطبع**: 1416 هـ / 1993 م
أخلاق رسول الله ﷺ	أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه	الحافظ أبو محمد بن جعفر الأصبهاني	**دراسة وتحقيق** : عصام الدين سيد الصّبناطي **دار النشر** : المصرية اللبنانية **الطبعة** : 2 **سنة الطبع**: 1413 هـ / 1993 م
العبادات	صفة صلاة الرسول ﷺ	شرف الدين أبو النجا موسى الحجاوي	**شرحه** : محمد بن صالح العثيمين **دار النشر** : مكتبة الصفا **بلد النشر** : القاهرة ، مصر . **الطبعة** : 1

			سنة الطبع: 1423 هـــ / 2002 م
الآثار	الآثار النبوية	أحمد تيمور باك	**دار النشر** : دار الكتاب العربي **بلد النشر** : القاهرة ، مصر . **الطبعة** : 1 **سنة الطبع** : شوال 1370 هـــ يوليه 1951 م .
مواقف	محاولات اغتيال النبي ﷺ وفشلها	محمود نصار والسيد يوسف	**دار النشر** : الكتب العلمية **بلد النشر** : .... **سنة الطبع**: 1423 هـــ / 2002 م
الخصائص	نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ	مجد الدين بن دحية	**المحقق** : عبد الله عبد القادر الفادني إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **الطبعة** : 1

			بلد النشر : قطر **سنة الطبع**: 1416 هـ / 1995 م
	محمد ﷺ كما ورد في كتب اليهود والنصارى	عبد الواحد داود	**المترجم** : محمد فاروق الزين **الطبعة** : 1 **دار النشر** : مكتبة العبيكان **بلد النشر** : الرياض ، المملكة العربية السعودية **سنة الطبع**: 1417 هـ / 1797 م

مكتبة البحث

أولا : مصادر البحث

- القرآن الكريم .

ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين السعدي :

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق وشرح وضبط : نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1965 م .

ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن ظافر المصري :

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1963م

ابن إسحاق ، محمـــد :

- سيرة ابن اسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، حققه وعلق عليه : محمد حميد الله ، تقديم محمد الفاسي ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، مطبعة محمد الحاسب ، فاس ، المغرب ، 1396 هــ / 1976 م .

- السيرة النبوية لابن إسحاق ، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه : أحمد فريد المزيدي ج1،2، دار الكتب العلمية ، 1424 هــ / 2004 م ، بيروت ، لبنان .

- المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، ط 3 ، دار الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، 1409 هــ / 1989 م .

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري :

– أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، قدم له وقرظه : الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري ، الدكتور عبد الفتاح أبو سنه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الأنصاري ، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي البصري :

– المطر ، عُني بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1905 م ، كتاب الهمز ، عُني بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1911 م .

ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد :

– غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره ج . برجستراسر G . Bergstrasser ، ط 3 ، 1402 هـ / 1982 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ابن الجوزي ، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن القرشي البغدادي :

– أخبار الحمقى والمغفلين ، شرحه عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1410 هـ / 1990 م .

– آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ، تحقيق سليمان الحرش ، ط1 ، دار الصديق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ / 2005 م .

ابن الرومي ، الحسن علي بن العبس ابن جريج :

– الديوان ، شرح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1324 هـ / 2002 م .

ابن السكيت :

– إصلاح المنطق، تحقيق : أحمد محمود شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر.

ابن العبد ، طرفة:

- الديوان ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م

ابن العماد ، شهاب الدين الحنبلي الدمشقي :

- شذرات الذهب ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط 1 ، 1410 ه / 1989 م .

ابن المبارك ، محمد :

- منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1999 م .

ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله محمد بن المتوكل بن المعتصم :

- طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر .

تأبط شرا :

- ديوان تأبط شرا ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ / 1993 م .

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي :

- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط 1 ، 1406 هـ / 1986 م .

ابن جماعة ، بدر الدين أبو عبد الله الشافعي :

– المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، تحقيق : محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دار الفكر بدمشق .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان :

– كتاب العروض ، تحقيق وتقديم : أحمد فوزي الهيب ، ط 2 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، 1409 هـ / 1989 م .

ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن أحمد البستي :

– الثقات ، ط 1 ، 1393 ه / 1973 م ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند .

– مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه وعلق عليه مجدي ين منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1416 ه / 1995 م .

ابن حبيب البغدادي ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو :

–المنمق في أخبار قريش ، حققه وعلق عليه : خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1405 هـ / 1985 م ، بيروت ، لبنان .

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني :

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، اعتنى به نظر محمد الفاريابي ، وعليه تعليقات مهمة للعلامة الشيخ محمد بن ناصر البراك ، ط 1 ، 1426 ه / 2005 م ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

– طبقات المدلسين ، أو تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، تحقيق ، عاصم بن عبد الله القريوتي ، مكتبة المنار ، ط 1 ، عمان ، الأردن .

- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير بالرياض ، ط 1 ، 1422 هـ

- تهذيب التهذيب ، باعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة .

- تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد – سوريا ، ط 1 ، 1406 – 1986م .

- النكت على كتاب ابن الصلاح ، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي.

- ابن حلزة ، الحارث :

- الديوان ، صنعة مروان العطية ، دار الإمام النووي ، دمشق ، دار الهجرة ، دمشق – بيروت ، ط 1 ، 1415 ه / 1994 م

ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد :

- الحجة في القراءات السبع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط 3 ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، 1399 هـ / 1979 م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن :

- تاريخ ابن خلدون ، المسمى : ديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي التيجان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1421 هـ / 2001 م ، لبنان.

ابن خلف الأنصاري ، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد :

- كتاب الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 1403 هـ .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر :

- وفيات الأعيان ، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري :

- الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1411 هـ / 1991 م .

ابن رواحة ، عبد الله :

- الديوان ، عبد الله بن رواحة ودراسة في شعره وليد قصاب دار العلوم للطباعة والنشر ، ط1 ، 1401 هـ / 1981 م

ابن سعد ، محمد :

- طبقات ابن سعد ، تحقيق د . محمد علي عمر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م .

ابن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد :

- عيون الأثر في المغازي والسير ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد العيد خطراوي ، محيي الدين مستو ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي :

- المحكم والمحيط الأعظم ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م .

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق الدكتور مراد كامل ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، 1392 ه / 1972 م ، ط 1 .

ابن طولون ، محمد بن علي بن أحمد الصالحي :

– الفلك المشحون في أحوال ابن طولون ، مكتبة القدس ، دمشق ، 1348 م .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي :

– العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1404 هـ / 1983 م .

ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله الجرجاني :

– الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة ، الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418ه / 1997 م.

ابن فارس ، أبو الحسين القزويني الرازي :

– معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1399هـ / 1979م .

– الصاحبي في فقه اللغة ، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1997 م .

ابن قتيبة ، بن مسلم الدينوري :

– الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .المعارف ، حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي :

– السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ،1395 هـ - 1976 م

- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجماوي ، علي أحمد عبد الباقي ، حسن عباس قطب ، مؤسسة قرطبة ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م .

ابن كلثوم ، عمرو:

- الديوان ، تقديم وترتيب وشرح : عبد القادر محمد مايو ، مراجعة : أحمد عبد الله فرهود ، ط ، دار القلم العربي

ابن ماجة ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني :

- سنن ابن ماجة ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م .

ابن مالك ، بن عبد الله الطائي الجياني ، أبو عبد الله :

- متن ألفية ابن مالك ، ضبطها وعلق عليها : عبد اللطيف محمد الخطيب ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1427 هـ / 2006 م ، ط 1 .

ابن مالك ، كعب :

- الديوان ، حققه وشرحه : علي فاعور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 22 ، 1417 ه / 1997 م

ابن منبه ، وهب:

- كتاب التيجان في ملوك حمير ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية ، (رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم جميعا)، ط 1 ، 1347 هـ.

ابن منظور :

– لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة .

ابن منقذ ، أسامة ، مؤيد الدولة أبو مظفر الكناني الشيرازي :

– الاعتبار ، حرره : فليب حتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك المعافري :

– السيرة النبوية، حقَّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، دار إحياء التراث العربي (تراث الإسلام) ، بيروت، لبنان.

– السيرة النبوية، تحقيق ودراسة: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا.

– السيرة النبوية، قدّم لها وعلَّق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد.

– السيرة النبوية، راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة حجازي، القاهرة.

السيرة النبوية، علَّق عليها وخرَّج أحاديثها وصنع فهارسها: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي.

– سيرة رسول الله: (تحقيق: فردناند وستنفلد)

Das Leben Ibn Ishaq bearbeitet von abd el-MALIK Ibn Hicham , zweiterband , ein leitung , armerkungen und register , Gottingen , dieterichsche universitats – buchhandlung , 1860.

أبو الفرج ، قدامة بن جعفر :

– نقد الشعر، تحقيق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي :

- الحماسة ، شرحه وعلقه أحمد حسن بسج ، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـ / 1998 م .

أبو داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني :

- كتاب السنن ، حققه وقابله بأصل الحافظ ابن حجر وسبعة أصول أخرى محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة الريان ، بيروت ، المكتبة المكية ، مكة ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م .

أبو زرعة العراقي ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين :

- المدلسين ، تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب ، وناقد حسين حماد ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، 1415 هـ / 1995 م .

الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب :

- مجموع أشعار العرب ، وهم مشتمل على ثلاثة أجزاء أولاها الأصمعيات وبعض القصائد اللغوية ، (الجزء الثاني يشتمل على ديواني الأراجيز للعجّاج والزفيان وعلى أبيات مفردات منسوبة إليهما ، والجزء الثالث مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه) ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسيّ ، ليبسيغ ، برلين ،

- الأصمعيات من تحقيق وتعليق: محمد نبيل طريفي، ط2، دار صادر، 1425هـ/2005 م.

- الأصمعيات من تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط3 ، دار المعارف ، مصر.

- فحولة الشعراء ، تحقيق : تشارلس تورّي ، قدم لها : صلاح الدين المنجد ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، 1389 هـ / 1971 م .

- الخيل ، تحقيق صالح الضّامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1430 هـ / 2009 م .

- كتاب الإبل ، تحقيق صالح الضّامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م .

- النبات والشجر ، سعى بنشره وجمع رواياته اوغست هَفْنِر ، نشر تباعا في أعداد مجلة المشرق ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1898 م .

- الشّاء ، حققه وقدم له وعلق عليه صبيح التميمي ، ط1 ، دار أسامة بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .

- نسب الخيل ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، ط1 ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، 1423 هـ / 2003 م .

أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني :

- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق : محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت ، ط 2 ، 1406 هـ - 1986 م .

أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني :

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، حقق هذا الجزء وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ، ط 1 ، 1417 ه / 1997 م ، مؤسسة الرسالة .

الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد :

تهذيب اللغة ، تحقيق جماعة من المحققين ، 1967 م ، مطابع سجل العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

الإصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين :

- الأغاني ، تحقيق إحسان عباس ، إبرايهم السعافين ، بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1429 هـ / 2008 م .

الألوسي ، محمود شكري البغدادي :

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرحه وصححه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى :

- المؤتلف والمختلف في أسماء القراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، صححه وعلق عليه : ف. كرنكو ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ / 1991 م .

الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم :

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق وتعليق : محمد عبد السلام هارون (ذخائر العرب) ط5 ، دار المعارف ، مصر .

البارودي ، محمود سامي باشا :

- الديوان ، حققه وضبطه علي الجارم ، محمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، 1998 م .كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، مطبعة الجريدة بسراي البارودي ، مصر ، 1327 ه .

البحتري :

- الديوان ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ط3 .

- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي :

الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي ، نشره وراجعه وقام بإخراجه وأشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ط 1 ، 1400 هـ .

البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر :

- خزانة الأدب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 4 ، 1418 هـ / 1997 م .

البغوي ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه :

- معجم الصحابة ، تحقيق محمد الأمين الجفني ، ط 1 ، 1421 ه / 2000 م ، مكتبة دار البيان ، الكويت .

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي :

- السنن الكبرى للبيهقي ، ط 1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ، الهند ، 1355 ه .

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دار الريان للتراث ، ط 1 ، 1408 هـ / 1988 م .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة :

- الجامع الكبير ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1996 م .

الشمائل المحمدية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر :

- البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الناشر الخانجي ، القاهرة ، مصر ، 1405 هـ / 1985 م

- الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، 1385 هـ / 1965 م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

الجمحي ، محمد بن سلام :

- طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر .

الحارثي ، محمد بن مريسي :

- عمود الشعر العربي – النشأة والمفهوم – ، ط 1 ، 1417 ه / 1996 م ، مكة المكرمة .

الحاكم ، النيسابوري :

- المستدرك على الصحيحين ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ومذيلة بتتبع أوهام الحاكم التي سكت عنها الذهبي لأبي عبد الرحمن الوادعي ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع .

الحصري ، أبو إسحق القيرواني :

- زهر الآداب وثمر الألباب ، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م .

الحطيئة ، جرول بن أوس بن مالك العبسي :

- الديوان ، اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م .

الحلبي ، محمد بدر الدين النعساني :

- نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1324 هـ / 1906 م

الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي :

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 م .

الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي :

- سنن الدارقطني ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله ، أحمد برهوم ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ - 2004 م .

الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن :

- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م .

الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي الأندلسي :

- الأحرف السبعة للقرآن ، تحقيق عبد المهيمن طحان ، دار المارة للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1418 هـ / 1997 م .

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز :

- الموقظة في علم مصطلح الحديث ، اعتنى به أبو غُدّة ، ط1 ، 1405 هـ / مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، دار البشائر الإسلامية للطباعة النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1382 هـ - 1963 م .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط 2 ، 1402 هـ / 1982 م ، مؤسسة الرسالة .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تريدي ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ / 1991 م .

- تذكرة الحفاظ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط 2 ، 1333 هـ .

الرامهرمزي ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن :

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، قدم له محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن ربيعة ، لبيد العامري :

- الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1425 هـ / 2004 م

الزَّبيدي مرتضى ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني :

- تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد :

- أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـ / 1998 م .

- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي حمد معوض ، مكتبة العبيكان

الزوزني ، أبو عبد الله :

- شرح المعلقات السبع ، تقديم عبد الرحمن المصطاوي ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1425هـ / 2004 م

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد :

- المذكر والمؤنث ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مطبوعات مركز جمعة الماجد - دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1418هـ - 1997م .

- كتاب المعمّرين من العرب و طرف من أخبارهم و ماقالوه في منتهى أعمارهم ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، 1323هـ / 1905م .

- أسماء خيل العرب وفرسانها ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1430 هـ / 2009 م .

السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد :

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة الحياة بلد النشر ، بيروت ، لبنان .

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1986 م .

السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين :

- شرح أشعار الهذليين ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، وراجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر .

السمعاني ، ابن سعد عبد الكريم ابن محمد :

- الأنساب ، حقق نصوصه وعلق عليها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط2 ، القاهرة ، مصر ، 1400 هـ / 1980 م .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي :

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، علق عليه ووضع حواشيه : مجدي بن منصور بن سيد الشوري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

السيوطي ، جلال الدين :

– مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، تحقيق : محمد بن لطفي الصباغ ، مراجعة و تصحيح : يوسف بن مفلح الغويري ، ط 1 ، وقف الأنصار ، طيبة الطيبة .

– الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م .

– طبقات الحفاظ ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ / 1983 م .

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط 1 ، 1967 م / 1387 هـ .

– مختصر الإتقان في علوم القرآن ، اختصار صلاح الدين أرهقدان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1407 هـ / 1987 م .

– الفارق بين المصنف والسارق ، تحقيق هلال ناجي ، ط 1 ، عالم الكتب ، مصر ، 1419 هـ / 1998 م .

– كتاب أسماء المدلسين ، تحقيق محمود محمود نصار ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1412 هـ / 1992 م .

الشنفرى :

– ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ / 1996 م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك :

– الوافي بالوفيات ، عناية وتحقيق أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420 هـ 2000 م .

الضبي ، أبو العباس المفضل بن محمد :

– أمثال العرب ، قدّم له وعلّق عليه إحسان عباس ، ط2 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1403 هــ / 1983 م .

– ديوان المفضليات ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواش وروايات كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان .

– ديوان المفضليات ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط 6 ، دار المعارف ، مصر .

– ديوان المفضليات ، مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواش وروايات لعدة لغويين وعلماء الفقير إلى عفو ربه كارلوس يعقوب لايل ، بمطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1920 م ، طبع على نفقة كلية ألفرد .

ابن أبي طالب ، علي:

– الديوان ، (ديوان الإمام علي) ، منقح ومصحح على الرواية الصحيحة ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، مطبعة الكرم ، 1382 هــ / 1963 م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :

– تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،صحيح تاريخ الطبري ، حققه وخرّج رواياته وعلق عليه : محمد بن طاهر البرزنجي ، إشراف ومراجعة : المحقق محمد صبحي حسن حلاق ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط1 ، 1428 هــ / 2007 م

– تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والرسل والملوك) ، ط 3 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1413 هــ / 1992 م .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل :

– الصناعتان ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1406 هـ / 1986 م .

العقيلي ، أبو جعفر – ابن حماد المكي :

– الضعفاء الكبير ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1404هـ - 1984م

العلوي ، المظفر بن الفضل :

– نضرة الإغريض في نصرة القريض ، تحقيق : نهى عارف الحسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

العيني، بدر الدين أبو محمد الحنفي :

– السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي) ، تحقيق وتقديم : فهيم محمد علوي شلتوت ، راجعه : محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1998 م .

الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد :

– العين – مرتبة على حروف المعجم – ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الفرزدق ، همام بن غالب :

– الديوان (مع الشرح) ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها ايليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط 1 ، 1983 م .

القاضي عياض ، بن موسى اليحصبي :

- كتاب الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى ، ط 2 ، 1413 ه / 1993 م .

القالي ، أبو علي :

- الأمالي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ / 2002 م

القرشي ، أبو زيد :

- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، حققه وعلق عليه وزاد في شرحه : محمد علي الهاشمي ، ط1 ، 1399 هـ / 1979 م .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر :

- تفسير القرطبي ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط 1 ، 1427 ه / 2006 م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد :

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العـــرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1400 هـ / 1980 م .

القيرواني ، ابن رشيق :

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، 1401 هـ / 1981 م .

القيس ، امرؤ ، بن حجر الكندي :

- الديوان ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1425 هـ / 2004 م.

الكميت بن زيد الأسدي :

– الديوان ، جمع وشرح وتحقيق : محمد نبيل طريفي (ذيل ديوان الكمبت) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000 م .

– شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تحقيق : داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، ط2 ، عالم الكتب ، دار النهضة العربية ، 1406 هـ / 1986 م

المحاسبي ، أبو عبد الله الحارث بن أسد :

– الوصايا ، تحقيق وتعليق وتقديم : عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1406 م / 1986 م .

المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله :

– أشعار النساء ، حققه وقدم له : سامي مكي العاني وهلال ناجي ، ط1 ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـ / 1995 م

المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي :

– رسالة الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ، ط 5 ، دار المعارف ، مصر

المهلهل ابن ربيعة :

– ديوان المهلهل ابن ربيعة ، شرح وتقديم : طلال حرب ، الدار العالمية .

الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري :

– مجمع الأمثال ، حققه وفضله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية .

النابغة الذبياني :

- الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م .

النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المصري النحوي :

- شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق أحمد خطاب ، (سلسلة كتب التراث) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1393 هـ / 1973 م .

النميري ، أبو حية :

- شعر أبي حية النميري ، جمعه وحققه : يحيى الجبوري ،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1975 م .

النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف :

- تهذيب الأسماء واللغات ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت .

- منهل الواردين شرح رياض الصالحين ، ضبط الأصل ووضع الشرح وصنع الفهارس : صبحي الصالح ، ط 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1976 م.

الهذليين :

- ديوان الهذليين ، ط 2 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1995 م .

الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني :

- مغازي الواقدي ، تحقيق مارسدن جونز ، دار الأعلمي ، بيروت ، ط 3 ، 1983 م ، 1409 هـ .

حسان بن ثابت الأنصاري :

- الديوان ، وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية .

- الديوان ، تحقيق وتعليق : وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، 2006 م

خليفة ، حاجي :

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

خليفة بن خياط ، أبو عمرو العصفري :

- كتاب الطبقات عن أبي عمرو خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار دار النشر ، مطابع وزارة الثقافة والسياسة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط 1 ، 1966 م .

دريد بن الصمة :

- الديوان ، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، مصر (ذخائر العرب : 59) .

زهير بن أبي سلمى :

- الديوان ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1426 هـ / 2005 م

شوقي ، أحمد :

- الديوان ، تعليق : يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 م

.دول العرب وعظماء الإسلام ، دار العودة ، 1981 م

صفي الدين الحلي ، عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم، السنبسي الطائي :

- الديوان ، مطبعة أغندي خالد ، رجب ، 1367 هـ .

عمرو بن كلثوم :

- الديوان ، تقديم وترتيب وشرح : عبد القادر محمد مايو ، مراجعة : أحمد عبد الله فرهود ، ط 1 ، دار القلم العربي.

محرم ، أحمد :

– ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، أشرف على تصحيحه ومراجعته : محمد إبراهيم الجيوشي

مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري:

– صحيح مسلم بشرح النووي ، ط 1 ، 1349 ه / 1930 م ، المطبعة المصرية بالأزهر .

– صحيح مسلم ، دار المغني ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، المملكة العربية السعودية .

ابن الورد، عروة:

– ديوان عروة بن الورد والسموأل ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ثانيا : مراجع البحث :

ابن التِمّين ، محمد عبد الله:

– اللَّحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 1429 هـ / 2008 م .

ابن سليمان حارث:

– أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط 1 ، مبرة الآل والأصحاب ، 1428 هـ / 2007 م .

ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان الشهرزوري :

– علوم الحديث ، تحقيق وشرح نور الدين عتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1406 هـ / 1986 م .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي النمري :

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، صححه وخرج أحاديثه : عادل مرشد ، دار الأعلام ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1423 هـ /2002 م .

ابن عبد الوهاب ، عبد الله بن الشيخ محمد :

- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشره قصي محب الدين الخطيب ، ط2 ، 1396 هـ ، المطبعة السلفية .

ابن منجويه ، الأصبهاني :

- رجال صحيح مسلم ، تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .

أبو الحسنات الهندي ، محمد الأنصاري اللكنوي :

- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط 3 ، 1407 هـ .

أبو خليل ، شوقي :

- غوستاف لوبون في الميزان ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1410 هـ / 1990 م .

أبو داوود ، سليمان بن نجاح :

- مختصر التبيين لهجاء التنزيل ، تحقيق أحمد بن أحمد بن معمر شرشال ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، المدينة المنورة ، 1424 هـ ، المملكة العربية السعودية .

أبو رحاب ، حسان :

- الغزل عند العرب ، 1366 هـ / 1947 م ،ط 1 ، 1366 ه / 1947 م ، مطبعة مصر ، القاهرة .

أبو رية ، محمود :

- أضواء على السنة النبوية (أو دفاع عن الحديث) ، ط 4 ، دار المعارف بمصر .

أبو هريرة شيخ المضيرة ، ط 4 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1413 هـ / 1993 م .

أبو زهرة ، محمد :

- الشافعي ، حياته وعصره ، آراؤه الفقهية ، دار الفكر العربي ، ط 1 .

أبو زهو ، محمد محمد :

- الحديث والمحدثون - أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية - ، ط 2 ، الرئاسة العامة للدراسات والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1404 هـ / 1984 م

أبو زيد ، أحمد :

- السيرة النبوية (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن) ، ط 1 ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ايسيسكو ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقلافة ، 1424 هـ / 2004 م ، بيروت ، لبنان ،

أبو زيد ، بكر بن عبد الله :

- العلماء الذين ترجموا لأنفسهم ، ط 1 ، 1405 هـ .تصنيف الناس بين الظن واليقين ، ط 1 ، دار العاصمة ، 1414 هـ .

أبو زيد ، علي :

- البديعيات في الأدب العربي – نشأتها ، تطورها ، أثرها – عالم الكتب ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1403 هـ / 1983 م .

أبو شهبة ، محمد محمد :

- في رحاب السنة ، الكتب الصحاح الستة ، سلسلة البحوث الإسلامية ، 1415 هـ / 1995 م .

- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط 4 ، مكتبة السنة ، 1408 هـ .

أبو علي ، أحمد توفيق :

- الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، دار النفائس ، ط 1 ، 1988 م .

أحمد ، مهدي رزق الله :

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية والفرعية (دراسة تحليلية) ، ط 1 ، 1412 هـ / 1992 م ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

أدهم ، إسماعيل أحمد :

- من مصادر التاريخ الإسلامي (فصل من كتاب حياة محمد ونشأة الإسلام) ، ط 1 ، مطبعة صلاح الدين الكبرى .

إسماعيل ، شعبان محمد :

- المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ، دار الأنصار .رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، دار السلام ، ط 2 ، 2001 م .

إسماعيل ، عز الدين :

- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1976 م

اصطيف ، عبد النبي :

– صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأنكلو – أمريكية ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب .

آل سعيد ، شاكر حسن :

– الخط العربي جماليا وحضاريا ، مجلة المورد (مجلة تراثية فصلية) : عدد خاص بالخط العربي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجمهورية العراقية ، المجلد الخامس عشر – العدد الرابع ، 1407 هـ / 1906 م .

آل سليمان ، أبو عبيدة مشهور :

– كتب حذر منها العلماء ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1995 م .

الأبياري ، إبراهيم :

– تأريخ القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1402 هـ / 1982 م .

الإبياري ، فتحي :

– المحمديات ، ج1 ، ج2 ، الهيئة المصرية ، 1995 م .

الأسد ، ناصر الدين :

– مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط 7 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

الأعظمي ، علي ظريف :

– مختصر تاريخ البصرة ، تقديم و تحقيق : عزة رفعت ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية .

الأعظمي ، محمد مصطفى :

- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، ج 1 ، المكتب الإسلامي ، 1405 هـ - 1985 م

الألباني ، محمد ناصر الدين

- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، المكتب الإسلامي ، ط3 ، 1417 هـ / 1996 م .

الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى :

- المؤتلف والمختلف في أسماء القراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، صححه وعلق عليه : ف. كرنكو ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ / 1991 م .

البستاني ، بطرس :

- أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، دار نظير عبود ، بيروت ، توزيع دار الجيل ، 1989 م .

البغدادي ، أبو علي الحسن المالكي :

- الروضة في الكتابات الإحدى عشرة ، تحقيق نبيل بن محمد إسماعيل ، 1415 هـ .

البنا ، أحمد بن محمد :

- إتحاف فضلاء البشر المسمى : منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1407 هـ / 1987 م .

البوسنوي ، صفوت بن مصطفى خليلوفتش :

- التفسير بالمأثور : أهميته وضوابطه (مع دراسة تطبيقية لسورة النساء) ، دار النشر للجامعات ، 1999 م ، ط 1 ، مصر .

البوصيري ، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي :

– البردة ، شرح : الشيخ إبراهيم الباجوري ، ضبط وتعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة الآداب .

البوطي ، محمد سعيد رمضان :

– فقه السيرة (مع صور لتاريخ النبوية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق .

التنوجي ، محمد :

– المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1419 هـــ / 1999 م .

الجبري ، عبد المتعال :

– أوجه للاستعمار الفكري ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط 1 ، 1416 هـــ / 1995 م .

– السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ترجمة : محمد عبد العظيم علي دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، ط1 ، الاسكندرية ، مصر ، لا1414 هـــ / 1994 م .

الجبوري ، يحيى :

– شعر عبد الله بن الزبعرى ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1401 ه / 1981 ، بيروت ، لبنان

الجندي ، عـــاصم :

– عز الدين القسام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، شباط (فبراير) ، 1975 م .

الجوزو ، مصطفى :

– قراءة جديدة لقضية الشك في أدب الجاهلية ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ط 1 ، 2001 .

الحارثي ، محمد بن مريسي :

– عمود الشعر العربي – النشأة والمفهوم – ، ط 1 ، 1417 ه / 1996 م ، مكة المكرمة .

الحجي ، عبد الرحمن علي :

– نظريات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ط3 ، مكتبة الصحوة ، بيروت ، لبنان ، 1399 هـ / 1979 م

الحفني ، عبد المنعم :

– موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، دار الرشاد ، ط 1 ، 1413 هـ / 1993 م .

الحلاق ، محمد راتب :

– الترجمة الذاتية محاولة في مقاربة المصطلح ، مجلة الموقف الأدبي ، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، العدد : 342 ، السنة : 29 ، تشرين الأول 1420 هـ ، 1999 م .

الحمد ، غانم قدوري :

– رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية ، ط 1 ، 1402 ه / 1982 م ، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بغداد ، الجمهورية العراقية .

الخُشَني ، أبو ذر بن محمد بن مسعود :

– شرح السيرة النبوية ، رواية ابن هشام ، استخرجه وصححه بولس برونله ، مطبوع بإرادة أصحاب الجلالة : امبراطور ألمانيا وملم بروسيا وملك ورتمبرغ ، مطبعة هندية بالموشكى ، مصر ، 1329 هـ آثار اللغة العربية (مجموعة لبولس برونله) شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

الخطابي ، محمد العربي :

- موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي (نصوص رائدة مع مدخل تحليلي ومقدمة نقدية) ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1998 م

الخطاط ، خالد محمد المصري :

- مرجع الطلاب في الخط العربي ، مراجعة : عبد المجيد خيالي ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الخطيب ، محمد عجاج :

- أبو هريرة راوية الإسلام ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط 3 ، شعبان 1402 هـــ / يونيه 1982 م، السنة قبل التدوين ، مكتبة وهبة ، ط 2 ، رمضان 1408 ه / أبريل 1988 م ، القاهرة.

الخميسي ، عبد الرحمن بن ابراهيم :

- معجم علوم الحديث النبوي ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، دار ابن حزم .

الخوّام ، رياض بن حسن :

- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية (مكاتبة بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البلقيني) ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـــ / 1998 م .

الدوري ، عبد العزيز :

- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب بحث في نشأة علم التاريخ هـــ / 1998 م

الديب ، عبد العظيم :

– المستشرقون والتراث ، ط3 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ودار النشر للجامعات المصرية ، 1413 هـ / 1992 م

الرافعي ، عبد الرحمن :

– مذكراتي ، ط 2 ، أخبار اليوم ، مصر ، 1409 ه / 1989 م .

الرافعي ، مصطفى صادق :

– تاريخ آداب العرب راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي ، مهدي البحقيري ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، مصر .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق :

– الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس ، ط3 ، 1399 هـ / 1979 م .

الزهراني ، أبو ياسر :

– علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1417 هـ / 1996 م .

– تدوين السنة النبوية (نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري) ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1426 ه ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

السامرائي ، إبراهيم :

– التطور اللغوي التاريخي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1983 م .
المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ط 1 ، 1987 م ، الإسكندرية ، أسطورة وواقع .

السايح ، أحمد عبد الرحيم :

– الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1417 هـ / 1996 م .

السباعي ، مصطفى :

- الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم) ، دار الوراق للنشر والتوزيع ، المكتب الإسلامي .

- مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، دار الوراق للنشر والتوزيع .

السد ، نور الدين :

- الأسلوبية و تحليل الخطاب ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 م

السرطاوي ، معاذ :

- اللغة العربية (مهارات أساسية في اللغة والأدب) ، ط 1 ، 1992 م .

السيد ، فؤاد صالح :

- معجم الذين نسبوا لأمهاتهم ، ط 1 ، الشركة العالمية للكتاب ، 1996 م .

السيد ، مجدي فتحي :

- صحيح السيرة النبوية لابن هشام ، ط 1 ، الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر ، 1416 هـ / 1995 م .

الشامي ، فاطمة قدورة :

- علم التاريخ (تطور مناهج الفكر والبحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

الشايب ، لخضر :

- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر ، مكتبة العبيكان .

الشلقاني ، عبد المجيد :

– رواية اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

الشنقيطي ، أحمد الأمين :

– شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار النصر للطباعة والنشر

الشيباني ، محمد بن إبراهيم :

– التوضيح الجلي في الرد على النصيحة الذهبية المنحولة على الإمام الذهبي ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، 1413 هـ / 2002 م

الصباغ ، محمد بن لطفي :

– تاريخ القصاص و أثرهم في الحديث النبوي و رأي العلماء فيهم ، المكتب الإسلامي .

الطعان ، محمود :

– أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، مكتبة المصارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط 3 ، 1417 هـ / 1996 م .

الطنطاوي ، محمد :

– نشأة النحو ، ط2 ، دار المعارف ، القارة ، مصر .

الطهطاوي ، رافع رفاعة :

– تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993 م .

الطويل ، السيد رزق :

– في علوم القراءات ، – مدخل ودراسة وتحقيق – ، الفيصلية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1405 هـ / 1985 م .

العاني ، عبد القهار داود عبد الله :

- الاستشراق والدراسات الإسلامية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م ، عمان ، الأردن .

العاني ، سامي مكي :

- الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، أغسطس 1996 م

- مناهج المستشرقين ، جامعة بغداد ، 1989 م .

العبده ، محمد ، عبد الحليم ، طارق :

- المعتزلة بين القديم والحديث ، دار الأرقم ، برمنجهام ، ط 1 ، 1408 ه / 1987 م .

العدوي ، مصطفى :

- شرح علل الحديث مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث ، دار ابن رجب ، مصر ، مكتبة مكة .

العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين :

- ألفية العراقي المسماة بـ: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث قدم لها وراجعها: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير ، تحقيق ودراسة: العربي الدائز الفرياطي ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1428 هـ.

- ألفية السيرة النبوية –نظم الدرر السنية الزكية، دار المنهاج، بيروت، ط 1، 1426 هـ.

العراقي ، أبو زرعة ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين :

- المدلسين ، تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب ، وناقد حسين حماد ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، 1415 هـ / 1995 م .

العربي ، خليل بن محمد :

- كتاب السلسبيل في شرح ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل ، دار الإمام البخاري ، ط 1 ، 1428 هـــ / 2007 م ، الدوحة ، قطر .

العربي ، عبد المنعم صالح العلي :

- دفاع عن أبي هريرة ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، مكتبة النهضة ، بيروت ، بغداد ، ط 2 ، 1393 هـــ / 1973 م .

العروي ، عبد الله :

- مفهوم التاريخ ، منشورات المركز الثقافي العربي ، ط 4 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، بيروت ، لبنان موافي ، عثمان :

العفاني ، سيد بن حسين :

- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، ط 1 ، 1424 ه / 2004 م ، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ، السعودية ، جدة .

العقاد ، عباس محمود :

- عبقرية خالد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا .
- عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- عبقرية عمر ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، يناير 1998 م .
- عبقرية الإمام علي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- عبقرية المسيح وكشوف العلم الحديث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا .
- عبقرية محمد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

العقيلي ، أبو جعفر بن حماد المكي :

- الضعفاء الكبير ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1404هـــ - 1984م

العلي ، إبراهيم :

- صحيح السيرة النبوية ، ط1 ، النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن، 1415 هــ / 1995 م.
العمري ، أكرم ضياء :

- السيرة النبوية الصحيحة — محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في تعدد روايات السيرة النبوية ، مركز بحوث السيرة والسنة ، جامعة قطر ، 1411 هــ / 1991 م .

العوشن ، محمد بن عبد الله :

- ما شاع و لم يثبت في السيرة النبوية ، دار طيبة .

العوني ، الشريف حاتم :

- خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل ، ط 1 ، 1420 هــ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

الغامدي ، سعيد بن ناصر :

- الانحراف العقدي يف أدب الحداثة وفكرها (دراسة نقدية شرعية) ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1424 ه / 2003 م .

الغمراوي ، محمد أحمد :

- النقد التحليلي لكتاب : في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، 1347 هــ / 1929 م

الفريجات ، عادل :

- دراسات في المكتبة العربية التراثية ، ط1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سورية ، 1999 م .

القاضي ، محمد :

- الخبر في الأدب العربي ، — دراسة في السردية العربية — ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1419 هــ / 1998 م

القراضي ، الطاهر خليفة :

– الأسس النحوية والإملائية في اللغة العربية ، ط 2 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة

القوال ، أنطوان :

– فن الخطابة ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، كانون الثاني / يناير 1996 م ، بيروت ، لبنان .

القونوي ، أبو الفضل محمد بن عبد الله :

– أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي (النصيحة الذهبية وتحقيق في صاحبها) ، دار المامون للتراث ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1423 هــ / 2002 م

القيسي ، نوري حمودي ، البياتي ، عادل جاسم ، عبد اللطيف ، مصطفى :

– تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ، 1399 هــ / 1979 م .

الكلاباذي ، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن البخاري :

– الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسّراد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه ، ط 1 ، 1407 هــ / 1987 م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

اللاحم ، إبراهيم بن عبد الله :

– الجرح والتعديل ، ط 1 ، 1424 هــ / 2003 م ، مكتبة ناشرون ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

اللحيدان ، صالح بن سعد :

– نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات ، ط1 ، دار راجح للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، دار الشوّاف للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1425 هــ / 2004 م .

- كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل ، ج 1 ، دار طويق للنشر والتوزيع ، ط ، 1415 هـــ / الناصرية

المراغي ، محمود أحمد :

- دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ، دار العلوم العربية ، ط 1 ، 1411 ه / 1991م ، بيروت ، لبنان .

المرصفي ، سعد :

- المستشرقون والسنة ، مكتبة المنارة الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان .

المشوخي ، عابد سليمان :

- التزوير والانتحال في المخطوطات العربية ، (أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 1422 هـــ / 2001 م ، مصر.

المقداد ، قاسم :

- هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي ، جلجامش ، ط 1 ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ، 1404 هـــ / 1984 م .

المناوي ، زين الدين :

- أبو عبد الله مصطفى بن العدوي :الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية ، تصحيح وتعليق : محمد عفيفي الزعبي ، مؤسسة الزعبي للطباعة والمنشر والتوزيع ، ط4 ، بيروت ، لبنان ، 1398 م / 1978 م .

المنجد ، صلاح الدين :

- المستشرقون الألمان – تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية – ط 1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، 1978 م .

- دراسات في تاريخ الخط العربي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان (منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي) ط 1 ، 1972 م .

النبهاني ، يوسف بن إسماعيل :

- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، دار الفكر ، بيروت .

الندوي ، سليمان :

- الرسالة المحمدية ، ط1 ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1415 هـــ / 1995 م

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي :

تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الذين سمع منهم وذكر المدلسين ، اعتنى به : الشريف حاتم بن عارف العوني ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، مكة المكرمة ، 1423 هـــ .

النعيم ، عبد الله محمد الأمين :

- الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء وات – بروكلمان – ڤلهاوزن) ، مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية 1417 هـــ / 1997 م

النفيسي ، عبد الله فهد :

- التراث وتحديات العصر ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1986 م

النيسابوري ، محمد بن عبد الله الحاكم أبو عبد الله ،

- معرفة علوم الحديث ، تحقيق السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 2 ، 1397هـ - 1977م

الهادي ،صلاح الدين :

- الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ، ط 3 ، 1407 هـ / 1987 م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة

الهندي ، أبو الحسنات ، محمد الأنصاري اللكنوي :

- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط 3 ، 1407 هـ .

اليازجي ، كمال :

- معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ، دار العلم للملايين ، ط 7 ، 1997 م .

أمامة ، عدنان محمد :

- التجديد في الفكر الإسلامي ، ط 1 ، رجب 1424 ه ، دار ابن الجوزي .

أمين ، أحمد :

- ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1997 م .ظهر الإسلام ، ط 5 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

أمين ، نضال عبد العالي :

- أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، 131 – 136 و: عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين .

بدوي ، عبد الرحمن :

- موسوعة المستشرقين ، ط 3 ، تموز يوليو 1993 م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

بن نبي ، مالك :

- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1388 هـ / 1969 م .

جاد المولى محمد ، والبجاوي ، علي محمد ، وإبراهيم ، محمد أبو الفضل :

- قصص العرب ، ط4 ، دار إحياء الكتب العربية .

جعيْط ، هشام :

- في السيرة النبوية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، كانون الثاني / يناير 2007 م .

جيده ، عبد المجيد :

- صناعة الكتابة عند العرب ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م.

حاوي ، إيليا :

- فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي ، ط1 ، منشورات دار الشرق الجديد ، حزيران (يونيه) ، 1960 م .

- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، دار الكتاب المصري ، مصر ، 1980 م .

حسان ، تمام :

- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، دار القافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م .

حسن ، محمد عبد الغني :

- التراجم والسير ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

حسن آل سلمان ، مشهور :

- كتب حذر منها العلماء ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1995 م .

حسين ، أبو لبابة :

- موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها ، دار اللواء ، ط 2 ، 1407 ه / 1987 م .

حسين ، طه :

- في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1352 هـ / 1933م.
- في الشعر الجاهلي ، ط 1، مطبعة دار الكتب، المصرية بالقاهرة، 1344 هـ/ 1926 م.
- على هامش السيرة ، دار المعارف ، مصر ، ط 31 .

حسين ، محمد محمد :

- الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية .

حمادة ، فاروق :

- مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، دار القلم ، دمشق ، ط 3 .

حمزة ، عمر يوسف :

- العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1996 م .

حمزة ، محمد :

- الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، والمركز الثقافي العربي ، 2005 م .

حمور ، عرفان محمد :

- أسواق العرب ، ط 2 ، 1981 م ، دار الشورى ، بيروت ، لبنان .

خضر ، عبد العليم عبد الرحمن :

- التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1415 ه / 1995 م .

خليف ، يوسف :

- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، (مكتبة الدراسات الأدبية) ط3 ، دار المعارف، مصر.

حنفي ، عبد الحليم :

- شعر الصعاليك ، منهجه وخصائصه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الشنقيطي ،

دروزة ، محمد عزة :

- سيرة الرسول – صور مقتبسة من القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان .

رستم، أسد:

- مصطلح التاريخ، دار النشر: المكتبة العصرية، ط1، 1423 هـ / 2002م.

رضا ، أحمد :

- رسالة الخط ، نشرت في مجلة العرفان ، مطبعة العرفان ، صيدا ، 1332 هـ / 1914 م .

سالم ، عبد العال :

- القرآن الكريم في الدراسات النحوية ، جامعة الكويت ، مؤسسة علي جراح الصباح ، ط 2 ، 1978 م .

سالم ، محمد إبراهيم محمد :

- فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر ، دار البيان العربي ، دار الأزهر .

سبط ابن عجمي ، الطرابلسي الشافعي :

– التبيين لأسماء المدلسين ، تحقيق يحيى شفيق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ / 1986 م .

سركيس ، إحسان :

– الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، آب (أغسطس) 1981 م

سلامة ، أمين :

– معجم الأعلام في الأساطير اليونانية ، والرومانية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، 1995 م

سلبي ، خيري :

– محاكمة طه حسين ، ط 2 .

سليم ، عمرو عبد المنعم :

– تيسير دراسة الأسانيد ، دار الضياء ، طنطا ، مصر ، ط 1 ، 2000 م .

سليمان ، موسى :

– الأدب القصصي عند العرب (دراسة نقدية للقصص القديم) ، ط5 ، دار الكتاب اللبناني ،مكتبة المدرسة ، 1983 م .

شاكر ، محمود محمد :

– قصة الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، المؤسسة السورية بمصر، دار المدني، جدة.

شربل ، موريس حنّا :

– موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، كانون الأول ، 1996 م .

شلبي ، عبد الفتاح إسماعيل :

– رسم المصحف وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم : دوافعها ودفعها ، دار المنارة ، جدة ، السعودية .

صالح ، بلعيد :

– مصادر اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 م .

صالح ، عبد الكريم إبراهيم عوض :

– المتحف في رسم المصحف ، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.

صالح ، محمد أديب :

– لمحات في أصول الحديث ، المكتب الإسلامي ، ط 4 ، 1405 هـ / 1985 م .

صفوت ، أحمد زكي :

– جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية ، ط 1 ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1352 هـ / 1923 م .

صيام ، زكريا عبد الرحمن :

– دراسات في أدب العصر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 م .

ضيف ، شوقي :

– الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ط 8 ، دار المعارف ، مصر .

– العصر الجاهلي ، ط 22 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

- البحث العلمي (طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره) ، ط 7 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1992 م .

- الرثاء ، ط 4 ، دار المعارف ، مصر .البطولة في الشعر العربي ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1984 م .

- الفخر والحماسة ، ط5 ، دار المعارف ، مصر .

طالب ، عبد الرحمن :

- الأحاديث القدسية الربانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1419 هـــ / 1999 م.

طبانة ، بدوي :

- قضايا النقد الأدبي (الوحدة ، الالتزام ، الوضوح والغموض ، الإطار والمضمون ، دار المريخ للنشر ، 1404 هـــ / 1984 م

عباس ، إحسان :

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.

عبد الباقي ، محمد فؤاد :

- تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس للفاظ الحديث النبوي ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع .

عبد الحميد الشلقاني :

- الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط 2 ، 1982م.

عبد الخالق ، عبد الغني :

- حجية السنة ، الوفاء للطباعة والنشر.

عبد الدايم ، يحيى إبراهيم :

– الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

عبد الرحمن ، طالب :

– السنة عبر العصور ، ج 1 ، وهران ، الجزائر ، 1403 هـ / 1982 م .

عبد الرحمن ، عفيف :

– الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1404 هـ / 1984 م

عبد العزيز ، محمد حسن :

– القياس في اللغة العربية ، ط 1 ، 1415 ه / 1995 م ، دار الفكر العربي .

عبد الغني ، يسري :

– عبد الله معجم المؤرخين المسلمين ، ط **1** ، **1411** ه / **1991** م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد :

– بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (أول المؤلفين في السيرة النبوية) .

عبد المتعال محمد الجبري ،

– السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر .

عبد الهادي ، جمال ، مسعود ، محمد ، محمد ، وفاء ، جمعة ، رفعت :

– أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ : مناهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ؟ وكيف ؟ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1406 هـ / 1988 م .

محجوب ،عباس :

– الأدب الإسلامي ، (قضاياه المفاهيمية والنقدية) ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن و عالم الكتب ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م

عتر ، نور الدين :

– منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

عثمان ، أحمد :

– الشعر الإغريقي – تراثا إنسانيا عالميا – ، من سلسلة عالم المعرفة ، 1990 م ، (77) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والفنون .

عثمان ، حسين :

– منهج البحث التاريخي ، ط 8 ، دار المعارف ، مصر ، 2000 م .

عطية ، محمد هاشم :

– الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، دار الفكر العربي 1417 هـ / 1997 م .

عفيف البهنسي ،

– معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، 1995 م .

عكاوي ، رحاب :

– الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1419 هـ / 1998 م.

علي القاري المكي ، الهروي :

– المصنوع في معرفة المصنوع (وهو الموضوعات الصغرى) حققه وراجع نصوصه وعلّق عليه عبد الفتاح أبو غدّة ، ط5 ، مكتب المطبوعات ، حلب ، بيروت ، ودار البشائر الإسلامية ، لبنان ، 1414 هـ / 1994 م .

عمر ، عمر أحمد :

– أولو العزم من الرسل : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط1 ، دار حسان ، دمشق ، سورية ، 1409 هـ / 1988 م .

عميرات ، زكريا :

– الأحاديث القدسية الصحيحة ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1423 هـ / 2002 م .

عميرة ، عبد الرحمن :

– الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، دار الجيل ، بيروت .

عواد ، عبد النور :

– معجم عبد النور المفصل ، (فرنسي عربي) ، طبعة منقحة ومزيدة ، دار العلم للملايين ، دار العلم للملايين ، ط8 ، تشرين الثاني / نوفمبر 2006 م .

عوض ، محمد محيي الدين :

– حقوق الملكية الفكرية ، (أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 1425 هـ / 2004 م

عويضة ، كامل محمد محمد :

– علم نفس الإشاعة ، مراجعة : محمد رجب البيومي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1416 هـ / بيروت ، لبنان .

عيد ، محمد :

- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر . الاحتجاج الاستشهاد باللغة في ضوء علم اللغة الحديث ، ط 3 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1988 م .

فاروق عمر فوزي ،

- الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) : دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998 م .

فجال ، محمد :

- الحديث النبوي في النحو العربي ، أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1471 هــ / 1997 م .

فريحة ، أنيس :

- نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1981 م .

فضل الله ، مهدي :

- فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 1996 م.

فلاتة ، عمر بن حسن :

- الوضع في الحديث ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، لبنان ، 1401 هــ / 1981 م .

فوزي ، فاروق عمر :

- الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) ، ط 1 ، ياقوت للخدمات المطبعية ، لبنان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 1998 م .

قاسم ، قاسم عبده :

– فكرة التاريخ عند المسلمين (قراءة في التراث التاريخي العربي) ، ط **1** ، **2001** م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

قدورة ، وحيد :

– بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام ، تطور المحيط الثقافي ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، السلسلة الثانية (18) ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، الرياض ، تونس ، 1414 هـ / 1993 م .

قرقوني ، حنان :

– اللغة العربية والخط وأماكن انتشار العلم والمكتبات ، الترجمة وآثارها في الحضارة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

قناوي ، عبد العظيم علي :

– الوصف في الشعر العربي ، الجزء 1 (الوصف في العصر الجاهلي) ط1 ، 1368 هـ / 1949 م .

كافي ، أبو بكر :

– منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح) ، إشراف حمزة عبد الله ، دار ابن حزم ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م .

مبارك ، زكي :

– المدائح النبوية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

محسن ، محمد سالم :

– تاريخ القرآن الكريم ، دعوة الحق ، السنة الثانية ، جمادى الآخرة 1402 هـ (15) .

محفوظ ، علي :

- فن الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الاعتصام .

محمد ، سراج الدين :

- المديح في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان .

محمد حسين آل ياسين :

- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثامن ، ط 1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ / 1980 م

محمود ، عبد الحليم :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

محمود مهدي الاستنبولي ،

- طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، المكتب الإسلامي، ط1، 1403 هـ/ 1983 م.

مرتاض ، عبد الملك :

- القصة في الأدب العربي القديم ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1968 م

مصطفى ، شاكر :

- التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

مصطفى عبد الرحمن إبراهيم :

- في النقد الأدبي القديم ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، مكة للطباعة ، 1419 هـ / 1998 م .

مطلوب ، أحمد :

- معجم النقد العربي القديم ، ج 1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989 م .

مكي ، الطاهر أحمد :

- دراسة في مصادر الأدب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 8 ، 1419 هـ / 1999 م .

مُلا خاطر ، خليل إبراهيم :

- مكانة الصحيحين ، ط 1 ، المطبعة العربية الحديثة ، 1402 هـ

موافي ، عثمان :

- منهج النقد الإسلامي والمنهج الأوروبي ، مؤسسة الثقافة الجامعية .

موسى ، سليمان :

- مشاهد وذكريات ، ط 1 ، عمان ، المملكة الأردنية ، نيسان 1996 م .

ناصف ، علي النجدي :

- تاريخ النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

ناصيف ، إميل :

- أروع ما قيل في الموت ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1415 ه / 1995 م .

نجا ، فاطمة هدى :

- نور الإسلام وأباطيل الاستشراق ، ط 1 ، 1413 ه / 1993 م ، دار الإيمان ، طرابلس ، لبنان .

نصري ، نادر ألبير :

– أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية ، بيروت ، لبنان ، أيلول ، المطبعة الكاثوليكية ، ط 2 ، 1966 م .

هارون ، عبد السلام محمد :

– قطوف أدبية ، دراسات نقدية في التراث العربي ، مكتبة السنة ، الدار السلفية للنشر ، ربيع الخير 1409 هـ / نوفمبر 1988 م العلم .

تهذيب السيرة النبوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 14 ، 1406 هـ / 1985 م .

تهذيب السيرة النبوية ، (تنقيح وضبط : نبيل عبد السلام هارون) ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 م .

هارون ، محمد :

– ملخص السيرة النبوية ، ترتيب وتهذيب أبو الفضل محمد هارون ، ط5 ،المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

هاشم ، أحمد عمر :

– قواعد أصول الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 144 هـ / 1984 م .

هدارة ، محمد مصطفى :

– مشكلة السرقات في النقد العربي ، المكتبة الأنجلومصرية ، 1985 م

وجدي ، فريد :

– نقد كتاب في الشعر الجاهلي ، ط 1 ، 1926 م .

يعقوب ، إميل بديع :

- موسوعة أمثال العرب ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـــ / 1995 م .

المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـــ / 1991 م .

المعجم المفصل في اللغويين العرب ، ط1 ، بيروت ، 1418 هـــ / 1997 م .

يعقوب إميل ، وميشال ، عاصي :

- المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، أيلول ، سبتمبر 1987 م .

يموت ، بشير :

- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ط 1 ، 1353 هـــ / 1934 م

، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة ، عوة الحق ، السنة السادسة ، العدد 60 ، ربيع الأول 1407 ه / نوفمبر 1986 م .

ثالثا : المراجع المترجمة

آليان . ج . ويدجري :

- The Interepretations Of History ، التاريخ من كنفشيوس إلى تونبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، ج 1 ، ط 2 .

أونج ، والترج :

- الشفاهية والكتابية ، ترجمة : الدكتور حين البنا عز الدين مراجعة : الدكتور محمد عصفور ، عالم المعرفة ، يناير ، العدد ، 182 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

ايتين دينيه وسليمان بن ابراهيم :

- محمد رسول الله ﷺ ، ترجمة : عبد الحليم محمود ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة، مصر.

بودلي ، ر . ف :

- الرسول (حياة محمد) ، ترجمة : محمد فروخ وعبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر.

روزنتال ، فرانز :

- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ط 2 ، 1403 ه / 1983 م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

سزكين، محمد فؤاد :

- تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول ، (الجزء الأول في علوم القرآن والحديث) – نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي ، راجعه عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1411 هـ / 1991 م .

فنسنك ، أرندجان :

- مفتاح كنوز السنة ، نقله إلى اللغة العربية : محمد فؤاد عبد الباقي ، إدارة ترجمان السنة ، مطبعة معارف لاهور ، 1398 هـ / 1978 م .

فهد ، توفيق

- الكهانة العربية قبل الإسلام ، (الكاهن ، الكاهنة النبي ، الشاعر ، الحازي ، الساحر ، الرائي ، العرّاف ، الرب ، ذو إله ، الحُمس ..) ترجمة : حسن عودة ورندة بعث ، تقديم رضوان السيد ، شركة قدمُس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ترجمة حسن عودة ، رندة بعث ، تقديم رضوان السيد

كارليل ، توماس:

- محمد المثل الأعلى - صلى الله عليه وسلم – عربه محمد السباعي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ذو الحجة 1413 هـ / 1993 م .

مونرو، جيمز:

– النظم الشفوي في الشعر الجاهلي ، ترجمة: فضل بن عمار العامري، منشورات دار الأصالة، للثقافة والنشر والإعلام، ط1، 1407هـ، 1987م.

هارت ، مايكل:

– أعظم مائة شخصية في التاريخ ، ترجمة : أنيس منصور ، المكتب المصري الحديث .

هورس ، جوزيف :

– قيمة التاريخ ، ترجمة : نسيم نصر، ط3، منشورات عويدات، بيروت ، لبنان ، 1986 م.

هوروفتش ، يوسف :

– المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمه حسين نصار ، ط 1 ، 1369 ه / 1949 م ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

هوميروس Homer :

– إلياذة هوميروس ، تر: سليمان البستاني (سلسلة الروائع) ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، تموز ، 1966 م . مغامرات أودسيوس (أوذيسة هوميروس مختصرة) ، تر : أمين سلامة ، ط1 ، دار الفكر العربي ، 1960 م .

هيرودوت Herodote :

– تاريخ هيرودوت ، ترجمه إلى اللغة العربية : عبد الإله الملاح ، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1422 هـ / 2001 م .

هينج ، ديفيد :

– دراسة التاريخ من خلال الروايات الشفهية ، نقله إلى العربية : د . ميلاد المقرجي ، جامعة قاريونس ، بنغازي ليبيا .

وارين ، رينيه ويليك واوستن :

– نظرية الأدب ، ترجمة : مجي الدين صبحي ، مراجعة : حسام الخطيب ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

رابعا : الدوريات

الجمل ، شوقي عطا الله :

– التاريخ عند العرب ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، المجلد 3 ، العدد 11 ، جامعة الكويت ..

الطويل ، السيد رزق :

– اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة ، عوة الحق ، السنة السادسة ، العدد 60 ، ربيع الأول 1407 هـ / نوفمبر 1986 م .

العبيدي ، صلاح حسين :

– الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية ، مجلة : آفاق الثقافة والتراث ، السنة الحادية عشرة ، العدد الثالث و الأربعون ، شعبان 1424 هـ / أكتوبر (تشرين الأول) 2003 م ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث .

العمري ، أكرم ضياء :

– موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (جامعة قطر ، العدد : 08 ، 1415 هـ / 1994 – 1995 م .

حقي ، أحمد معاذ علوان :

– بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا (دراسة تحليلية) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، المجلد 3، العدد:1،محرم 1427هـ/ 2006 م

حمادة ، محمد ماهر :

- سرقة الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية ، عالم الكتب ، المجلد الثاني ، العدد : 04 ، 1402 هــ / 1982 م .

رابطة العالم الإسلامي ، المجمع الفقهي الإسلامي :

- الدورات من الأولى إلى السابعة عشرة القرارات من الأول إلى الثاني بعد المائة (1398 هــ - 1424 م / 1977 م – 2004 م) قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة رقم : 02 ، الدورة السابعة 11 / 16 ربيع الآخر 1404 هــ .

عبيد ، نهاد عبد الحليم :

- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية للعلوم الشرعية والإنسانية ، المجلد 3 ، العدد 2 ، جمادى الأولى ، 1427 هــ / يونيو 2006 م .

عثمان ، أحمد :

- الشعر الإغريقي – تراثا إنسانيا عالميا - ، من سلسلة عالم المعرفة ، 1990 م ، (77) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والفنون .

عرسان ، علي عقلة :

- هل التراث ..؟ ! ، مجلة التراث العربي (مجلة فصلية) تصدر عن اتحادا لكتاب العرب ، العدد : 57 ، دمشق ، جمادى الأولى 1415 هــ / تشرين الأول / أكتوبر 1994 م .

عرفات ، وليد :

- الناقدون الأولون لشعر السيرة ، ترجمة وتعليق : بشار عواد معروف ، مجلة الأقلام ، السنة الأولى ، جمادى الثانية 1384 ه ، ج 3 ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، العراق .

القثامي ، سفير بن خلف بن متعب :

- الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر (عرض وتوجيه) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج 18 / ع 38 رمضان 1427 هـــ .

مجمع اللغة العربية :

- المعجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، 1425 هـــ / 2004 م .

سادسا : المراجع الأجنبية :

- – C.E.BOSWORTH , E.VAN DONZEL , W.P.HEINRICHS , THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM , new Edition , prepared by a number of leading orientalists , and the late CH. PELLATASSISTED BY F.Tn. DIJKEMA (pp. 1-384), P.J. BEARMAN (pp. 385-1058) AND MME S. NURIT
- – Henri lammens .s.I , Fāṭima et les filles de Mahomet (note critique pour l' étude de la Sïra) , scripta pontifich instituti Biblici Romae , Sumptibus pontifich institu Biblici 1912 , (Avant – propos) .
- – Henry Morley , Homer's ilade , translated by : George Chapman , with an introduction, London , 1884
- – Homer , the Odissey of Homer , translated by : Alexander Pope , with notes by the : rev Theodore Alois Buckley , M.A. , F.S.A. with Flaxman's Designs , and other engravings , second edition , London : Nathaniel Cooke , Milford house , strand , 1854
- – Homer , the Odissey of Homer , translated by : Alexander Pope ,London
- – Michael Hart , the 100 a Ranking of the most influential persons in History ,(a Citadel press Book published by Carol publishing Group , 1993
- – Michael Stapleton , Elizabeth Servan , SHREIBER :le Grand livre de mythologie Grecque et Romaine (préface de Jaques GRELL) . Paris : Edition des deux coqs d'or , 1982

- – Muhamed Mohar Ali , sîrat – nabî and the orientalists , king Fahd complex for the printing of the Holly Quran Madinah , first edition 14 17 AH / 1997 CE .
- – Paul robert , Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française societé du nouveau Littré Le Robert , Paris , 2eme édition , 1966 .
- – Paul Robert :Le Robert (U) dictionnaire alphabétique et analytique de la langue Française, Paris société du nouveau littré 1966
- – R. C. Jebb , Litt.D : HOMER , an introduction to the iliad and the odyssey , published by James Maclehose and sons , Glasgow , London , 1905
- – Thierry Boucquey , Encyclopedia Of World Writers, Beginnings To 20th . general editor
- – William Beloe Herodotus , london , printed by A. G. Valpy , M. A. 1830 ,
- Margoliouth David Samuel , Mohamed and the Rise of islam, G.P.Putman and Sons , New York and London , first published in 1905 , preface , iii .
- UNDER THE PATRONAGE OF THE INTERNATIONAL UNION OF ACADEMIES , LEIDEN – NEW YORK E.J. BRILL1993 , VOLUME VII ,MIF NAZ .

مواقع إلكترونية معتمدة بحثيا :

- اتحاد الكتاب العرب :

http://www.awu-dam.org:

– الشريف مريبعي، توثيق رواية الشعر في النقد العربي ، مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، جمادى الأولى 1426 هــ، على الموقع الرسمي لاتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سورية العدد 98، السنة الخامسة والعشرون، حزيران 2005 ، رابط المقال على الشكة العنكبوتية:

http://www.awu-dam.org/trath/98/turath98-005.htm

فهرس الرسالة

تم بحمد الله